



مركز دراسات الوحدة العربية

وقفية عبد المحسن القطان للقضية الفلسطينية

المشروع الصهيوني  
وبداءات الوعي العربي لمخاطره  
1917 - 1879

الدكتورة سميرة سليمان الشلبي



مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:



## كلمة مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتكنولوجي حيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي. ويساهم شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعده في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتخمير ما يتوفّر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب إلى نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق متميزون -

انضم إلى الجروب

انضم إلى القناة

المشروع الصهيوني  
وبدايات الوعي العربي لمخاطرها  
١٩١٧-١٨٧٩

الدكتورة سهيلاء سليمان الشلبي

## عن الكتاب ..

تهدف هذه الدراسة إلى تسلیط الضوء على بدايات الوعي العربي للخطر الصهيوني والدلائل والمؤشرات عليه، وإبراز أهميته وتأثيره والتطور الذي طرأ عليه، وكيفية مواجهة العرب هذا الخطر. وهي تهدف كذلك إلى معرفة إلى أي درجة ارتفع العرب في هذه المواجهة وكانوا بمستوى الحدث، ومعرفة مكانن الخل في معركتهم هذه والمقومات والظروف التي نجح من خلالها الصهاينة حيث فشل العرب. تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تدرس وترصد الوعي العربي من جهة، ومدى بدأ هذا الوعي وكيف تطور مع تطور المشروع الصهيوني، والظروف التي رافق تطور، والأالية والوسائل المستخدمة في التعبير عن هذا الوعي؛ كما تكمن في الحقبة التي تغطيها الدراسة من جهة أخرى، منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال عام 1897، إلى الإعلان عن وعد بلفور في تشرين الثاني/نوفمبر 1917، الذي تأتي أهميته بمنحه الشرعية والمظلة الدولية لمقررات ذلك المؤتمر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



## مقدمة

يجد الباحث نفسه في تناوله موضوع الوعي العربي لخطر المشروع الصهيوني أمام سلسلة من التساؤلات، تثير لديه الحنق والاستفزاز والغضب، بحيث يصارع موضوعية البحث العلمي، ويتفاعل بكليته سلباً وإيجاباً مع الموضوع والقضايا المبحوثة، ومكملاً ذلك كله رؤيته لأدب الصهاينة وإخلاصهم في سبيل تحقيق فكرتهم وهم على باطل، وترأخي العرب في الدفاع عن قضيتهم وهم أصحاب حق. إن أصعب الأعداء هو الذي ينزع منك الإعجاب به، لإيمانه بقضيته رغم بطلانها، وأصعب القضايا تلك التي يكون خصمك فيها أكثر إيماناً ب موقفه منك، إيماناً بولد إصراراً على بلوغ الهدف، وعملاً مضانياً من أجله.

لقد انطلقت هذه الدراسة الموسومة بـ الوعي العربي لخطر المشروع الصهيوني خلال الفترة من 1897-1917، في ما بحثته من مقوله نجيب عازوري: "إن ماضي الشعب هو الصورة الأكثر أمانة لحاضره ومستقبله". إن الاعتبار بما سلف، ودراسته، وتمحیصه، له أهمية قصوى في تحديد مسار الأمة العربية في الحاضر والمستقبل، وفي كيفية تعاملها مع المخاطر التي تهدد وجودها واستمراريتها، وفي مقدمها الخطر الصهيوني.

تكمّن أهمية هذه الدراسة في جانبين: الأول، دراسة الوعي العربي ورصده؛ متى بدأ، وكيف تطور مع تطور المشروع الصهيوني، والظروف التي رافقت هذا التطور، والآلية والوسائل المستخدمة في التعبير عن هذا الوعي. والثاني، يتمثل بالفترة الزمنية للدراسة؛ فحدها الأول، هو المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بال في آب/أغسطس 1897، والذي صيغ فيه المشروع الصهيوني في إطار مؤسسي، وتحول بذلك من أفكار ورؤى إلى شيء عملي، شرع في تطبيقه من خلال وضع آليات عمل صيغت في المؤتمر ذاته، وتطورت لاحقاً وفقاً لما يقتضيه الأمر، من خلال المؤتمرات الصهيونية المتتالية. وحدها الزمني الثاني - الذي تنتهي عنده الدراسة- الإعلان عن وعد بلفور في تشرين الثاني/نوفمبر 1917، والذي تأتي أهميته من خلال منحه الشرعية والمظلة الدولية لهذه المقررات، التي كانت في تجدد مستمر، من حيث بنودها وآليات تفويتها وتطويرها، فكان محصلة طبيعة لمجموعة من الظروف المختلفة، والتي تمثلت بالأداء الصهيوني والعربي قبل الحرب العالمية الأولى وأثناءها، وظروف هذه الحرب، و موقف العرب والصهيونية منها وخلالها، حيث توقفت الدراسة عنده من دون التطرق إلى تفاصيله وتداعياته، وذلك لحاجته إلى دراسة مستقلة وموسعة، تمنحه ما يستحقه في البحث.

تهدف هذه الدراسة إلى تسلیط الضوء على بدايات الوعي العربي للخطر الصهيوني والدلائل والمؤشرات عليه، وإبراز أهميته وتأثيره، والتطور الذي طرأ عليه، وكيفية تعامل العرب مع هذا الخطر منذ أن كان في المهد فكرة، إلى أن أصبح حقيقة ماثلة للعيان، وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

- هل تزامن الوعي العربي مع بدايات الدعوة الصهيونية، والعمل على تحقيقها؟

- هل ارتقى العمل أو الرد العربي إلى درجة الوعي؟

- هل كان حجم الوعي العربي متناسباً مع حجم الخطر الصهيوني؟ وإذا لم يكن كذلك، فلماذا قصر الوعي والفعل العربي عن مجازات الخطر الصهيوني؟

- أين كان العرب من تحركات زعماء الحركة الصهيونية، ومحاولاتهم كسب الدول والقوى الدولية كافة، لمصلحة مشروعهم؟

- ما أثر الظروف التي عاشها العرب أواخر الدولة العثمانية- خصوصاً خلال الفترة الاتحادية - في درجة الوعي، وردة الفعل العربية على المشروع الصهيوني؟

اعتمدت الدراسة في محاولتها الإجابة عن هذه التساؤلات على مجموعة من المصادر، إضافة إلى عدد من المراجع العربية والأجنبية الحديثة التي كان لا بد من الرجوع إليها لسد النقص الناجم عن صعوبة الوصول إلى بعض المصادر.

ومن أبرز المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة الصحف المعاصرة فترة الدراسة، التي شكلت رافداً أساسياً، وذلك لتنوع معلوماتها ومصادرها، فقد كانت المقياس الذي رصدت الدراسة من خلاله الوعي العربي للخطر الصهيوني، على اختلاف أشكاله ومصادره، وما رافق هذا الوعي من ردود فعل. كما عكست وجهات نظر وموافق الساسة العثمانيين من الموضوع، وهو أمر له أهميته وتأثيره سلباً وإيجاباً في موضوع الدراسة؛ كصحيفة المقتبس، التي أصدرها محمد كرد علي في دمشق عام 1909، وصحيفة الكرمل التي كانت صدى لأراء صاحبها نجيب نصار وموافقه، الذي يعتبر رائداً في وعيه وتبنيه للخطر الصهيوني، حيث شكلت موافقه وأفعاله وأقواله دستوراً لو اتبع لأحدث فرقاً في مواجهة هذا الخطر؛ إذ لخص نصار الصراع العربي مع الصهيونية بقوله: "فبالأرض نبقى وننتصر، والأرض هي الفيصل لبقاء أو سقوط أو هزيمة أو نجاح الصهيونية، بيعوا لليهود كل شيء إلا الأرض، ولا تشتروا من اليهود شيئاً إلا الأرض".

ولتعذر الحصول على أعداد هذه الصحيفة الصادرة خلال فترة الدراسة، فقد تمت الاستفادة من الأعداد الصادرة لاحقاً، في أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات من القرن العشرين، حيث خصصت صفحة تحمل عنوان "ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة"، نشرت فيها جميع القضايا المهمة المتعلقة بالصهيونية التي نشرتها الصحيفة في تلك المرحلة، وقد اعتمدت الباحثة في توثيقها المعلومات المقتبسة عن هذه الصحيفة، بذكر التفاصيل كاملة عنها في كل مرة كان يتم الاقتباس منها.

هناك مجلة المنار التي عكست غالباً وجهة نظر صاحبها محمد رشيد رضا وموافقه، وهي من أوائل المجلات التي تناولت الموضوع؛ إذ عاصرت انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897.

هناك أيضاً صحفة فلسطين، الصادرة عام 1911 في فلسطين، وذلك على الرغم من قصر المدة الزمنية التي صدرت فيها الصحيفة بالنسبة إلى مدة الدراسة، وكذلك

صحيفة المنادي الصادرة عام 1912، التي امتازت بنقلها لما كان يجري في فلسطين، خصوصاً في ما يتعلق بصفقات بيع الأراضي.

كذلك المذكرات الشخصية، وإن كان موضوع الخطر الصهيوني جاء ذكره عرضاً فيها، فلم يكن مسألة جوهرية - وذلك على النقيض من مذكرات زعماء الصهيونية، التي شكل المشروع الصهيوني والسعى إلى تفويذه محور مذكراتهم- إلا أن ذلك لم يحل دون تلمس بعض المعلومات فيها لتدعم الدراسة وإغراقها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، مذكرات عزة دروزة عن الحركة العربية، التي تحمل عنوان نشأة الحركة العربية. أضف إلى ذلك، مذكرات أسعد داغر عن القضية العربية، ويونس الحكيم، وسامي البارودي، وسليمان فيضي، وخليل السكاكيني وغيرهم.

وهناك أيضاً، مذكرات زعماء الحركة الصهيونية وبيومياتهم، التي ألقت الضوء على تطور المشروع الصهيوني، وآلية تطبيقه، إضافة إلى ما احتوته من معلومات حول العلاقة مع العرب وردود فعلهم، كيوميات ثيودر هرتزل، وكتابه الدولة اليهودية، ومذكرات حاييم وايزمن، وبن غوريون، وغيرهما.

ومن المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة، كتاب روحى الخالدى السيونزم أو المسألة الصهيونية، وكتاب نجيب عازوري يقطة الأمة العربية. كما على عدد من المراجع العربية والأجنبية الحديثة، التي استدركت النقص في بعض المصادر التي تعذر على الباحثة الوصول إليها، كبعض الصحف، وخصوصاً المصرية، والوثائق البريطانية وغيرها. في مقدمة هذه المراجع، كتب الدكتورة خيرية قاسمية ودراساتها، التي لا غنى لأي باحث في التاريخ العربي الحديث عنها، وفي مقدمها كتابها الموسوم بـ النشاط الصهيوني في المشرق العربي وصداته، 1908-1918، وكذلك أبحاثها المنشورة في عدد من الدوريات العربية.

وهناك مؤلفات الدكتورة سهام نصار، كتابها الموسوم بـ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة 1897-1917، وكتابها الصحافة الإسرائيلية والدعائية الصهيونية في مصر، وتكمن أهميتها في تغطيتهاما الصحف المصرية الصادرة خلال مرحلة الدراسة. وكتاب الدكتور محمود الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين، 1876-1914، الذي امتاز بتنوع مصادره، ولا سيما العبرية والتركية منها. وكتاب أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى. هذا، إضافة إلى عدد من الأبحاث المنشورة في مجموعة من الدوريات العربية التي ضمت دراسات ذات علاقة بموضوع الدراسة.

لا بد من الإشارة إلى أن الباحثة اعتمدت في دراستها على إيراد الكثير من الاقتباسات عن كتابات أو آراء لأشخاص عاصروا مرحلة الدراسة، والهدف من ذلك التعريف بروح العصر ونوعية الكتابة المستخدمة.

جاءت هذه الدراسة في خمسة فصول، تناول الأول منها "الوعي العربي للصهيونية كفكرة"، في حين تحدث الثاني عن "الوعي العربي لخطرة الهجرة والاستيطان اليهودي الصهيوني"، ثم جاء الثالث ليلقي الضوء على "الوعي العربي لخطرة استيلاء الصهيونية على الأراضي". أما الرابع، فتناول "الوعي العربي لهدف

الصهيونية إقامة دولة مستقلة في فلسطين" ، وبحث الفصل الخامس في "الوعي العربي للخطر الاقتصادي للمشروع الصهيوني" .

ومن الصعوبات التي واجهتها الباحثة في عملها هذا، وإن كان لا يمكن أن يطلق عليها صعوبات بقدر ما هي غصة أو ألم لا بد من التويه إليها، إلا وهي إحجام بعضهم عن تزويد الباحثة ببعض المعلومات أو المصادر التي احتاجتها، والتي اعتمد عليها هؤلاء في دراسات سابقة لهم، وهو أمر لا تكمن أهميته في الحالة التي واجهتها الباحثة تحديداً، بل في حالتنا كامة؛ فموضوع الدراسة -ولا أقصد هذه الدراسة بحد ذاتها- لإضفاء طابع الأهمية عليها. قضية كل عربي طالما أن الصهيونية قائمة على مشروعها، ساعية إلى إنجازه وتطبيقه بكل حذافيره، وهو ما يحتاج إلى تضافر كل الجهود على اختلاف أشكالها وأهميتها- والتي أتمنى أن تكون هذه الدراسة من ضمنها- للوقوف في وجهه وإفشاله.

وفي الختام، أتمنى أن يرقى جهدي هذا إلى مستوى موضوع الدراسة وأهميته، وإن لم يكن كذلك... فصدق النية في المحاولة والعمل، على أمل أن يكون ذلك مساهمة متواضعة جداً في معركة أمتنا المصيرية، والله من وراء القصد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



## الفصل الأول

# بدایات الوعي العربي لخطر الفكر الصهيونية، 1897 - 1917

إن الحركة الصهيونية حركة عنصرية استعمارية استيطانية، من مخلفات الفكر الأوروبي القومي التوسي في نهاية القرن التاسع عشر، وهي مشتقة من كلمة "صهيون" وهو اسم جبل في القدس، ومعناها الأرض الموعودة، أو الأرض المقدسة<sup>1</sup>، وغايتها الهجرة إلى فلسطين لدعاوين دينية أو دنيوية أو كليهما، بهدف استيطانها أملأً في إعادة تأسيس الدولة اليهودية فيها<sup>2</sup>، وقد نادت بحل لما أسمته بالمشكلة اليهودية، وعارضت اندماج اليهود في أوطانهم الأصلية، ودفعتهم إلى الهجرة إلى فلسطين زاعمة أن لهم فيها حقوقاً تاريخية ودينية، وقد أسبغت الحركة الصهيونية على اليهودية صفة القومية، وزعمت أن الشعب اليهودي يشكل عرفاً نقياً<sup>3</sup>. وتختلف الصهيونية بهذا المفهوم اختلافاً كلياً عن انتقال مجموعات من اليهود إلى فلسطين عبر العصور لغايات دينية صرفة، من زيارة وعبادة ومجاورة، والتي في نظرها - ووفقاً للتوراة - أن "دعوة الشعب اليهودي الجماعية إلى فلسطين إنما هي مرهونة بالإرادة الإلهية وظهور المسيح، وإن أي محاولة لاستباق هذه الإرادة بالمبادئ السياسية البشرية ما هي إلا بدعة تتبعها تعاليم الدين"<sup>4</sup>.

أما الوعي العربي لخطر الفكر الصهيونية، فقد ظهر من خلال سلسلة من ردود الفعل المتعاقبة التي توالت مع تطور المشروع الصهيوني وخطوات تنفيذه، وذلك منذ كان هذا المشروع في ستينيات القرن التاسع عشر مجرد أمل يقوم على تصورات وأهداف مشتتة، وإلى أن تحول إلى خطة عمل صاغها المؤتمر الصهيوني الأول في باريس عام 1897، ثم ت التنفيذ على أرض الواقع، متتجاوزة في سبيل تحقيقه العقبات كلها والأشكال المعارضة له، وقد تلاوته ردود الفعل العربية تبعاً لمدى إدراكتها خطورة كل خطوة خطاها المشروع الصهيوني، وكذلك تبعاً لمدى تسامي الوجود اليهودي الصهيوني في فلسطين، وبروز أطماء، وهو أمر لم يكن مستتراً أو خافياً، بدليل ما ذكره الزعيم الصهيوني ثيودور هرتزل (Theodore Herzl) في يومياته في 20 نيسان/أبريل 1897، " بأن فلسطين كلها تتحدث عن مخططنا القومي، فنحن في واقع الأمر الأسياد الوارثون للأراضي، واليهود الآن يشكلون أغلبية سكان القدس، كل شيء يمكن فعله في تلك البلاد"<sup>5</sup>. ومع التحفظ على بعض ما جاء في هذا القول من مبالغة، إلا أنه لا يخلو في الوقت ذاته من بعض الحقيقة حول العلم بالفكرة الصهيونية<sup>6</sup>.

ويمكن تقسيم الوعي العربي للفكرة الصهيونية إلى مراحل زمنية، شهدت سلسلة من التغيرات والحوادث التي أثرت في هذا الوعي سلباً وإيجاباً، وتمثلت بما يلي:

أولاً: الوعي العربي لخطر الفكر الصهيونية من 1897 - 1904

عقب انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال في آب/أغسطس 1897، بدأت تظهر بعض المؤشرات على علم العرب بوجود الصهيونية، من دون إدراك حقيقة خطرها كما ينبغي. ومع مرور الوقت، أخذ الوعي العربي للفكرة الصهيونية يتبلور بصورة أوضح؛ فالمفكر المسلم محمد عبده قال: "أنا أيضاً أكره السلطان.. وإذا سقط نبقي نحن المسلمين ليس كاليهود، بل أقل من اليهود، فإن اليهود عندهم شيء يخافون عليه ويحفظون به مصالحهم وجماعتهم وهو المال... ونحن لم يبقَ عندنا شيء فقدنا كل شيء".<sup>7</sup>

في قول محمد عبده هذا، فهم عميق لآلية العمل التي ينتهجها الصهاينة، ويسعون من خلالها إلى تحقيق مصالحهم وأهدافهم من خلال جمعيهم. وكذلك دلالة على الشعور بوجود حركة جماعية لدى اليهود، وإن لم يوضح كنهها.

انفردت صحيفة المقطم في نشرها أنباء مؤتمر بال بعد انعقاده بشهرين، وذلك في رسالة بعث بها مراسلها الأمير أمين أرسلان في 23 تشرين الأول/أكتوبر عام 1897، ذكر فيها أن بعض أثرياء الإسرائيликين، خلال السنة الأشهر السابقة لانعقاد مؤتمر بال، عقدوا عدداً من المؤتمرات المختلفة في عواصم أوروبا وأشهر مدنها. ثم تحدث عن مؤتمر بال ومقرراته، وإمكان تحقيقها، والعقبات التي قد تحول دون ذلك.<sup>8</sup> وأوردت صحيفة المقطم في نيسان/أبريل عام 1898 سؤالاً لأحد القراء العرب المقيمين في ألمانيا، ويدل على حالة وعي مبكرة جداً لخطر الصهيونية، ويتحدث فيها عن قيام حركة بين يهود النمسا وألمانيا وإنكلترا وأمريكا قبل ستة أشهر، والمعروفة بالحركة الصهيونية، وتظهر أن غاية الصهيونيين - وفقاً لما يظهر في الصحف الأوروبية - إنشاء مساكن في فلسطين لليهود المضطهدين في روسيا وبلغاريا ورومانيا وببلاد الفرس والمغرب. ويتسائل في ختام رسالته حول ما إذا أولت الصحف العربية هذه المسألة الاهتمام، وخصوصاً في مصر وسوريا، حيث أنكرت الصحيفة وجود مثل هذا الاهتمام، وبأن الأمر اقتصر على نبذ من الأخبار، وردت في بعض الصحف.<sup>9</sup>

يلاحظ أن رد الصحيفة على مثل هذا التساؤل جاء مقتضباً، لا يوازي حجم ما يحمله من أبعاد خطيرة في قضية حساسة، ولم تول الصحيفة مثل هذا الموضوع الاهتمام الذي يستحقه، بأن توسيع دائرة بحثها ليس في الرد على السؤال فقط، بل برفد القارئ بمعلومات مفصلة عن الصهيونية وأفكارها، وما يقوم به اليهود والصهاينة على أرض فلسطين وغيرها، لترجمة هذه الأفكار إلى واقع، وذلك على الرغم من أنها أشارت إلى نشاط اليهود الاقتصادي في فلسطين، ودعم أغنياء اليهود لهم، إلا أنها قللت من شأن مثل هذا المخطط، واستبعدت حدوثه لممانعة الدولة العثمانية له.

ولكن هذا التصريح تداركه صاحب مجلة المنار محمد رشيد رضا، وذلك عند تعليقه على ما جاء في المقطم، حيث وجه تحت عنوان "خبر واعتبار - جمعية اليهود الصهيونية"، تحذيراً للعرب من الصهيونية ينم عن وعيه أبعادها وفهمه، قال: "إن غاية هذه الجمعية هي احتلال بلادكم واستعمارها وجعل أربابها أجراء وأغنيائها فقراء... لعل أهل بلادنا تجيش في نفوسهم مراجل الغيرة، فتندفع إلى طلب ما تتوقف عليه سعادة أوطانهم من علم وعمل، ولا شك في أنهم لا يعدمون عند الطلب

رشاداً... في أيها القانعون بالخمول أقفعوا رؤوسكم (ارفعوها)، وحدقوا أبصاركم وانظروا ماذا تفعل الشعوب والأمم، أصغوا لما تتحدث به العالم عنكم، أترضون أن يسجل في جرائد جميع الدول أن فقراء أضعف الشعوب الذين تلفظهم جميع الحكومات من بلادهم من العلم والمعرفة بأساليب العمران وطرقه، بحيث يقدرون على امتلاك بلادكم واستعمارها وجعل أربابها أجراء وأغنيائها فقراء؟ تفكروا في هذه المسألة واجعلوها موضوع محاورتكم، فإذا تبين لكم أنكم مقصرون في حقوق أوطانكم وخدمة أممكم وملتكم، فانظروا وتأملوا وتفكروا وتذاكروا وتحاوروا وتنظروا في مثل هذا الأمر”<sup>10</sup>.

كانت مجلة المنار قد حذرت منذ أعدادها الأولى من خطر الصهيونية، وكشف صاحبها من خلال الحملة التي بدأها منذ عام 1898، وحتى قيام الحرب العالمية الأولى، عن فهم وإدراك عميقين لحقيقة الصهيونية وأبعادها ومطامعها<sup>11</sup>.

تتابعت ردود الفعل العربية التي تتم عن بدايات وعي خطر الفكرة الصهيونية، ففي رسالة وجهها يوسف ضياء الدين الخالدي في الأول من آذار/مارس عام 1899 إلى رئيس الحاخامين في فرنسا- وسلمها الأخير بدوره إلى الزعيم الصهيوني هرتزل- أورد في مقدمتها تعريفاً بالصهيونية من الناحية الفكرية، فقال: ”الصهيونية نظرياً فكرة طبيعية وعادلة تماماً كحل للمشكلة اليهودية، لكن لا يمكن التغاضي عن حقائق الواقع التي يجب أخذها بالحسبان، فلسطين جزء لا يتجزأ من الإمبراطورية العثمانية، وهي مأهولة اليوم بغير اليهود... فبأي حق يطالب بها اليهود لأنفسهم؟ إن الأموال اليهودية لن تستطيع شراء فلسطين، ولذا فإن احتلالها لن يكون إلا بقوة المدفع والسفن الحربية، لذا حتى لو حصل هرتزل على موافقة السلطان عبد الحميد الثاني على المخطط الصهيوني، فعليه ألا يفكر بأنه سيأتي اليهود الذي يصبح فيه الصهيونيون أسياد هذه البلاد...“، وخلص إلى القول إن الحركة تشكل خطراً كبيراً على اليهود في الدولة العثمانية، وبخاصة في فلسطين<sup>12</sup>.

وفي رسالته هذه، أضاف الخالدي فهماً وبعدهاً جديدين لخطر الصهيونية، ألا وهو **البعد الجغرافي**، فقال: ”إن مصلحة اليهود في تركيا بأن لا تظهر المفاهيم الجغرافية للحركة الصهيونية في المنطقة، ولهم أن يبحثوا عن أي مكان آخر للشعب اليهودي البائس،... ومع ذلك فإن اليهود يعيشون أحراراً في فلسطين، ولكن بشرط أن يكونوا مثناً رعايا عثمانيين مخلصين“<sup>13</sup>.

ويبدو أن الخالدي كان مطلاً على المفاوضات التي كان يجريها هرتزل مع الساسة العثمانيين لإقناعهم- بوساطة الإغراء المادي والرشوة- للتوسط لدى السلطان للسماح له بمقابلته أولاً، وللحصول على موافقته منحه فلسطين لتحقيق مشروعه ثانياً<sup>14</sup>.

كان من أبرز من اتصل بهم هرتزل من أجل هذه الغاية، عزت باشا العابد وهو عربي، وكان مستشاراً للسلطان عبد الحميد الثاني، تتمتع بحظوة كبيرة لديه، إلا أنه على الرغم من عروبه، وباعتبار أن مسألة الصهيونية هي ذات مساس وخطر مباشر على العرب، وباعتبار أن فلسطين هي مسألة عربية بقدر ما هي إسلامية،

إلا أنها نلحظ من خلال ما جرى من اتصالات بين هرتزل والعادب، لم تأخذ المسألة لديه هذا بعد، آخذين بالاعتبار محاولات هرتزل إظهاره بمظهر الشخصية الانهازية التي تسعى وراء المال، وتقبل الرشوة، وتقدم مصالحها الشخصية على العامة 15، حيث تعامل عزت باشا العادب مع المسألة كأي مسألة سياسية دبلوماسية تواجهها الدولة، وليس قضية مصيرية لأبناء جنسه.

ويتضح ما لعزم عزت باشا من تأثير في السلطان عبد الحميد الثاني- وما كان يمكن أن يقوم به لمواجهة الفكر الصهيوني- من خلال ما كتبه هرتزل في 27 حزيران/ يونيو عام 1896، فقال: "عزت الذي هو لسان حال السلطان، أو السلطان الذي هو لسان حال عزت، مستعد أن يسمح بفلسطين شرط أن توجد الصيغة المناسبة لإنجاز ذلك، والسبب أن الأمور تزداد سوءاً معهم، لذلك يجب أن لا يبيعوا أي قطعة من البلاد" 16. ما يؤكد صحة قول هرتزل هذا، أن عزت باشا كان قد نصحه بأن يشتري اليهود أي مقاطعة أخرى، ويقدمونها لتركية كبديل من فلسطين مع مزيد من المال، ويضيف هرتزل معلقاً: "إن فكرة عزت جيدة، وتبين أن الرجل يفكر بنا ومن أجلنا".

ويلاحظ أن هذا الاقتراح كان محور المقابلة التي جرت بين السلطان نيكولنزي (Nevlenski)- أحد أصدقاء هرتزل الذي كلفه بالتوسط لدى السلطان-، وعلق هرتزل في يومياته على ذلك بقوله: "إن السلطان قال إنه سمع من أصدقاء لهرتزل أن هناك مجالاً للمبادلة، ويظهر أن فكرة المبادلة هذه التي اقترحها عزت باشا وصلت إلى السلطان كأنها اقتراح مني، وقد كان عزت اليوم المترجم عند اجتماع نيكولنزي مع السلطان" 17.

كان عزت باشا أحد القنوات الرئيسية التي من خلالها، كان هرتزل يفاوض السلطان عبد الحميد الثاني من أجل مشروعه، فعندما اقترح هرتزل على السلطان في 3 أيار/ مايو عام 1902 إقامة جامعة يهودية في القدس، للhilولة دون دراسة الطلاب العثمانيين بالخارج، وعدم تأثيرهم بالأفكار الغربية، رحب عزت باشا شفويًا وخطياً بهذا الاقتراح 18.

أظهرت صحفة الأهرام وعيًا مبكرًا لخطر الفكر الصهيوني، وتجلى ذلك من خلال متابعتها التطور الذي يطرأ على ترجمة الفكر الصهيوني إلى واقع؛ فكانت ترصد كل ما تقوم به الحركة الصهيونية من اجتماعات وأنشطة وتقوم بتعطيتها، وتتابع ما ينشر في الصحف بخصوصها. في 19 كانون الأول/ ديسمبر عام 1900 عرفت الصهيونية بقولها: "هي جمعية كبيرة تألفت منذ خمس سنوات، وانتظم في سلكها كثير من الإسرائيليين في معظم البلدان" 19.

وفي 25 تموز/يوليو عام 1901 نشرت رسالة لمراسلها في لندن، حول المؤتمر الذي عقده الصهاينة هناك، ونقل خطبة الرعيم الصهيوني يعقوب دي هاس (J. de Haas)، التي تحدث فيها عن أن غاية الجمعية الصهيونية بناء صهيون، وجمع كلمة الأمة الإسرائيلية، وإنهاضها من الانحطاط الطبيعي والأدبي الذي استولى عليها 20.

وفي خطوة تعكس وعي خطر الهجمة التي كانت تتعرض لها فلسطين، قام مدير المعارف في القدس إسماعيل بك عام 1901 بجمع ما اكتشفه علماء الآثار الأجانب في فلسطين، وأفرد لها ست حجرات في المدرسة السلطانية مقابل الباب المعروف بباب هيرودوس، وكانت الغاية من هذه الخطوة - إضافة إلى الحفاظ على هذه اللقى من السرقة والضياع- أن يمكن العلماء في القدس من دراسة تاريخ فلسطين منذ زمن الكنعانيين 21.

عادت صحيفة الأهرام في كانون الثاني/يناير عام 1902، وبمناسبة انعقاد المؤتمر الصهيوني الخامس، لتقديم وتحت عنوان "الجمعية الصهيونية" - أن هذه الجمعية وضعت نصب عينيها لم شتات اليهود في العالم، وتوحيد كلمتهم، وجعلهم أمة متطرفة بين الأمم 22.

أما صحيفة البشير فقد قدمت في 20 كانون الثاني/يناير عام 1902 تعريفاً للجمعية الصهيونية "بأنها جمعية مؤلفة من كبراء اليهود، غايتها نصرة بنى أمتهم وجعلهم شعباً محترماً ومكرماً بين شعوب العالم" 23. وفي تعريفها هذا، قدمت وصفاً عاماً محايضاً، لم تشر فيه، من قريب أو بعيد، إلى الفكرة الأساسية التي تقوم عليها الصهيونية، وهي عودة اليهود إلى أرض فلسطين، وإقامة وطن أو دولة لهم هناك، بل إن الصحيفة من خلال تعريفها هذا، حاولت إثارة تعاطف القارئ - بغض النظر عن هويته- مع الجمعية وفكرتها النبيلة.

قدم محمد رشيد رضا في 29 كانون الثاني/يناير 1902، وتحت عنوان "حياة أمة بعد موتها، جمعية اليهود الصهيونية"، تعريفاً شاملأً لحقيقة الجمعية الصهيونية ونشاطها، وذلك بعد أن أشار إلى وجود جمعيات ملية كثيرة لليهود، قال: "لم نسمع بالجمعية الصهيونية إلا من نحو خمس سنين، وهي جمعية سياسية غرضها الاستيلاء على البلاد المقدسة" 24.

إن المهم في ما كتبه رضا، ليس في ما قدمه من تعريف بالصهيونية كفكرة وسعي القائمين عليها إلى تقييدها، بل في محاولة توعية اهتمام الوعي العربي واستثارته، للتعرف إلى حقيقة عدوه، والاقتداء به إذا لم ير غب في التفوق عليه، آخذًا عليه تفاسره وخموله وجهله، وفي الوقت ذاته، كشف أسرار قوة الصهيونية وتقديمها، قال: "لو كنا نسمع أخبار الأمم سماع تدبر، أو نعقل الحوادث بحكمة وتبصر، لما كنا نضرب المثل إلى اليهود بذل اليهود وضعفهم، ونخشى أن تكون في يوم من الأيام مثلهم، ونحن لا نعرف أنفسنا ولا نعرفهم... ثم يا ليتنا كنا نبصر الطريق الذي يسير اليهود فيه الآن لنعلم هل هو طريق سلفهم الذين كانوا مغرورين بالنسبة الشريف (سلالة الأنبياء)، وللقب الضخم (شعب الله- أبناء الله وأحباؤه)... أم هو طريق آخر اعتبروا فيه بسنن الله في خلقه، فحافظوا على لغتهم وجماعتهم الملية مع تشتتهم في جميع أقطار الأرض، وتقارب بعضهم من بعض بالتعاضد والتعاون، وأخذوا بجميع علوم العصر وفنونه النافعة، وبرعوا في جمع المال الذي هو أساس القوة والعزيمة في هذا العصر، أليس هذا هو الطريق الذي استقام عليه الإسرائييليون في هذا العصر، فنبتت شوكتهم المخصوصة، وعادت عزتهم المفقودة، ولا ينقصهم أن يكونوا أعظم أمة على سطح الأرض إلا الملك، وهم يسعون إليه من طريقه الطبيعي" 25.

نقلت صحيفة الأهرام في 28 أيار/مايو عام 1903 ما كتبته صحيفة المانشستر غارديان، (Manchester Guardian) بأن الحركة الصهيونية هي الحركة الوحيدة الفاعلة التي يمكن بها اليهود من استرجاع وطنهم.<sup>26</sup>

أما صحيفة المقطم، فقد وصفت الجمعية الصهيونية في 9 أيلول/سبتمبر عام 1903 بأنها "جمعية خاصة بفئة من الإسرائيليين، يرأسها مجموعة من الشخصيات الإسرائيلية البارزة، في مقدمتهم هرتزل الصحفي النمساوي، وأربعة من وجهاء لندن، وأثنان من فرنسا، وواحد من أمريكا وآخر من روسيا".<sup>27</sup>

### ثانياً: الوعي العربي لخطر الفكر الصهيونية من 1904-1908

شهدت هذه الفترة سلسلة من التغيرات المرتبطة بالجانبين الصهيوني والعربي؛ ففي عام 1904 طرأ تحول على البرنامج الصهيوني نتيجة وفاة هرتزل، ترافق مع تدفق المهاجرين اليهود خلال الأعوام 1905-1907 إلى فلسطين، وهو ما أطلق عليه الهجرة اليهودية الثانية، التي تعود أهميتها لطبيعة أعضائها (وكان معظمهم من المؤمنين بالصهيونية)، وبرنامج العمل المتطرف الذي اتبعوه، والتنظيم على الدقة الذي كان عليه هؤلاء، إضافة إلى إيمانهم المطلق بصهيونيتهم.<sup>28</sup> كذلك انعقد مؤتمر صهيوني في قرية زمارين الفلسطينية، الذي كان بمثابة مؤتمر مصغر عن مؤتمر بال، وأسفر عن مجموعة من القرارات المتمثلة بتأسيس جماعات إدارية للهيمنة على المستعمرات ومراقبة شؤونها.<sup>29</sup> ولا تأتي خطورة مثل هذا المؤتمر في قراراته أو أشخاصه، بل في مكان انعقاده، وما يترتب على ذلك من نتائج ودلائل، والتي تتمثل بما يلي: أولاً في أن الصهيونية أفصحت بشكل صريح عن هدفها الأساسي المتمثل في فلسطين. وثانياً أنه أصبح متاحاً للعرب على اختلاف مستوياتهم التعرف إلى هذا الأمر وفهمه، والإطلاع عليه عن كثب؛ فالمؤتمر عقد على أراضي فلسطين وبين أهلها، وتداولت الصحف أخباره، وأعلنت عنه.

أما في ما يتعلق بالجانب العربي، فقد امتازت هذه المرحلة باطلاع المثقفين العرب في فلسطين تحديداً. على الكتابات الصهيونية في الصحف العبرية الصادرة في فلسطين<sup>30</sup>، وظهور طروحات فكرية جديدة من بعض المثقفين العرب، التي أظهرت تطوراً في الوعي لخطر الفكر الصهيونية، وسبل مواجهتها.

كما امتازت هذه الفترة بتنامي اهتمام الصحف العربية بموضوع الصهيونية وفكرتها، وهو ما يعكس وعيها، فصحيفة المؤيد في 13 كانون الأول/ديسمبر عام 1904 قدمت تعريفاً لغاية الجمعية الصهيونية، بقولها: "إن مهمة هذه الجمعية هي جمع الأموال الطائلة لمشتري تلك الأراضي التي تدر اللبن والعسل، وإسكان فقراء اليهود الذين يتوازدون عليها من أكثر المالك التي تضطهد them وتطردهم كدولة روسيا وغيرها من الدول المتقدمة".<sup>31</sup>

ويلاحظ أن الصحيفة في تعريفها للصهيونية لم تشر من قريب أو بعيد إلى الغايات السياسية للصهيونية، والحديث هنا عن عام 1904، وهو عام التحول في الفكر والعمل الصهيوني على الأصعدة كافة. كما أسلد التعريف عليها لباس الإنسانية وسمى غايتها، من دون أن يشير إلى خطورة هذه المساعي، وما يترتب عليها من

نتائج، ولا سيما أنها لم تكن في ذاك الوقت في علم الغيب، بل هي حقيقة واقعة اكتوى بنارها أهالي فلسطين، وتحديداً الفلاحين وأصحاب الأرض.

ومن كان له إسهام متميز في ما يتعلّق بالوعي لخطورة الفكرة الصهيونية نجيب عازوري، اللبناني الذي أسس في باريس عام 1904 رابطة "عصبة الوطن العربي" 32، ونشر باسمها عدداً من النداءات الهدافـة إلى إيقاظ الوعي القومي العربي ضد الصهيونية 33.

لم تأتِ تسمية الرابطة بهذا الاسم من فراغ، بل كان لها دلالاتها؛ فهناك من ربط بينها وبين العصبة التي نشأت في فرنسا إثر محاكمات الضابط الفرنسي دريفوس الشهير 34، والتي عرفت باسم "عصبة الوطن الفرنسي"، وكانت شديدة العداء للنفوذ اليهودي في فرنسا 35، ولعل عازوري أراد أن يسقط الظروف الفرنسية آنذاك، على الأمة العربية، خصوصاً مع ما كانت تعانيه، وما كان يتهدها من خطر صهيوني في المرحلة التي نشأت فيها الرابطة.

يبدو أن هرترل اطلع أواخر أيامه على ما كتبه عازوري وما طالب به- وغيره من العرب-، فكتب في يومياته في 24 شباط/فبراير عام 1904، معلقاً: "هناك حركة عربية تهدف إلى جعل أحد أحفاد محمد خليفة، سرق الخلافة السلطان سليم، ويجب أن ترجع الآن، وكتنوع من البابوية تكون مكة بمثابة روما" 36.

لم يكتف عازوري بالعصبة التي أسسها، بل أتبعها بمؤلف أصدره عام 1905، بعنوان يقظة الأمة العربية، مؤكداً خالله استحالة تعايش الكيانين العربي والصهيوني معاً، وحتمية الصراع المستقبلي بين العروبة والصهيونية 37.

وفي تعريفه كتابه، أشار عازوري إلى أنه سيكون جزءاً معداً لإكمال مؤلف ضخم يحمل عنوان الخطر اليهودي العالمي: تصريحات ودراسات سياسية 38. كما علل حديثه عن اليهود في كتاب سياسي يبحث في الشطر الآسيوي من القضية الشرقية. يقول: "إن حركتنا تظهر في وقت توشك فيه إسرائيل على النجاح في خططها الهدافـة إلى السيطرة على العالم، لتنقضي على تلك الخطط، ومن أجل تبسيط فهم "الخطر اليهودي"، لذا ينبغي تنوير سائر الناس بشأن قضية تحظى باهتمام كبير، وقبل أن نصور اليهود كما نعرفهم وكما هم عليه اليوم، أردنـا أن يعرفوا أو لاً بما كانوا عليه وفق الكتاب المقدس، وبما فاخروا به حسب كتبـهم المقدسة وتقاليدهم الأكثر قدماً، لأن ماضي الشعب هو الصورة الأكثر أمانة لحاضرـه ومستقبلـه" 39.

ومن الأمور التي طالب بها عازوري في كتابه، فصل الأجزاء العربية من الإمبراطورية العثمانية لإقامة دولة عربية مستقلة، وقدم لذلك مبررات وهي استحالة صد الخطر الصهيوني في إطار دولة مكلبة بقيود "الامتيازات الأجنبية" التي كان اليهود يستغلونها خير استغلال 40.

ومن النقاط التي أثارها عازوري في كتابه أيضاً، وتشكل مأخذـاً عليهـ. إذ تتناقض مع حجم الوعي الذي احتواه كتابه في ما يتعلّق بخطر الصهيونية على الأمة العربية، وكذلك مواقفه وأعمالـهـ، تبريرـهـ مواقف القناصل الأجانبـ في موقفـهمـ

الداعم للصهيونية بقوله: "نادرًا ما يبقى ممثلو الأجانب أكثر من سنتين أو ثلاثة في مناصبهم، ويتجول القليل منهم في دائرة اختصاصه، ولا أعرف بينهم من زار فلسطين، إذ يشغل هؤلاء بنقلياتهم وترقياتهم، ويلوذون بمكاتبهم معظم الوقت لتصريف الأعمال اليومية... وعلى هذا النحو لا يعرف أي قنصل البلد، ولا يدرك الخطر الصهيوني، وإنني متأكد بأن القنواص العاملين لم يرفعوا إلى حكوماتهم تقارير يلفتون أنظارها إلى خطط اليهود وتنظيمهم وغزوهم فلسطين... يوجد في بيروت والقدس قنواص عاملون، يدافعون عن مصالح الصهاينة ويساعدونهم على التقدم، لأنهم انخدعوا باليهود، ولم يحسبوا حساباً للخطر الداهم، مع أن واجبهم الملح يكمن في مقاومة حركة إسرائيل في فلسطين، وإضمار العداء لما يرمي إليه اليهود" 41.

والسؤال هنا: هل كان دفاع عازوري هذا عن القنواص الأجانب، أم دفاعاً عما طرحته في كتابه من الاستعانة بالدول الأجنبية وتحديداً فرنسا لمساعدة الأمة العربية على التحرر والاستقلال عن الدولة العثمانية؟

تتضاح أهمية كتاب عازوري من حجم الاهتمام الذي أثاره في الأوساط الصهيونية، فوصفه بن غوريون في مذكراته بأنه عمل فردي. وعاد عام 1908، فقال: "إن الدعاية المضادة لليهود في فلسطين، ونحن نشاهد اليوم مجموعة من الصحف التي تتصدر في "البلاد" (أرض إسرائيل) وسوريا ومصر، كلها تحاربنا، وإن تلاميذ نجيب عازوري يوجهون الآن دعايتهم مخاطبين الشعوب العربية والحكومة التركية" 42.

والمفارقة هنا، أنه على الرغم من أن كتاب عازوري أثار الاهتمام الصهيوني، إلا أنه لم يثر لدى الطرف المعنى به أي اهتمام؛ فباستثناء ما ذكر حول إلقاء السلطات التركية القبض على مجموعة من الشخصيات البارزة 43 في يافا وغزة والرملة، وذلك بعد تسرب الكتاب إلى فلسطين مطلع صيف عام 1905، وافتاؤه من قبل هؤلاء 44، بقي أثر أفكار عازوري ونشاطه في أوساط المثقفين العرب نفسها صوتاً بلا صدى، بل أثار استياءً لدى بعضهم، عبر عنه محمد جميل بيهم، بقوله: "وبقي صوت العروبة يتتصاعد حيناً بعد حين ومداره على الأكثر الخلافة، وإنها للعرب دون آل عثمان، ومن المؤسف أن هذا الصوت لم يكن يصدر في أوروبا عن قوميين وإما مخلصين استناداً إلى منظمات كما فعل الأرمن، بل كان مصدره إما موتورين وإما وصواليين استغلوا هذه الحركة في سبيل بلوغ منافعهم الخاصة، وإما مأجورين من الأجانب كانوا يرفعون عقيرتهم وفقاً لوحى يوحى إليهم... وقد حاول الأستاذ نجيب عازوري اللبناني إثارة القضية العربية في باريس في مطلع القرن العشرين، ويسوعنا بأن الطنون كانت تحوم أيضاً حول نشاط المشار إليه، ذلك أنه هبط بباريس غاضباً من جراء عزله من الوظيفة التي كان يشغلها في فلسطين، فأخذ بمنشوراته يتوعّد الترك بالعرب" 45.

علق مصطفى الشهابي على كتاب عازوري ونشاطه، بقوله: "ومن الطبيعي القول إن نشاطاً قومياً كهذا كان مقره بباريس ولغته أفرنسية، لا يمكن أن يبلغ صداح البلد العربية في يسر، ولا أن يكون له تأثير يذكر في نفوس العاملين في الحركة القومية

العربية، وأنا على يقين أن كتاب عازوري لم يكن عند أحد من شباب جمعية النهضة العربية، ولا أحد من ألقوا عقب إعلان الدستور العثماني الجمعيات والمؤسسات القومية العربية المختلفة، وفي سنة 1911 وجدته يباع في إحدى مكتبات باريس، فاشتريته ودللت بعض الرفاق من الطلاب العرب عليه، فلم يهتموا به، لأنهم كانوا قد شبووا عن الطوق، وعرفوا من شؤون القومية العربية وواجباتهم فيها ما لم يعرفه غيرهم".<sup>46</sup>

استمر عازوري في مواجهته الصهيونية، فرفع شعار "بلاد العرب للعرب"، وأعرب عن معارضته الشديدة لمطامع اليهود في البلدان العربية، وذلك من خلال مجلة الشهرية الاستقلال العربي، التي كان يصدرها في باريس عام 1907، وصدر منها ثمانية عشر عدداً.<sup>47</sup>

ورد في صحيفة الأهرام في 6 حزيران/يونيو 1906 مقال أشير فيه إلى "أنه كثُر التحدث في هذه الأيام بمسألة اليهود، حتى كدنا لا نرى جريدة إلا وفيها لمحات عن هذه الحركة، فبعضهم يبدي التخوف والحدُر منها، ويُجاهِر بوجوب التيقظ والانتباه، وبعضهم يقول بتنشيطها ويدعو لمساعدتها".<sup>48</sup>

مجلة المقتبس، في مقال لها في 19 أيلول/سبتمبر 1906، تحت عنوان "الإسرائيليون، معربة عن كتاب الحصارة"، تحدث فيه كاتبه عن التوراة والعبانيين والإسرائيليين، وعَرَفَ الأرض الموعودة بأنها هي الأرض التي عرفت بأرض كنعان أو فلسطين، ودعاهَا اليهود بلاد إسرائيل.<sup>49</sup>

لم يكن موقف العرب بخافٍ على الطرف الآخر وهم الصهاينة، بل كانوا على اطلاع بتفاصيل موقف العربي ورجاله، وكان ذلك يتم عبر قنوات مختلفة منها على سبيل المثال أن مدراء الفروع المحلية للمصرف الأنجلو- فلسطيني كانوا يوافون الحركة الصهيونية في الخارج بكل ما يمت بصلة إلى اليقظة العربية، والحركة الوطنية في الإمبراطورية.<sup>50</sup>

### ثالثاً: الوعي العربي لخطر الفكر الصهيوني من 1908-1913

شكل عام 1908 نقطة تحول بالنسبة إلى العرب؛ فإضافةً إلى اطلاعهم على الثقافة الغربية، وعلى تجارب الأمم الأخرى في ما يتعلق بنضالها القومي، كان هناك الانقلاب الدستوري، الذي مثل حالة من إطلاق الحريات من خلال البرلمان والصحافة وقنوات التعبير الأخرى، ويعكس ما كتبه خليل السكاكيني في 25 تموز / يوليو عام 1908 من نيويورك، حجم الأثر الذي تركه على المثقفين العرب، فقال: "قرأت في الجرائد العربية أن جلالة السلطان منح البلاد الدستور مما سررت له كثيراً، واستبشرت خيراً، الآن رجوعي إلى بلادي يكون في محله، الآن أستطيع أن أخدم بلادي، الآن أستطيع أن أنشئ مدرسة وجريدة وجمعيات للشبان.. أتمنى لو أطير إلى القدس طيراً".<sup>51</sup>

وكذلك ما كتبه سليمان فيضي في مذكراته، قوله: "على إثر إعلان الدستور وإطلاق الحريات قويت الرغبة في العمل في خدمة الأمة العربية عن طريق الصحافة

و التعليم وإثارة الوعي القومي بين الناس"52.

ويصف سليمان البستانى الأوضاع نتيجة إعلان الدستور، والعلاقات التي سادت بين العثمانيين، فيقول: "لم تكن تمر أيام على إعلان الدستور حتى انقلب وجه هذه المملكة انقلاباً معنوياً تماماً، فزال الشقاق وساد الوفاق، وانطلقت الأفكار والألسنة والأقلام، وإذا راعك ما رأيت في ما سلف من بوادر التعصب الذميم، فحسبك أن تائفت إلى نشوة التأخي التي هزت جميع العثمانيين على اختلاف ملتهم ونحلهم"53.

ثمة تطور آخر شهدته هذه المرحلة، تمثل في مجيء الاتحاديين إلى الحكم، والتقارب الذي حصل بينهم وبين الصهاينة، وأثر ذلك على الوعي العربي للفكرة الصهيونية، الذي كان من الكم بحيث أنه يمكن تقسيم تطور الوعي العربي تجاه الفكرة الصهيونية إلى مراحلتين: الأولى قبل الانقلاب الدستوري عام 1908، وكان الخلاف بين الطرفين يحدد أو يعرف كموجة طبيعية بين السكان الأصليين والمستوطنين الجدد، وبين ثقافتين مختلفتين، وبين عقائد وديانات معادية كل منها للأخر منذ أكثر من ألف سنة. والثانية، تلك التي بدأ خلالها الوعي والنزاع يتذبذب تباعدياً أيديولوجياً54، لذا اتخذت الكتابة حول مفهوم الصهيونية شكلاً منتظماً ومتواصلاً، وكانت قبل ذلك الكتابة حولها تتسم بعدم الاستمرارية والموسمية55.

كانت الصحافة العربية الأشد إلماً بهذه التطورات، بل تكاد تكون الجهة الأكثر مساساً ووعياً في ما يتعلق بخطر الفكر الصهيونية، ونقل هذا الوعي للأوساط العربية على اختلاف أشكالها، وتوحيد الصنوف من أجل مواجهتها، فسعت الصحف في دمشق وبيروت والقاهرة إلى التعريف بأهداف الحركة الصهيونية56، واتبعت الصحافة في القدس وحيفا وبيافا النهج ذاته، فاتهمت الصهيونية بأنها حركة دخيلة مستقلة57، وكانت الحملة المناهضة التي قادتها الصحافة في حيفا الأكثر حدة من المدن الفلسطينية الأخرى، وذلك نتيجة للأثر المباشر الناجم عن شراء الأرضي، وتركز الهجرة الصهيونية في شمال فلسطين58.

ومن الصحف الأكثر تميزاً في وعيها خطر الصهيونية كفكر وممارسة صحيفية الكرمل، إذ استقاد صاحبها نجيب نصار من الحريات الدستورية، فشددت في دعوته إلى ضرورة اليقظة العربية لمواجهة الصهيونية59. وقد حازت هذه الصحيفة لقب (الصحيفة السوداء) لشدة هجمتها على الصهيونية60، وقد وصفت صحيفة المقتبس نجيب نصار بأنه "أول من طرق باب الدفاع عن فلسطين، وأجرا من سعى إلى كشف مكائدتهم، رغم ما يكابده من دسائسهم"61.

أما صحيفة جراب الكردي في عددها الصادر في كانون الثاني/يناير 1909، فكان لها موقف مغاير؛ إذ لم تجد في الفكر الصهيونية خطراً، بل وجدت فيها فرصة يجب اغتنامها، وقد ورد فيها: "خير لنا أن يأتي أصحاب الأموال من أي بلاد كانت وأي جنس كان ليستخرجوا كنوز أرضنا، وهو خير لنا من أن تبقى هذه الجواهر

ضائعة، ونحن نتتجح بكلمة الوطن والوطنية، وجيوبنا أفلس من طنبورة أو رباب"62.

لكلّ صحيفيّة المؤيد حاولت في 31 تموز/يوليو 1909 إلقاء الضوء على نقاط القوة لدى الصهاينة وأسباب نجاحهم، وذلك من خلال حديثها عن تعظيم زعمائهم، وربط ذلك بإنجازات عملية وعلمية قاموا بها، فتحدثت عن احتفال الصهاينة بذكرى مولر ماكس نوردو (Max Nordau)، وقرارهم - بهذه المناسبة - إنشاء معهد في فلسطين لدراسة مرض الملاريا وأمراض معدية أخرى في حيفا63.

تحدثت صحيفيّة الاتحاد العثماني في تموز/يوليو 1909 عن اليهود في صفد، وعرضت تاريخ الطوائف اليهودية، وتشكيل طائفة السكان جمعية باسم "الاتحاد الإسرائيلي العثماني"، لتخلص من حديثها هذا إلى التشكيل بنشاط الجمعيات الصهيونية، وأهدافها المعلنة، مدللة على صحة شكوكها بالطقوس التي تمارسها64.

كما استثار نشاط الجمعيات الصهيونية الخيرية اهتمام صحيفيّة النعمة، فحضرت في الأول من تشرين الثاني/نوفمبر 1909 مما وراء هذه الجمعيات من غaiات مستترة، كجمعية "أحباء صهيون"، التي أطلقت عليها الصحيفيّة اسم "الجمعية اليهودية العموميّة"، لانتشارها في أنحاء شتى65.

حاول صاحب صحيفيّة النبراس خليل بيدس، من خلال ما نشره عن رحلته في فلسطين، في تشرين الأول/أكتوبر 1909، أن ينقل صورة حقيقة لما يجري فيها، وأن يدق ناقوس الخطر من خلال رصده إشارات التدهور ومظاهره لدى سكانها، مقابل الازدهار والإقبال الذي تشهده من قبل الأجانب عموماً، واليهود خصوصاً، الذين يصل عددهم إلى ثلث عدد السكان، ثلثهم من اليهود السكان66.

أما صحيفيّة المقطم القاهرية، التي كانت تمولها الصهيونية، ففتحت صفحاتها للترويج للفكرة الصهيونية منذ العام 1909، وكان لها مراسل يهودي في فلسطين يدعى سليم ملول67. ومن بين الصحف التي أيدت الصهيونية، ولم تجد فيها ضيراً، صحيفيّة النفير في حيفا، وكانت منافسة لصحيفيّة الكرمل، حيث جذت عناصر من طبقة ملوك الأراضي والأعيان لأجل هذه الغاية68.

جاء الأداء النيابي العربي في مجلس المبعوثان عقب الدستور ضعيفاً باهتاً في ما يتعلق بوعي خطر الفكرة الصهيونية؛ فباستثناء تناول نائب يافا حافظ بك السعيد في الجلسة التي عقدت في حزيران/يونيو عام 1909 عن مقاصد الحركة الصهيونية، وما إذا كانت تنسجم مع مصلحة الدولة العثمانية69، وما صرّح به نائب القدس روحي الخالدي في لقاء صحفى أواخر عام 1909 بأن العرب سوف يفعلون كل شيء لمنع الأفكار الصهيونية، وأنهم غير ملزمين بشيء لليهود، "لقد حررنا البلاد ليس منكم بل من البيزنطيين"70، فإننا لا نجد أية إشارة إلى طرح نوابي عربي فعلى بهذا الشأن.

وينطبق الوصف ذاته على الأحزاب والجمعيات السياسيّة العربيّة، أو التي كان فيها أعضاء عرب، والمشكّلة في تلك المرحلة، وحتى عام 1911، كجمعية "الإخاء

العربي" التي تأسست عام 1908 في الاستانة، وسعت إلى تشكيل فروع لها في بقية البلدان العربية. و"المنتدى الأدبي" عام 1909، حيث خلت برامجها ودستورها من الإشارة إلى موضوع الصهيونية، وإن ذكر فيكون ذلك ثانوياً، ولا يوازي في حجمه الخطر الذي تشكله الصهيونية كفكرة وتطبيق على القومية العربية، وهو ما يعكس قصوراً في الوعي لدى القائمين على هذه الأحزاب والجمعيات، ولا سيما أن هؤلاء كانوا يمتلكون النخبة الثقافية والسياسية للأمة، وكانوا على اطلاع وتماس مع ما يجري على الساحة السياسية، إذ كان أغلبيتهم شبه مقيم في عاصمة الدولة، حيث مركز القرار والنشاط السياسي. أضف إلى ذلك، أن هؤلاء كانوا على درجة عالية من العلم والثقافة والمعرفة، ولا سيما في اللغات الأجنبية، وهو ما كان يمكّنهم من معرفة ما تقوم به الصهيونية لترويج فكرتها وتنفيذها.

قد يتلمس بعضهم عذراً لهذا القصور في ما يتعلق بوعي خطر الفكرة الصهيونية، باعتبار أن الأولوية لدى القائمين على الجمعيات والأحزاب كانت لمسألة العربية، ومواجهة الحركة الطورانية، إلا أن هذا -على أهميته- لا يغفيهم من مسؤولية الاستهانة بخطر يوازيه إن لم يفوقه، وهو التهديد الصهيوني لكيان الأمة العربية وقوميتها.

مهما يكن من أمر، فإن ضعف أداء النخبة السياسية العربية- خصوصاً النيابية والحزبية- لا ينفي وجود وعي عربي اتخذ شكلاً جديداً مزدوجاً بعد ثورة الاتحاديين، وتمثل بكشف مخاطر الصهيونية من جهة، وكشف التعاون ما بينها وبين الاتحاديين من جهة أخرى، وخصوصاً مع الدور البارز الذي أداه الصهاينة - وتحديداً يهود الدونمة- في إدارة شؤون الدولة، وهو ما لفت نظر عدد من الكتاب العرب، كرفيق العظم الذي حاول في ما كتبه في 13 آب/أغسطس عام 1909 إبراز الدور الذي أداه اليهود في خلع السلطان عبد الحميد الثاني، وتبئه بأنه سيكون لهم شأن كبير في عهد الدستور، غير الشأن الذي كان لهم في العهد السابق. وقد جاءت كتابة العظم هذه متاثرة بما شاهده أثناء إقامته في الاستانة في صيف عام 1909، من تنامي دور الخطر الصهيوني وتأثيره، عقب الانقلاب الاتحادي 72.

في السياق ذاته، انتقد صاحب صحيفة الرأي العام طه المدور في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910 توسيع النفوذ الصهيوني في المملكة العثمانية، وذلك من خلال مقال بعنوان "الصهيونيون والخطر العظيم"، قال فيه: "واحسرتاه على هذه المملكة التي لم نعد نعرف أهي عثمانية أم صهيونية! إن الممالك الحرة لا تقبل أن يستعمرها مستعمر، فهي ملك لأبنائها فقط. هل المملكة العثمانية مستقلة وحرة؟ أم أراضٍ لا رب لها وشعب يستوطنها؟ إن الصهيونيين أشد الأعداء خطراً على الأمة والوطن، بل المملكة بأسرها بعروشها وفروشها" 73.

لكن هذا الوعي كان متفاوتاً في نسبته، فيبدو مما جرى من حوادث، ونشر من كتابات أن بعضها كان بعيداً كل البعد من الوعي أو التفاعل مع ما يجري، ففي فلسطين اكتفى بعض وجهائها بدور الوساطة بين الحاكم والمحكوم، ولم يتصدوا لمقاومة الصهيونية وجهاً لوجه، بل اكتفوا بنقل وجهة النظر الشعبية 74. كما اشغله بعضهم الآخر في خلافات شخصية وعائلية، إذ يقدم يوسف الحكيم في مذكراته عام

1910، صورة لهذا الخلاف بين العائلات الفلسطينية في يافا- وهي من أكثر المدن التي شهدت هجمة صهيونية-، وبورد حادثة أدت إلى تأليب أحد الحزبين لأهالي يافا ضد الآخر، ما أدى إلى حشد مظاهرة شعبية احتجاجية، ضد صاحب إحدى الصحف اليهودية التي كانت تصدر في المدينة، وكان الحزب الآخر يستعين بها ضد خصومه.<sup>75</sup>

قدم نجيب نصار صورة لهؤلاء في 11 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910، وذلك تعليقاً على ما يعنه إسعاف النشاشيبي لصحيفة الكرمل حول احتفال الصهاينة بيوبيل يهودا، فقال: ”أغنايأنا صار كثير منهم سماسرة للاستعمار الأجنبي، والآخرون- ما عدا القليل منهم- ظلمة يقتلون حرية الشعب ويتصدون دم الفلاح والفقير ليخدموا المستعمرين ويساعدوهم على إضعافه، وشباننا الذين ترجى منهم النهضة صار أكثرهم أبطال مقاهي وحانات وخمارات ومعاشر غوانٍ وراقتات. الجهل خيم علينا جميعاً وأعمى أبصارنا وأذهل عقولنا عن الاهتمام بشؤوننا، أيقف من كان هذا حالهم في ميدان تنازع البقاء؟ أيثبت من كان هذا شأنهم أمام من يعملون على جمع كلمتهم وإحياء جامعتهم وتعليم ناشئتهم؟ وبكلمة أخرى: أنسد بجهلنا وضعفنا وتفرق كلمتنا وذهولنا وتحاسدنا وتباغضنا، غارات فرقه غنية متحدة متعلمة مجددة مجتهدة عالمة تعمل، عن بلادنا؟“<sup>76</sup>

لعل مثل هذه الصور هي التي دفعت بإسعاف النشاشيبي ليكتب في 7 شباط/فبراير عام 1911، قائلاً: ”بلد شقي بأهله ولم يسعد، بلد ظلمه أهله ولم يرحموه، بلد أذله أهله ولم يكرموه، بلد يستغيث فلا يُغاث، ويستتجد فلا يُنجذ، ويستصرخ فلا يصرخ، بلد جار عليه زمانه، وخذلته أوانه، وأعنقت عليه المصائب من كل جانب، لم تحفظ له حرمه، بلد أصبح لغير أهله“<sup>77</sup>.

استمرت صحيفة المقتبس الدمشقية على ما كانت قد سارت عليه منذ صدورها، من تحليل وتحذير وتوعية لخطر الفكر الصهيوني؛ ففي 15 آذار/مارس عام 1910، وتحت عنوان ”كتاب مفتوح“، أثارت قضية مهمة وحساسة، وهي أن الصراع مع الصهيونية ليس حدثاً هامشياً، بل هو صراع من أجل البقاء. وقدمت وصفاً تفصيلياً لما هي الحال عليه آنذاك، وما هو متوقع أن يكون عليه مستقبلاً، في حال لم يتتبه العرب لحقيقة عدوهم، فقالت: ”وقد لا يمضي على فلسطين عشرات السنين إلا وي عمل فيها ناموس تنازع البقاء، وتتجلى أمامنا قاعدة الأنس، وتصبح البلاد ملكاً للأجنبى... لكننا نخشى أن ينبذ الدخيل الأصيل، ونخرج من بلادنا أفواجاً، ثم نميل بوجوهنا إلى بقعتنا النصرة، فنبكيها ونرثيها ويصيّبنا ما أصاب الأنجلسيين“<sup>78</sup>.

في 15 أيار/مايو 1910 عادت المقتبس لتأكيد الفكرة ذاتها، أن الصهيونية تشكل ”صربة شديدة على حياة الأمة العثمانية في سوريا“، واضعة اللوم على الأمة التي تمهد لها السبيل للوصول إلى مقاصدها<sup>79</sup>. ووصف ما تقوم به الحركة الصهيونية بـ ”العاصفة“، التي لا تستطيع الأمة أن تقف وحدها أمامها، ”فنحن نتكلم لكننا عاجزون عن التنفيذ“<sup>80</sup>.

شكل الاهتمام بانعقاد المؤتمرات الصهيونية، وما دار فيها من أجل تحقيق الفكرة الصهيونية، مظهراً آخر من مظاهر الوعي العربي؛ فصحيفة الهدى نشرت في تموز/يوليو عام 1910 تفاصيل ما جرى في المؤتمر الصهيوني الثالث عشر المنعقد في مدينة بتسبرغ في بنسفانيا، وأشارت إلى أن الخطب كافة، التي نلحت كانت تدور حول محور واحد، هو أن الرجاء بجعل فلسطين ملحاً وطنياً لليهود المضطهدين في أوروبا، سيتحقق عن قريب، وإلى تصريح رئيس الجمعية بأن "الحركة الصهيونية منذ الآن وصاعداً ستكون أعظم من قبل بفضل مساعي الناشئة اليهودية الجديدة".<sup>81</sup>

علقت صحيفة الكرمل على هذه الأخبار، بقولها: "هذا المؤتمر الثالث عشر لهذه الجمعية العظيمة التي تألفت بين يهود أوروبا وأميركا لامتلاك سوريا وفلسطين واسترداد الجامعة الإسرائيلية إليها بعد أن تشتت ألفي سنة، والتي انتشرت انتشاراً عمومياً بين قوم موسى في كل أنحاء البلدان، وألقت قلوبهم ووحدت كلمتهم".<sup>82</sup>

كما اغتنمت الصحيفة الفرصة لتجهيز الخطاب إلى الأمة المعنية بالدرجة الأولى بمثل هذا الحدث، لطرح عدداً من التساؤلات منها: أنت أيها المواطنون أي جمعية أفتتم؟ وأي شركة أنشأتم؟ وكم مؤتمراً عقدتم؟ بل أي مدرسة وطنية افتتحتم لتربوا ناسئتكم على المبادئ الوطنية وتجهزوها بالمعارف لتبثروا أمام الناشئة الإسرائيلية التي تهذبها وتربتها جمعية الإليانس الإسرائيلي في مدارسها المنتشرة في كل الأنحاء؟ وأي احتجاج رفعتموه ولم تروغوه ولم تشف من تحته غياراتكم؟ اعذروني يا قومي على لهجتي الشديدة، ودعوني أجربكم بموضع الحنان والإخلاص لثلا يطعنكم غيري بحراب سامة تسمم دماءكم وتقضى على بقية حياتكم. حركة قومية بين يهود أوروبا موجهة لامتلاك فلسطين، عقول وقلوب بكليتها منصرفة لنيل هذه الأمنية، قناطير مقتطعة من الذهب تجمع لهذه الغاية، صحفة كبيرة تخدم هذا المبدأ، الدين يستعان به لتسخير القلوب، وأنتم ماذا عملتم؟ ماذا عملت صحفتكم وكتبتكم الذين يدعون خدمتكم والمدافعة عن حقوقكم؟ ماذا عمل مبعوثوكم؟ راحوا يؤلفون الأحزاب العنصرية بدلاً من الأحزاب السياسية، ويستخدمونها لينالوا على أكتافنا المناصب والنفوذ فأضروا أكثر مما نفعوا".<sup>83</sup>

تمثلت حال من الوعي في ما كتبه نجيب نصار - في معرض نقده الحكومة لتعافها عن الصهيونية - في 16 أيلول/سبتمبر عام 1910 من خلال التأكيد أن هناك "شعوراً إسرائيلياً تتبه في كل العالم الموسوي الأوروبي لامتلاك فلسطين، وجمع شتاتبني إسرائيل وإعادة مجدهم القديم، وإتمام مقررات التاريخ لهم فيها، وعقدوا لذلك مؤتمراتهم وألقوها جمعياتهم وشركاتهم وشادوا مدارسهم وأسسوا مصارفthem، ويستدل على الشعور الوطني في صدورهم وحب القومية تجسّم في قلوبهم وشعروا من أنفسهم القوة ومنعوا الذهول والإلتهاء عن غياراتهم، فقاموا بجذبون في تقرير أماناتهم مغتربين فرصة خمول الشعب وانشغال الحكومة".<sup>84</sup>

تساءل نصار عن عذر الحكومة في الإغضاء عن هذه الحركة، وتركها تنمو وتقوى في البلاد العثمانية، في حين أنها لا تعقل عن غيرها، فإن "قلنا إن الحكومة والصحافة التركية لا تعلم أهمية الحركة والغاية منها لقلة ما يتصل بها من أخبار لا

يقبل، لأن الصحافة الأوروبية دائمًا ملأى بأخبار وغایات الصهيونيين، وولاة الأمر في سوريا لا يحتاجون لتعب كثير حتى يتوقفوا للوقوف على حقائق عديدة”<sup>85</sup>.

كما استبعد نصار أن يكون ذلك بسبب اتهام بعض المستاعين من الحكومة الحاضرة بكرهها العنصر العربي، وتجاهلها مقاصد الصهيونيين، وتغاضيها عن استعمارهم، ليضعفوا العرب ويستولوا على أراضيهم وأملاكهم وموارد رزقهم، فلا تعود تقوم لهم قائمة، معتبراً أن مثل هذا القول نوع من السياسة الخرقاء التي لا يمكن للحكومة الدستورية أن تتبعها، لأن حدوث ذلك يعني ذهاب البلاد غنية باردة للإسرائيليين<sup>86</sup>. وقد كرر نصار المعنى ذاته في 29 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910، عندما استبعد صحة ما يوجه إلى الحكومة من اتهامات “بأنها تخاف حركة عربية لذلك تريد إضعاف العرب بإدخال الأجانب عليهم”<sup>87</sup>.

شكل شكري العسلي حالة من نضوج الوعي في ما يتعلق بخطر الفكر الصهيونية، وذلك في حديثه في 5 كانون الأول/ديسمبر عام 1910 عن الصهيونية كفارة، وبأن الجمعيات الصهيونية على اختلاف تسمياتها سواء ”الجمعية الصهيونية اليهودية ورفاقاتها، جمعيات ايكا وفاعوليم واليائس وغيرها“، جميعها تسعى إلى هدف واحد، وهو استرجاع فلسطين، وإن اختلفت في ما بينها على الأسلوب<sup>88</sup>.

كما كتب رفيق العظم في 29 كانون الأول/ديسمبر عام 1910 مقالاً بعنوان ”اليهود في فلسطين والجمعية الصهيونية“، عرّف فيه الصهيونية وأهدافها، والعوامل التي تحول دون تحقيق هذه الأهداف، حيث أثار هذا المقال موجة كبيرة من النقد، مما اضطره للدفاع عن وجهة نظره، من خلال إنكاره تحامله على اليهود، وبأن خطرها ينحصر من الوجهة الطبيعية، وليس من الوجهة السياسية، ومواجهة مثل هذا الأمر يمكن أن يكون من خلال مجازة الأهالي لليهود في اتخاذ وسائل الترقى الطبيعي<sup>89</sup>.

قد يكون العظم أصاب في سبل مواجهة المد الصهيوني، لكنه أخطأ وقصر وعيه في مسألة نوعية هذا الخطر، إذ إن الأساس في الفكر الصهيونية هو الوجهة السياسية التي تعتمد في تطبيقها على الوجهة الطبيعية.

استمر الوعي العربي لخطر الفكر الصهيونية، منذ العام 1911 وحتى الحرب العالمية الأولى، يتذبذب أبعاداً أوسع، وأكثر تحديداً من حيث الأدوات المستخدمة، وآلية التعامل معها، فكان الحدث الأبرز في هذا العام الكتب الذي أصدره نجيب نصار بعنوان الصهيونية: تاريخها، غرضها، أهميتها، وهو ترجمة ملخصة عن ”الإنسيكلوبديا اليهودية“. وفي نهاية الترجمة، لخص نصار حصيلة انتطاعه وفهمه ”حقيقة الصهيونية والسيناريو الذي يجري تطبيقه على يديها، فكتب قائلاً: ”أنا أرتفع من استعمال لفظي وهم وخيال، لأن الذين يستطيعون الاستيلاء على نصف أموال العالم بمزاجة الشعوب النشطة، وهم في حالة الضعف والتشتت، ويكون لهم تأثير عظيم على سياسة ممالك العالم بأسرها، أيعجزون عن تحقيق أمنيهم...؟ أيعجزون عن ذلك، لا سيما بعد أن يكونوا جمعوا كلمتهم ولمّوا شعثهم؟“<sup>90</sup>.

على نصار الدافع وراء نشره الكراس ما صرّح به الصدر الأعظم حقي باشا في مجلس الأمة، بأن الصهيونية ليست “سوى رواية، وما القائمون فيها إلا أفراد متّهوسون، فعمدنا إلى مصادر يهودية، وفيها من الحقائق ما لا يترك مجالاً للاشتباه في حقيقة الصهيونية وأهميتها، ويقعن الصدر الأعظم بأنها أكثر من رواية”<sup>91</sup>.

على الرغم من أهمية الموضوع، إلا أن الكراس لم يلق الاهتمام الذي يستحقه، وذلك أيضاً على الرغم من حساسية المرحلة الزمنية التي نشر فيها؛ فعلى سبيل المثال، اكتفت صحيفة الحضارة في 23 حزيران/يونيو عام 1911 بإيراد خبر نشر الكراس بشكل عابر مكتفية بذكر اسمه، وبأنه يتحدث عن تاريخ الصهيونية وغایتها وامتدادها عام 1905، وبأن نصار ذكر أراء له فيها<sup>92</sup>، ولم تقدم الصحيفة أي تفصيل أو شرح لأي من مواضيع الكراس على أهميتها وحساسيتها.

نجد الأمر ذاته يتكرر لدى صحيفة النفائس في 18 آب/أغسطس عام 1911<sup>93</sup>. وكذلك في صحيفة الكلية التي عرّفت بالكراس باختصار، لتختم خبرها بشكر نصار، ولفت أنظار الأدباء والساسة إليه<sup>94</sup>.

نجد صورة مناقضة تماماً في ما يتعلق بالكتاب الذي نشره الصهيوني اليهودي المصري نسيم ملول، وهو بعنوان أسرار اليهود، إذ يشير إلى أصداء كتابه، فيقول: “لم يخطر لنا ببال ولم يدرّ في خلتنا قط عند مباشرتنا تأليف هذا الكتاب، بأن يلاقي استحساناً عظيماً من العقلاة، ولا سيما من اشتهر منهم في عالم الأدب والصحافة العربية، وما كنا نتوقع بأن حضرة العالم والأستاذ الفاضل الشيخ أبو نظارة شاعر الملك وصاحب جريدي العالم الإسلامي وأبو نظارة في باريس، في طليعة المؤيدين لنا في هذا المشروع الخطير، بما أظهره لنا من دلائل الإعجاب والاستحسان والترغيب بما نكرم علينا”<sup>95</sup>. ويتبّع من نص الرسالة التي بعث بها أبو نظارة إلى ملول - ويورد فيها تفصيلات حول ما ورد في الكتاب - القراءة المتأنية من قبله، بحيث تغنى عن قراءة الكتاب لشدة دقتها وإيجازها.

خلال عام 1911، طرحت المسألة الصهيونية في مجلس المبعوثان من قبل النواب العرب، وعلى نحو مغایر نوعاً ما لما كان في السابق؛ إذ شكلت جلساته مسرحاً أظهر فيه النواب العرب تنامي وعيهم وإدراكهم خطر الفكرة الصهيونية، فاغتنموها فرصة لإيصال فكرتهم هذه إلى الحكومة المتهمة بتسهيل تنفيذ المشروع الصهيوني، وإلى قادة رأي الأمة والشعب لزيادة وعيهم، وتجنيدهم من أجل المعركة المقبلة مع الصهيونية. ومن الجوانب التي حاول النواب التركيز عليها في مناقشتهم موضوع الصهيونية هو تمييز اليهود داخل الدولة العثمانية من خارجها؛ ففي الجلسة التي عقدت في الأول من آذار/مارس، قال نائب بيروت رياض الصلح: “بالنسبة إلى الموسوبين العثمانيين فلا تدخل لهم، أما يهود الخارج، فإنهم يريدون تشكيل دولة في فلسطين”<sup>96</sup>.

كان نائب القدس روحى الخالدي أكثر تحديداً في طرّحه من خلال التأكيد أنه لا يتحدث عن مصالح المسلمين فقط، بل عن مصالح المسيحيين واليهود أيضاً، وأوضح أنه لا يقصد بحديثه اليهود من سكان فلسطين، إنما يقصد الصهيونية<sup>97</sup>.

استمر روحى الخالدي في تصديه للمحاولات الصهيونية أثناء جلسات المجلس للتقليل من حجم الخطر الصهيوني؛ ففي جلسة لاحقة لجلسة الأول من آذار/مارس، أكد أن "مسألة الصهيونية مسألة مهمة ومهمة جداً في دولتنا، وإن أهميتها فوق العادة".<sup>98</sup>

وفي جلسة 3 أيار/مايو عام 1911 عرض الخالدي التطور الذي طرأ على الفكرة الصهيونية، وبدايات ظهورها منذ عام 1802 في فلسطين، وبأن واضعو هذه الفكرة هم اليهود الذين جنوا في بلاد الروس وطردوا منها، وأنه في عام 1896 نشر المدعو فيدرهل هديزه (ثيودور هرتزل) رسالته تحت عنوان "الدولة اليهودية"، والتي حرض فيها اليهود على عقد المؤتمرات، ولا يزال يُسعى وراء هذه الفكرة.<sup>99</sup>

تابع الخالدي في الجلسة التي عقدت في 16 أيار/مايو عام 1911 ما كان قد أثاره في جلسات سابقة، فعرض تاريخ الحركة الصهيونية، واتصالاتها بالسلطان العثماني عبد الحميد الثاني، ونشاطها داخل فلسطين، فأوضح أن الحركة الصهيونية شكلت جمعية صهيونية قسمت فلسطين عدة مناطق هي: القدس والخليل والرملة وبيافا وطبرية وزمارين وحيفا وصفد وجلب الخليل، على أن تكون قصبة زمارين مركزاً للجمعية.<sup>100</sup>

تعليقً على نفوذ اليهود في الحكومة الاتحادية، ومحاجمة النواب العرب الصهيونية، دعا محمد رشيد رضا الناس إلى التأمل والاعتبار في حقيقة الصهيونية وخطرها على المملكة العثمانية وتغلغلاها فيها، وتهديداتها فلسطين.<sup>101</sup>

لم يكتف مندوب القدس روحى الخالدي بإثارة موضوع الصهيونية في مجلس المبعوثان، بل وضع كتاباً بعنوان السيونزم أو المسألة الصهيونية. يرجح أنه بدأه في عام 1911، وتوفي قبل أن ينهيه - وأشار فيه إلى أن "نظريه هرتزل وافقت أصحاب العقول الساذجة التي لم تنس خاطرها الدينية التي مضى عليها ألفاً عام، وبأن الصهيونية حل نهائى في نظر الدين ضربت عليهم الذلة والمسكناً"، ثم عرض الخلاف بين اليهود والصهاينة الذين يرون فيها خطراً من الجهة السياسية.<sup>102</sup>

كما حاول الخالدي في كتابه، الكشف عن بعض أساليب الصهيونية للترويج لأفكارها، ومنها إصدار عدد من الصحف في موقع مختلف من العالم، وشراء بعض الصحف المشهورة، وفي مقدمها صحيفة إقدام، وابياعزهم إلى أصحابها أحمد جودت بإصدار صحيفة أوريان التي تولى تحريرها الصهيوني أليير فوا (Alber Foix)، الذي كان ينشر المقالات المناسبة للصهاينة. وكذلك صحيفة جون ترك وصاحبها جلال نوري الذي كان يستخدم كتاباً من غير اليهود لكي لا يسيء الناس الظن بالصحيفة عند دفاعها عن مصالح الصهاينة، وقد "اتخذت الصحيفة مكتباً لها في محل التقسيم يستقبلون فيه النظار ورجال السياسة ويقدمون لهم المنشروبات ويداكونهم بأمور السياسة. واستخدم الأسلوب ذاته مع الصحف السورية مثل

النفير والنصرير؛ فإذا نشرت جريدة النصير خبراً في الدفاع عن الصهيونية، نقلتها جون ترك في الحال، وأوصت أن الدفاع ورد من الجرائد السورية المعترضة”<sup>103</sup>.

إن ما يؤكد صحة ما ذكره الخالدي هو الرسالة التي بعث بها إسعاف النشاشيبي إلى الكرمل، ويتحدث فيها عن دور جلال نوري، والمقالة التي كتبها الأخير في صحيفته، ويهاجم فيها روحى الخالدي وشكري العسلي، لبحثهما في موضوع الصهيونية في مجلس المبعوثان، ويصف رأيهما ”بالحيد عن سبيل الحرية والحق، فلم أعجب ولم أذهل، ولم أقل لم ضل هذا الكاتب، ولم لم يتبع الصراط السوي، لأنني جد عليم أن دنانير الصهيونية قد أسرت فؤاده، وخلط جبها لحمه والدم، وأن فلسطين ليست بلاده ولا بلاد آبائه، ولكنها بلاد من أريقت فيها دماء أجداده الغالية غير الرخيصة كروحى الخالدي الصامد في دار الندوة، فقل يا جلال ما شئت، واكتب ما أردت، وأما أنت يا ابن خالد فقد أرسلناك إلى دار الندوة، فاذكر بلادك، لا تتتسها، اذكر ”فلسطين“ فإنها على شفا خطر مهول”<sup>104</sup>.

أدرك نجيب نصار خطورة الصحافة في المعركة مع الصهيونية، فكتب في 24 حزيران/يونيو عام 1911 معلقاً على ردود الفعل على اقتراحه بعقد مؤتمر صحفي يكشف أخطار الصهيونية، فقال: ”فحبذه بعض الرصفاء الغيورين ونشروه في جرائدhem وعلقوا عليه الحواشي، وبعضهم تقضي بكتابة مقالات معدداً الفوائد التي تترجم عنه، نشكرهم ونأمل أن لا يقفوا عند هذا الحد، فالصحافة يجب أن تشتراك مع فريق الزعماء المتورين ويدرسوا أحوال البلاد الاجتماعية ليقفوا على الخل وأسباب الضعف.. لا ينبغي أن ننتظر حتى تتألف القوة من نفسها ويفيق الشعب من خموله، لأن هذا لا يتأتى بدون عوامل مؤثرة، وهذه العوامل مهما كانت قوتها ضعيفة في البداية لا بد أن تتوسع وتتجدد إذا كانت سليمة، فيكتفي في البداية اجتماع كلمة نفر قليل من الصحفيين والمتورين، وسيرهم على خطة رشيدة، فكل الجمعيات والأحزاب التي نراها تخدم الأوطان وتدير الأحكام بدأت صغيرة، لذا في هرتسيل والجمعية الصهيونية خير مثال، فإذا نسجنا على منوالهم، فإنما الكفيل بجمع الكلمة، وإيقاظ الشعور الوطني في القلوب، ودرء المخاطر، فليس إذاً الصحافيون الغيورون لعقد هذا المؤتمر، ولا يبعدم عن العمل قلة عديدهم، فالعدد القليل المتضامن خير من العدد الكبير المتفرق الكلمة والغايات“<sup>105</sup>.

أما صحفة المقتبس وفي تعليق لها على مقال بعنوان ”الصهيونية في الدولة العثمانية“، في الأول من شباط/فبراير 1911 بعث به أحد أصدقاء الصحيفة من الذين يعملون بكل قواهم على مقاومة الاستعمار الصهيوني- وفقاً لتعريف الصحيفة بهـ، فقالت: إن ”المقصود به مبادئ الصهيونيين وأمالهم في فلسطين“<sup>106</sup>.

خلال العام 1911، استمر تأكيد العلاقة بين الاتحاديين والصهاينة، فكتب محمد رشيد رضا عن العلاقة بين المسؤولية وجمعية الاتحاد والترقي واليهود، قائلاً: ”إن هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون، ومن لوازم تشيعهم للساسة قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة، وذلك يفضي إلى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين“<sup>107</sup>.

حاول محمد رشيد رضا في الأول من آذار/مارس عام 1911، تحت عنوان "اليهود في المملكة العثمانية" أن يسلط الضوء على العلاقة بين اليهود والاتحاديين، فقال: "خبرنا الأستانة بإقامتنا فيها سنة كاملة، فرأينا أن نفوذ اليهود في جمعية الاتحاد والترقي عظيم، وأن ناظر المالية إسرائيلي النسب، وأنه جعل كاتب سره وكثيراً من موظفي نظارته من اليهود، فعلمونا أنه سيكون لليهود شأن في هذه المملكة، وأمالهم في القدس وفلسطين معروفة، وجاءت أنباء مجلس الأمة العثمانية مصدقة لما قلناه، فقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطباً نبهوا فيها إلى خطر جمعية اليهود الصهيونية على المملكة العثمانية" 108.

نقلت مجلة المشرق ما كتبته مجلة الكلمة تحت عنوان "اليهود والدستور في المملكة العثمانية"، وذلك في عددها الصادر في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1911، فقالت: "إن الدستور العثماني ككل دستور آخر خطته يد الماسونية قد منح اليهود حق المساواة، فلم يلبث اليهود في تركيا أن أخذوا يظهرون لدى الملا مادا يعنون بهذه المساواة... إن إعلان الدستور قد ملأ قلوببني إسرائيل أحج معين فرحاً عظيماً بهذا المقدار، حتى أصبحوا كالسكارى، على أن تظاهرهم الواقع ببنياتهم اليهودية لم يلبث أن أهاج سكان فلسطين، ولا سيما الأعراب المسلمين ضد الدولة العثمانية الدستورية، وخصوصاً ضد جمعية تركيا الفتاة، التي أمست من جراء استسلامها للنفوذ اليهودي مكرهة في أكثر أنحاء المملكة العثمانية، وهذا ما جعل جريدة التايمز الإنكليزية تبادر إلى تحذير اليهود في كل مكان- ولا سيما في تركيا- من وخامة عواقب استعجالهم في التظاهر بأماناتهم اليهودية، ولكن قد فات هذه الجريدة وسائل الجرائد التي على شاكلتها أن تلك الأمانة اليهودية مهما سعى اليهود واحتلوا بوساطة أعوانهم على تحقيقها، هيئات أن تتحقق ما دامت الأمة اليهودية موصومة بوصمة اللعنة الإلهية" 109.

إلى النقطة ذاتها، أشار الأمير شكيب أرسلان، بقوله: "إن جمعية الاتحاد والترقي كانت خاضعة لتأثير الجمعيات الماسونية، وكان نفوذ اليهود غالباً وظاهراً وسط محيط تلك الجمعية، فاليهود أمدوا الحركة وأعانوها بمختلف الوسائل" 110.

وكان لحزب "الأحرار المعتدلين" - الذي تأسس في خريف عام 1911 عقب الاستعمار الإيطالي لطرابلس- الموقف ذاته، إذ ربط بين الصهيونية والماسونية والاتحاديين 111، وهاجمت صحفته الاتحاديين، وأطلقت عليهم صفة الماسونيين والموالين للصهاينة 112.

من مظاهر الوعي العربي لخطر الفكر الصهيونية، هو إدراك سر القوة الكامنة فيها، وفي آلية تطبيقها، الذي يتمثل في التعليم والتنشئة السليمة. وكان هذا الوعي ذات شقين: الأول يتعلّق بالوعي لأثره لدى الصهاينة ودرجة الاهتمام به؛ والثاني يتمثل بمحاولة اقتباس هذه الميزة، وتشجيع العرب على اتباعها ليتمكنوا من مواجهة خصمهم والدفاع عن أوطانهم. وفي هذا السياق، دعا راغب الخالدي أهالي فلسطين إلى إنشاء كلية إسلامية في القدس 113.

علق نجيب نصار على مطالبة الخالدي هذه، بقوله: "لا تقف عند هذه الصرخة أية المواطن العزيز، ولا تصموا آذانكم عن سمعها يا أبناء فلسطين، انظروا إلى معاهد العلم التي شادها الذين ينذرونكم البقاء لأولادهم، وقابلوا أيها المقلة بين رأس المال الذي يزودون به أولادهم، وما تزودون به أبناءكم، واحكموا لمن تكون الأرجحية إذا بقيتم على حلكم من الجهل والإهمال، هم بمعارفهم واجتهادهم وتضامنهم استولوا على قسم كبير من بلادكم ومن موارد رزقكم، فلا أقل من أن تتعلموا منهم التعا悚 والتعاون وكيفية تربية الجيل الم قبل ليثبت في ميدان النزاع".<sup>114</sup>

أوردت المقتبس في 26 آب/أغسطس عام 1911 خبراً عن تأليف لجنة من موسى يهود أوروبا ووجهائهم لابتياع مكتبة البارون دي جنسبرغ (D. Ginsberg) الذي توفي عام 1909، وكان من زعماء النهضة العلمية الإسرائيلية، "وإن هدف اللجنة من شراء المكتبة إهداؤها بما فيها من الكتب اليهودية إلى مكتبة الشعب الإسرائيلي في القدس، ولم تكتف اللجنة بشراء المكتبة فقط، بل عملوا على تشييد بناية جديدة يدعونها المكتبة الإسرائيلية العامة، وقالت الأخبار إنهم يعلقون في أمريكا شأنًا كبيرًا على هذه الحركة (الصهيونية)، لأنها من أدلة نهضة اليهود لإحياء الجنسية الإسرائيلية، وجعل فلسطين مركزاً لها كما كانت في العصور المنصرمة... ولتختم الصحيفة قولها: "فليستيقظ النائمون".<sup>115</sup>

وأشارت صحيفة المقتبس في 19 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1911 إلى نقطة مهمة، حيث عقدت مقارنة بين الحركة الصهيونية والاستعمار الإيطالي لطرابلس عام 1911، فحاولت تبييه الاتحاديين والشعب إلى "أن مبدأ الحركة الإيطالية في طرابلس ليس بأشد من مبدأ الحركة الصهيونية في فلسطين، ولا مقاصدها ونهائيتها في المستعمرة الأفريقية بأعظم من مرامي هذه وأمنيتها في البلاد الفلسطينية، ولو شئنا أن نوازي مصالح المستعمرات في البلاد لوجدنا المصالح الصهيونية في مستعمراتها تربح كثيراً على المصالح الطليانية في مستعمراتها، وهذا أيضاً من الرجال الصهيونيين وكبار الثوريين المشردين من روسيا وغيرها من يفوقون الطليان شجاعة وإقداماً، ولديهم من المال ما فيه الكفاية لأي عمل من الأعمال... فالحق أقول يا صاح إن جماعة الصهيونيين لو كانوا مثل الطليان أغراراً في السياسة لأنونا بحرب وأعلنوا عداءهم منذ سنين".<sup>116</sup>

أثارت صحيفة الهدى مسألة مهمة، تتم عن وعي حقيقة الفكرة الصهيونية، وبأنها فكر مؤسسي لا فكر أشخاص يذهب بذهابهم، وجاء ذلك في معرض حديثها عما أشيع بأن المؤتمر الصهيوني العاشر المنعقد في بال في آب/أغسطس 1911 قد دفن مبادئ صهيونية هرتزل، وبأن إحدى صحف الغرب التي عرفت بمعارضتها للصهيونية منذ نشأتها، وعدت الصهيونية بمناصرتها لعلمها بأن مبادئ هرتزل ماتت، ولتهي الصحيفة حديثها بالتعليق التالي: "إن ما جاء في هذا الشأن هو نهاية وغاية الضلال، فصهيونية هرتزل هي نفس الصهيونية الحاضرة، ومتى ماتت الأولى ماتت الثانية، نعم إن الصهيونية الحاضرة اضطرت أن تتخذ شكلاً يخالف شكلها السابق بعض المخالفة، وقد كان هرتزل أول من استحسن هذا التغيير، وعليه

إنه لم يمت من مبادئ الصهيونية الأساسية غير مبدأ واحد هو السعي للحصول على حقوقنا في فلسطين بفرمان سلطاني، ولكن هذا المبدأ الذي مات هو واحد من المبادئ الكثيرة التي ندرك بها غايتنا، وليس هرتزل ولا زعيم آخر غيره اعتبر أن ذلك المبدأ هو كل مبادئ الصهيونية”<sup>117</sup>.

انحصر اهتمام صحيفة البيان الصادرة في نيويورك، بالإسرائيليين عموماً في الدولة العثمانية والدول الغربية<sup>118</sup>، وما خصت به الصحيفة الصهيونية بالذكر، ما نشرته في 24 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1911، وقالت فيه: ”أفاضت الصحف مؤخراً في ذكر الجمعية الصهيونية ومقاصدها السياسية في البلاد العثمانية، وخصوصاً في فلسطين التي كانت ملك الإسرائيليين الأقدمين، قبل أن زالت دولتهم وتفرق شملهم، وقد صورتها الصحف العثمانية في صورة تطن خطراً على البلاد العثمانية وخصوصاً على فلسطين”<sup>119</sup>. ويترك قول الصحيفة انطباعاً بأن هناك مبالغة وتضخيمًا في حجم الضرر الذي تسببه الصهيونية، وقد تسببه مستقبلاً على البلاد العثمانية وفلسطين.

أما صحيفة الوطن الصادرة في نيويورك، فقد نشرت قصيدة لأمين الريحاني بعنوان ”نيويورك“، في 16 شباط/فبراير عام 1911، التي صور فيها تغلغل النفوذ اليهودي وسيطرته على المدينة، فقال:

أطلقة الهنود بالأمس، ومحظية اليهود اليوم.

وحاملة بنود الثورة غداً...

أمن خدر الهنود... إلى جبناء اليهود، إلى قبضة القرود؟

”نوير كليم“ حستتها اليوم أورشليم...

”نوير كليم“ وفيها العبرانيون يمرحون لا ينتجون ويل لـ ”نوير كليم“...

أفي صحافتكم كما في تجارتك؟... أمن على منابركم ومسارحكم يعلو صوت روح إسرائيل أصوات أبنائكم الحقيقيين؟...

أبنت اليهود والقرود، أين منك اليوم فضائل الحدود؟<sup>120</sup>

مهما يكن من أمر، فإن تأكيدات خطر الصهيونية هذه، ووعي مقاصدها لدى بعضهم، قابله موقف مناقض تماماً؛ فصحيفة لسان الحال لم تجد ضيراً في نشر مقال في آذار/مارس عام 1911 لمحامي ”جمعية الإيكا“ في فلسطين سليمان يلين، نفى فيه وجود أية أهداف سياسية للحركة الصهيونية، وبأن القصد منها ”إيجاد مزارع في فلسطين والبلاد المجاورة لها لأجل إيواء بعض اليهود والمساكين المظلومين...“<sup>121</sup>.

امتاز عام 1911 أيضاً، بظهور بعض الأحزاب والجمعيات التي جعلت من الصهيونية والوعي لخطرها أساساً ل برنامجهما، وأبرز مثل على ذلك ”الحزب الوطني العثماني“، الذي أسسه الشيخ سليمان التاجي الفاروقى في صيف عام 1911<sup>122</sup>، وقد عرّف الحزب في كراسه الصهيونية بأنها ”الخطر الذي يحدق

بوطننا، والموجة الرهيبة التي تضرب شواطئ بلادنا، إنها مصدر الأعمال الخداعية الغادة التي تجتاحنا، والتي ينبغي أن تكون أشد إخافة لنا من السير على انفراد في ظلمة الليل الحالكة، وبأنها نذير ببنينا عن وطننا وطردنا من بيotta ومتكاتنا".<sup>123</sup>

كان الفاروقى قد حدد في مقال نشره في صحيفة المفيد الـبـيـرـوـتـيـة في آب/أغسطس 1911، البرنامج الذى سيعمل الحزب وفقه، ويتمثل بـ"توجيه كل الجهود نحو معارضـة قـانـونـية لـلـحـرـكـة الصـهـيـونـيـة، وـمـحـارـبـتها بـسـلاحـ الـحـقـ، إـضـافـةـ إـلـىـ إـثـارـةـ وـعـيـ الـأـمـةـ الـعـوـاقـبـ الـوـخـيـمـةـ لـلـصـهـيـونـيـةـ".<sup>124</sup> قدم الحزب في طرحه هذا وعياً وبعد جديد من أبعاد مواجهة الصهيونية، والمتمثلة بالتركيز على الجانب القانوني، وتكريس الوعي العربي في هذا الإطار، لماله من أهمية بالغة.

إن الاهتمام ووعي الفكر الصهيونية، كانا لدى "الحزب الوطنى العثمانى"، وكذلك حزب "الأحرار المعتدلين"، ولم نلحظه في البيان الذى عرف بـ"نداء أو صرخة أبناء قحطان"، والذي أطلق في آب/أغسطس عام 1912، ومضمونه من حيث الجوهر أشبه ببيان لحزب الـلـامـرـكـزـيـنـ الـعـرـبـ، إذ خـلاـ النـدـاءـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ شـمـولـيـتـهـ المـطـالـبـ الـعـرـبـيـةـ. منـ أـيـةـ إـشـارـةـ إـلـىـ الـخـطـرـ الصـهـيـونـيـ، كـمـاـ أـنـ النـدـاءـ دـعـاـ فـيـ آـلـيـةـ الـعـمـلـ التـيـ يـنـبـغـيـ إـتـبـاعـهـاـ، إـلـىـ تـعـاـونـ الـضـبـاطـ وـالـجـنـوـنـ الـعـرـبـ مـعـ مـمـثـلـيـ شـعـوبـ الـإـمـبـرـاطـورـيـةـ الـأـخـرـىـ فـيـ النـضـالـ مـنـ أـجـلـ إـقـامـةـ نـظـامـ دـسـتـورـيـ، وـخـاطـبـ يـهـودـ الـبـلـدـانـ الـعـرـبـيـةـ كـعـربـ، وـمـاـ جـاءـ فـيـهـ: "بـلـاغـ إـلـىـ الـعـرـبـ بـنـيـ قـحـطـانـ... اـتـقـوـاـ فـيـ الـوـلـاـيـاتـ الـسـوـرـيـةـ وـالـعـرـاقـيـةـ مـعـ أـبـنـاءـ جـنـسـكـمـ وـوـطـنـكـمـ، لـيـكـنـ الـمـسـلـمـونـ وـالـنـصـارـىـ وـالـيـهـودـ مـنـكـمـ يـدـأـ وـاـحـدـةـ فـيـ الـعـلـمـ لـمـصـلـحةـ الـأـمـةـ وـالـبـلـادـ، إـنـكـمـ تـقـطـنـوـنـ أـرـضـاـ وـاـحـدـةـ، وـتـتـكـلـمـوـنـ لـغـةـ وـاـحـدـةـ وـمـصـلـحةـ وـاـحـدـةـ، فـكـوـنـوـنـ أـيـضـاـ أـمـةـ وـاـحـدـةـ وـيـدـاـ وـاـحـدـةـ... فـاتـحـدـوـاـ وـتـعـاـضـدـوـاـ وـلـاـ تـقـولـوـاـ أـيـهـاـ الـمـسـلـمـوـنـ: هـذـاـ نـصـرـانـيـ وـهـذـاـ مـوـسـوـيـ، فـكـلـمـ عـيـالـ اللـهـ، وـالـدـيـنـ اللـهـ وـحـدـهـ... أـنـتـ أـيـهـاـ الـعـرـبـ مـنـ النـصـارـىـ وـالـمـوـسـوـيـنـ، ضـعـواـ يـدـكـمـ فـيـ يـدـ إـخـوـانـكـمـ الـمـسـلـمـيـنـ الـعـرـبـ، وـلـاـ تـتـبـعـوـاـ خـطـوـاتـ مـنـ يـقـولـ لـكـمـ، مـنـكـمـ أـوـ مـنـ غـيـرـكـمـ: إـنـ الـعـرـبـ الـمـسـلـمـيـنـ مـتـعـصـبـوـنـ تـعـصـبـاـ دـيـنـيـاـ أـعـمـىـ، فـهـذـاـ قـوـلـ هـرـاءـ، إـنـ الـعـرـبـ الـمـسـلـمـيـنـ إـخـوـانـكـمـ فـيـ الـوـطـنـيـةـ".<sup>125</sup>

السؤال هنا: هل كان واضعو هذا النداء أو الصرخة على معرفة ودرأية بما كان يحدث آنذاك من المطالبة بالقومية اليهودية أو تجميع الشعب اليهودي في فلسطين، الذي كانت تسعى الصهيونية إلى تحقيقه؟ أم كانت الغاية من هذا الطرح تجنب إثارة قضايا فرعية-بنظرهم- غير جوهرية في معركة اعتبروها مفصلية، وهي الصراع مع القوميين الأتراك؟ إذا ما ربطنا هذا القول مع تاريخ إصدار النداء، ونشاط الحركة الصهيونية، وما كان ينشر في الصحفة العربية، فهل من الممكن اعتبار الأمر كذلك؟ وهل كانت المسألة الصهيونية مسألة ثانوية؟

شهد العام 1912 تطوراً جديداً تمثل بظهور صحيفة جديدة جعلت من الصهيونية وكشف مقاصدها قضيتها الأولى والأساسية، وهي صحيفة المنادي الصادر في القدس في 8 شباط/فبراير عام 1912، التي وصفت الصهيونية في عددها الصادر في 20 نيسان/أبريل عام 1912 "بالضيف التقيل الذي جاز حده في خيانة

مضيفه، وزينت له نفسه أمراً سلبياً، فهو يحاول أن يطردنا من أراضينا ويسرق أموالنا، ثم يخبرنا بعد أن يتناهى إليه الحكم بحقين عظيمين شديدين، وهما: إما أن نظل في حكمه وتحت جوره، أو نترك له البلاد والأموال، ونبحث عن سواها، ونفتش عن حكام غيره، وكلا الأمرين عظيم أليم".<sup>127</sup>

وحاولت الصحيفة في 8 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1912 التبليغ إلى الوسائل التي يستخدمها اليهود - ووصفتهم بالمستعمرات - من أجل الوصول إلى غايتهم، ومنها تلك التي قام بها اليهود الذين يسكنون مدينة القدس وأطرافها، حيث تظاهروا بنبذ حماياتهم الأجنبية، وتتبubo بالعثمانية ليستعينوا بها على تحقيق أماناتهم.<sup>128</sup>

خلال عام 1912، استمر الوعي لشكل آخر من أشكال خطر الفكر الصهيوني. وقد حرصت الصحف العربية على التذكير به ولفت الأنظار إليه. ألا وهو الحرص الصهيوني على تعليم ناشئته وتنقيفها، فنقلت صحيفة المقتبس في 28 كانون الأول/ديسمبر عام 1912 خبر تبرع ثري يهودي من أصل هندي بثمانين ألف ليرة لإنشاء كلية إسرائيلية في القدس، وبأن هذا المبلغ هو القسم الأول من رأس المال الحقيقي لتأسيس هذه الكلية التي يرغب فيها عامة المسلمين في أنحاء العالم، حيث علقت الصحيفة على هذا الخبر بقولها: "هل يوجد في الأمة العثمانية من يتبرع بربع هذا المبلغ لإنشاء مدرسة في القدس إعدادية أهلية تضم بين جدرانها الوطنين، وتدرّبهم على المبادئ الصحيحة قبل أن يبتلع البقية الباقيه التين الصهيوني؟".<sup>129</sup>

ثمّة تطور آخر شهدته عام 1912 - وكان له أثر في المشروع الصهيوني، والوعي العربي له. ألا وهو الحرب البلقانية<sup>130</sup>، وسقوط الوزارة الائتلافية؛ إذ استغلت الصهيونية ظروف الحرب لدفع المشاريع الصهيونية خطوات واسعة إلى الأمام، وكانت هذه الجهود معظمها سرية لم تنشر إليها الصحافة العثمانية أو العربية، إلا أن النفوذ المتزايد للصهيونيين لم يخف على الصحفيين العرب في الأستانة ومنهم سليم النجار، الذي يبدو أنه تقاجأ بانقلاب الاتحاديين على الائتلافيين في 23 كانون الأول/ديسمبر عام 1912، فبعث برسالة إلى حقي العظم في 25 كانون الثاني/يناير عام 1913 يقول فيها: "الوزارة الحاضرة عصابة لصوص، يؤيدوها اليهود الصهيونيون"، وبعد أن عرض دور المال الصهيوني في تسيير السياسة الاتحادية، أضاف "وأعتقد جيداً أنهم لم يعارضوا الاتحاديين بأموالهم ونفوذهم في أوروبا وصحفهم التي لهم فيها إلا وقد تبادلوا المنفعة معهم وحددوا منافعهم في فلسطين... أنا لا ألوم الصهيونيين، فهم أرادوا منفعة يطلبونها... غير إنّي أراهم يزرعون خطرًا على الصهيونية العثمانية في البلاد السورية".<sup>131</sup>

#### رابعاً: الوعي العربي لخطر الفكر الصهيوني من 1913-1917

امتازت هذه الفترة بظهور الدعوة إلى عقد تفاهم عربي-صهيوني، والتي أدت إلى التحول في النظرة العربية تجاه خطر الفكر الصهيوني، وعقد المؤتمر العربي الأول في باريس في حزيران/يونيو عام 1913، وكذلك تنامي دور الصحافة في التوعية لخطر الفكر الصهيوني، وتشكيل الجمعيات ذات الأهداف السياسية والاقتصادية من أجل مواجهة الصهيونية. أضف إلى ذلك، تداعيات الحرب العالمية

الأولى وتحالفاتها ومحرياتها، والتي ختمت بإصدار وعد بلفور في تشرين الثاني / نوفمبر عام 1917، وأثر ذلك كله في الوعي العربي.

بالنسبة إلى الصحافة، كان لصحف الاغتراب إسهاماتها في ما يتعلق بالوعي والتبيه إلى خطر الصهيونية؛ فصحيفة مرآة الغرب، الصادرة في نيويورك من قبل مغترب سوري، كانت تنشر في مصر والقدسية، وتؤكد هذا الأمر<sup>132</sup>، وما يدل على مواكبة الصحيفة لما كان ينشر ضد الصهيونية في البلاد العربية- ومساندة منها للحملة التي كانت تقودها صحفة الكرمل- كتبت في 15 كانون الثاني/يناير عام 1913، تقول: "لقد بُعِث صوت صاحب الكرمل وهو ينبه القوم إلى هذا الغريب الذي لا يلبث أن يصير صاحب البلاد، وليس من يسمع"<sup>133</sup>.

على الجانب الآخر من المشهد العربي، وبعيداً من النخبة السياسية والثقافية العربية، قدم لنا روحي الخالدي صورة لما كان يجري في فلسطين، والأساليب التي كان يتبعها الصهاينة لشغف العامة عن مخططاتهم، فيذكر أنه زار في آذار/مارس عام 1913 جماعة من بئر السبع، فوجد "طاحونة خاصة بالعربان جاؤوا لطحن قمحهم، وبجانبها دكاكين يؤجرها اليهود لتجار غزة"، وحيث "إن الأمم المختلفة تقتبس من المدينة الرذائل قبل الفضائل، لذا عربان السبع مقبلون على المسكرات والغانيات من اليهود، وقد أتاهم جوقة من ثلاث ممثلات جميلات وثلاثة ممثلين، واستمروا شهراً كاملاً يمثّلون أمام العربان في بيوت الشعر عند حمود عدوس عضو الإدارة في بئر السبع"<sup>134</sup>.

وقد أورد الخالدي قصيدة لأحد شعراء عرب السواركة وهو عودة بن موسى، يصور هذه الأوضاع، ويقول فيها<sup>135</sup>:

تأتي هذه الأساليب التي ذكرها الخالدي كتطبيق للقرار السوري الخاص بفلسطين، الذي اتّخذ في المؤتمر الصهيوني العاشر المنعقد في بال في آب/أغسطس 1911، وينص على أن "ليس من بأس بأن نصحي بالفتيات في سبيل الوطن القومي، وأن لا تكون هذه التضحية قاسية ومستنكرة لأنها في الوقت ذاته كفيلة بأن توصل لأحسن النتائج، وماذا عسى أن نفعل مع شعب يؤثر البنات ويتهاافت عليهن وينقاد لهن"<sup>136</sup>. وإن كان هذا لا يعني أن تطبيق هذه الأساليب اقتصر على فترة ما بعد اتخاذ القرار، ولعل في ما أورده جوهرية في مذكراته لخير دليل على ذلك<sup>137</sup>.

هذه الصور السلبية للوعي العربي للفكرة الصهيونية لم يمنع من تساميه وتطوره خلال عام 1913، إذ أصبح القلق يسيطر على الكثيرين سواء بين الأوساط السياسية والثقافية أم الشعبية، ولا سيما وأنه كان يرى أن التغيرات والتسارع في الأحداث التي تحيط به، تطاله بصورة مباشرة أو غير مباشرة، إضافة إلى تأزم العلاقة مع الاتحاديين- خصوصاً مع تطرف هؤلاء في تطبيق سياسة التترنريك، وطمس الهوية العربية- كانت هناك الصهيونية التي هي ردف لسياسة التترنريك، من حيث الخطر على القومية العربية، فانتشرت في فلسطين ظاهرة على جانب كبير من الأهمية بدأت في ربيع عام 1913، وهي الإعلان عن تشكيل جمعيات فلسطينية

في أنحاء متفرقة من الدولة العثمانية، ويمكن القول إن الإحساس بالخطر الصهيوني المشترك الذي استهدف العرب، والإحساس بضرورة توحيد الجهود لمقاومته، كان وراء تشكيل هذه الجمعيات التي عملت على إبراز الشخصية الفلسطينية قبل الحرب العالمية الأولى، ومنها "جمعية فلسطين" في بيروت، التي ألفها الطالب الفلسطينيون في الجامعة الأمريكية في بيروت ، تحت شعار "ضم الكلمة وجمع الشتات" ، حيث وصل عدد أعضائها في صيف عام 1913 إلى أربعين عضواً.<sup>138</sup>

كما تأسست في آب/أغسطس عام 1913 "الجمعية الإصلاحية" في البصرة، التي هاجمت في بيانها الحكومة التركية وجمعية الاتحاد والترقي وتجاوزاتهما، واتهمتهما بأنهما "باعوا وطنهم" ، فهم الذين باعوا الاستقلال للبلغاريا والبوسنة والهرسك، وهم أنفسهم الذين شجعوا الحركة الصهيونية، واقترحوا عليها بيع فلسطين لليهود لإنشاء وطن مستقل لهم هناك"<sup>139</sup>.

ترافق ذلك كله مع ظهور الدعوة إلى التقاهم العربي- الصهيوني، التي أدت إلى تحول في النظرة لدى بعض قادة الحركة العربية للفكرة الصهيونية ومقاصدها، وكيفية التعامل معها واحتواها، جاء هذا التحول نتيجة تنامي التعاون الاتحادي- الصهيوني ضد العرب. ولمواجهة ذلك، طرحت فكرة الاستجابة للدعوة الصهيونية للتقاهم مع العرب من أجل التوصل إلى تسوية بين الطرفين، وللاستعانة بالصهيونية للوقوف في وجه سياسة التترىك الاتحادية.

كان لهذه الخطوة دلالاتها المهمة التي تشير إلى اعتراف صريح من قبل أغلبية قادة الحركة العربية آنذاك، بأن الحركة الصهيونية أصبحت قوة إقليمية فاعلة في المنطقة، وعلى الرغم من أنها موجهة بصورة مباشرة ضد العرب وجودهم، إلا أنه يمكن التعاون معها، وهذا مؤشر على قصور وعي وفهم لدى هؤلاء من جهة، وبأنها شكلت أول خطوة عربية في الانحراف عن المسار الصحيح في معركتها مع الصهيونية من جهة أخرى، وذلك باستبدال الحلول العملية المقاومة للصهيونية، بحلول تفاوضية لا يمكن أن تجدي معها أو تتمر، لأنها تتعارض مع أساسياتها التي لا يمكن أن تتنازل عنها، لأنها بالنسبة إليها قضية وجودية.

ترعى حزب الامركزية العربي في القاهرة، والجمعية الإصلاحية في بيروت، الدعوة العربية إلى التقاهم مع الصهيونية، والمتبعة مواقف قادة هذين الحزبين في تلك المرحلة وأراءهما، يلحظ التغيير الذي طرأ عليهما؛ فحق العظم قدم في شباط/ فبراير عام 1913 طرحاً جديداً في وعيه الصهيونية، وتمثل بقوله: "إنها بحد ذاتها لا تشكل خطراً على العرب، وبأن التحفظ الوحيد على نشاطها هو تمسك اليهود النازحين من الظلم إلى أراضي فلسطين بتابعاتهم الأجنبية وميلهم لاتحاديين، وإثارة الآخرين الإسرائيليين على العرب في المناصب، وباستثناء ذلك، فالعرب - خاصة السوريين والفلسطينيين- لا يبغضون الإسرائيليين، وهم على استعداد للتقاهم معهم، ولكي يتم ذلك لا بد من شروط منها: القبول بالرعاية المحلية ليتم التساوي مع القانون، والتحذير من أي مساس أو تأثير سياسي أو إداري في ما يتعلق بالبلاد والجنسية واللغة العربية".<sup>140</sup>

ما لا شك فيه، أن طرح حقي العظم هذا، جاء متأثراً بطبيعة المرحلة التي كانت تشهدها العلاقات العربية- الصهيونية من جهة، والعربيّة- التركية من جهة أخرى، وعلى الرغم من الطبقة التي غلّف بها العظم كلامه ليجعله مستساغاً ومحبلاً، إلا أننا نلحظ في ما قاله مخاوف حاول تسكينها، وذلك عندما أشار إلى رفض اليهود للتابعية العثمانية، وما يترتب على ذلك، والتعاون مع الاتحاديين، وما نجم عن ذلك من سيطرة صهيونية ساعدتهم إلى حد بعيد، على إنجاح وتنفيذ مشروعهم وفكرتهم - وهو أمر لم يكن خافياً على كثير من قادة الحركة العربية ومن بينهم العظم - وأخيراً التحذير الذي أطلق، والمتعلق بالمساس ببلاد العرب وجنسيتهم ولغتهم، لأن الرد سيكون قاسياً إذا ما حدث ذلك.

أما رفيق العظم، فقد احتاج إلى شهرين فقط ليغير نظرته إلى الصهيونية، ففي حين اعتبرها في شباط/فبراير عام 1913 خطرًا يهدّد فلسطين، رأى في نيسان/أبريل عام 1913 إمكانية الاستفادة من هذا الخطر والتفاهم معه، وبأنه يمكن أن يكون للهجرة اليهودية مكاسب ثمينة يستفاد منها من خلال أموال المهاجرين اليهود وقدراتهم وذكائهم<sup>141</sup>. وقد جاء هذا التحول على الرغم من وعيه المبكر خطر الصهيونية على العرب.

أما بشأن عبد الحميد الزهراوي، أحد قادة حزب الامركزية، فإن المتتبع سلسلة المقالات التي أصدرها في صحيقته الحضارة، فيلاحظ نأيه عن تناول موضوع الصهيونية من قريب أو بعيد، وإذا كان فعل ذلك، فتكاد تكون محاولات يتيمة لا يرکن إليها، ولا تعكس تصوراً وموقاً محدداً له تجاهها؛ فتحت عنوان "حروبنا الداخلية"، عرض الزهراوي في 11 تموز/يوليو عام 1912 الحوادث الداخلية التي تشهدها الإمبراطورية العثمانية من حرب الروملي إلى حروب اليمن الثالث، ومثلها حروب في عسيرة، وحوران والكرك، والأردن ووط، ولم يشر إلى الصهيونية وتهديداتها القومية العربية وفلسطين وغيرها من البلدان العربية<sup>142</sup>.

بالعودة إلى موضوع محاولات التفاهم العربي- الصهيوني، جاء التطور الآخر بخصوصه في الزيارة التي قام بها الصهيوني سامي هوخبرغ (S. Hochburg) رئيس تحرير صحيفة جون ترك في الاستانة- إلى القاهرة في نهاية نيسان/أبريل عام 1913، والتقرير الذي رفعه إلى قادته بخصوصها، وتحثّث فيه عن الوعي للصهيونية وكيفية التعامل معها من قبل العرب، فذكر بأن الجمعيات العربية لم تحدد موقفها بعد، وأن حماسة بعضهم للصهيونية، وافقه بعضهم الآخر بتحفظ، في حين أن هناك آخرين يكنون العداء للصهيونية، بينما الأكثر حماسة لها هم المسيحيون السوريون، وختم تقريره بتأكيد أنه من بين عشرين شخصاً، هناك اثنان معارضان بسبب الهدف السري للصهيونية، وحاجتهما الأقوى دخول عنصر جديد ووحدة قومية جديدة بين هذه الكتل العربية المتراسمة التي تستمد قوتها من وحدة اللغة والعادات<sup>143</sup>.

لا يمكن التسليم بصحة ما جاء في هذا التقرير، فهو ي جانب الحقيقة في كثير من تفاصيله:

1- لا يمكن الأخذ بموضوعية كاتب التقرير، ولا سيما أنه كان يروج لفكرة محددة لدى رؤسائه، ألا وهي إمكانية التفاهم مع زعماء الحركة العربية، والتوصل معهم إلى اتفاق بهذا الخصوص.

2- إن النسبة التي وردت في التقرير لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون صحيحة، وهي أن إثنين من أصل عشرين يعارضون الصهيونية لهدفها السري: فهل البقية من زعماء الحركة العربية الذين اتصل بهم هو خبرٌ كانوا جاهلين حقيقة الصهيونية؟ إذا كان ذلك صحيحاً، فكيف يمكن تفسير موافق هؤلاء السابقة، والتي تتم عن فهم واضح لحقيقة الصهيونية، وخير مثال على ذلك كتابات محمد رشيد رضا ورفيق العظم وشكري العسلي وغيرهم كثراً؟

3- لم يشر التقرير من قريب أو بعيد إلى الظروف التي قادت من اتصل بهم من قادة الحركة العربية إلى القبول بفكرة التفاهم مع الصهيونية، والتغاضي عن حقيقتها.

4- على الرغم من محاولة التقليل من أهمية النسبة المعارضه للصهيونية ودعاوئهم، من بين مَنْ التفاهم، إلا أن السبب الذي قدمه لهذه المعارضه - إضافة إلى الهدف السري للصهيونية وتجريدهم الفلاحين أراضيهم - هو شعورهم بأن الصهيونية حركة فكرية استيطانية تشكل خطراً وتناهراً مع القومية العربية، ولعل هذا أعلى درجات الوعي لفهم الصهيونية وأفكارها.

5- في حديثه عن حماسة المسيحيين السوريين الشديد للصهيونية، فما نسبة هؤلاء إذا ما أخذنا بعين الاعتبار - ما أشار إليه التقرير ذاته - من أن بعضهم يتحفظ تجاه المهاجرة وشراء الأراضي؟ إذاً، هم يعارضون ويتحفظون على ما يمكن اعتباره العمود الفقري للمشروع الصهيوني في فلسطين، والمتمثل بركتينين أساسين هما الهجرة وشراء الأراضي.

ماذا يمكن أن يقال عن موقف بعضهم، الذي شكل جداراً من الرفض، والسعى إلى كشف حقيقة الصهيونية من أمثال نجيب نصار ونجيب عازوري وصاحب صحيفة فلسطين عيسى العيسى، وخليل السكاكيني الذي خاطب وفدى مسيحي يافا- الذين جاءوا في 14 آذار/مارس عام 1914 إلى القدس من أجل دعوة المسيحيين لتأليف حزب سياسي للمحافظة على حقوقهم باعتبارهم أقلية في البلاد- بقوله: "إذا كان غرضكم سياسياً، فإننا لا استحسن لأنى عربي قبل كل شيء، وعندى أن الأفضل أن نؤلف حزباً وطنياً لجمع كلمة أبناء الوطن على اختلاف المذاهب والنحل لتبنيه الشعور الوطني وبث روح جديدة في النفوس، وحينئذ إذا كان المنتخبون لمجلس المبعوثين مسلمين أو مسيحيين فإنهم يستغلون لما فيه خير الوطن" 144.

كان نجيب نصار من عارضوا بشدة الدعوة إلى التفاهم مع الصهيونية، فكتب في 13 أيار/مايو عام 1913 ردًا على هذه الدعوة، معرفاً الحركة الصهيونية بأنها "حركة سياسية قومية اقتصادية واضحة الأهداف". ويفهم من قوله هذا، أنه يستحيل التفاهمها والقومية العربية. ثم عاد ووجه رسالة عتب إلى طلاب الإصلاح الساعين للتفاهم مع الصهيونية في 15 تموز/يوليو 1913 قال فيها: "يا طلاب الإصلاح في بيروت ومصر كيف تطلبون للبيت سقفاً، وتغفلون عن وضع أساسه... تطلبون

الإصلاح لبلاد يسعى إلى تملكها اليهود ويتغلبون فيها، ويقضون على بقاء إخوانكم وأنتم تشاهدون هذا ولا تعارضون، لأنكم لا تعلمون أن ضياع فلسطين يقضي على آمالك، فكيف توقفون بين حياتكم الإصلاحية، وسكتكم عما يهدد كيان إخوانكم أو بالحري ملككم؟“<sup>145</sup>.

حاول نصار أن يعلل أسباب رفضه التفاهم، بإثارة التساؤلات التالية: “إلى الذين يقولون إن الصهيونيين قرروا أن يتلقوا مع العرب ليعيشوا معهم باتفاق، وكأخوة تحت راية الهلال، كيف يوفون بين هذه الأقوال وأقوال كتبهم، مثل هرتزل ونوردو وزانغويل وأورباخ؟ بل كيف يوفون بين أقوالهم التمويهية وأعمالهم؟“<sup>146</sup>.

كما وجه نصار رسالة في 4 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1913 إلى رئيس “المنتدى الأدبي” عبد الكريم الخليل، حذر فيها من التعامل مع الصهاينة، وهي تتم عن وعي حقيقتهم وأساليبهم وإدراكيها، فقال: “حاذر أن تسقط من شاهق، إننا نعتقد بأنه لا يوجد يهودي (اسخريوطى)<sup>147</sup> بينكم بيع سيده وبلاه، ولكننا لا نريد أن تهوم حولكم الظنون، ويلقى أعداؤكم فيها أسباباً لإسقاطكم“<sup>148</sup>.

حذر عيسى العيسى من التناقض بين ما يصرح به الصهاينة، وبين ما يراه من أفعالهم، والتي لا يمكن أن يدركها إلا من تتبع أعمالهم، وعاش ولو مدة قصيرة في فلسطين، أما “الفائدة التي يمكن أن يتحققها المؤتمر لو عقد تعود على الصهيونيين أكثر منها على الوطنين، فهم لن يخرجوا قبل أن ينالوا اعترافاً صحيحاً بحقيقة مراكزهم في فلسطين، وأنهم شركاء للوطنين بمالهم من المصالح، فيكتسبون حقاً شرعاً مع بقائهم على مبادئهم الصهاينية... إنه من العبث أن نحل الصهيونيين بالمكان الذي يطلوبونه بمجرد أنهم أرقى مما علمياً واقتصادياً... إن حياة الأمم فوق كل نفع مادي... يغرسنا الصهيونيون... حرية الأهلين مقدمة عندنا على حرث الأرض وزرعها“<sup>149</sup>.

أما محمد المحمصاني، فكانت له وجهة نظر في الاتفاق، إذ رأى “أنه من العبث أن نحل الصهيونيين بالمكان الذي يطلوبونه بمجرد أنهم أرقى مما علمياً واقتصادياً“<sup>150</sup>. ويلاحظ أن تركيز العيسى والمحمصاني على هذه المسألة جاء ردأً على أولئك الذين ببرروا سعيهم إلى التفاهم مع الصهاينة للاستفادة من تقدمهم العلمي والتكنولوجي والمادي.

انعقد المؤتمر العربي في باريس<sup>151</sup> من 18-23 حزيران/يونيو عام 1913، واشتمل على أربعة محاور هي: الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال، حقوق العرب في السلطنة العثمانية، الإصلاح على قاعدة اللامركزية، المهاجرة من وإلى سوريا. أما أهم قراراته، فتتمثل بالمطالبة بإصلاحات حقيقة، ومنح العرب حقوقهم السياسية، من المشاركة في الإدارة المركزية للمملكة، وضرورة إنشاء إدارة لا مركزية في كل ولاية، واعتماد اللغة العربية في مجلس النواب العثماني، وأن تكون لغة رسمية في الولايات العربية<sup>152</sup>.

انعكست وجهات النظر بخصوص الصهيونية سلباً على مناقشة موضوعها والوعي لخطرها، خلال انعقاد المؤتمر العربي، إذ أضعفت رغبة قادة الحركة العربية الداعين إلى فكرة التقاهم مع الصهيونية، الفرصة العربية الأولى التي كان من الممكن من خلالها اتخاذ خطوات تكاد تكون مفصلية في تاريخ العلاقات العربية - الصهيونية المستقبلية، فهلامية طرح الموضوع، وموقف هؤلاء، منح الصهاينة فرصة الاستفادة إلى أقصى حد ممكن من طبيعة الظروف المحلية والدولية التي كانت تعيشها المنطقة، وتجير ذلك لصالح مشروعهم.

من أبرز النتائج التي ترتب على المؤتمر العربي هو أنه شكل نقطة تحول في العلاقات العربية- الفلسطينية، وشكل خيبة أمل لدى الفلسطينيين بزعماء الحركة العربية من إصلاحيين ولامركزيين، وذلك لفشلهم في مناقشة قضيتهم المصيرية؛ إذ لم تجد مناشدات الفلسطينيين آذاناً صاغية لانشغال القائمين بأمور الحركة آنذاك بهمومهم مع السلطات التركية، ورهانهم على جمعية الاتحاد والترقي لإنصافهم، في وقت كانت فيه هذه الجمعية على علاقة لا تخفي على أحد بالحركة الصهيونية، وما كان الفلسطينيون بقادرين على تجاهل الخطر المحدق بهم، فدعت صحيفة الكرمل إلى ضرورة العمل من دون انتظار العون الخارجي، فقالت بهذا الصدد: "فلا يمكن أن نستشعر العرب بحقيقة الخطر الصهيوني ما داموا لا يعانون ويلاته، وما دامت أعينهم متوجهة نحو تحقيق إصلاحات سياسية واجتماعية في إطار الحكم العثماني، بينما فلسطين تُباع عروبتها شبراً بشبراً، ويشرد فلاحوها، فعلينا أن نطلب الحياة من طريقها الصحيح، لا أن نقول للغير أرحمونا وادفعوا عنا البلاء، ولا للطامعين فينا أشقووا علينا، فهذه أقوال ليس لها وجود في قاموس تنازع البقاء" 153.

من نتائج المؤتمر العربي أيضاً ترسخ القناعة لدى الفلسطينيين بضرورة العمل منفردين، للدفاع عن بلادهم، لذا حاول مناهضون للصهيونية من حيفا ويافا عقد مؤتمر في نابلس بهدف تنظيم النضال ضد الصهيونية 154، ولبى زعماء نابلس الدعوة، وانعقد المؤتمر في آب/أغسطس عام 1913 155، وقد أشاد نجيب نصار بالمؤتمرين وأثنى على وطنيتهم، وأعرب عن استغرابه من زعماء القدس الذين لم يشاركوا في المؤتمر المذكور، وعن شعوره بخيبة أمل كبيرة بعد خمس سنوات من حملات التوعية التي قام بها، فقال: "ونحن ننبههم إلى خطر الصهيونية العظيم، وهم لا يسمعون ولا يعون. هل هم لا هون في إسباع شهواتهم وفي منازعاتهم ومشاحناتهم وغافلون عما يحيط بهم من الأخطار؟ دعوناهم إلى تأليف مؤتمر لاصهيوني، ما سمعنا بدعوتنا إلا أصداres قومية ضعيفة، وأشبه بأنات العليل" 156.

تجددت الدعوة إلى عقد مؤتمر فلسطيني رداً على المؤتمر الصهيوني الحادي عشر المنعقد في فينا في أيلول/سبتمبر 1913، وكتب نجيب نصار، "ما لنا وللبيروتيين، نحن الفلسطينيون على شفا جرف، فالخطر السياسي الاجتماعي والاقتصادي يهددنا من كل صوب، والأمة التي تنازع عنا البقاء في وطننا، برهنت على كونها أمة قوية تعمل لنفسها وتعتمد على نفسها" 157.

وكانت صحيفة البيان قد تناولت في 9 أيلول/سبتمبر عام 1913 تفاصيل المؤتمر الصهيوني وعدد الحضور، وهوياتهم وأبرز الموضوعات التي ناقشها، ومن بينها

نفي التهمة عن الجمعية التي وجهتها إليها صحيفة التايمز اللندنية، بأنها تعمل على تعزيز الوجود الألماني في فلسطين، حيث رد أحد المندوبين هذه التهمة " بأنه ليس للجمعية غاية غير تنشيط المصالح الإسرائيلي في فلسطين" 158.

بعد انعقاد المؤتمر العربي، استمرت محاولات عقد مؤتمر عربي - صهيوني، فقدم عبد الحميد الزهراوي تصوراً جديداً في 26 تموز/يوليو عام 1913 لهذا الأمر، بقوله: "نحن جميعاً مسلمون ويسريون مفعمون بالعواطف الطيبة تجاه الإسرائييليين، نعتبرهم جميعاً سوريين اضطروا في سابق العصر إلى مغادرة بلادهم، ولكن قلوبهم يدق في إيقاع واحد مع قلوبنا، ونحن على ثقة أيضاً من أن أخوتنا الإسرائييليين في العالم أجمع سوف يمدون لنا يد المساعدة لنصرة قضيتنا، بنفس القدر الذي يساعدوننا به لرقي بلدنا المشترك مادياً ومعنوياً" 159.

إن الاستيطان الصهيوني والهجرة وشراء الأراضي وطرد الفلاحين، من وجهة نظر الزهراوي، هو مساعدة للرقي بالبلاد، والأصل في المساعدة أن يكون هناك طرفان يقومان بالعمل ذاته، وما كان يحدث في حقيقة الأمر، هو أن من يعمل وينجز ويرقى هم الصهاينة، في حين كان الجانب الآخر (العربي) ينتظر المساعدة من الآخرين.

عن هذه المحاولات، يتحدث أسعد داغر في مذكراته، تحت عنوان "كيف عرفت الصهيونية"، حيث يورد تفاصيل الاتصال الصهيوني بالقوميين العرب بعد انعقاد المؤتمر العربي، فيقول: "في ذات يوم دخل مدير جريدة جون ترك- وهو يهودي- مكتبي على غير انتظار وحياني تحية أثارت دهشتي، وأخذ في الثناء علي والتحدث عن كفاعتي ومواهبي، وقال: "أحمل إليك تحية صديق كبير من مواطنيك يريد الاجتماع بك، وعند السؤال عنه، أجاب بأنه أحد كبار السياسة والمال واسمه د. جاكبسون، وعندما قلت إنني لم أسمع بهذا الاسم قبل الآن، أجاب إنه رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية، ومدير بنك أنجلو- بالستين (البنك الأنجلو-فلسطيني)، وقد عرفه بك زميلنا القديم المسيو سافير 160، وذهبت إلى عزيز علي ونجيب شقير وأخبرتهما بما حدث وسألتهما رأيهما فيه، فشارا عليّ بمقابلة هذا الرجل (هما لا يعرفانه أيضاً)، واجتمعت به في اليوم التالي فأخذ يسألني عما أعرفه عن رجال العرب، ثم تطور الحديث إلى قضية فلسطين وما يمكن عمله للتوفيق بين العرب واليهود، وهما أبناء عمومة، ثم أخذ يعدد الفوائد التي يمكن أن يجنيها كل فريق من الآخر، وانتهى الدكتور جاكبسون من كلامه، وأنا صامت، واستأنفه بعد دقيقة فقال: إنه يريد التعرف إلى رجال العرب من طريقي، ثم خص عزيز علي بالذكر. وتكلمت مع عزيز في الموضوع، وتلقيت تعليماته، وأرسلت إلى رفيق العظم رئيس الجمعية الامريكية بمصر أطلعه على خبر الدكتور جاكبسون، فأرسل إلى رسالة بين فيها وجهة نظره ولاحظاته على ما دونته في رسالتي إليه. وكان الدكتور جاكبسون قد عرض عدة اقتراحات منها:

أ- إن العرب واليهود جنس واحد، ولكل منهما مزايا متممة للآخر؛ فعند اليهود علم ومال ونفوذ، وعند العرب بلاد واسعة وقوى هائلة وكنوز أدبية ومادية لا تتضمن، فالتوافق بينهما يكون لخيرهما وخير الشرق كله.

ب- يستقبل العرب اليهود في البلاد العربية كأخوان لهم على أن يتجلس اليهود بالجنسية العثمانية، وأن لا تكون فلسطين خاصة بهم.

ج- في مقابل ذلك، يتعهد اليهود بوضع قواهم الأدبية والمادية في خدمة القضية العربية، ويؤازرون الأحزاب العربية، ويضعون تحت تصرفها ثلاثة ملايين من الجنيهات.

د- يعقد مؤتمر عربي- يهودي في مصر أثناء عودة نواب سورية وال العراق من اسطنبول إلى بلادهم<sup>161</sup>.

طلب الدكتور أن أقدمه إلى بعض نواب فلسطين، فقلت له: ليس ثمة نواب فلسطينيون، بل هناك نواب عرب فقط، فابتسم.. واستعرضت في ذهني أسماء النواب العرب لاختيار أحدهم، لأعرفه بالدكتور، وتنكرت أن لي زميلاً في الدراسة كان يحدثني كثيراً عن علم أخيه بالنائب وكفأعه فذهبت معه إليه، وقلت له: إنني أريد أن أعرفه بسياسي أجنبي كبير، ففكر ملياً ثم قال: إنه سيدذهب إلى البوسفور للاستراحة هذا الأسبوع، وإنه في الأسبوع القادم منهمك بأمور خطيرة، أما الأسبوع الثالث فكله مواعيد لأصحاب أعمال، ثم قال: فإذا مررت علىّ في الأسبوع الرابع فقد أستطيع أن أحده موعداً لهذا الاجتماع، ولم يكن لي أن أناقشه، فقمت مستائناً بالخروج، وسألني حينئذ عن اسم هذا السياسي الأجنبي الكبير، فقلت له اسمه الدكتور جاكبسون، وما إن سمع هذا الاسم حتى انقض قائلاً: أليس هو مدير بنك "الأجلو- بالستين" ، فأجبته بأنني لا أعلم، ولم يمهلني النائب ريثما اتفق مع الدكتور جاكبسون على موعد يأتي هو فيه لزيارته، بل صمم على الذهاب فوراً، حاولت أن أثنيه عن عزمه، ولكنه أكد أن الدكتور صديقه وليس بينهما مواعيد، ثم تناول طريوشة وهرول ورائي لمقابلة الزعيم الصهيوني، ولم يكن الدكتور ينتظرنا ولكن سر بقدومنا، وقد بدأ صديقي الحديث معه بقوله: إن مسألة فلسطين بسيطة لا تحتاج إلا إلى مبلغ ستة آلاف جنيه، توزع على بعض أفراد من العرب، ثم أعقب ذلك بأنه يكفل حل المسألة بهذه الطريقة السهلة، وسمعت هذا الكلام فطار صوابي، ولجأت إلى شجاعتي للخروج من هذا المأزق، فالتفتت إلى الدكتور جاكبسون، وقلت: "معذرة يا حضرة الدكتور لأنني لم أعرف صديقي بك معرفة كافية، فظن أنك من صنائع الاتحاديين، ولم يشا أن يكون صريحاً معك مخافة أن يبلغهم حديثه فينقموا منه، ثم انطلقت في الكلام فلم أترك لصديقي النائب أي مجال لإتمام المساومة التي بدأها أمامي، وكان علي أن أمحو من ذهن الدكتور ما علق به من كلام النائب، فسعيت إلى عقد اجتماع دعى إليه الدكتور ونواب العرب وبعض رجال الجمعية الإصلاحية ببيروت، وكانوا عائدين حينئذ من باريس، فقرر قرارهم على أن يعقد مؤتمر في القاهرة يحضره نواب سورية وفلسطين والعراق والجهاز مع بعض زعماء اليهود للنظر في الاقتراحات المتقدم ذكرها، وذلك في أثناء عودة النواب العرب إلى بلادهم<sup>162</sup>.

وفي حديث داغر السابق، عدد من النقاط لا بد من الوقوف عليها، وتفنيدها: فقد حدد أو لا معرفته بالصهيونية بعام 1914، وهو في قوله هذا، على الرغم من أنه حاول أن يتجنب نفسه أي لوم مستقبلي بالنسبة إلى هذا الموضوع، أدان نفسه من خلال

إظهار جهله بالصهيونية، في الوقت الذي كانت فيه تصوّل وتحول، وأثارها على أرض فلسطين، ومدار بحث في الصحف العربية الصادرة آنذاك، وقبل ذلك التوقيت بوقتٍ طويل. وثانياً: ذكر أن وسيط جاكسون هو اليهودي سافير، وكان داغر قد عرّف به قبل ذلك بقوله: "وكان بين زملائي في جريدة جون ترك شاب يهودي اسمه سافير، ولد في فلسطين، وقد سبق لي أن رأيته مراراً في المنتدى الأدبي، وفي كلية الحقوق، فتعارفنا وتصادقنا". وهنا التساؤل الذي يطوف بالبال: هل من الممكن أن سافير هذا طوال معرفته بداعر لم يحدثه عن الصهيونية، وهم يعملان في صحيفة تدار وتصدر بأموال صهيونية؟ إذا لم يحدث ذلك، فكيف كان سافير الوسيط للدكتور جاكسون، أحد أشهر زعماء الصهيونية في تلك المرحلة؟

لم يكتف داغر بإنكار معرفته بالصهيونية، بل أنكر معرفة كل من عزيز علي المصري ونجيب شقير بها، فإن كان ما ذكره صحيحاً فهو مصيبة، بأن يكون أقطاب الحركة العربية جاهلين بالصهيونية والخطر الذي تشكله على القومية العربية، وإن كان أراد في قوله هذا التضليل والمراؤغة، فالحقيقة أعظم، لأنه بذلك يستغفل القارئ لهذه المذكرات، ويفقده الثقة والمصداقية في كل ما كتبه في مذكراته.

من استمر في تأييده فكرة التفاهم مع الصهيونية محمد رشيد رضا، مناقضاً بذلك نفسه وموافقه السابقة، ويتبين ذلك من خلال كتاباته في تلك المرحلة؛ ففي مقال بعنوان "المسالتان الشرقية والصهيونية" في آذار/مارس عام 1914 أبدى إعجابه باليهود، وأكّد على أن الغاية من مقدمته هي "تنكير الذين أكثروا القول في مسألة الصهيونية من كتاب العرب، ما فتئوا يدورون حولها ولما يدخلوا فيها. لذا يجب على زعماء العرب أهل البلاد أحد أمرين: إما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونيين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد إن أمكن - وهو ممكّن قرّيب إذا دخلوا عليه من بابه، وطلبوه بأسبابه -، وإنما جمع قواهم كلها لمقاومة الصهيونية بكل طرق المقاومة، وأولها تأليف الجمعيات والشركات، وأخرها تأليف العصابات المسلحة التي تقاومهم بالقوة - وهو ما تحدث به بعضهم على أن يكون أول ما ي عمل، وإنما هو الكي - والكي آخر العلاج كما يقال".<sup>163</sup>

أظهر رشيد رضا في مقالته هذه وعيّاً وتحليلاً لحقيقة الظروف الدولية والتنافس بين الدول الكبرى، ووعي الصهيونية لمثل هذه الظروف، واستثمار ذلك لصالح مخططاتها وبرامجها، لينقل بعد ذلك إلى الحديث عن موقف العرب، وليرغّبوا الفرصة ليروج لفكرة التفاهم مع الصهيونية، وقد أشار إلى ذلك صراحة، بل وزينه بحيث جعله هو الحل المتاح أكثر من غيره، في حين عارض بدبلوماسية، أو بطريقة غير مباشرة اللجوء إلى الأساليب الأخرى التي يدعو إليها بعضهم، والتي هي عملياً مطابقة لتلك الأساليب التي اتبعتها الصهيونية ونجحت فيها، والمتمثلة بتأليف الجمعيات والشركات والرد المسلح من خلال تأليف العصابات المسلحة، وهي بالنسبة إلى رضا في صعوبتها، كالم الذي هو آخر مراحل العلاج.

نشرت صحيفة المقطم في أيار/مايو عام 1914 مقالاً لشبل الشمّيل تحت عنوان "عمروا واستعمروا، فالأرض ميراث المجاهدين" عرض فيه تصوره للصهيونية،

فهم "ليسوا دخلاء غرباء يعملون على سلب الأرض، بل هي ميراث المجتهد الذي يتمكن من استغلالها خير استغلال" 164.

انتهت محاولات التفاهم وعقد مؤتمر مشترك بين الطرفين باه بالفشل، وقد اختلفت الأسباب الكامنة وراء هذا الفشل، أهمها أن الصهابينة لم تكن لديهم النية الصادقة في الاستمرار في هذا الاتجاه، وأن هذه الدعوة بالنسبة إليهم تكتيكية، كان الهدف منها إعاقة أي محاولة تقاهم وتقرب بين الحركة العربية والاتحاديين، وكذلك كسب الوقت لإعداد العدة للمرحلة المقبلة، وأخيراً التعرف عن كثب إلى ما لدى قادة الحركة العربية، ومعرفة مستوى المطالب لديهم، وجدية عدائهم للصهيونية، وقد اعتبر الصهابينة عدم طرح المؤتمر العربي أو تعرضه لأهداف حركتهم وأفكارها، نصراً كبيراً لهم.

أكَدَ أَسْعَدُ دَاغِرَ عَلَى أَنَّ قَرَارَ إِنْهَاءِ الْمَفَاقِدَاتِ جَاءَ مِنْ جَانِبِ الصَّهَابِيَّةِ، فَيَقُولُ: "بَعْدَ أَنْ اشْتَدَّتِ الْحَالَةُ الْأُورُوبِيَّةُ عَلَى إِثْرِ مَقْتَلِ وَلِيِّ عَهْدِ النَّمَاءِ، اجْتَمَعَ بَيْنَ الْدَّكْتُورِ (جَاكِبِسُون) لِلْمَرْأَةِ الْأُخِيرَةِ، وَقَالَ لِي: "لَمْ يَبِقْ فَائِدَةً مِنْ مَبَاحِثَاتِنَا لِأَنَّ الْحَرْبَ - وَقَدْ أَصْبَحَ لَا مَفْرَأَ مِنْهَا - سُتَّلَّ كُلَّ شَيْءٍ رَأْسًا عَلَى عَقْبٍ، وَلَنْ يَعْتَبِرَ كُلُّ مَا جَرَى بَيْنَنَا الْآنَ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ" 165.

أدى فشل الدعوة إلى التفاهم مع الصهابينة، إلى شطط الأخيرة في تطبيق مشروعها في فلسطين، وفي الترويج له، وكسب المؤيدين كالاتحاديين والدول الغربية، في حين أن الأوساط العربية والجمعيات والأحزاب كانت حتى ذلك الوقت قاصرة عن ترجمة وعيها وفهمها الصهابينية بصورة عملية تؤثر في سير المشروع الصهابيني وتتسارعه باتجاه الهدف المنشود.

من النتائج التي أسف عنها فشل محاولات التفاهم مع الصهابينية أيضاً، هو عودة أصحاب هذه الدعوة من قادة الحركة العربية إلى مواقفهم السابقة منها، فرفيق العظم بقي حتى نيسان/أبريل عام 1914 يشكك في المخاطر السياسية للفكرة الصهابينية، مستتركاً رفضها المطالب العربية المتمثلة باندماج اليهود في الوطنية السورية، والتجنس بالعثمانية، وفتح مدارسهم لأبناء العرب، وتدریس اللغة العربية إلى جانب العبرية، ومراعاة أحوال أهل البلاد الاقتصادية 166.

إن الأمر الذي يثير الاستغراب هنا والتساؤل - وعلى ضوء فهم العظم هذا للصهابينية، والأخذ بعين الاعتبار أنه من النخبة الثقافية والسياسية العربية آنذاك - هل كان هو وأمثاله من قادة الحركة العربية منفصلين عن واقعهم، وعما يحدث في فلسطين؟ أم كانوا في تلك المرحلة تحديداً مدفوعين ومندفعين وراء فكرة واحدة هي التفاهم مع الصهابينية لتشكيل جبهة موحدة معها ضد الاتحاديين وسياساتهم المعادية للعرب؟

يلاحظ أنه لم يكن لدى رفيق العظم في طروحته في ما يتعلق بالصهابينية - خصوصاً عند تشكيل حزب الامركزية- أي تحفظ في انضمام الإسرائيليين إليه، وقد أكد ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها في 25 آب/أغسطس عام 1913 إلى رئيس أحد الفروع في سوريا يطالبه بالسعى إلى إدخال من يؤمنون جانبه ويتقون

بصفاء ضميره من المسيحيين والدروز والإسرائيليين أعضاء في الحزب، والسعى إلى التأليف بين قلوب هؤلاء والطوائف الإسلامية<sup>167</sup>.

إلا أن فشل محاولات التقاهم جدّت قناعة العظم بأن القومية العربية والصهيونية خطان مستقيمان لا يمكن أن يلتقيا، وعاد إلى رؤيته السابقة بخصوصها، ففي مقال له في 29 أيار/مايو عام 1914، وتحت عنوان "المسألة الصهيونية وكيف يدفع خطرها"، طالب أبناء سوريا وفلسطين المسرعة إلى تدبر أمورهم مع الصهيونيين، بعد هجوم ذلك التيار المخيف على بلادهم، إذ إن نوم ساعة عما يحيط بالبلاد يقضي إلى موت العرب من سكان سوريا موتاً أبداً، وإن الإهمال وعدم الأخذ بوسائل عملية لمواجهة هذا الخطر، "فلا أقل من أن يكونوا بعد جيل أو أقل من جيل بعيداً للصهيونيين أو يشردوا عن موطنهم جمِعاً"<sup>168</sup>.

ثم عاد في 30 تموز/يوليو عام 1914 إلى طرح المسألة الصهيونية من زاوية جديدة، وذلك من خلال تصنيفه خطورتها بمستويين: الأول محلي ويتناول بفلسطين، واهتمام خاص بأهاليها. والثاني عربي، ويرتبط بحل المسألة العربية بعامه<sup>169</sup>.

بعيداً من تداعيات الدعوة إلى التقاهم مع الصهاينة، استمرت حال وعي خطر الفكرة الصهيونية تظاهر هنا وهناك، فصحيفة الدليل قدمت في 19 حزيران/يونيو عام 1913 تعليقاً على ما أوردته إحدى الصحف من أن كولومبس مكتشف أمريكا يهودي، أجملت فيه رؤيتها ووعيها الصهيونية ومقاصدها، جاء فيه: "إذا صح هذا، وجب على إخواننا اليهود أن يلتهموا ما شاعوا من أملاك العالم الجديد، على اعتقاد أنها أرض ميعادهم، ويترکوا لنا أملاك فلسطين التي قد بدأوا باحتلالها والسلط على الأرض التي ضمت رفات أجدادهم قديماً، وما دامت الأرض التي تقipض عسلاً بكثرة هي في عرف الكثرين منهم أرض الميعاد، فأمريكا أوفق لهم من كل البلاد"<sup>170</sup>.

يلاحظ من خلال هذا التعليق الذي اتّخذ طابع التهكم والسخرية، أن الصحيفة حاولت إلقاء الضوء على ماهية الصهيونية، وأشارت إلى نقطة مهمة جداً، وهي إن الصهاينة وإن كان هدفهم بالدرجة الأولى العودة إلى فلسطين وامتلاكها، إلا أنهم إذا ما وجدوا البديل الأنسب - خصوصاً من الناحية المادية - يمكن أن يحولوا في اتجاه أفكارهم وأهدافهم، ويستبدلواها بالأنسب والأجدى، فوفقاً للصحيفة فإن الأرض التي تقipض عسلاً بكثرة هي أرض ميعادهم بغض النظر عن موقعها وتسميتها.

قدم صاحب مجلة الهلال جرجي زيدان، في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1913 فهماً جديداً للصهيونية، من خلال تركيزه على الجانب الاجتماعي لها، وقد جاء ذلك عقب رحلة قام بها إلى فلسطين، فقال: "الصهيونية دعوة اجتماعية سياسية انتشرت في الأمة الإسرائيلية أواخر القرن الماضي، وكثير تحدث الناس فيها بالأعوام الأخيرة، وبأنها أحدثت تأثيراً شديداً في أحوال البلاد الاجتماعية والاقتصادية، وبأنها مبنية من الوجهة الدينية على آيات جاءت في سفر أرخيا، وبالرغم من ذلك فهم يتذرون إلى الاجتماع غالباً بأسباب دينية يتوكّلون عليها وبيوّلونها إلى ما يساعد على ذلك القيام، ولذا، لا بد في هذه الحال من محرك يبعث على النهوض.

وقد بعث اليهود على هذه الحركة أمران: الأول، تمكّن الروح الملية في نفوسهم إثر الارقاء الاجتماعي والعلمي في العالم المتبدّل؛ والثاني مبالغة الأمة النصرانية في امتهان اليهود باسم مقاومة السامية (Antisemitism)، وقد أخذت روح الصهيونية تتمكّن في قلوب اليهود، وهم يزدادون تمسّكاً بالعنصرية كلما زاد مقاوموهم شدة".<sup>171</sup>

عند التدقيق في ما أورده صاحب الهلال، يمكن استخلاص الأمور التالية:

- 1- في تعريفه الصهيونية اعتبرها حركة اجتماعية اقتصادية عنصرية، وخصوصاً مع ازدياد مقاومتهم.
- 2- ابراز دور العامل الديني كأساس للحركة الصهيونية، ولكن هذا العامل بالنسبة إليهم، إنما هو مطية للوصول إلى الهدف، وليس هو الهدف بحد ذاته.
- 3- استقادة الصهيونية من الظروف الدولية على اختلافها.

رأى الشيخ أحمد حسن طبار، وهو من جماعة الإصلاحيين في بيروت، بأن للفكرة الصهيونية خطراً مزدوجاً، سياسياً واقتصادياً.<sup>172</sup>

أما صحيفـة المنـهـلـ، فـكانـ لهاـ وجـهـةـ نـظـرـ مـغـاـيـرـةـ فيـ ماـ يـتـعـلـقـ بـخـطـرـ الفـكـرـةـ الصـهـيـونـيـةـ، فـأـشـادـتـ فيـ كـانـونـ الثـانـيـ/ـيـنـايـرـ عـامـ 1914ـ بـزـيـارـةـ الثـرـيـ الـيـهـوـدـيـ روـتـشـيلـدـ (Edmond Rothschild)ـ لـلـقـدـسـ، وـتـقـدـيمـهـ التـبـرـعـاتـ لـلـجـمـعـيـاتـ وـالـمـشـرـوـعـاتـ لـلـأـسـرـ الإـسـرـائـيلـيـةـ الـفـقـيرـةـ، وـالـذـيـ بـلـغـ نـحـوـ خـمـسـةـ مـلـيـنـ فـرـنـكـ، ثـمـ تـقـدـيمـهـ هـبـةـ لـلـحـرـمـ الـقـدـسـيـ الشـرـيفـ وـخـدـامـهـ بـلـغـ خـمـسـينـ لـيـرـةـ، حـيـثـ أـطـبـتـ الصـحـيـفـةـ فـيـ مـدـحـ هـذـهـ الـلـفـتـةـ الـكـرـيمـةـ مـنـ الـمـحـسـنـ الـكـبـيرـ.<sup>173</sup>

فالصحـيفـةـ لمـ يـسـتـوـقـفـهاـ حـجمـ هـذـهـ التـبـرـعـاتـ وـالـجـهـاتـ التـيـ ذـهـبـتـ إـلـيـهاـ، وـمـاـ هـيـ النـشـاطـاتـ التـيـ تـقـوـمـ بـهـاـ هـذـهـ الـجـمـعـيـاتـ، بـلـ اـنـحـصـرـ اـهـتمـامـهـاـ فـقـطـ، بـمـاـ قـدـمـهـ لـلـحـرـمـ الشـرـيفـ، وـلـمـ يـدـرـ فـيـ خـلـدـهـ إـنـ مـثـلـ هـذـاـ التـصـرـفـ هـوـ فـقـطـ لـذـرـ الرـمـالـ فـيـ الـعـيـونـ.

أما خـلـيلـ السـكـاكـينـيـ، فقدـ اـسـتـثـارـهـ فـيـ 17ـ شـبـاطـ/ـفـبـرـاـيرـ عـامـ 1914ـ الـاستـقـبـالـ وـالـاحـقـالـ الـذـيـ قـوـبـلـ بـهـ روـتـشـيلـدـ مـنـ قـبـلـ الـيـهـوـدـ، وـاـغـتـمـمـهـاـ فـرـصـةـ لـلـحـدـيـثـ عـنـ الـأـمـةـ الـعـرـبـيـةـ، وـحـاجـتـهـ إـلـىـ رـجـلـ مـثـلـ روـتـشـيلـدـ لـيـنـفـقـ أـمـوـالـهـ فـيـ سـبـيلـ إـحـيـائـهــ.ـ وـأـضـافـ "ـمـعـ مـاـ يـسـتـوـلـيـ عـلـيـ أـحـيـانـاـ مـنـ الـيـأسـ فـيـ نـجـاحـ الـأـمـةـ الـعـرـبـيـةـ، وـمـاـ أـجـدـهـ مـنـ الـحـطـةـ فـيـ اـنـتـسـابـيـ إـلـيـهاـ، فـإـنـيـ لـاـ أـسـتـطـعـ إـلـاـ أـكـونـ وـطـنـيـاـ...ـ لـكـنـتـ وـقـفـتـ نـفـسـيـ عـلـىـ خـدـمـةـ الـأـمـةـ الـعـرـبـيـةـ، وـبـذـلـتـ وـسـعـيـ فـيـ إـنـهـاضـهـاـ وـإـقـامـةـ أـحـوـالـهـاـ لـتـلـحـقـ بـبـقـيـةـ الـجـنـسـيـاتـ".<sup>174</sup>

وـفـيـ حـدـيـثـ لـهـ مـعـ أـحـدـ الـيـهـوـدـ الصـهـايـنـيـةـ فـيـ شـبـاطـ/ـفـبـرـاـيرـ عـامـ 1914ـ حـولـ الـحـرـكـةـ الصـهـيـونـيـةـ وـعـودـةـ الـيـهـوـدـ إـلـىـ الـبـلـادـ، وـالـذـيـ أـكـدـ فـيـهـ الصـهـيـونـيـ أـنـ "ـهـذـهـ الـبـلـادـ مـنـذـ صـارـتـ إـلـىـ الـعـرـبـ لـعـبـتـ بـهـ أـيـدـيـ الـخـرـابـ، وـخـيـمـ فـوـقـهـاـ الـمـوـتـ وـأـصـبـحـتـ جـرـدـاءـ..ـ وـبـأـنـ الـأـمـةـ الـيـهـوـدـيـةـ جـعـلـتـ اـلـفـلـسـطـيـنـ تـارـيـخـاـ جـمـيـلـاـ، فـتـارـيـخـ الـيـهـوـدـ الـجـمـيلـ وـحـنـينـهـ الـدـائـمـ إـلـىـ هـذـهـ الـبـلـادـ يـخـولـهـمـ الـحـقـ فـيـ الرـجـوعـ إـلـيـهاـ، وـأـمـاـ أـنـتـمـ فـلـيـسـ لـكـمـ إـلـاـ حـقـ وـاحـدـ وـهـوـ أـنـكـمـ تـسـكـنـونـ هـذـهـ الـبـلـادـ مـنـ أـجـيـالـ طـوـالـ، فـلـيـهـوـدـ حـقـ الـتـارـيـخـ وـحـقـ

الحنين، لكم حق المعيشة" ، فرد السكاكييني على هذا الطرح، بقوله: "إذا كانت هذه البلاد مهد روحانياتكم وموطن تاريخكم، فإن للعرب حقاً آخر لا ينكر وهو أنهم نشروا فيها لغتهم وأدبياتهم، فحقكم مات بمرور الزمان، وحقنا حي ثابت" 175.

استمرت خلال عام 1914 بعض المحاولات التي ترجمت وعيها خطر الفكرة الصهيونية إلى خطوات عملية تمثلت بتأسيس الجمعيات المقاومة للصهيونية على اختلاف تسمياتها، ويبعد أن مؤسسي هذه الجمعيات، أخذوا الشق الثاني، مما قاله محمد رشيد رضا حول "المسألة العربية والصهيونية" في آذار/مارس عام 1914، بخصوص كيفية التعامل مع أطامع الصهيونية ألا وهو إنشاء الجمعيات، ويبعد أن هذا التوجه لدى العرب دفع بالصهيوني روبين إلى القول إنه "يوجد بين أعضاء منظمين شباب في كل من القدس و耶افا سواء منهم المسلمين أو المسيحيون، من هم على استعداد لمحاربتنا بجميع الوسائل في مختلف أنحاء فلسطين" 176.

في شباط/فبراير عام 1914 تأسست في اسطنبول "جمعية مكافحة الصهيونية" 177.

في تموز/يوليو عام 1914 أسس الأمير علي نجل عبد القادر الجزائري، ونائب رئيس مجلس المبعوثان، جمعية إسلامية لمقاومة التيار الصهيوني 178.

في القاهرة تشكلت في تموز/يوليو 1914 جمعية من الشباب العربي الفلسطيني والصوري باسم "جمعية مقاومة الصهيونية" ، وإضافة إلى الفلسفة التي قامت عليها هذه الجمعية والمتمثلة باتباع سياسة التعا ضد بين أبناء البلاد العربية عموماً وفلسطين على وجه الخصوص لمواجهة التيار الصهيوني، فقد وزعت منشوراً عرضت فيه تقدم الصهيونية خلال الثلاثين سنة الماضية، كما عرضت برنامج عملها، والذي من أبرز نقاطه مقاومة الصهيونيين بكل الطرق المنشورة، وتبيه الرأي العام وتوحيد الأفكار في هذا السبيل 179.

من الجوانب التي ركزت عليها الجمعية أيضاً، والتي تم عن وعي خطر الصهيونية، وإدراكها أهمية إيجاد وعي عربي ليس فقط بين النخبة السياسية والثقافية، بل بالتركيز بالدرجة الأولى على الفلاحين والمزارعين أيضاً، وذلك لإيمانها بأن هؤلاء هم هدف الصهيونية، وعليهم يعتمد نجاح برنامجها أو فشله، لذا سعت الجمعية إلى توعية هؤلاء ليتمكنوا من انتقاء أخطارها، ومعرفة أبعاد فكرها ومقاصدها وكشف أساليبها.

قاربت هذه الجمعية في مبدأها ما كانت قد طرحته جمعية "مكافحة الصهيونية" التي تأسست عام 1913 180 ، ويبعد أن هذه الجمعية استطاعت أن تحدث فرقاً بدليل ما أشار إليه عنيتبي (Anitebi) بأن "جمعية مكافحة الصهيونية" أخذت تكسب الأنطارات، وتتحرك نحو مرحلة العمل 181.

في تموز/يوليو عام 1914، تشكل في حيفا "المنتدى الأدبي" ، وضم عناصر إسلامية ومسيحية، وكانت غايتها المعلنة تتشيّط الحركة الوطنية. أما الهدف السري

له، فهو مقاومة الصهيونية. وكان برعاية نجيب نصار الذي أسس في بيروت جمعية "الشبيبة النابلية"، وضمت مئة شاب من نابلس 182.

كما ظهرت في القدس في حزيران/يونيو عام 1914 أربع مؤسسات وطنية اختلفت في تسمياتها وتخصصاتها، والتقت في هدفها ألا وهو الوقوف في وجه الصهيونية، ومن هذه المؤسسات "الجمعية الخيرية الإسلامية"، و"جمعية الإخاء"، و"شركة التجارة الوطنية الاقتصادية" 183.

استمرت الصحف في فلسطين وخارجها في موقفها من حيث وعي أبعاد الصهيونية وخطورتها؛ فصحيفة فلسطين التي حاولت فضح التواطؤ الحكومي مع الصهيونية في تنفيذ برنامجها، وهو الأمر الذي استحقت عليه التعطيل في 2 نيسان/أبريل عام 1914، وكانت التهمة نشر الصحيفة ما يدعو إلى التفرقة بين فئات الشعب، فرددت الأخيرة على هذا الإغلاق بإصدار منشور إلى قرائها في نهاية شهر نيسان/أبريل، يعبر - وفق شهادة نائب القنصل البريطاني في يافا، والقنصل البريطاني في القدس - "بصدق عن العداء المتصاعد في أوساط العرب للصهيونية" 184.

يلاحظ أن المنشور جاء متاثراً بالحدث الآتي وهو إغلاق الصحيفة، فقد شيئاً من موضوعيته، وذلك عند وصفه العلاقة بين اليهود والسكان المحليين بالانسجام، في حين أن عرض الأوضاع والظروف السائدة في تلك المرحلة تناقض ذلك، فقد كان هناك تدهور في العلاقة بين الجانبين، منذ مدة سابقة لذاك التاريخ، كما أن الإشارة إلى التحول الجذري في العلاقة والتي عزّاها التقرير إلى الصهيونية، والذي تم خلال عشر سنوات، لا يمكن أن يتم بهذه السرعة. خصوصاً أن الحديث عن علاقة تمتد لعقود وأكثر -، لو لم تكن هناك أرضية فكرية وعملية ممهدة لاستقبال أفكار الصهيونية واحتضانها والأخذ بها، بحيث أصبحت سمة المجتمع اليهودي في تعامله مع السكان المحليين.

ومن المؤشرات على تطور الوعي العربي تجاه الصهيونية، أن الجالية الفلسطينية في أمريكا أرسلت إلى رئيس تحرير صحيفة فلسطين قلماً من الذهب، ودواء من الفضة مع لوازمه تقدير الخدمة وموافقه التي أدت إلى تعطيل صحفته 185.

عكس كاتب صحيفة الأهرام إبراهيم سليم النجار، في كتاباته خلال عام 1914 وعيّاً نوعياً قائماً على اتباع النهج العلمي في ما يقدمه من فهم وأراء وحقائق عن الصهيونية، وذلك من خلال البحث والدراسة وإجراء المقابلات مع مختلف الأطراف والاعتماد على الأرقام، وكذلك الاستشهاد بكتابات بعض اليهود، ويتبين ذلك من خلال مقالاته كتلك التي نشرها في 9 نيسان/أبريل عام 1914، بعنوان "الإسرائيليون في فلسطين" 186.

وفي مقال آخر له في الأول من تموز/يوليو بعنوان "الحركة الصهيونية، مراميها ووجه الخلاف فيها"، تناول فيه النجار الصهيونية كحركة سياسية واقتصادية ولغوية تستحق عناية العثمانيين، وخصوصاً أهل فلسطين وسوريا. وقد امتاز نجار بنظرته الشمولية والمستقبلية خلال تناوله المسألة الإسرائيلية والحركة الصهيونية، وخلال تعرضه أيضاً لمستقبل الإسرائيليين في فلسطين 187.

استمرت صحيفة الكرمل في تعزيز وعي الفارئ العربي وإثارته لمعركته مع الصهيونية، فخاطبته في 12 حزيران/يونيو عام 1914 بقولها: "إن كل صهيوني وضع نصب عينيه احتلال فلسطين، لذا يجب على كل عربي أن يضع نصب عينه المدافعة عن فلسطين".<sup>188</sup>

عادت صحيفة المؤيد لتكرر تحذيراتها في عام 1914 بخصوص الصهيونية ومحاولتها "جعل أصحاب تلك البلاد أجراء وهم أصحاب السيادة".<sup>189</sup>

ونجد المعنى ذاته يتكرر لدى صحيفة فتى العرب التي أبدت تخوفها من أن "يتحول سكان فلسطين غداً إلى مماليك لا مالكين".<sup>190</sup>

حاولت الصحيفة في أيار/مايو عام 1914 تفنيدها نشرته صحيفة المقطم للزعيم الصهيوني سوكولوف (Nahum Sokolov)، حيث أكدت أن أهداف الصهيونية تتعارض تماماً مع حقوق الفلسطينيين، مستشهدة بما قاله ماكس نوردو بأنه "أفهم الحكومة العثمانية صراحة أنهم لمجرد كونهم صهيونيين، فإنه لا يمكنهم الاقتران بالأهالي الوطنيين".<sup>191</sup>

كما قامت صحيفة فلسطين بترجمة ما أطلق عليه اسم "البروغرام الصهيوني السياسي"، الذي وضعه "أوشكين" زعيم العمليين الصهيونيين، من أجل الاستيلاء على فلسطين وحددها بثلاث حالات هي: حالة الشعب، ويقصد به الشعب اليهودي، بأن يكون في أعلى درجات الاستعداد، وحالة البلاد بأن تكون ملكاً للأمة اقتصادياً وعانياً، وحالة الظروف الخارجية ويقصد بها استقطاب الرأي العام الأجنبي.<sup>192</sup>

تتضخ أهمية ترجمة صحيفة فلسطين لهذا البرنامج من خلال ما أثارته من نقاش في الصحافة العربية، حيث أعادت عدد من الصحف والمجلات العربية نشر البرنامج، ومنها مجلة المنار التي قامت بنشره في أيار/مايو عام 1914، وعلقت عليه بقولها: "لو لم ينشر من هذا الكتاب الصهيوني إلا هذه الفصول لكتفت من يعتبر من العرب الفلسطينيين وغيرهم عبرة وبياناً لمقاصد الصهيونيين، ولنعلم من لم يكن يعلم دين هذه الأمة وتاريخها، إن الصهيونيين إذا تم لهم ما يريدون فإنهم لا يبقون في أرض الميعاد التي يؤمنون ملوكهم فيها مسلماً ولا نصراانياً، فهذه بلاد عندهم لا يجوز أن يقيم فيها غير الإسرائييلين، نعم إنهم لا يبيدون فيها من غير اليهود بالسيف والنار، كما فعل أسلافهم من قبل، بل يبيدونهم بقوتي الكيد والمال، وهم ما قوتان لهذا الشعب الصغير ترهبهما كبرى الأمم والدول، حتى أن دولة روسية القوية القاهرة أخذت تستميل في هذه الأيام يهود بلادها على قلتهم لثلا يحدثوا فيها أحداثاً وفتناً داخلياً ترلزل أقدامها في هذه الحرب التي تقتضي مصلحة الدول المحاربة أن لا يكون لها شاغل داخلي يشغلها، فماذا عسى أن يفعل العرب أصحاب فلسطين من أسباب المحافظة على وطنهم وأملائهم فيه على ترقفهم وجهل السواد الأعظم منهم كنه الخطر وكنه قوة مزاحيمهم، وعلى جهلهم أيضاً قوة أنفسهم وطرائق الانتقام بها، ولا أقول إنه لا يمكن أن يعملاوا ولكن أقول لا بد من الروية والحزم وقوة الاجتماع، ولا بد من المسارعة إلى تنظيم وسائل الدفاع، ولنعلموا أنه لا يكاد يكون شعب من شعوب الأرض غافلاً عن قوته واستعداده كالشعب العربي، فقوته واستعداده كامنان

فيه كمون النار في حجر الصوان تحت الثلج، فمن ذا الذي يزيل أو يذيب الثلج عن الحجر الصلد؟ وأين مقدحة الحديد التي تدح النار من هذا الزند؟، ستجيب عن هذين السؤالين الأيام، فإن الجواب عنهما أحداث وأفعال لا أحاديث ولا كلام".<sup>193</sup>

شكلت الانتخابات النيابية عام 1914 مؤشراً آخر على درجة التحول في وعي خطط الصهيونية ومقاصدها، فأصبحت مقاومة الصهيونية في انتخابات نيسان/أبريل عام 1914 في صلب البرامج الانتخابية لعدد من المرشحين في سوريا وفلسطين.<sup>194</sup> فوعد راغب النشاشيبي "بتكرис قوته كلها ليلاً نهاراً لإنزاله الأذى والخطر الذي ينتظروننا على أيدي الصهيونيين والصهيونية".<sup>195</sup> في حين أكد سعيد الحسيني على أن الصهيونية تشكل خطرًا سياسياً واقتصادياً في آن واحد، وبأن إهمال هذا الخطر يؤدي إلى عواقب وخيمة.<sup>196</sup> وهو ما لم يؤيده حسين سليم الحسيني الذي أظهر إعجابه بالصهاينة، ودعا إلى التشبه بهم ومحاكاتهم<sup>197</sup>، فهو لا يرى في الحركة الصهيونية "خطرًا على فلسطين، لأنها ليست حركة سياسية، وإنما هي استيطانية، والصهاينة أناس متعلمون وذوو ثقافة، ولا مطامع لديهم، وهم موحدون في ما بينهم، ليس من العدل والإنسانية أن نكره وننادي هذا الشعب، إلا أنه مع ذلك علينا مرافقتهم بعيون مفتوحة".<sup>198</sup>

أما عضو البرلمان السابق أحمد العارف، فقد صرخ في منتصف نيسان/أبريل عام 1914 لصحيفة إقدام "بأن المشكلة اليهودية هي حديث الفلسطينيين الوحيد، حيث الجميع مصاب بالخوف والذعر منها، وأن المسألة الصهيونية وإن كانت في الظاهر اقتصادية إلا أنها في الحقيقة سياسية هامة".<sup>199</sup>

وفي العدد ذاته، كان للصحيفة لقاء مع فيضي العلمي، الذي حذر من أنه في حال استمرت الأمور في مجريها الحالي، "فسيمتلك الصهاينة البلاد، ويصبح أهلها غرباء فيها".<sup>200</sup>

لكن، على الرغم من رجم تصريحات وبرامج المرشحين الانتخابية والوعود الرنانة، إلا أن أداء المجلس الجديد لم يرق إلى مستوى برامجهم وطريقة تعاملهم مع موضوع الصهيونية، وهو ما أثار سلسلة من الانتقادات من قبل الكثريين، فصحيفة فتى العرب اتهمت النواب بالخيانة، لأنهم يريدون الحفاظ على مقاصدهم فأثروا الصمت، لخشيتهم من أنه في حال جاهموا في معارضتهم الصهيونية أن لا ينالوا النيابة ثانية. وقد جاء هذا الاتهام عقب فشل الصحف الفلسطينية مثل الكرمل وإقدام فتى العرب في حثها النواب العرب على الاهتمام بالخطر الصهيوني.<sup>201</sup>

علق أحمد عزت الأعظمي على هذا الدور بقوله: "فليت شعري هل كانت الكفاءة وما إليها من الصفات التي يتفاصل بها الناس موجودة في أولئك، وهل كان النواب العرب يشعرون كما يشعر النواب الروم والأرمن، فيسعون إلى إنهاض أمتهم، كما كان أولئك يسعون صالح شعبيهما، حكى لي من أثق به، وكان عضواً في مجلس النواب العثماني أن جمال باشا بعد أن فرغ من الفتوى بزهرة أبناء سوريا ونبي النساء والأطفال، قدم الأستانة وزار مجلس النواب فلم يبق في المجلس من نواب

العرب أحد إلا وذهب يرحب به ويسلم عليه، إلا رجلين وهمما الأمير عادل أرسلان نائب جبل لبنان، وعبد المحسن السعدون نائب المتنك"202.

ممن انتقد هذا الأداء أيضاً أحد نواب فلسطين محمد باشا المخزومي، فقال: "كان أعضاء العرب في مجلس النواب سبعين نائباً (ثلث مجموع أعضاء المجلس تقريباً) منهم اليماني والجازي والصوري والعرافي والفلسطيني والطرابلسي (طرابلس الغرب)، وكل نائب عن هذه البلاد كما أن له لهجة خاصة ونبرات في كلماته، هكذا له وجهة خاصة وأعمال فردية ومنافع ذاتية، لا تتفق مع مجموع نواب العرب إخوانه، بل تختلف مع رغائب زملائه من البلد الواحد، سبعون نائباً من البلاد العربية لم يتمكنوا من تعين وال من العرب في ولاياتهم، وما ذلك إلا لتفرق كلمتهم وعدم اتحادهم، وما كان في مجلس النواب من الأرمن سوی ثلاثة أو أربعة عميدهم وخطيبهم زهرا بـ أفندي، وكان هذا الرجل مع قلة أبناء طائفته في المجلس إذا صعد المنبر للخطابة، تشخص إليه أبصار فرقة الأكثريّة، وترتعد منه فرائص رؤسائها، بفضل اتحاد كلمة الأرمن خارجاً والتفاهم حول عميدهم زهرا بـ داخل المجلس، وكان للأرمن في الوزارة وزيران وثلاثة مستشارين وعشرات الوظائف الكبيرة المهمة"، وفي حديث لزهرا بـ مع المخزومي، قال له: "أه لو كان لي من النواب سبعون نائباً كما لكم أنتم العرب، لكنت أجعل الباب العالى في منزلي...".203.

لم يمنع سوء أداء مجلس النواب بعضهم من الثبات على موقفه في مواجهة الصهيونية؛ فنجيب نصار دعا في 10 كانون الأول/ديسمبر عام 1914 إلى تأليف جامعة عربية فرعية في فلسطين تتبع عن الجامعة العثمانية، يكون هدفها إنقاذ فلسطين من خطر الصهيونية بتأليف القلوب وجمع الكلمة، وبيان الأضرار التي ستلحق بأهل فلسطين من سيطرة الصهيونية على بلادهم، والأخطار التي تهدد مصالح الدولة العثمانية204.

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى، خبا - نوعاً ما - موضوع مناقشة مسألة الصهيونية بين الأوساط العربية، ولا سيما مع احتجاب الكثير من الصحف العربية عن الصدور، والتي كانت منبراً مهماً لإثارة هذه المسألة، فعلى سبيل المثال قدمت مجلة الهلال في شباط/فبراير عام 1916 عرضاً للصهيونية، التي عرّفتها بأنها "الحركة التي قام بها نفر من زعماء اليهود لجمع شتاتهم". وقد جاء عرض المجلة هذا، في معرض تحليلها آثار الحرب العالمية الأولى في تطور المشروع الصهيوني، فقدمت تصورات المفكرين اليهود الذين رأوا أن هذه الحرب قضت على آمالهم، ولا سيما مع ما رأوه من اضطهاد من الحكام الأتراك، مما أدى إلى هجرة الكثير منهم إلى مصر205.

كما لم يفت المجلة في عرضها هذا، الإشادة بتأثير أسرة روتشيلد الشهيرة، لردها لإمبراطور النمسا جميع الأوسمة التي كان قد منحها لأسرته منذ أكثر من قرن، وذلك عقب نشوب الحرب العالمية الأولى206.

تبينت مواقف صحف الاغتراب من الصهيونية خلال الحرب، فوفقاً لما أشار إليه أحد التقارير البريطانية في 19 أيلول/سبتمبر عام 1916 "بأن الصحف العربية في

أمريكا أشغلت نفسها بمسألة الظروف المحلية ومستقبل جبل لبنان وسوريا، ونادرًا ما كانت تتعامل مع قضايا الحدود، وأن السبب الرئيس لعدم تفاعل عرب الولايات المتحدة هو الخوف من الانتقام من جانب الأتراك ضد أقاربهم”<sup>207</sup>.

ومن الصحف التي استمرت على مواقفها الموالية للصهيونية خلال فترة الحرب صحفية المقطم، فذكر أحد التقارير البريطانية المؤرخ في 11 شباط/فبراير عام 1917 “أنها من أكثر الصحف انتشاراً وتوزيعاً، وبأنها المساعدة في الدعاية في ما نر غب فيه، فأي مقترن يقدم للمحرر السيد نمر يأخذ به باستمرار”<sup>208</sup>.

أصبحت المقطم لسان حال اليهود في نشر ما يعزز الوجود الصهيوني في فلسطين، ومنبراً للدفاع عن الصهيونية من خلال بعض الكتاب.

أما صحفة أفكار فقد علقت في 20 أيار/مايو عام 1916 على مسامعي السفير الأمريكي الجديد لدى الباب العالي للحصول على موافقة تشكيل لجنة أمريكية لتوزيع الإعانات على منكوبى سوريا ولبنان، بقولها: ”ولعل حكومة الباب العالي سحرت عقل هذا السفير الإسرائيلي الجديد، وخلبت له بالمواعيد الخلابة المعروفة من جعل فلسطين مقاطعة يهودية، أو ما أشبه من ذلك المخدرات التركية المعهودة التي كانت الآستانة وما برجت إلى هذه الساعة تستخدمها مع السفراء الإسرائيلييين الأمريكيين حتى تتوهمم تتوهماً مغناطيسياً عميقاً، وبعد ذلك تنفذ سياستها تتنفيذًا تاماً، ولو كانت تلك السياسة مضررة أحياناً ليس بمصالح الرعایا العثمانیین فقط بل بمصالح الأمريکیین أيضًا.. ولا ندري ما السر في تعین سفراء من اليهود فقط لدى الباب العالي، لكننا تأكيناً من أمر، أن السفير السابق هنري مورغانتو (Henry Morgan) اضطر إلى الاستقالة بسبب شكاوى الحلفاء منه، وبسبب سخط الأمريکان الموجودين في تركيا من سياساته الإسرائيليية المضرة بهم وشدة حنقهم عليه”<sup>209</sup>.

حاولت الصحفة كشف الدور الذي اضطلع به السفراء الأمريکيون في الآستانة في خدمة الأفكار والمشروع الصهيوني، فأشارت إلى أن أصحاب الصحف الإسرائيليية في نيويورك، أقاموا وليمة فاخرة لسفير الأمريكي الجديد، خطب فيها عدد من الصحافيين والمحامين والأطباء، مظهرين ما طبع عليه من دماثة أخلاق، ومعلّقين عليه الأمل في خدمة الحكومة الأمريكية (وبالحرفي الملة اليهودية) بإخلاص وتحسين العلاقة بين البلدين، وبالوقت نفسه الاهتمام بالإسرائيليين ومصالحهم. وقد كان الخطاب الذي ألقاه صاحب صحفة ”العراني الأمريكي“، متضمناً خلاصة ما قاله الخطباء، وأبرز ما جاء فيه: ”إن المستر ألكوس وإن كان إسرائيلياً، لا يذهب إلى الآستانة لتمثيل الإسرائيلييين، وإنما لخدمة الحكومة الأمريكية، ولكن بالوقت نفسه نعلم جيداً أنه لا يدخل وسعاً في مساعدة الإسرائيلييين والاهتمام بمصالحهم وإنما لهم حقوقهم، إن المستر ألكوس هو السفير الإسرائيلي الثالث في تركيا، فقد سبقه إلى هذه الوظيفة كل من المستر أوسکر ستروس وهنري مورغانتو، وقاما بوظيفهما حق قيام، ولكن المستر ألكوس سيأتي من الأعمال ما عجز عنه زميلاه السابق، ولا يدل ذلك على حط من قدرهما، وإنما لأن المستر ألكوس سيذهب إلى عمل وضع قواعده، أما عباء هذه الوظيفة، فتقيل لا سيما متى كان صاحبها

إسرائيلياً، لأنه فضلاً عن قيامه بما تتطلبه هذه الوظيفة، يجب عليه تمثيل الشعب الإسرائيلي بكده واجتهاده والمحافظة عليه، ولذلك فوق تمنياتنا بنجاح المستر الكوس، نتمنى أيضاً إتمام أمل كل إسرائيلي، إن الحكومة العثمانية تعامل الإسرائيليين معاملة عادلة، ولكن المستر ألكوس يقدر باستعمال نفوذه وأدبه على تحسين الحالة عما كانت عليه، ويقدر أيضاً على تخفيف الحيف عن الإسرائيليين في أوروبا".<sup>210</sup>

أما صحيفة الزهراوي الصادرة في سان باولو في البرازيل، وصاحبها جورج أطلس- وسميت بذلك تيمناً بعد الحميد الزهراوي- نشرت لأحد الصهاينة البرازيليين في 9 تموز/يوليو عام 1917 مقالاً بعنوان "اليهود يطلبون استرجاع حقهم بعد مرور ألفي سنة"، تحدث فيه عن الأثر الذي تركته الحرب العالمية على المسألة اليهودية، فقال: "إن من نتائج هذه الحرب الضروس ظهور اليهود بحلة جديدة يطلبون حقوقهم كشعب حي، وللحصول على أمنيتهم بالمعنى العملي ألغوا الجمعيات في كل الأقطار المعمورة، فكرة نيل الاستقلال واسترجاع مملكتهم البائدة". وقد نقل كاتب المقال ما صرخ به مدير المجلة الإسرائيلية في البرازيل، قوله: "لا أظنك تجهلون مستقبل أبناء فلسطين في اليوم الذي يدبرون شؤون بلادهم لنفسهم، ولا سيما القاطنين العواصم الكبرى كبرلين ولondon ونيويورك، وبأن اليهود في المؤتمر الصهيوني الأول قرروا أن من الواجب على كل إسرائيلي المطالبة بحقوقه السياسية، والاعتراف له بجنسيته كعربي، وأن له الحق كغيره من الشعوب بالمطالبة والاستقلال، ويأن هذا ما قرره مؤتمرنا عملياً وشرعياً ولكن من حيث أمانينا، فهي قديمة العهد من نحو ألفي سنة، واليهود موالون للحلفاء لأنهم يدافعون عن الأمم الصغيرة".<sup>211</sup>

مما يثير الاستغراب، أن هذه الصحيفة التي تيمّنت بعد الحميد الزهراوي في تسميتها، ونذرت نفسها لمهاجمة من أقدموا على إعدامه والدفاع عن مبادئه وموافقه والترويج لها، نقلت مثل هذا المقال بتقاصيله من دون أن تعلق أو تندم ما جاء فيه. ولعل ما جاء في هذا المقال الذي يعكس الفهم الصهيوني للعبة التحالفات الدولية واستثمارها على أكمل وجه، وبالمقارنة مع ما كان عليه الموقف العربي والحركة العربية على اختلاف تسمياتها وتشكيلاتها، يؤكد صحة المقوله أن الفرق يكمن في انطلاق المقاومة العربية من إمبراطورية متهاوية، وتصاعد الصهيونية من إمبريالية صاعدة<sup>212</sup>؛ إذ على الرغم من أن الشريف حسين تلقى تأكيدات من بريطانيا، أن استيطان اليهود لفلسطين لن يتعارض مع استقلال العرب فيها<sup>213</sup>، وأنه أرسل إلى أتباعه مؤكداً أن ثورته قامت انطلاقاً من هذه التأكيدات، إلا أن هذا لا ينفي أن طبيعة المواجهة العربية الصهيونية، عكست قصوراً في الوعي العربي لمواجهة أبعاد الظاهرة الصهيونية ومخططاتها وأفكارها. ولعل نجاح الصهيونية يكمن في كيفية توظيفها فرصة الحرب ومحاولات الاستفادة من الأطراف كافة.

كما تتبه بعض زعماء الصهيونية حتى قبل إصدار وعد بلفور إلى أهمية استغلال فترة الحرب من أجل تجنيد اليهود العالم في وحدات يهودية تقائل في صفوف أعداء الدولة العثمانية، كي تشارك في احتلال فلسطين، وكي تكون نواة جيش يهودي

يرابط فيها بعد انتزاعها من يد العثمانيين<sup>214</sup>، فطالب بن غوريون عند اندلاع الحرب بمشاركة وتعاون سياسي وعسكري يهودي مع الإمبراطورية العثمانية، إلا أن جمال باشا رفض عرضه، ورده وزميله بن تسيفي (Yitzhak Ben-Zvi) وعداً آخر من اليهود<sup>215</sup>. كما دعا فلاديمير جابوتنسكي إلى إنشاء فيلق يهودي كجزء من الجيش البريطاني، وذلك لكي تكون تعبيراً طبيعياً للقومية اليهودية، التي ستتركز انتباه العالم على الحركة الصهيونية، وسيعود عليها بالفائدة في مفاوضات السلام عندما تنتهي الحرب<sup>216</sup>، فتألفت إحدى الكتائب من يهود أمريكا، والثانية من بريطانيا، والثالثة من يهود نفطهم السلطات العثمانية من فلسطين إلى مصر كونهم رعايا روس<sup>217</sup>. بعد رجحان كفة الحلفاء، تركز النشاط الصهيوني في لندن<sup>218</sup>.

ومن المحاولات الصهيونية لاستغلال ظروف الحرب لتحويل الأهداف والأفكار إلى واقع وبمبادرة وشرعية دولية، الرسالة التي بعث بها الصهيوني "كان" (Kenn) باسم المنظمة الصهيونية، ويشير فيها إلى المسألة اليهودية المتعلقة بفلسطين، وأنها مسألة وجود "أمة مستقلة للشعب اليهودي" ستطرح نفسها، وأنه إذا كانت هناك نية لمنح هذا الشعب الفرصة لإقامة بلد يهودي في وقت لاحق، فمن الضروري أن تعي القوى المختلفة أنهم ثقة (أي الصهاينة)، وأنهم سينفذون دورهم بحذر وفقاً للخطط الموضوعة، وأضاف "نحن مع الرأي بأن الحل النهائي والمقنع للمسألة اليهودية سيكون وسيتم التوصل إليه بتحقيق الأفكار الصهيونية، وسكنون قريبين من الحل إذا ما قبلت قوات الحلفاء الفكرة الصهيونية"<sup>219</sup>.

ثم جاء وعد بلفور ليشكل تحولاً إضافياً حيث أعطى مخرجاً لنشاط إسرائيلي عملي وفوري مباشر طالب به بن غوريون من الحزب الأمريكي<sup>220</sup>.

في هذا السياق، علق الزعيم الصهيوني وايزمن على الجهد الصهيوني خلال الحرب أولاً، وعلى وعد بلفور ثانياً، بقوله: "وفي الجملة أعددنا في الفترة بين سنتي 1907 و1914 العدة اللازمة لمواجهة الحرب، وما عسى أن تعود علينا من وعود وعهود، ومن فرصة سانحة لبناء فلسطين من جديد، يهودية لليهود، وبالفعل وجدنا فلسطين حين أخذنا وعدها وجئنا إليها بعد الحرب لتنفيذ الوعد أساساً يصلح لبناء عليه، وشعرنا أننا لسنا بادئين، وإنما كنا نكمل بناها الذي بدأناه.. يزعم لويد جورج أن حكومته قطعت وعد بلفور لليهود مكافأة لي أنا على ما قدمت من خدمات في منصبي كخبير كيميائي، وهذا الذي زعمه لويد جورج غير صحيح، فوعد بلفور لم يقطع كمكافأة لي، ولا ناله بمثيل هذه السهولة، وإنما قطع بعد جهود واتصالات ومساعٍ طويلة شاقة"<sup>221</sup>.

يعزز قول وايزمن أعلاه، المذكورة التي نظمت في كانون الثاني/يناير عام 1917 من قبل فريق من علماء وفلاسفة وتجار ومحامين يهود، نصّ أحد بنودها على "أن الشعب اليهودي في فلسطين يعني اليهود الموجودين الآن في فلسطين، أو اليهود الذين سيهاجرون إليها في المستقبل، وعلى الحكومة التي ستحكم فلسطين أن تعترف بهؤلاء اليهود على أنهم الشعب اليهودي، ولهذا الشعب أن يتمتع في فلسطين بكافة حقوقه المدنية والقومية والسياسية"<sup>222</sup>.

ويلاحظ أن هذا الحشد الصهيوني، على اختلاف أشكاله، للجهود من أجل تحقيق فكرتهم قبل الحرب العالمية وأثناءها، قابله وعي عربي باهت وضعيف، حيث انشغل العرب بقضايا أخرى على مستوى عالٍ من الأهمية من حيث علاقتها بكيان الأمة العربية واستقلالها، إلا أنهم أغفلوا قضية مهمة، وهي الصهيونية وما تشكله من خطر وتهديد لهذا الاستقلال، وهو ما انعكس بصورة واضحة على النتائج والمكاسب التي حققها الطرفان بعد الحرب، وذلك على الرغم من أن حليفهما كان واحداً، فحصل الصهاينة على وعد بلفور وعلى نواة لقوة عسكرية، وحصل العرب على التقسيم والاندماج.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



## الفصل الثاني

# بدایات الوعی العربي لخطر الهجرة والاستيطان اليهودي الصهيوني، 1897-1917

تشكل الهجرة والاستيطان ضلعاً ثالثاً في المشروع الصهيوني في فلسطين. إضافةً إلى شراء الأراضي، ففي بدايتهما لم تظهر الروح المعادية لليهود، ولكن مع زيادة الهجرة وتوسيع الاستيطان كان الفلسطينيون وغيرهم من العرب - سواء من شهدوا أثر تدفق المهاجرين اليهود، ومحاولات الاستيطان على أراضيهم، أو سمعوا عنها - وجهاً لوجه مع بشاعة الأفكار والأطامع الصهيونية، إذ يعتبر النشاط الاستيطاني من أهم المؤشرات التي توضح اتجاهات الحركة الصهيونية، صوب المناطق التي تتطلع إلى الاستيلاء عليها<sup>223</sup>.

وقد تأثر الوعي العربي لخطر الهجرة والاستيطان اليهودي الصهيوني خلال مرحلة الدراسة بمجموعة من العوامل والمتغيرات، والتي يمكن عراؤها وفقاً للمراحل الزمنية التالية:

### أولاً: الوعي العربي لخطر الهجرة والاستيطان 1897-1904

تعود جذور الهجرة اليهودية والاستيطان عموماً إلى عام 1871، وذلك نتيجة تدفق أعداد كبيرة من اليهود الروس إلى الدولة العثمانية عموماً، وفلسطين على وجه الخصوص، في إثر المذابح في روسيا، فأنشأوا مستوطنتهم (باتاح تكفا) على بعد 12 كم من شمال شرق يافا، وكانت أقدم مستوطنة، وضمت ألفي يهودي، في حين أن أول نشاط استيطاني يهودي يعود إلى عام 1854، حيث تملك اليهود أول أرض فلسطينية أقاموا عليها في ما بعد، حي مونتغومري في بيت المقدس، وجاءت هذه التسمية نسبة إلى الثري اليهودي الذي شجع فكرة استيطان اليهود ونشر التعليم الزراعي بين بنى قومه فيها. وفي عام 1856 اشتريت أول ببيارة بر تعال بالقرب من يافا أقيمت عليها عام 1870 مدرسة زراعية (مكفه إسرائيل)، والغرض من تأسيسها بث الروح الزراعية بين اليهود المقيمين في فلسطين<sup>224</sup>. في القدس، بدأ الاستيطان اليهودي خارج أسوارها منذ عام 1860، حيث أنشأت قوميانية (وفقاً للتعبير الذي استخدمه مؤلف القدس العثمانية) ميسافاريم ومن جاورها من القوميات للسكناء واليهود اليمنيين<sup>225</sup>.

وشهد عام 1881 توافد أعداد كبيرة من اليهود إلى الدولة العثمانية، وتحديداً فلسطين هروباً من الاضطهاد الروسي، وذلك في أعقاب الاعتداءات التي واجهها اليهود بعد حادثة اغتيال القيسير الروسي في صيف ذلك العام، وهو ما عرف بالهجرة الأولى، وجرت خلال الأعوام (1881-1904) وامتازت بعفويتها، وعدم تنظيمها، وقام بها جماعة "أحباء صهيون"<sup>226</sup>.

جاء مؤتمر بال عام 1897 ليمارس الفكر الاستيطاني الصهيوني، فكان من أهم مقراته تشجيع الاستعمار الاستيطاني لفلسطين من خلال العمال الزراعيين

والصناعيين اليهود على أساس مناسبة 227، وعرض هرتزل في المؤتمر تصوره للآلية التي يجب أن تتم من خلالها الهجرة، فأكمل على أن إرسال عشرة آلاف يهودي سنوياً إلى فلسطين لا يمكن أن يؤدي إلى إقامة دولة، نظراً إلى وجود تسعة ملايين يهودي في العالم أو أكثر، وإن عمليات التسرب والهجرة في هذه الحال ستستمر مئات السنين، وأصرّ هرتزل على ضرورة الحصول على موافقة الدولة العثمانية وسلطانها الذي يحارب الهجرة اليهودية، وأضاف بأن "ما لا شك فيه أن الحكومة التركية ستعيد فرض قوانين منع الهجرة رأساً، ولا نستطيع أن نعارض هذه الخطوة أبداً، فمن يعتقد أن باستطاعة اليهود التسلل إلى أرض أجادادهم فهو يخدع نفسه، ويخدع الآخرين، كما أن التسلل سيزيد من ثمن الأرض، ويصعب في ما بعد شراؤها" 228.

عارض هرتزل مبدأ التسلل التدريجي لليهود، لأن نهايته ستكون سيئة، وأوضح وجهة نظره بهذه المسألة بقوله إن "السلل سيستمر إلى اللحظة التي لا يمكن تجنبها، فعندما يشعر السكان المحليون أنهم مهددون، سيجبرون الحكومة على إيقاف أي تدفق جديد لليهود، وبالتالي فإن الهجرة لا جدوى منها ما لم تقم على أساس من هيمنة مضمونة، فجمعية اليهود ستتعامل مع المالك الحاليين للأرض، وستضع نفسها تحت حماية القوى الأوروبية، فإذا أعلمت السلطان أنها ترغب في الاعتراف بسيادتنا على قطعة من الأرض، فإن الجمعية ستدخل في مفاوضات لتملك هذه الأرض" 229.

بلغ عدد اليهود في فلسطين عندما تأسست الحركة الصهيونية عام 1897 حوالي خمسين ألف يهودي، وثمانين عشرة مستوطنة يهودية 230، وقد عهدت الحركة الصهيونية إلى جمعية الإيكا بالاستعمار التدريجي 231، وبحلول عام 1899 كانت حركة المهاجرين الروس قد أأسست مستوطناتها عبر فلسطين بكمالها، بوساطة هؤلاء الرواد 232. كما شهد هذا العام هجرة أعداد كبيرة من اليهود البلغار 233.

في بداية القرن العشرين، بدأ يهود الأكراچ بإنشاء القوميانية تجاه باب العامود، مدخل حي المصارارة من الجهة اليمنى 234، وارتفع عدد المستوطنات في الريف الفلسطيني - بما فيها مدرسة نيت الزراعية - إلى 22 مستوطنة، وكانت تضم 5410 يهودي، معظمها في السهل الساحلي بين الكرمل ومصر، حيث كان هناك 12 مستوطنة، وفي الجليل سبع مستوطنات، وفي القدس اثنان، وفي الأغوار واحدة 235.

كانت صحيفة البشير قد أشارت في آذار/مارس 1900 إلى أن البارون روتشيلد تخلى عن جميع الأموال والقرى التي اقتناها في فلسطين لجمعية خيرية إسرائيلية في باريس، بحيث أصبحت زمارين والجاعونة وزبيد وسائر القرى التي عمروها لإسكان اليهود مختصة بتلك الجمعية 236. يبدو أن قرار روتشيلد هذا، جاء نتيجة الأوضاع السيئة التي لاحظها في المستعمرات عندما قام بزيارة فلسطين عام 1899، حيث اطلع على أحوال المستعمرات فيها، وشكك في أنها ستقام سريعاً 237.

بدأت هذه الجمعية عهداً جديداً عام 1901 بتوسيع النشاط الصهيوني هناك، فمنحت القروض الزراعية لكل من يذهب إلى فلسطين من يهود العالم، وبعثت بالمهندسين والخبراء الزراعيين إلى فلسطين لاستصلاح الأراضي وتحسين الزراعة وإنشاء القرى النموذجية. في الوقت ذاته، كانت جمعية "أحباء صهيون"، المنظمة اليهودية الصهيونية تتبع جهودها لشراء الأراضي الفلسطينية وتوطين اليهود فيها، وإنشاء المستوطنات اليهودية الزراعية، وتقديم المساعدات المادية للفلاحين اليهود وبناء المساكن الشعبية لهم 238. ونجحت شركة إيكا في إقامة ثمانية مستوطنات خلال أربع سنوات، وامتلاك ما يقارب 151 دونماً 239.

عارضت الحكومة العثمانية الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وذلك لعدم رغبتها في إثارة مشاكل قومية أخرى، ولكي لا يكون لديها مزيد من الأوروبيين بامتيازات خاصة، تحت سيطرة المقيمين في جزء حيوي ومهم من الإمبراطورية، لذا أعلنت موقفها هذا مسبقاً قبل تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين عام 1881. كما رفضت جميع الطروحات التي قدمها هرتزل للسلطان والباب العالي أثناء مفاوضاته في الآستانة عام 1896 240.

وقد دفع الطلب الذي تقدم به أحبار القدس عام 1901 بالسماح لهم بتأليف نواة للجيش اليهودي، مقابل دفع مليون ليرة ذهباً عثمانياً كدفعة أولى لهذا الجيش، بالسلطان عبد الحميد الثاني لإصدار أوامره للوالى لموافاته بتقرير عن النشاط اليهودي في فلسطين، فهاله ما قرأه، فقرر إيقاف الهجرة اليهودية، وأصدر قانون الجواز الأحمر 241.

لم تنجح الأوامر المتعاقبة من الباب العالي بعد عام 1897 بمنع اليهود من الاستيطان في فلسطين 242؛ فإجراءات الحكومة العثمانية كانت علاجية وليس وقائية، والقيود الإدارية التي فرضتها على دخول يهود أوروبا إلى فلسطين، جاءت في إطار ازدياد الهجرة اليهودية من روسيا عام 1881 243.

بعد ذلك، تلاحت القرارات والأوامر الحكومية، فأصدر السلطان في حزيران/يونيو عام 1898 قوانين جديدة تتضمن عدم السماح لليهودي الأجنبي بزيارة الأرض المقدسة، إلا بداعي الزيارة الدينية، على أن يدفع تأميناً مالياً أثناء دخوله البلاد، والتعهد بمعادرة البلاد خلال ثلاثة أيام 244. وفي تشرين الثاني/نوفمبر عام 1900 أصدر فرماناً أكد سابقه، فثار اليهود عليه 245، واضطرب السلطان تحت الضغط أن يقابل هرتزل عام 1901 246. وقد علق السلطان عبد الحميد الثاني على هذه المقابلة، وعلى طلب هرتزل موافقته على الهجرة والاستيطان اليهودي، بقوله: "لليهود قوة في أوروبا أكثر من قوتهم في الشرق، لهذا أكثر الدول الأوروبيّة تحذّد هجرتهم إلى فلسطين لتناخص من العرق السامي الذي زاد كثيراً، ولكن لدينا عدد كاف من اليهود، فإذا كنا نريد أن يبقى العنصر العربي متقدماً، علينا أن نصرف النظر عن فكرة توطين المهاجرين في فلسطين، وإن اليهود إذا استوطنوا أرضاً تملّكوا قدراتها خلال وقت قصير، وبذا تكون قد حكمنا على إخواننا في الدين بالموت المحتم، لن يستطيع رئيس الصهاينة "هرتزل" أن يقنعني بأفكاره" 247.

من كان له دور في التأثير في موقف السلطان عبد الحميد الثاني الرافض للهجرة اليهودية والاستيطان، الوزير العربي عزت باشا العابد، وهو أمر أكد أبو الضيا توفيق في مقال له بعنوان "الصهيونية ومقاصدها"، نشرته صحيفة تصوير أفكار في حزيران/يونيو عام 1911، فقال: "بعد أن كاد الصهاينة أن ينجحوا في إدخال جماع غفير من المهاجرين، تدخل عزت باشا لحكومة نجلها، ولو لا ذلك لكانت فلسطين ذهبت منذ أمد بعيد من أيدي العرب" 248.

يؤكد هذا القول روحى الخالدي في كتابه *السيونزم*، إذ يعلق على المقطع الخاص بمقابلة السلطان العثماني لهرتسل، فيقول: "استعمل جميع بلاغته وفضحاته لإقناع رجال المابين (قصر السلطان) السذج. وأمام إغراء المال والذهب كاد يتم الأمر لهرتسل، لو لم يتدخل بالأمر عزت باشا العابد المشهور عند الأتراك بعرب عزت، ويحيف السلطان عبد الحميد من إدامه على إعطاء امتياز للصهيونيين، فأحجم السلطان عن ذلك خوفاً" 249.

إن الشعور بحقيقة خطر الهجرة وما ترتب عليها من توسيع للاستيطان الصهيوني وتكريس له، لم يكن قد تبلور بعد خلال تلك المرحلة، ويبين بعضهم ذلك بتأكيد أنه لم يكن لدى المستوطنين الأوائل النوايا السيئة في الاستيلاء على فلسطين أو اعتناق الأفكار الصهيونية من قبلهم، والدليل على ذلك، توجه بعض أصحاب المزارع اليهود نحو تشغيل المزارعين العرب وعدم تشغيل المزارعين اليهود، كون المزارعين العرب أقل كلفة وأكثر خبرة 250، وبأن الاستيطان الزراعي المتواضع لم يبرز كظاهرة ذات دلالات خاصة عند أغلبية أهالي البلد؛ فسكان المستعمرات الزراعية كانوا يشكلون حينذاك أقل من 10 بالمئة من الأقلية اليهودية في فلسطين، لذا لم يختلف موقفهم منه من الموقف السلبي اللامبالي من الاستيطان الألماني 251.

لذا، اتسمت العلاقات العربية - اليهودية في تلك المرحلة بالودية؛ فأغلبية أهالي فلسطين لم يشعروا بتهديد حقيقي لمصالحهم المستقبلية، ولا سيما أن معظم اليهود الذين جاءوا إلى فلسطين اتجهوا إلى المدن كالقدس وصفد وطبرية والخليل، وكذلك المدن الساحلية، وخصوصاً يافا وحيفا 252. وكان هناك نشاط تجاري واجتماعي ملحوظ بين الجانبين؛ إذ استقاد أصحاب الدور والمتأجر الفلسطينيون من زيادة الدخل الناجمة عن قدوم المهاجرين اليهود 253. مما يدل على الاستقادة التي حققها الفلسطينيون، ما جاء في مذكرات بن غوريون حول قدمه إلى فلسطين، والطريقة التي استقبل بها، والمساعدات المدفوعة الأجر التي كان يقدمها الفلسطينيون على ظهر السفن الآتية إلى حيفا، حيث أكد على الود الذي أظهره سكان البلاد 254.

كذلك الوصف الذي ضمّنه أحد المستوطنين، ويدعى براص في كتابه *قرية على صفاف الأردن*، فيقول: "في تلك الأيام قطن المسلمون واليسريون واليهود في أورشليم معاً، كان معظم اليهود من أبناء الطوائف الشرقية، ولم يختلفوا في مظاهرهم عن المواطنين العرب. أما الباقيون، فكانوا يهوداً متدينين من الإشكناز من مواليد أورشليم التي كان فيها، في ذلك الحين، نفر قليل جداً من رجال الهجرة الثانية" 255.

لذا، فإن الوعي العربي خلال الهجرة الأولى، وما بعد عقد مؤتمر بال، كان ضعيفاً ومتأثراً بروح علاقات حسن الجوار السائدة بين الجانبيين، وبالبعد الإنساني لأسباب هجرة هؤلاء، وما الإشارات أو الدلائل التي تقدم على وجود مثل هذا الوعي المبكر الرافض للهجرة والاستيطان إلا محاولات فردية، أو ناجمة عن دافع اقتصادي أو اجتماعي، وليس عن وعي أبعد هذا الاستيطان وأخطاره وتنظيمه، ومنها المواجهات الدموية بين المستوطنين وجيروانهم العرب، التي تكشف عنها حوليات المستوطنين، التي أبرزتها في إطار السرقة والسلب وحتى القتل، ففي تقرير له أثناء تجواله في فلسطين عام 1898 كتب موتزكين (Le Motzkin) قائلاً: “في السنوات الأخيرة معارك لا تحصى بين اليهود والعرب، لكن مثل هذه الروايات يجب أن تعرض وفق سياق الوقت والمكان، مثل تلك المصادرات كانت تحدث ليس فقط بين العرب واليهود، بل وبشكل مماثل يحدث بين سكان القرية والقرى الأخرى”<sup>256</sup>.

إن تبدل الوعي العربي لخطر الهجرة والاستيطان اليهودي، لم يحدث إلا بعد إدراك حقيقة مغزى الاستيطان اليهودي في فلسطين والهجرة إليها، وذلك بعد أن أصبح انتشار الأفكار الصهيونية وسيطرتها يؤثر سلباً وتلقائياً في موقف اليهود من السكان العرب في البلاد. يؤكد صحة هذا القول، الإجابة عن التساؤلات التالية: هل جاء هذا التغيير فقط نتيجة انتشار الأفكار الصهيونية، وتوسيع نشاطها؟ أم أن الوجود اليهودي في فلسطين كان ينتظر فرصة لمؤسساته وتنظيمه في الإطار الذي ينبغي أن يكون عليه؟ الدليل على صحة ذلك، هو الأقليات اليهودية في البلاد العربية، فأين هي الآن؟، ولمن كان انتماها؟ حقيقة الأمر، أن الصهيونية هي الإطار الذي يقاس به الطموح اليهودي، وفيها وبغيرها كانت ستكون النتيجة واحدة، وهي السيطرة على فلسطين وتحقيق حلم اليهود، مهما اختلفت التسمية أو الوسيلة.

صحيح أن القرى العربية في المنطقة القرية كانت على علاقات طيبة جداً مع المستوطنات اليهودية، ولكن أخطار السطو كانت كثيرة في عهد الأتراك، لذا كان الكل يخشى أن يقع في أيدي اللصوص وقطاع الطرق، وقد تعرض دافيد بن غوريون لهذا الموقف، “إذ هاجمه ثلاثة من قطاع الطرق الملثمين (وفقاً لوصف براص)، وجرحوه بينما كان سائراً في أحد الأيام في طريقه من رحوبوت إلى يافا، وقد وجده أصدقاؤه الذين عادوا في المستشفى يقاسي من الإهانة الإنسانية التي تسببت له أكثر من جروحه التي أصيب بها”<sup>257</sup>.

كما كتب أحد الصهاينة ويدعى بيرغهام (Brigham))- والذي كانت له أملاك واسعة في فلسطين- يصف ردود الفعل تجاه الاستيطان اليهودي- الصهيوني قائلاً: “كان على أفراد عائلتي أن يدافعوا عن أملاكهم الجديدة باستمرار حتى الحرب العالمية الأولى، وبمختلف الوسائل الاجتماعية والسياسية والقانونية، ضد جبهتين: الطبقة العليا المحلية، وفلاحين القرية. وقد بدأت السلسلة الطويلة من الخصومات القضائية، برفض دفع الإكرامية (البخشيش) التي طلبها موظف الطابو (تسجيل الأراضي) في القدس، عمر أفندي الحسيني، عند تسجيل العقارات لأول مرة، وببدأ

الخصام مع الفلاحين، عندما أدرك هؤلاء أن مصيرهم سيغدو كمصير عمال الأرض التابعين لمالك أوروبي كبير".<sup>258</sup>

تكشف الصور التي قدمها المهاجرون لموقف العرب عن حالة رفض ونفور من وجودهم، ومثال ذلك ما قاله ريفون يوسف بيكونفينش من أن الشباب العربي في يافا كانوا معادين تجاه اليهود ومتغطرين، وكذبيرة وقائي صنع بعض الهراءات لخبيثه على نفسه وإخوانه بعد فترة قصيرة من الوصول، وعندما كانوا يسرون في الشوارع الضيقة في البلدات العربية المكتظة بالسكان، كانوا يضربون الهراءات على الأرض، ويشعرون بأن هذا إيحاء بالتحدي تكسبيهم احترام السكان.<sup>259</sup>

لذا، بدأت ردود فعل السكان العرب تعكس وعيًّا للخطر الذي ينطوي عليه الاستيطان الصهيوني في فلسطين، فتبه الفلاحون العرب إلى أولئك الغرباء الوافدين إلى أرضهم. ومن العوامل التي أسهمت في تنامي هذا الوعي، وتصاعد ردود الفعل حيالها، وجود المستوطنات الزراعية كواقع منبثق من وحي فكرة الغزو الصهيوني لفلسطين، وعزز ذلك خصوصاً في الريف. جهل المستوطنين اليهود اللغة العربية والعادات الاجتماعية والزراعية (اللمساع وحق المرور في أراضي الآخرين)، التي شكلت مصدر استفزاز للفلاحين العرب، سرعان ما تحول هذا الاحتكاك إلى صدام عنيف، عندما بدأ المستوطنون الجدد بإجلاء الفلاحين عن الأراضي التي اشتروها من ملاك وإقطاعيين ومن الحكومة<sup>260</sup>، فأصبحت مواقف السكان المحليين عدائية في بعض الأحيان، وأخذت المستوطنات تتعرض أحياناً للاعتداء، على الرغم من تدخل روتشفيلد، وهو ما أدى إلى خيبة أمل بعض المستوطنين، ورحيلهم.<sup>261</sup>

أضف إلى ذلك، إغراء المستوطنين اليهود المالكين العرب بما يمكن أن يحققونه من كسب مادي بابتياح أراضيهم التي كان الفلاحون يقيمون عليها ويحرثونها مقابل أجر أو حصة من المحاصيل، حيث وجد هؤلاء أنفسهم مجردين من حقوقهم، ومقطعين من الأرض.<sup>262</sup>

مع إعلان الصهيونية عن نواياها في مؤتمر بال وأهدافها الاستيطانية، ظهرت على الفور حركة الرفض والمقاومة من جانب السكان العرب للاستيطان الصهيوني، وحذر بعض المتفقين العرب من الأخطار التي يمكن أن تترتب على الهجرة، مما يبين أن الوعي العربي الفلسطيني لأبعاد تلك الحركة وأهدافها كان موجوداً.<sup>263</sup>

من أبرز مظاهر الوعي العربي المبكر للاستيطان الصهيوني، الخطوة التي قام بها مفتى القدس محمد طاهر الحسيني في محاربته الاستيطان الزراعي اليهودي حيث ترأس عام 1897 هيئة محلية ذات صلاحيات حكومية مهمتها التدقيق في طلبات نقل الملكية في متصرفية القدس، فحال بذلك دون استقرار المهاجرين ودون توظيفهم، وذلك من خلال تدقيق عقود الملكية.<sup>264</sup> وتكمّن أهمية هذه الهيئة في أنها أول عمل جمعي مؤسسي ومنظم ومبكر للرد على تنامي الهجرة والاستيطان، ولكن السؤال الذي يبرز هنا: لماذا لم تستمر مثل هذه الهيئة؟ ولماذا لم تدعم من الحكومة والشعب؟، ولماذا لم تعمم تجربتها على بقية فلسطين والدولة العثمانية؟

من ردود الفعل أيضاً، إرسال البرقيات والمذكرات وعرائض الشكوى والاحتجاج بعد انعقاد مؤتمر بال عالم 1897 إلى السلطان عبد الحميد الثاني، ورجال الحكومة في الأستانة والقدس، التي طلبت بوضع قيود على هجرة اليهود الروس، وحل مشكلتهم بتوطينهم خارج فلسطين. ثم توالت بعد ذلك ردود الفعل العربية؛ ففي عام 1898 احتج أهالي الناصرة ضد مستوطنة الهيكليين قرب السمونية، التي سرعان ما باعها بالفشل.<sup>265</sup>

تناولت صحيفة أبو نظارة في عددها الصادر في 4 نيسان/أبريل عام 1899، موضوع الهجرة من زاوية أخرى، وذلك بالحديث عن السلطان وأسلوب حكمه، واعتنائه بالناس، الأمر الذي شجع هجرة المضطهدين من اليهود إلى المملكة العثمانية، فقالت: "وردنا من التلغرافات الجديدة أن يهود أوروبا أخذوا يحتفلون ويخطبون الخطب حاثين بعضهم بعضاً على المهاجرة إلى الممالك المحررة ليتخلصوا من الاضطهاد التعصبي... وبالفعل هاجر منهم جمّع غير قاصدين التبعية العثمانية، لعلهم بعدم البحث والالتحاق والتعصب في الأديان والمذاهب".<sup>266</sup>

وفي نيسان/أبريل عام 1898 ردت صحيفة المقتطف على تساؤل أحد القراء حول استيطان اليهود في فلسطين بقولها: "إذا اتفق أغنياء اليهود في أوروبا على ابتياع الجانب الأكبر من أراضي فلسطين، ونقل إخوانهم الفقراء إليها، لم يتذرع عليهم ذلك، ولم يتذرع على هؤلاء الفقراء أن يعيشوا في فلسطين بالراحة والرخاء، لأن الأرض واسعة وخيراتها كثيرة، وكانت تموّل أضعاف سكانها الحاليين، ولكن بين ما يمكن للإنسان، وما يُقدم عليه بون شاسع".<sup>267</sup>

إن المتخصص ما تضمنه سؤال القارئ وردّ المجلة عليه، يلحظ أنها كانت عملية ترويج للاستيطان والصهيونية، أكثر منه تساؤل للحصول على معلومات ومدى اهتمام الصحف والأوساط العربية به، أي جسّ نبض لردة الفعل على النشاط الصهيوني المُقبل.

كتب الأب هنري لامنس في مجلة المشرق عام 1899 تحت عنوان "اليهود في فلسطين ومستعمراتهم" - تعليقاً على الأوامر العثمانية، ومخالفة اليهود نظام الدولة من خلال انتشارهم في فلسطين - فقال: "فكان ذلك داعياً لنا إلى البحث في المستعمرات اليهودية في فلسطين لنطلع القراء على عددها وشيء من أحوالها، مستدلين في ذلك إلى تقارير أعلنها اليهود في مجلاتهم منها "مجلة الجمعية الصهيونية". ليعرض لامنس بعد ذلك، وبالتفصيل المستعمرات اليهودية، التي أشار إلى أنها بلغت خمساً في يافا وضواحيها والقدس وصفد وبلاد بشارة وحيفا وملحقاتها".<sup>268</sup>

في آذار/مارس عام 1899 بعث يوسف ضياء الدين الخالدي رسالة إلى رئيس الحاخامين في فرنسا، سلمها بدوره إلى الزعيم الصهيوني هرتزل، أشار فيها إلى الخطر الذي يشكله التدفق المتزايد لليهود الأجانب إلى فلسطين واستقرارهم فيها، معرجاً عن مخاوفه من أن يعرّض ذلك التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين

واليهود للخطر، وبأن الحل يكون بالبحث عن مكان آخر للشعب اليهودي البائس، حيث هناك أماكن فارغة على الكرة الأرضية، وبهذا يكون الحل الأفضل للمسألة اليهودية 269.

إن هناك قضية مهمة أثارها مفتى القدس عام 1899، وذلك من خلال رسالة الاحتجاج التي بعث بها إلى الحكومة على القادمين الجدد من اليهود، مشيرًا إلى أن من يهاجر إلى فلسطين هم المجرمون والمبعدون. كما رفع أعيان القدس عريضة إلى الحكومة عام 1899، اشترطوا فيها أن يصبح اليهود رعايا عثمانيين للسماح لهم بالاستقرار في فلسطين 270.

في الوقت الذي كانت تتصاعد فيه ردود الفعل العربية، والوعي تجاه الهجرة والاستيطان الصهيوني، وجد بعضهم في هذه المستوطنات نموذجاً يثير الإعجاب، وأن لها تأثيراً إيجابياً في المجتمع ككل، ومثال ذلك ما كتبه الأمير شكيب أرسلان في صحيفة الأهرام في 15 آذار/مارس عام 1899 تحت عنوان "حيفا بيروت الصغيرة"، وذلك في معرض حديثه عن مستوطنة زمارين 271.

حاولت صحيفة المؤيد في عددها الصادر في 15 تشرين الأول/أكتوبر عام 1899 272، أن تتبه إلى خطر الهجرة اليهودية، وتدعياتها فقالت: "وقد جذبهم معتقداتهم الدينية، فعزم الكثير على المهاجرة إلى أنحاء القدس، وتوطن كثير منهم في كل الجهات". كما حذرت الصحيفة الحكومة من ضرر هذه الهجرة على مصالح الأمة والدولة، وبأن القدس ستصبح في يوم ما بيد اليهود، "إذ ليس للدولة حاجة في إيجاد مسألة يهودية" 273.

في الوقت الذي أشادت فيه الصحيفة بالأوامر التي تصدرها الحكومة من وقت إلى آخر، إلا أنها نبهت إلى تسهيل بعض المأمورين للمهاجرين الدخول إلى الموانئ، ورأت الحل الأمثل لتجنب ذلك بأن تقوم الحكومة "بمنع إدخالهم بتعيين بوليس في يافا وحيفا وصفد من ذوي العظمة والشهامة والإخلاص للدولة" 274.

تكمّن أهمية هذا المقال، في أنه يعكس وعيًا عميقاً لخطر الهجرة اليهودية، وذلك من خلال النقاط التالية:

- الرابط بين مصلحة الأمة والدولة.

- توضيح حقيقة خطر المسألة على المدى البعيد، وليس في الوقت الآني.

- طرح المسألة من منظور سياسي إثني، حيث إن تجاهل خطر الهجرة والاستيطان سيخلق للدولة مشكلة جديدة هي المسألة اليهودية التي ستصبح كالمسألة الأرمنية والبلقانية وغيرها.

أوردت صحيفة الهدى في 12 كانون الأول/ديسمبر عام 1900 التعليمات التي أصدرها السلطان عبد الحميد الثاني، التي يمنع بموجبها الزوار اليهود من الإقامة في القدس أكثر من ثلاثة أسابيع 275. وبررت صحيفة المقطم في 9 كانون الثاني/يناير عام 1901 إصداره، بقولها: "إن مهاجرة الإسرائيليين أفواجاً من روسيا

ورومانيا أقفلت الحكومة العثمانية، فخشيت أن يذهب السواد الأعظم منهم إلى فلسطين، وتنسع الدسائس السياسية فيها".<sup>276</sup>

وأشارت صحيفة الهدى إلى القانون في 21 تموز/يوليو عام 1901، وذلك في معرض حديثها عن الأميركيان الذين كانوا سابقاً رعايا للدولة التركية، فأكملت أن اليهود حُرِّم عليهم الاستعمار في البلاد التي تحت سيطرة الحكومة التركية.<sup>277</sup> ونشرت الصحيفة ذاتها في 20 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1901 أوامر السلطان الصادرة إلى الولاية لإنفاذ إرادته بهذا الخصوص، حيث أكدت الصحيفة أن الغاية من ذلك، منع توطن المهاجرين الإسرائيليين من روسيا ورومانيا في أرض السلطنة.<sup>278</sup>

كان ارتباط العرب خارج فلسطين بما يحدث فيها قوياً، وكانوا على اطلاع على كل ما يتعلق بالاستيطان والهجرة اليهودية، وذلك من خلال وجود جماعة كبيرة من السوريين في القاهرة، وكذلك التقارير التي كانت تعرضها الصحف العربية حول النشاط الصهيوني في فلسطين، والتي كانت تصل إلى أبعد نقطة تتواجد فيها جاليات عربية كنيويورك. أضاف إلى ذلك، التقارير الرسمية حول الهجرة والاستيطان اليهودي التي كانت ترسل إلى بيروت ودمشق، ويطلع عليها الموظفون العرب في المراكز العليا والوسطى في الإدارات المحلية. على سبيل المثال، جمع الموظفون العرب في القدس في عام 1901 توقيع للاعتراف على دمج قوانين دخول اليهود وشراء الأراضي، التي أعطت اليهود حقوقاً متساوية كرعايا عثمانيين لشراء الأراضي الأميرية، واعتبروا هذه القوانين أمراً غير مرغوب فيه، وكذلك فعل الموظفون في بيروت الذين امتنعوا عن نشر هذه القوانين للسبب ذاته.<sup>279</sup>

وفي مقال للصحفي سليم قبعين بعنوان "بلدان فلسطين يصفها فلسطيني"، نشرته مجلة الجامعة في كانون الثاني/يناير عام 1902، قدم خلاله صورة للأوضاع التي كانت عليها بلدة طبريا، فيقول: "أكثر سكان طبريا اليوم من اليهود الذين يتقاطرون إليها من جميع أطراف المعمورة لاستيطانها، وبالإجمال فإن طبريا (بلدة إسرائيلية)، لذلك نرى جميع أسواقها مقلة يوم السبت"<sup>280</sup>، وتكمّن أهمية هذا المقال في أنه إشارة واضحة وصرحة ومبكرة جداً إلى حقيقة لا تحتمل ازدواجية المعنى والدلالة، ألا وهي التهويد التدريجي للمدن الفلسطينية والمستوطنات التي كان يقيمها الصهاينة في تلك المرحلة.

لعلها الصدفة التي قبضت بأن يتزامن مقال قبعين هذا، مع إصدار هرتزل روايته الأرض القديمة الجديدة التي نشرها عام 1902، وحاول أن يقدم من خلالها عرضاً لرؤيته لما ستكون عليه فلسطين الصهيونية بعد عشرين عام من الاستيطان اليهودي، حيث الدولة تمتلك عناصر المدينة الفاضلة كافة، وهي مزدهرة اقتصادياً، يسودها التسامح وعلاقات حسن الجوار مع العرب في ظل الصهيونية المتمالية، وأوضح أفكاره هذه من خلال إحدى شخصيات الرواية، وهو رشيد بك- الذي عرّفه هرتزل- بأنه شخص عربي "تعلم في برلين، وكان أبوه أحد أولئك الذين أدركوا مبكراً فائدة الهجرة اليهودية، فساهم في نشاطنا الاقتصادي فأصبح غنياً، ولا يفوتي أن أقول إن رشيد هو عضو في مجتمعنا الجديد".<sup>281</sup>

يترسل هرتزل -على لسان رشيد بك - في تقديم موصفات مدinetه الفاضلة، فيقول: "نحن المسلمين كان لدينا دائماً أفضل العلاقات مع اليهود، أكثر من المسيحيين، عندما قامت المستوطنة اليهودية الأولى هنا، قبل نصف قرن، نصف العرب ذهبوا إلى اليهود للتحكيم بينهم، لقد أغنانا اليهود، فعلم نتدرم منهم، إنهم يعيشون معنا كأخوة، وبالنسبة للدين فيمكن أن تجد هنا إلى جانب الكنس اليهودية الكنائس المسيحية والمساجد الإسلامية والمعابد البوذية والبراهيمية، أما المنظر الكبير منظر التعايش السلمي بين الأديان، فهو في أورشليم".<sup>282</sup>

في مقابل هذه الصورة المشرقة التي قدمها هرتزل لمجتمع المستوطنات الجديد، عرض صورة للأوضاع السيئة التي كان يعيشها أهل فلسطين خارج هذه المستوطنات، فيقول على لسان إحدى شخصيات الرواية: "أمضينا بضعة أيام في أرض فلسطين إسرائيل القديمة، لقد تركت يافا انطباعاً غير مستحب، كل ما فيها كان مهماً، الأرقة مليئة بالروائح الكريهة، قذرة مهملة، وحيثما كنت تتجه ببصرك لا ترى غير الفقير: أترالك فقراء، عرب جياع ويهود فرعون عاطلون عن العمل، كلهم كسالي فقراء فاقدو الأمل، ورائحة العفونة كرائحة القبور تكتم الأنفاس... وفي طريق متداع إلى أورشليم، لم يريا غير مناظر بؤس رهيب، فأراضي السهل كلها تقرباً رمالاً ومستنقعات، والحقول البائسة بدت وكأن النار قد التهمتها.. قرى عربية بدائية بسكانها من الفقراء.. أطفال يلعبون بتراب الشوارع وهم عراة، وفي الأفق البعيد تبدو جبال يهودا الجرداء".<sup>283</sup>

### ثانياً: الوعي العربي لخطر الاستيطان والهجرة من 1904-1908

مع بداية هذه المرحلة، تجددت موجات الهجرة اليهودية الصهيونية- والتي استمرت حتى عام 1914 وهو ما عرف بالهجرة الثانية التي امتازت عن سابقتها بما ترتب عليها من نتائج؛ إذ أدت إلى تسارع نمو المستوطنات اليهودية التي أخذت بالتحول النوعي إلى مستعمرات صهيونية فعلية ذات أهداف سياسية واضحة من أجل بناء مجتمع جديد<sup>284</sup>، بلغ عدد المهاجرين خلالها عشرون ألفاً، أغلبهم من يهود روسيا<sup>285</sup>، يعتقدون أفكاراً جديدة تمثلت بتشكيل أحزاب ومنظماً خاصة بهم، انطلاقاً من فكرة العمل الذاتي<sup>286</sup>، فوصل عدد اليهود المهاجرين إلى فلسطين عام 1905 إلى 3450 يهودياً<sup>287</sup>.

تزامن ذلك كله، مع تعيين متصرف جديد في القدس عام 1904 وهو رشيد بك الذي كان داعماً للاستيطان اليهودي في فلسطين ومؤيداً له، ووجد في بعض التغرات القانونية منفذًا للتحايل على تطبيق القوانين والتعليمات الحكومية بهذا الشأن، فكتب إلى الباب العالي معللاً موقفه بأن حصول أغلبية اليهود على الجنسية الأجنبية يحول دون مغادرتهم فلسطين بعد إقامتهم مدة الثلاثة شهور التي نص عليها القانون، وذلك لمعارضة القنصلين مغادرتهم<sup>288</sup>.

يذكر نجيب عازوري في كتابه يقطة الأمة العربية حادثة يحاول من خلالها إظهار ضعف الاهتمام الرسمي التركي بموضوع الصهيونية ونشاطها الاستيطاني، فيقول: "أرسل السلطان أخيراً في كانون الثاني/يناير عام 1904 مفتشاً عاماً تركياً إلى

سورية وفلسطين ليدرس الوضع السياسي في هاتين المقاطعتين، وفي إحدى الأمسيات بينما كان يلعب "البكارا" عند كاظم بك، تحدث رجل أمن صدفة عن مستعمرة إسرائيلية مجاورة، وبعد أن كان هذا الموظف العالي قد قضى ستة أشهر في بيروت والقدس من دون أن يهتم بمسألة اليهود، كتب تقريراً عن الاستعمار الصهيوني في فلسطين، وعاد إلى القسطنطينية بعد أسبوع<sup>289</sup>.

انعقد في عام 1905 المؤتمر الصهيوني السابع، الذي قرر أن تكون فلسطين الوطن القومي، وأكَّد على ضرورة الاستيطان واتباع النهج العملي من أجل الإسراع في فرض أمر واقع صهيوني على الأرض الفلسطينية، لذا قرر المؤتمر توسيع نطاق الاستيطان الزراعي في فلسطين<sup>290</sup>.

كان الفلاحون الأكثر تأثراً وتلمساً لأنَّار الهجرة الثانية والاستيطان الصهيوني، لذا اتسمت مقاومتهم بالعنف، وعبروا في أكثر من مناسبة عن معارضتهم لها<sup>291</sup>، إذ رأوا فيها اقتلاعاً لهم من أراضيهم وحرمانهم من العيش<sup>292</sup>، فقد كانوا يعملون في أراضي المالك الكبير بالأجرة أو المشاركة، فلما انتقلت ملكية هذه الأراضي إلى المستوطنين اليهود أصبحوا بلا عمل أو مأوى، ورغم الاستغاثات المتكررة للمزارعين العرب، فإنَّ أصواتهم لم تكن لتصل إلى مسامع السلطات العثمانية، ولذا اضطروا إلى مقاومة تلك التطورات الجديدة بما لديهم من إمكانات بسيطة، وافتقارهم إلى قيادة واعية، حيث حاول هؤلاء التثبت بالأرض التي طردوا منها فهاجموا المستعمرات اليهودية، لكنهم اصطدموا بعقبات غير متوقعة، فالمستعمرات اليهودية كانت مزودة بالأسلحة النارية، ونجح القائمون عليها بتضليل السلطات المحلية العثمانية بتصوير مقاومة المزارعين العرب على أنها خروج على القانون والنظام، واعتداء على أصحاب الأرض الشرعيين<sup>293</sup>، ونجد صورة واضحة لهذا الوضع في ما ورد في يوميات المستوطنين الصهاينة، كذلك التي أوردها يوسف براص في كتابه "قرية على ضفاف الأردن"، وفي أكثر من موضع، ومما أورده في هذا السياق قوله: "إنه مما زاد الأوضاع سوءاً في تلك الفترة (1906)، في مزرعة كنيرت أن قبائل البدو المجاورة كانت تكمن لرجال التلة في الطرقات، وكثيراً ما أشعل أفراد هذه القبائل النار في بيوthem، ولكن الزملاء صمدوا في المكان"<sup>294</sup>.

نجم عن هذه الظروف زيادة في الوعي العربي لخطر الهجرة، وما ترتب عليها من توسيع في الاستيطان، وخصوصاً مع اطلاع المثقفين العرب على المخططات الصهيونية<sup>295</sup>، فأدى ذلك إلى تزايد ردود الفعل العربية، الأمر الذي تتبه إليه بعض الصهاينة، فطالبوا بضرورة الاهتمام بمشاعر العرب ومصالحهم، وظهرت أصوات جديدة تدعى إلى الاهتمام بالعرب كقوة سياسية بدلاً من التوجه إلى الباب العالي<sup>296</sup>.

من تصدى لهذه الهجرة، سعيد الحسيني الذي انتخب عام 1905 رئيساً لمجلس بلدية القدس، فأظهر مقاومة للصهيونية عموماً، وللهرة اليهودية خصوصاً، ساعد على ذلك معرفته العربية، وعمله كموظف في قسم الرقابة لمراجعة صحيفة عبرية محلية<sup>297</sup>.

يكشف التقرير الذي بعث به متصرف يافا وقائماتها محمد آصف باشا، في 26 حزيران/يونيو عام 1906 إلى متصرف القدس أكرم بك، قوله من الآلية التي كان يتبعها المهاجرون اليهود- الذين وصفهم بالجملة الخبيثة- للدخول إلى فلسطين والاستيطان فيها، وذلك "من طريق شركات معينة مثل شركة روتشيلد، فيسكنون ويشترون الأراضي الأميرية ويزرعون الأشجار من دون إذن مسبق من السلطات، ويتم ذلك من طريق الحيل والدسائس بحجة أنها أرض ملك صرف، ويقيمون عليها القرى اليهودية، محتالين على القانون الذي يشترط الإذن المسبق قبل إقامة أي بناء، وينشئون البناء من 15-20 داراً من دون رخصة، وبهذه الطريقة يقيمون مئات العمارات"، ولينهي تقريره هذا بالإشادة بجهود متصرف القدس السابق رؤوف باشا في التصدي لمحاولاتهم هذه والحد منها.<sup>298</sup>

صحيفة الأهرام القاهرة تابعت دخول اليهود إلى فلسطين، وذلك من خلال مراسلها هناك، وفي أكثر من عدد من أعدادها؛ ففي رسالة له من يافا بتاريخ 11 أيار/مايو عام 1906 كتب يقول: "لقد أصبح توافد اليهود الروس إلى بلادنا عظيماً، ففي كل باخرة يحضر عدد كثير منهم، حتى كادت يافا والقدس تضيقان بهم، ومأمور التذاكر على الرصيف وأعوانه يمهدون لهم سبيل الدخول لقاء عشر فرنكات، يدفعها كل مهاجر، والأمة الإسرائيلية تتهالك في سبيل استيطان فلسطين".<sup>299</sup>

إن في ما قاله هذا المراسل دلالات مهمة، فهو يشير إلى الكم الهائل للقادمين من اليهود، وإلى استيطانهم في مناطق معينة وهي يافا والقدس، وكذلك ضعف الالتزام بالتعليمات الرسمية بهذا الخصوص، وتواطؤ الموظفين في التغاضي عنها مقابل مبالغ معينة، ولا سيما أن اليهود على أتم الاستعداد لدفعها مهما بلغت، لتهالكم على استعمار فلسطين.

كان الوجود اليهودي في بعض المدن والقرى الفلسطينية يلفت نظر زوارها، وهو ما أشار إليه الخوري إبراهيم حرفوش- أحد كتاب مجلة المشرق- في وصفه مدينة صفد عام 1906، فذكر " بأن اليهود فيها اعتادوا خطة لم يألفها غيرهم من جنسهم وهي البطالة، وإن ما حملهم على ذلك ما كان يصل إليهم من المساعدات المالية من صناديق الجمعيات الخيرية".<sup>300</sup>

لم تكن النظرة العربية إلى الهجرة والاستيطان الصهيوني سواء؛ ففي حين عارضه بعضهم وحاربه، لم ير بعضهم به ضيراً، بل وجدوا فيه فوائد وميزات يمكن أن تعود على العرب بالخير، فكتب سليم قبعين في 12 كانون الثاني/يناير عام 1905 يقول: "إن الاستعمار الإسرائيلي لفلسطين أفضل بكثير من استعمار الألمان بعض جهات حيفا والقدس ويافا، لأن اليهود لا دولة لهم ترسل بوارجها، كما فعلت ألمانيا عندما أرسلت طرادين كادا أن يرسلا كراحتهما على حيفا وعكا بعد وقوع معركة بين الأهالي والألمان بسبب اعتداءات الآخرين عليهم".<sup>301</sup>

المفارقة هنا أن سليم قبعين هو ذاته الذي كان كتب عام 1902- وفقاً لما سبق ذكره- عن الهجرة والاستيطان، وتحول طبريا إلى بلدة إسرائيلية؟<sup>302</sup>

شاركت قبيعَنَ في هذه الرؤية صحفة النصير - وكان صاحبها إيليا زكا مقرباً من الحركة الصهيونية وتعاون معهم- فنشرت عدة مقالات عام 1906 في مدح الاستيطان، استحقت بسببها لقب الصحيفة المأجورة، ومع ذلك استمرت وصاحبها في علاقتها مع الصهيونية، فكان معظم المشتركون من الصهاينة وأصحاب الإعلانات، لذا كانت تصدر أحياناً بملحق عربى303.

كان لأحد الأشخاص ويدعى فريد قصاب وهو مسيحي أرثوذكسي من بيروت، الموقف ذاته؛ ففي عام 1906 كتب يصف المستوطنين "بأنهم مسالمون ولا يثرون الاستياء، وأصبحوا رعايا عثمانيين مخلصين من دون طموح لاستقلال قومي في فلسطين"304.

وكان لبعض الصحف دور بارز في الترويج للهجرة، لهجرة اليهود إلى تركيا، وما يمكن أن تتحققه من فوائد، كصحيفة جون ترك التي كان يحررها جلال نوري، ومالكها اليهودي الألماني هو خبر غ305.

تطور جديد شهدته عام 1907 تمثل بقيام مجموعة من المهاجرين القادمين من روسيا- وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم "مجموعة الدفاع الذاتي" ، واستوطنوا في مستوطنة سجرا- بتشكيل تنظيم سري، وكان شعارهم: "بالدم والنار سقطت يهودا وبالدم والنار يهودا تقوم" ، ومن أبرز قادته إسرائيل شوحاط وإسحق بن تسيفي وديفيد بن غوريون306، وكان في مقدم اهتماماتهم احتلال العمل والحراسة وإقامة مستوطنات زراعية307.

كما انعقد في آب/أغسطس عام 1907 المؤتمر الصهيوني الثامن في لاهاي، حيث سويت الخلافات بين تيار السياسيين وتيار الصهيونيين العمليين308، وتم التوصل إلى اتفاق على دمج التيارين بهدف الحصول على الشرعية السياسية، وتنشيط الهجرة والاستيطان في فلسطين بشتى الوسائل309.

### ثالثاً: الوعي العربي لخطر الهجرة والاستيطان الصهيوني من 1908-1914

شهدت السنوات الأخيرة من حكم السلطان عبد الحميد الثاني زيادة في عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين واستيطانهم فيها، وذلك على الرغم من القيود والفرمانات التي كانت تصدرها الحكومة التركية آنذاك، وقد أسفرت هذه الزيادة عن تغير الأوضاع الديمografية فيها، فارتفع عدد اليهود إلى ثلاثة أضعاف ما كانوا عليه في بداية حكمه، وكانت المدن أكثر عرضة للزيادة نتيجة الهجرة إليها من الريف ومن خارج البلاد، ووصل عدد سكان المدن الفلسطينية من اليهود عام 1908 إلى نحو ثلث مجموع عدد السكان، بعد أن كانوا نحو الربع فقط، في بداية عهد السلطان عبد الحميد310.

جرت خلال عام 1908 سلسلة من التغيرات التي أثرت بصورة مباشرة على موضوع تامي الهجرة اليهودية والاستيطان، فكانت هناك ثورة الاتحاديين على السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908، حيث كان لليهود الصهاينة دور بارز فيها، وهو ما انعكس إيجاباً على موقف المستوطنين في فلسطين منها فاندفعوا إلى تأييدها

311، وهو ما أثار دهشة العرب، التي سرعان ما زالت، بعد ما أسفرت عنه ثورة عام 1908 الدستورية من سيطرة الاتحاديين على الحكم، وتزايد تعاونهم مع الصهاينة، مما أدى إلى تخفيف القيود المتعلقة بهجرة اليهود إلى فلسطين 312، الأمر الذي ولد مخاوف لدى العرب من توسيع المجتمع اليهودي في فلسطين وتتمامي العداوة تجاهه 313. كان لهذه المخاوف ما يبررها، فقد نجح الصهاينة في زيادة عدد المهاجرين 314، على الرغم من التزام السلطات المحلية بالقيود السابقة، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود تساهل حكومي تجاه هذه القيود 315؛ فحكومة الاتحاديين وإن كانت رفضت منح ضمان خطي للصهاينة، لكنها سهلت عمليات الهجرة والاستيطان وتغاضت عنها 316، فقد تكون الرقابة والحرص على تطبيق القوانين والتعليمات المتعلقة بمنع الهجرة اليهودية غير فاعلة، وعديمة الفعّل خلال عهد السلطان عبد الحميد، ولكن كانت هناك مظلة قانونية تمنعها، يحتمل إليها إذا ما وجد من يخلص في تطبيقها، في حين أن هذه المظلة انتقت بقدوم الاتحاديين، وذلك بعد إلغاء تلك القوانين والتعليمات.

في ذلك العام أيضاً، هاجرت الموجة الثانية من الهجرة الثانية إلى فلسطين، وقد حملت هذه الموجة معها فكرة العنف المسلح لفرض وجودهم القسري على السكان، ووضعت حجر الأساس للمنظمات الإرهابية 317.

كما بدأ في مطلع عام 1908 العمل على إنشاء تل أبيب أو (تل الربيع) كحي يهودي في شمال يافا، وأقيمت مدرسة البنات والبنين على الحدود بين يافا وتل أبيب، ثم شيدت المدرسة الثانوية هرتسليا وبعض البيوت الخاصة حولها 318. بعد أن تزايد عدد مستوطنيها واتسعت مساحتها في ما بعد، قامت الحركة الصهيونية بوضع خطة لدمجها مع مستوطنة المنشية، التي أنشئت عام 1888، وذلك لجعلها مدينة كبيرة مستقلة استقلالاً تماماً من يافا 319.

يتضح حجم الوعي العربي لمثل هذا الإنجاز الصهيوني من خلال الدور الذي كان لبعض العرب في بناء تل أبيب، الذي يصفه أحد المستوطنين الصهاينة بقوله: "وبعد ضغط وإلحاح وافق المقاول على قبول بعض الدقائقين اليهود للعمل عنده، وقد رشحت نفسي، واشتغل عدّاً في أعمال بناء تل أبيب دقان عريان وخمسون دقاناً عربياً، كانت نظرة العمال العرب إليها مشوّبة بالريب، لأنهم كانوا يرون فينا منافسين، ولم تكن نظرة المقاول إلينا بأفضل" 320.

كما طرأ خلال هذه المرحلة تحول في الدور الذي كانت تمارسه المستوطنات الثلاث (القدس، يافا، الخليل)، الذي لم يعد يقتصر على إيواء جموع المستوطنين فحسب، بل اتّخذت أوّل كاراً لأعضاء الحركة الصهيونية وشركاتها وبنوكها وجمعياتها ووكالاتها للانطلاق لشراء الأراضي في الأرياف وديار العربان وبناء المستوطنات 321.

كما كان عام 1908 بداية النشاط الاستيطاني المنظم من قبل الحركة الصهيونية، فأُنشئت من أجل هذه الغاية مكتب فلسطين (The Palestine Office) 322، وقد

تولى إدارته الروسي آرثر روبين (Arthur Robin)، وبعد هذا المكتب من أهم المؤسسات الصهيونية ميدانياً في هذه المرحلة 323، وأضيف إليه ذراعان تنفيذيان: الصندوق القومي اليهودي الذي سبق أن تأسس عام 1901 بهدف شراء الأراضي من أجل ملكية قومية وإقامة المستوطنات عليها وبقي ممتدًا حتى عام 1908، وشركة تطوير أراضي فلسطين التي أُسست كشركة أسمهم، والهدف منها شراء الأراضي وتحضيرها للاستيطان لتعطية احتياجات الصندوق القومي اليهودي والأفراد 324. وقد نجح الصهاينة خلال عام 1908 في تأسيس ثلاث مستعمرات دفعة واحدة 325.

أدت هذه التطورات إلى تحول نوعي في الوعي العربي لخطر الهجرة والاستيطان الصهيوني، فشتنت الصحف الفلسطينية في الأشهر الأولى من العهد الدستوري هجوماً منتظماً على نشاطات صناديق الاستيطان اليهودية 326.

أُرسل في العام ذاته بيان موقع من شخصيات فلسطينية إلى مجلس المبعوثان ونواب فلسطين، حذروا فيه من سعي اليهود الصهاينة إلى استعمار البلاد وإخراج أهلها منها، أو تحويلهم إلى عبيد وخدم لهم، وطالبوا الحكومة بإعادة قانون المهاجرة، وقانون الورقة الحمراء، الذي كان يقضي بعدم إقامة اليهود الأجانب في فلسطين لأكثر من ثلاثة أشهر 327، كما طالبوا في ختامه بالعمل على تقوية الجبهة الداخلية من خلال تنشيط التجارة والصناعة الوطنية، وبيع الأراضي وعدم الهجرة من فلسطين، وغرس حب العمل في الزراعة والتجارة والصناعة، وخصوصاً لدى الناشئة 328.

من النتائج المترتبة على التطورات التي شهدتها عام 1908، التحول في نوعية العلاقة بين الجانبيين العربي واليهودي الصهيوني، والتي أخذت تميل إلى العنف والمواجهات المسلحة 329، فشهد عام 1908 وبدايات عام 1909 نزاعات واشتباكات مسلحة بين العرب واليهود في المستوطنات والمدن الفلسطينية، أسفرت عن سقوط عدد من القتلى 330.

أكدت التقارير الواردة في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1908، تزايد عداء الفلاحين في منطقة حifa وطبرية للملاكين العرب والمستوطنين اليهود 331.

وفي كانون الأول/ديسمبر عام 1908، حاول عدد من أهالي قرية كفركنا الاستيلاء على بعض الأراضي في غزة طبريا، تعود ملكيتها للجمعية اليهودية الاستيطانية 332.

وخلال عام 1909، استمرت المواجهات بين المستعمرات وأهالي سجرة، علىخلفية خلاف حول مطالبتهم جيرانهم المستعمرات بأحراج ومراع وأراضٍ مختلفة. وكذلك مطالبة أهالي كفركنا بدم أحد أبنائهم، الذي قتل على يد المستوطنين، وحقوق في أراضٍ، وقد وصف بن غوريون الغارات على مستعمرة سجرة بأنها شرسة وقاسية 333.

أدت هذه الاعتداءات إلى عقد المؤتمر التأسيسي لمنظمة هشومير (الحارس) في نيسان/أبريل عام 1909 في مستعمرة مسحة (الجليل الأسفل)<sup>334</sup>، وإنشاء منظمة تتولى حراسة المستعمرات وتدريب الحراس، وعلى الرغم من تعثر أعمال هذه المنظمة في بداية الأمر، نتيجة نظرتها الاستعلائية، و المعارضة المستوطنين القدامى وال فلاحين العرب، إلا أنها نجحت في طرد الفلاحين العرب من أراضي الملاكين الغائبين الذين باعوا أراضيهم للصندوق القومي اليهودي<sup>335</sup>.

استغل الصهاينة مذبحة الأرمن التي جرت عام 1909، وأشاعوا بأن العرب سيقومون بالعمل ذاته بحقهم<sup>336</sup>، كما تذمروا بانتقاضة الفلاحين العرب في شمال فلسطين لحمل قائمقام طبرية على السماح لهم بتشكيل وحدات مسلحة من الحرس اليهودي للدفاع عن أنفسهم<sup>337</sup>، وجاء هذا السماح على الرغم من تحفظ الحكومة التركية على نشاطات (منظمة هشومير)، وعدم حماستها لتشكيل الجيوش الخاصة في المملكة<sup>338</sup>. وقد وجد الصهاينة في هذا القرار فرصة لحمل السلاح علانية بحجة الدفاع عن النفس، وذلك على الرغم من أن المستعمرات كانت مليئة بالسلاح .<sup>339</sup>

تتالت بعد ذلك حوادث الصدام المسلح بين الجانبين؛ ففي قرية مصبة أطلق النار على أحد العمال اليهود الذي يعمل عند أحد الفلاحين، من قبل أحد الجيران العرب في طريق سجراة- مصبة، فأصابت الرصاصات أماكن مختلفة من جسمه توفى في إثرها<sup>340</sup>.

يتضح التحول في الوعي العربي تجاه مسألة الاستيطان والهجرة، والذي اتسم بالعنف والحدّة، من خلال ما جاء في مذكرات بعض المستوطنين، فاعتبر أحدهم عام 1909 عام المضايقات والعرافيل، ويفسّر ذلك بقوله: "الحياة لم تكن آمنة، وكانت اليد الواحدة تمسك بالمحراث، والأخرى على المسدس، وتشبّع جو الجليل كله برائحة البارود، وعانت (مستوطنة كنيرت) كثيراً من حسد قبيلة "عرب الدلايقة"، فكان هؤلاء البدو يهاجمون المستوطنين في الطرق والحقول، ويشعّلون النار في البيدر، ويقلّون الراحة ليل نهار، فتتعرّض صفو الأمان أيضاً في سائر مستوطنات الجليل. وفي سجراة، نشبّت نزاعات بين اليهود والمواطنين العرب في القرية المجاورة للمستوطنة، إذ انقضوا على قطيع المستوطنة وأغاروا على حقولها، وفي آخر أيام عيد الفصح من ذلك العام قتل في سجراة أحد الحراس على يد أحد الفلاحين".<sup>341</sup>

ساهم مسلحو منظمة (هشومير) عام 1909 في السيطرة على أراضي مستعمرة دجانايا(جنوب بحيرة طبريا)، وتنبّيت المستوطنين فيها، وذلك على الرغم من مقاومة الفلاحين العرب، وكذلك فعل مستوطنو الخضيرة مع سكان القرى المجاورة، إذ نشبّت معركة بشأن أرض يقيم عليها فلاحون عرب، ونجح المستوطنون بدعم من المنظمة في طرد هم منها، بعد وقوع عدد من الإصابات في الجانبين، وفي النهاية استولى مستوطنو الخضيرة على الأرض<sup>342</sup>، وقد تم تصوير هذه العلاقة بين الطرفين من قبل سميلانسكي (Moshe Smilansky) في قصة نشرت عام 1909 بعنوان "الشيخ عبد القادر".<sup>343</sup>

في مقارنة لما أصبح عليه الوضع بعد عام 1908، وخصوصاً العلاقة بين العرب والمستوطنين، وتشكيلهم منظمات شبه عسكرية للرد على رفض العرب وجودهم، نجد الصورة مناقضة تماماً لما حدث عام 1886، وذلك بعد الصدام المسلح الذي حدث في مستوطنة بتاح تكفا بين اليهود والعرب، إذ أصر المستوطنون على أن تقوم المصالحة على دعوة العرب إلى القهوة في مستوطنتهم<sup>344</sup>.

مهما يكن من أمر، فقد استمرت حالة الوعي والتحذير من خطر الهجرة والاستيطان؛ فروحى الخالدي حاول إثارة الموضوع بصورة مباشرة في كتابه عن الصهيونية، وذلك من خلال التساؤل: الهجرة إلى أين؟ مجيباً على هذا السؤال بتصنيف المهاجرين اليهود- من روسيا تحديداً- إلى فتنين: الأولى طلبة المدارس وأصحاب العلم والفكر، وهذه توجهت إلى فلسطين منذ العام 1881؛ والثانية فئة العمال، والتي هاجرت إلى أمريكا<sup>345</sup>.

ومن جانبهم، طالب مبعوثو القدس، خلال جلسات المجلس عامي 1908-1909، الحكومة باتخاذ التدابير الفاعلة لوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين<sup>346</sup>، فطالب نائب يافا حافظ السعيد في إحدى جلسات المجلس عام 1909 بإغلاق ميناء يافا في وجه اليهود، ولا سيما تل أبيب التي كانت في مستهل بنائها في تلك السنة<sup>347</sup>، ولكن على الرغم من تصريحاته هذه، وموافقه المعادية عموماً، عُرف عنه المهادنة والاعتدال إذا ما قورن بموافقات زميليه روحى الخالدي وسعيد الحسيني، فوصفه الصهاينة بأنه من ذوي المواقف المعتدلة حيال الاستيطان<sup>348</sup>. ويبقى السؤال هنا: هل كانت إثارته القضية من باب الالتزام تجاه ناخبيه؟ أم ناجمة عن إحساس بالخطر الحقيقي للاستيطان، وخصوصاً في ما يتعلق بحساسية المنطقة الجغرافية التي يمثلها، وهي يافا؟

أدى إصرار النواب العرب خلال عام 1909 على مطالبهم بعدم السماح للمهاجرين بالاستيطان إلى إعادة الحكومة العمل بالقيود التي كانت فرضتها في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1900<sup>349</sup>، وقد اعترض نائب القدس روحى الخالدي على التدابير التي اتخذتها الحكومة العثمانية لتنقييد الهجرة اليهودية لأنها غير مجديّة، "إذ اتخاذها المأمورون وساطة للرشوة والغش، ولم تمنع اليهود من التوطن في فلسطين"<sup>350</sup>.

مما أسهم في زيادة الوعي والسخط ضد الهجرة اليهودية والاستيطان، خلال عام 1909، إصدار نجيب نصار صحيفة الكرمل، في كانون الأول/ديسمبر عام 1908<sup>351</sup>، التي أصبحت منبراً لمهاجمة الصهيونية ومخططاتها عموماً، والهجرة اليهودية والاستيطان خصوصاً.

أثارت العلاقة بين الصهاينة والاتحاديين الوعي العربي تجاه مسألة الهجرة والاستيطان؛ فرفيق العظم لفت انتباهه، خلال زيارته الأستانة في آب/اغسطس عام 1909 نفوذ اليهود الدونمة داخل جمعية الاتحاد والترقي، وثقة الاتحاديين بهم، وهو ما دفعه إلى التخوف من انعكاس هذه العلاقة على زيادة أعداد المهاجرين اليهود الأجانب إلى البلاد العثمانية، وذلك من دون أن يحدد فلسطين بعينها<sup>352</sup>.

كما علقت مجلة المقتطف في تشرين الأول/أكتوبر عام 1909 على الدور الذي أداه يهود الدونمة في ثورة الاتحاديين، وأثر ذلك في زيادة الهجرة، فقالت: “ولذلك لا يبعد أن تكثُر مهاجرة إخوانهم الغرباء إلى البلاد العربية، واستعمارهم الأراضي البائرة الآن، التي ليست أهلة بالسكان”.<sup>353</sup>

يلاحظ في قول الصحيفة هذا- ذات التوجه الصهيوني- محاولة لدس السم بالدسم؛ إذ حاولت في البداية وصف المهاجرين بإخوانهم الغرباء، لتخلق نوعاً من التعاطف تجاههم، ثم تأكيدتها أن استيطانهم وإقامتهم ستكون في الأراضي البائرة الخالية من السكان، والواقع آنذاك يكذب مثل هذه المقوله، لأن المهاجرين اليهود استولوا على أخصب المناطق، والأكثر حيوية في فلسطين.

كما حاول هؤلاء التقليل من حجم الاستيطان الصهيوني وخطره؛ ففي الأول من آب/أغسطس، نشرت صحيفة المؤيد تصريحاً للنائب اليهودي نسيم مزلياح حول استيطان اليهود فلسطين، قال فيه: “لدى الحكومة مشاغل كافية فلا نضيف إليها مسألة اليهود، على أنه لا مانع من نزولهم في أي قسم أرادوا من المملكة، ولكن كأفراد وليس كمجموع أمة إسرائيلية، فإن المسلمين يعارضون ذلك، والمسيحيين أشد معارضه، ولا مانع من وجود بعض قرى إسرائيلية، كما توجد قرى مسيحية أيضاً. أما استعمار اليهود فلا أمل لهم بتحقيقه... ولقد سمعنا قوماً ينكرون الحجر الذي وضعناه على مهاجرة اليهود إلى فلسطين، إذ منع اليهود الأجانب من الإقامة فيها إلا لثلاثة شهور، وإنما وضعنا هذا القانون في إثر استفحال مبدأ الحزب الصهيوني”.<sup>354</sup>

أوفدت صحيفة الأهرام في تشرين الأول/أكتوبر عام 1909 مرسلاً خاصاً لزيارة فلسطين، الذي وصف موقف الأهالي هناك، بقوله: “إن الفلسطينيين فلقين من الحركة الصهيونية، فالهمجة اليهودية مستمرة، تخلق لديهم المخاوف والقلق، والبلاد تكاد الآن أن تكون في أيدي الأجانب”.<sup>355</sup>

كما أثارت صحيفة النعمة في الأول من تشرين الثاني/نوفمبر عام 1909 قضية مهمة، تتعلق بالمهاجرين، محاولة لفت انتباه القراء إليها، وهي الجمعيات المعنية بشأن هؤلاء، فقالت: “لا يسعنا أن نغضي عن الجمعيات الأوروبية الناظرة في أحوال مهاجرين فلسطينيين الإسرائيليين، التي غايتها لا تزال واحدة وهي مساعدة المهاجرين الإسرائيليين”.<sup>356</sup>

من تصدى للهجرة والاستيطان الصهيوني، الأعضاء العرب في فروع حزب الاتحاد والترقي في سوريا الذين عملوا علانية ضد اليهود، وهو ما أكدته موظف في البنك العثماني، حيث عزا زيادة الاعتداءات والنزاع بين العرب وسكان المستعمرات إلى تدخل عرب آخرين يعارضون استيطان اليهود في فلسطين<sup>357</sup>. كما حاول الأعضاء الفلسطينيون في الحزب عام 1909 كسب زملائهم من أعضاء السلطة الحاكمة في الاستانة إلى جانبهم، من خلال لفت نظرهم للخطر الذي يهدد البلاد والفالحين من الهجرة اليهودية.<sup>358</sup>

تحدث صحيفة العصر الجديد في 4 كانون الأول/ديسمبر عام 1909 عن طلب الحكومة الأمريكية من الحكومة العثمانية إسكان الموسوين الأمريكيين الذين نزحوا عن بلادهم إلى سوريا، وأن يبحث مجلس الوكلاء في هذا الأمر، وقد علقت الصحيفة على هذا الخبر بقولها: "لعل الجريدة أرادت أن تكتب فلسطين فاستعاضت عنها بسوريا، إذ ليس للموسوين في سوريا ما يسوقهم إليها، وإنما يؤمنون بلاد فلسطين زرافات ووحداناً".<sup>359</sup>

في أواخر عام 1909، صرّح سعيد الحسيني في لقاء صحفي، برفض تجمّع اليهود في فلسطين، لعدم استعداد البلاد لذلك، وبأن قدوتهم بالآلاف سيلحق الضرر بالبلاد، وشدد على أن يكون اليهود عثمانيين مواليين مثل العرب، وليسوا أجانب يعيشون تحت حماية حكومات أجنبية.<sup>360</sup>

تزامن هذا التصريح مع انعقاد المؤتمر الصهيوني التاسع في مدينة همبورغ في كانون الأول/ديسمبر عام 1909، وتحدث فيه ماكس نوردو عن الانقلاب العثماني الكبير، والعلاقة المستقبلية بين الصهيونية وحكومة الانقلاب، وختم حديثه بالقول "إن الصهاينة يرغبون في مساعدة تركيا في نهضتها الجديدة، ولكن بصفتهم شركاء أحراراً وجدوا جنسيتهم بعد أن فقدوها منذ ألفي عام، لا بصفة مستعمرین أو أجانب يباح لهم النزول في الممالك العثمانية، كما طالب بضرورة أن تعترف الحكومة الجديدة بالجنسية الإسرائيلية، قبل أن يجمع الشعب الإسرائيلي شتاته ويهاجر من كل الأقطار إلى الأنهاء الفلسطينية ليقيم فيها نهائياً".<sup>361</sup>

أثار انعقاد المؤتمر وقراراته اهتمام عدد من الصحف، فنفت صحيفة المؤيد في الأول من كانون الثاني/يناير 1910 عام أمر موافقة المؤتمر على رصد مئتي ألف فرنك لإنشاء مستعمرة تعاونية في فلسطين.<sup>362</sup> وأكدت صحيفة الأمة في 8 كانون الثاني/يناير عام 1910، أن الغاية من عقده في همبورغ هي بحث الهجرة الإسرائيلية وأحوالها.<sup>363</sup>

نقلت صحيفة الكرمل، عن صحيفة الهدى تفاصيل الخطبة التي ألقاها ديفيد فلورنتين (David Florentin)، والتي كان لها أثر كبير بحيث "ارتجلت لها الجدران"، وتدرّرت أيدي المصففين استحساناً، وبحث لها أصوات المهللين، والتي أفضى فيها في الحديث عن مهاجرة الأمة اليهودية إلى تركيا وفلسطين، وخطّته فيها هي أن يجمع بين أفراد هذه الأمة المهاجرة والمترفة في سائر أنحاء المعمورة رجالاً ونساءً، الذين يطّلبون جميعاً ويرغبون في أن يكون لهم قطر خاص بهم".<sup>364</sup>

قادت صحيفة المقتبس في شباط/فبراير عام 1910 حملة عنيفة للتتبّيه إلى النتائج الخطيرة المرتبطة على الهجرة والاستيطان، ووجهت اللوم إلى الأمة والحكومة لوقوفها موقف المتراجّع تجاه هذا التيار.<sup>365</sup>

كما كان لنجيب نصار وصحيفته الكرمل الموقف ذاته؛ إذ استمر خلال عام 1910 بسياسته المعارضة الهجرة والاستيطان الصهيوني، ولخص أفكاره بهذا الشأن في مقال نشره في شباط/فبراير عام 1910 تحت عنوان "استعمار أم استدرار" ، وقد أحدث هذا المقال ردة فعل غاضبة لدى بعض الجهات المعنية، وبعض

الصحف، فاستذكرت صحيفة جراب الكردي تحذيرات نصار من خطر الهجرة، وأكدت أن "هجرتهم إلى فلسطين ذات منافع جمة". ووافقتها في هذا الرأي صحيفة المقطم التي دأبت على الترويج للهجرة اليهودية، بحجة أن فيها النفع العميم، والخير الجم لسكان فلسطين، وبأن المخاوف المثارة من جراء الهجرة ليست إلا أوهاماً باطلة<sup>367</sup>. واتهمته صحيفة الفير العثماني- الصادرة في القدس، والناطقة باسم الصهيونية- بالفرقعة بين العناصر في الدولة، وقد أثمرت هذه التهم، محاكمة نصار، واضطراوه إلى تقاديمها بإضافة كلمة (الأجنبي) إلى عبارة الاستعمار الإسرائيلي، لكي يفرق بين اليهود المواطنين والموجة الجديدة من الهجرة<sup>368</sup>.

ولكن ذلك لم يمنعه من تتبع ما كان ينشر بخصوص الهجرة والاستيطان؛ ففي 16 نيسان/أبريل عام 1910 نقلت صحيفة الكرمل عن إحدى الصحف الصادرة في أزمير، قولها: "بأنها علمت من مصادرها في القدس أن الجمعية الصهيونية أخذت سراً في إدخال الإسرائييليين الأجانب إلى فلسطين، وذلك على الرغم من الأوامر الصادرة من الحكومة في آب/أغسطس عام 1907، يساعدها على ذلك كثير من مأموري الحكومة المحلية، فبلغ عددهم في هذه السنة نحوً من ثمانية آلاف في حيفا وحدها، مع أن المقيدين في دفاتر الحكومة لا يزيدون عن المائتين...", ولتحتم الكرمل خبراً هذا بالتساؤل التالي: "فليقل لنا حضرات الذين اصطفتهم الأمة من المأمورين ليكونوا وكلاء عنها في إدارة شؤونها وصيانتها حقها: هل يسمح أحدهم لغريب بالدخول إلى بيته والتصرف به كصاحب؟ ثم هل يتخلى له عنه؟ فكيف يجوز إدخال الأجانب إلى بلادنا فيتمتعون بهوائنا ومائنا ويزاحموننا على أوطاننا؟.. وهل يضمن لنا مأمورونا كون هؤلاء المهاجرين هم من خيرة الناس، وليس فيهم الفوضوي والثوري والجاني والفار...الخ؟ فلماذا يتناول المأمورون؟"<sup>369</sup>.

من استوقفه تزايد أعداد اليهود في فلسطين خلال عام 1910 يوسف الحكيم رئيس محكمة يافا آنذاك، فكتب، يقول: "ومما لفت نظري أن عدد اليهود الأجانب مجتمعين يقرب من عدد الوطنيين، فأما اليهود فمنهم الأصليون لا يتجاوز عددهم ثلاثة أو أربعة آلاف، ومنهم الغرباء وعدهم غير معروف لعدم وجود دائرة إحصاء لدى الحكومة، ولكنه يقدر بثلاثين ألفاً في يافا والقدس المجاورة لها، ومنهم المهاجرون من روسيا ورومانيا وألمانيا والنمسا وال مجر واليمن والعراق وبعض الولايات العثمانية وشمال أفريقيا، مما يدل على أن فكرة الهجرة إلى فلسطين كانت هدف يهود العالم، يغذيها كبارهم بمختلف الصور، وقد ظهر كما يقول الخبراء من اليافيين أن عدد اليهود المهاجرة إلى يافا قد زاد في العهد الدستوري مما كان عليه في العهد الحميدي، بفضل حماية القانون الأساسي حق كل فرد منهم، بالإضافة إلى الامتيازات الأجنبية التي ظلت مرعية"<sup>370</sup>.

في محاولة لمواجهة سيل الهجرة ومخاطر الاستيطان، قدم أحد المواطنين العثمانيين ويدعى أمين حشيمي اقتراحاً في 14 كانون الثاني/يناير عام 1910 إلى النواب في مجلس الأمة بعامة، والعرب على خاصة، وينص على "إسكان العرب الرحل، وتعويدهم على المصر والحضارة، لأن إسكان هؤلاء خير من إسكان المهاجرين الذين يردون أزواجاً، ويتقاطرون زرافات من كل فج وصوب، إذ نحن

في حاجة عظيمة لمزج العناصر الموجودة بين ظهرينا، لا لتكثيرها وبثها في أنحاء البلاد".<sup>371</sup>

نقلت صحيفة الأمة في 13 شباط/فبراير عام 1910 تقريراً عن صحيفة عثمانية لوىده كتبه مراسلها في القدس، بحث فيه حالة الموسويين في القدس، والبالغ عددهم خمسة وأربعين ألفاً، مقابل عشرة آلاف من المسلمين، وخمسة عشر ألفاً من الطوائف المختلفة، وتحدث عن أوضاع المهاجرين اليهود الذين بينهم عدد من الطاعنين بالسن، الذين يهبطون ببيت المقدس بأمل أن يقضوا ما بقي من حياتهم في الأرض المباركة.<sup>372</sup>

أما الصحفي عبد الله مخلص، فقد طالب مجلس المبعوثان في 15 آذار/مارس عام 1910 بإثارة قضية الاستيطان الصهيوني وبيان خطورته، والتحذير من قرب سقوط فلسطين بأيدي الصهاينة، وعده مقارنة بين ما كان يحدث أثناء عهد الاستبداد وعهد الحكومة الاتحادية من حيث الطريقة التي كان يتم بها التعامل مع المهاجرين اليهود، فقال: "وكان يأتي ذاك الغريب ثغور فلسطين، فلا تطا قدمه إلا بعد أخذ المواثيق عليه، حتى إذا زار بيت المقدس وبقية الأماكن أرجعواه القهري، أو جعلوه بقرة حلوة، وقد أصبحوا الآن يدخلونها بسلام، ونحن لم نقرأ ولم نسمع أن حكومتنا الدستورية التي لا بد من أن تكون أبعد نظرة في العواقب من تلك الفئة المنفرضة التي أمرت بذلك، وفيه ما فيه من القضاء المبرم على مستقبل البلاد".<sup>373</sup>

إن هذا الموقف المتساهل من قبل الحكومة الاتحادية تجاه الهجرة والاستيطان دفع بعدد من النواب العرب في منتصف أيار/مايو عام 1910 إلى مطالبة وزير الداخلية بإصدار تعليمات تمنع دخول حشود المهاجرين اليهود، لما يشكلونه من خطر على الإمبراطورية العثمانية، فبعث وزير الداخلية بتعليمات إلى القدس وبيروت لتفعيل القيود على الهجرة. وقد أكد تقرير القنصل البريطاني جدوى هذه التعليمات على أرض الواقع، التي جاءت نتيجة شكاوى السكان المحليين الذين يخشون الاجتياح والغزو اليهودي الأجنبي.<sup>374</sup>

أما أهالي حيفا، فقد بعثوا ببرقية إلى الأستانة، احتجوا فيها على قدوم مئة ألف مهاجر يهودي. وأرسلت برقيات وعرائض باسم أهالي فلسطين عموماً، احتجاجاً على دخول أكثر من ثلاثة ألف مهاجر.<sup>375</sup> كما أرسلت برقية أخرى موقعة من مخاتير الطوائف الدينية في مazarين، تحدثوا فيها عن خطر الاستيطان اليهودي الذي يشكل تهديداً مباشراً لهم. وبعد أيام قليلة من إرسال هذه البرقيات، بعث مسلمون من حلب ودمشق وضواحيهما برقيات طالبوا فيها الحكومة بوقف الهجرة.<sup>376</sup>

أما الأمير مصطفى أرسلان، فعلى الرغم من تأكيده في 25 حزيران/يونيو 1910 أن الاستعمار يسهم في ترقية البلاد، إلا أنه استثنى الاستعمار الصهيوني، وذلك "لإتباعه طرائق مختلفة من أجل السيطرة على فلسطين، ولتعتمد كذباً، وتقييد أسمائهم في دفاتر الحكومة بأسماء غير أسمائهم، وعند الحاجة يبرزون

البساطة بأسمائهم الحقيقية وبنطاقاتهم الأجنبية، مما يوقع الدولة في مشاكل في المستقبل". ولمواجهة هذا الوضع، طالب أرسلان الدولة بتسجيل أسماء القادمين إليها على أنهم عثمانيون، وذلك بعد المصادقة على ذلك من دولهم وفصالهم، وإن لم تصدق دولهم على عثمانيتهم.<sup>377</sup>

وفي 9 تموز/يوليو عام 1910 تقدم أحد مواطني طبريا بشكوى بحق القائمقام عبد الله أفندي خير، في إثر زيارة الأخير قرية لوبيبة، "وتهديه الأهالي بصورة لا يجيزها القانون، ولا تليق بحاكم دستوري أن يتقوه بها من أجل مصالح المستعمر".<sup>378</sup>

حضرت صحيفة الكرمل في رسالة وجهتها إلى الحكومة في 9 تموز/يوليو عام 1910، تحت عنوان "روسيا وتركيا واليهود"، من خطر تفاقم الهجرة من روسيا التي تضطهد اليهود، وترحيب الحكومة العثمانية بهم، وفتح أبواب بلادها لهم، بحيث أصبحوا ذوي كلمة مسموعة ورأي نافذ في فلسطين، وذلك على الرغم من أن "العثمانيين أنفسهم يخافون من قضية الإسرائيليين التي استقلت أمرها في روسيا ورومانيا، بأن يكون لها ذنب في البلاد العثمانية، وخصوصاً في فلسطين، حيث اشتنت نهمة الإسرائيليين إلى الاستعمار".<sup>379</sup> وربت الصحيفة في 25 تشرين الأول/أكتوبر عام 1910 بين القرار الذي أصدره والي بيروت بمنع مهاجرة أبناء البلاد ليقيوا فيها ليعمروها، وبين تهديد المستعمر لإخراجهم من أراضيهم في الفولة، وخطبت الوالي بقولها: "ولكي لا تخسر الأيدي العاملة منهم، فقد خدمت بذلك الحكومة والبلاد، فخير ما تفعل يا مولاي أن تستحصل لهم على مال من الحكومة يساعدهم على المهاجرة، فذلك أولى من الحجر عليهم، وتركهم يموتون جوعاً".<sup>380</sup>

وفي السياق ذاته، عرض عزيز عريضة، أحد أبناء يافا في 15 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910 الأوضاع، بعد مرور عامين على الحياة الدستورية في الإمبراطورية، فقال: "كنا نتمنى أن يكون لنا حكومة دستورية تتبه الشعب من غفلته وتم لنا ذلك، وصارت حكومتنا دستورية، وتشكل مجلس نواباً، وأصبح الحكم للشعب والرأي له، وتحررت الأقلام، ولكن مر على ذلك عامان والحال باقية كما كانت، الاستعمار يمتد، وmigration الوطنية من البلاد المستعمر إليها تزداد".<sup>381</sup>

أثار سيل الهجرة المتدقق إلى فلسطين وما جاورها مخاوف قائمقام الناصرة السابق شكري العسلي- الذي عزل من وظيفته لتصديه للصهيونية ومخططاتها- فوجه رسالة استغاثة إلى قائد الحملة الحورانية سامي الفاروقى في 5 كانون الأول/ديسمبر عام 1910، عبر صحيفة المقتبس، كشف فيها عن أن "الحكومة كانت قبلًا منعت استعمارهم، ولكن بما بذلوه من الدنانير التي تسحر أباب الخائن من الحكم والمستخدمين استطاعوا أن يستولوا على ثلاثة أرباع قضاء طبرية، وبعض قضاء يافا والقدس والقسم المهم من نفس حيفا وبعض قرها، واليوم يسعون للدخول إلى قضاء الناصرة... وهم لا يزالون حاملين الجوازات الأجنبية التي تحميهم، وعندما يصيرون إلى المحاكم العثمانية يظهرون جوازاتهم، ويذعون

الحماية الأجنبية... وقد احتالوا على الحكومة فقيدوا أنفسهم عثمانيين في سجل النفوس كذباً وبهتاناً".<sup>382</sup>

رأى رفيق العظم في 29 كانون الأول/ديسمبر عام 1910 أن مكمن الخطر في الهجرة هو في بقاء اليهود محتقظين بجنسياتهم الأجنبية، وبعدم تجسهم بالعثمانية، ولمواجهة هذا الخطر والتصدي له، لا بد من فرض الجنسية العثمانية عليهم. وأبدى العظم استغرابه من "سعى بعض كبارهم لإلغاء الورقة الحمراء، التي تعطي جوازاً لكل أجنبي منهم يدخل فلسطين من الحكومة المحلية، وهي لا تجيز له البقاء فيها أكثر من ثلاثة أشهر، ومكمن الغرابة لديه هو في "بقاءهم على التابعية الأجنبية يضرون أنفسهم والمكان الذي يقدسونه، فبلا ريب إذا وقع شجار بين الدولة الروسية مثلاً وبين الدولة العثمانية من أجل اليهود الروس في بيت المقدس، فعقلاء اليهود أدرى بسوء عاقبة هذا الأمر عليهم".<sup>383</sup>

لم ترق طروحات العظم هذه للكثيرين، فانتقدت بعض الصحف وجهة نظره، وأنكرت أي خطر يمكن أن تشكله الهجرة اليهودية على الدولة العثمانية، بل اعتبرتها مصدر فائدة.<sup>384</sup>

سعت صحيفة الكرمل في 23 كانون الأول/ديسمبر عام 1910، تحت عنوان "الحق لا مراء فيه"، إلى كشف أسلوب آخر للتلاعب الصهيوني للتضليل بشأن حقيقة أعداد المهاجرين، وتجاوزاتهم للقوانين العثمانية، والمخاطر المترتبة على مثل هذه الأوضاع، فقالت: "إنا نعلم بأن عدد نفوس الإسرائيليين في دفاتر حكومة حيفا لا يتجاوز الخمسينية حالة، ولكن عددهم الحقيقي يربو على العشرة آلاف، وكلهم لا تعرف الحكومة شيئاً عن تبعتهم وصفتهم، ومع كل باخرة تأتي منهم جماعات جديدة، فلو ارتكب أحدهم جرماً لا يمكن للحكومة معرفته والقبض عليه، فما معنى إغماض الحكومة إلى هذا الحد عن معرفة الأغراط الذين يدخلون البلاد".<sup>385</sup>

ولكن، على الرغم من الاتهامات للحكومة بتسهيل دخول المهاجرين اليهود، إلا أن ذلك لم يحل دون استمرارية التنسيق الصهيوني-الاتحادي بهذا الخصوص؛ ففي 12 نيسان/أبريل عام 1910 أشارت صحيفة المفيد إلى لقاء باش حاخام الطائفة الإسرائيلية مع رئيس مجلس الأمة أحمد رضا بك، وإجراء مفاوضات سرية معه تتعلق ببعض شؤون الطائفة.<sup>386</sup> ويبدو أن هذه المفاوضات كانت مثمرة، إذ ذكرت الصحيفة ذاتها في 16 أيار/مايو عام 1910 أن الحكومة وعدت رئيس الطائفة الإسرائيلية بوقف إصدار مذكرة النفوس الحمراء للإسرائيليين المهاجرين إلى فلسطين، بعد أن يصادق مجلس النواب على نظام تذاكر النفوس.<sup>387</sup>

نجح ناحوم أفندي رئيس الحاخاميين في الدولة العثمانية في استئناف صداقته للصدر الأعظم لطفي باشا، في الإسراع في تثبيت إقامة المستوطنات اليهودية في فلسطين، وذلك في الوقت الذي كان يؤيد فيه التدخل الدبلوماسي من قبل القوى العظمى بغية إقرار حق السيادة على فلسطين.<sup>388</sup>

يذكر ليفي أبو عسل في كتابه يقظة العالم اليهودي أن انتخاب حaim Nahom أفندي لمنصب الحاخام الأكبر لمصر "جاء متزامناً مع خلع السلطان عبد الحميد، والذي كان من طلائع أعماله قبل أن يتبوأ السلطة الروحية، جهاده مع المسيو ستراوس ومرغانتو سفير الولايات المتحدة جهاد الأبطال في القضاء على الجواز الأحمر الذي وضع خصيصاً لتحديد المهاجرة في تركيا" 389.

لم يحل تسامي الوعي العربي- على اختلاف أشكاله- دون خطر استمرارية الهجرة والاستيطان؛ ففي أواخر صيف عام 1910 شُرع في بناء مستوطنة دجانيافي سهل طبريا، وهي أول مستوطنة زراعية 390، وقد أشرف على تأسيسها رئيس (مكتب فلسطين) وخبير الإسكان الدكتور روبين، وهي نوع جديد من المستوطنات التعاونية الاشتراكية 391، وقد جاء إنشاء هذه المستوطنة تنفيذاً لقرار المؤتمر الصهيوني السابع عام 1905، القاضي بتوسيع نطاق الاستيطان الزراعي في فلسطين 392.

دفعت شدة الهجمة العربية ضد المستوطنات بالزعيم الصهيوني بن غوريون، إلى كتابة مقال عام 1910، بحث فيه مستقبل وجود اليهود في فلسطين، والتكميل والسطو الذي تتعرض له المستوطنات من قبل الفلاحين العرب، ووحدة القوى العربية مع قبائل البدو بهدف الوقوف جمِيعاً ضد حركة الاستيطان 393.

ارتفعت وتيرة الوعي العربي تجاه الهجرة والاستيطان اليهودي الصهيوني خلال عام 1911، وخصوصاً لدى النواب العرب في مجلس المبعوثان، الأمر الذي اضطر معه الصدر الأعظم إلى الرد عليهم مبرراً موقف الحكومة "بأن أصل المشكلة هو الأوضاع السيئة التي يعيشها اليهود في بعض ممالك أوروبا، وهجرة فريق منهم إلى أماكن مختلفة، حيث هاجر تسعه ملايين منهم إلى الأرجنتين، وبعضهم جاء إلى فلسطين، فخاطبوا حكومتنا واغتنموا فرصة التساهل في عهد السلطان عبد العزيز، فجاءوا واستوطنوا فلسطين، ولكن نزول هؤلاء الأجانب المهاجرين، وهم يختلفون خلقاً وخلفاً وتقاليد عن الشعب الفلسطيني نجمت عنه المشاكل" 394. كما أكد وزير الداخلية في حديث له أمام مجلس المبعوثان على أن "الحكومة اتخذت الوسائل لمنع مهاجرة اليهود إلى قسم واحد من أقسام المملكة العثمانية، وبأن أفكار الحكومة في هذا الشأن موافقة لأفكار اليهود العثمانيين الذين لا يرغبون أن تثور في البلاد العثمانية مسألة جديدة مضادة لمصالح البلاد تحت اسم الجمعية الصهيونية" 395.

هذه الأقوال التي جاءت على لسان كل من الصدر الأعظم ووزير الداخلية، لم تقلح في تهدئة القلق بهذا الشأن، والذي عبر عنه أحد أركان حزب الاتحاد والترقي كاظم باشا، بتحذيره في 6 كانون الثاني/يناير عام 1911 من عدم قدرة الحكومة على تحمل تجمع اليهود في فلسطين، ليتحولوا إلى أعداء لها في الأيام المقبلة، وأضاف: "نحن نفتح بلادنا لجميع اليهود المضطهدين في البلدان الأخرى، ونبني لهم التوطن في ولاياتنا التي لا تسمح للأحوال بإقامتهم فيها" 396.

كتب نجيب نصار في شباط/فبراير عام 1911 ردًا على هذه التصريحات، وعلى ما جاء في بعض الصحف السورية حول خطر الهجرة اليهودية والاستيطان، قائلًا: “ورداً على كل المدافعين عن الصهيونية فإن كانت تقوم بعمل إنساني بإيجاد ملاجئ لليهود المظلومين في بلاد أخرى، فلا يقضي أن تكون سبباً بإشقاء أهل البلاد”<sup>397</sup>.

لم تحل ردود الصدر الأعظم ووزير داخليته دون طرح المسألة أكثر من مرة في جلسات مجلس المبعوثان، ولا سيما مع دخول عناصر جديدة إليه، كالنائب شكري العسلي الذي لم يك يصل إلى المجلس، حتى أثار هو ومبعوث القدس روحي الخالدي قضية الهجرة اليهودية إلى فلسطين<sup>398</sup>، وحذر من تزايد أعداد اليهود، “حيث أصبح في متصرفية القدس وحدها مئة ألف يهودي، وبأن القوانين التي سنتها الحكومة لهجرتهم، ومنح جواز السفر الأحمر لهم لم تحل دون هجرتهم لأنها لم تتفذ”<sup>399</sup>. وبأنه “إذا لم تضع الحكومة حدًا لهذا السيل المتدفق من المهاجرين، فإن الوقت لن يكون بعيداً، الذي ستصبح فيه فلسطين ملك المنظمة الصهيونية”<sup>400</sup>.

في جلسة الأول من آذار/مارس عام 1911، أثار النائب إسماعيل حقي مسألة إسكان المهاجرين اليهود في فلسطين، وفي شط العرب من قبل الصهيونية، وقد أيده في طرحة هذا نائب القدس سعيد الحسيني، ونائب دمشق عبد الرحمن بك، وفي جلسة لاحقة- وعندما أثيرت مسألة الهجرة اليهودية إلى فلسطين- ادعى النائب اليهودي عمانوئيل قره صوه بأنها ليست مهمة، فاتهمه روحي الخالدي بعدم قول الحقيقة، وبأن أهميتها فوق العادة<sup>401</sup>.

حاول الصدر الأعظم تبرير الوضع مرة أخرى، وبيان موقف الحكومة، بقوله: “إن مشكلات حدثت بينهم وبين اليهود العثمانيين، لعدم امتزاجهم واتحاد عادتهم، فمنعت مهاجرتهم بعد الحرب الروسية، وال موجودون الآن في فلسطين من المسؤولين الألمان، إنما ظلوا فيها منذ تلك الحرب، ثم أحدثت الحكومة طريقة الجواز الأحمر، وهو في الحقيقة عبارة عن إذن بالسكن المؤقت، ولا يزالون على هذه الطريقة إلى أن يسن قانون للمهاجرين”<sup>402</sup>.

تعتبر جلسة مجلس المبعوثان في 3 أيار/مايو عام 1911 جلسة البحث في المسألة الصهيونية بحق، ففيها عرض روحي الخالدي إنشاء البنك الصهيوني من قبل نقابة اليهود المتحدة برأس مال مليار فرنك، والذي جرى بوساطته تجميع نحو ثمانين ألف يهودي في فلسطين. وفي إجابة على مداخلة لفيضي بك حول ما إذا ما كان ما يقوله الخالدي صحيحاً، فلماذا لم ينتخبوا مبعوثاً عنهم؟ رد الأخير بأن أكثرهم أجانب، وهم إذا ما تجنسوا بالعثمانية، فبإمكانهم وعلى ضوء عددهم أن ينتخبوا ثلاثة أو أربعة نواب يمثلونهم<sup>403</sup>.

ثمة نقطة أخرى أثارها الخالدي، وهي اتهام الحكومة بعدم الاهتمام بأمر هؤلاء، وعدم تقدير خطورة تواجدهم، كما كشف الأساليب التي كانوا يتبعونها لتنبيت وجودهم<sup>404</sup>.

وتحدث في الجلسة ذاتها، نائب القدس سعيد الحسيني، حول موضوع الهجرة، فقال: "إنني اعتقد أن مهاجرة اليهود التي بدأت منذ تسع سنوات تقريباً - أي منذ عامي 1902-1903، وهو بذلك يسقط من حسابه ما سبقها من هجرة أُسست لما تلاها - وما زالت في ازدياد رغمَ من الممانعات الشديدة"، وأضاف أنه لا ينكر أن الحكومة المحلية والحكومة المركزية ما فتئت تتخذ التدابير لمنع هؤلاء، ثم أعرب عن أمله "من همة ناظر الداخلية أن يتخذ الأنسب من التدابير لتطمين الأفكار العمومية". وقد قدر الحسيني عدد من جاء إلى فلسطين من اليهود بمئة ألف، وذلك بدعم من أغنياء اليهود كأوشكين الروسي وروتشيلد وهرش وأمثالهم.<sup>405</sup>

كرر الخالدي في جلسة المجلس - التي خصصت لمناقشة الميزانية في 16 أيار/مايو عام 1911 - هجومه على الحكومة لخرق القانون القاضي بمنع المهاجرين اليهود من الاستيطان في فلسطين.<sup>406</sup> وذلك في الوقت الذي كان لسعيد الحسيني وجهة نظر أخرى، إذ رأى أن الإمبراطورية استفادت كثيراً من الهجرة اليهودية. في جلسة لاحقة من اليوم ذاته، طالب شكري العسلي بالتصويت على مشروع قانون كان قد تم تحضيره عام 1909، ويفضي بوقف الاستيطان اليهودي في فلسطين. ولكن أقصى ما حصل عليه النواب العرب رداً على مطالبهم، هو تأكيد من وزير الداخلية أن القيود التي كانت مفروضة على دخول اليهود سيعاد العمل بها. استناداً إلى صحيفة القدسية، فإن النواب العرب فشلوا في طرحهم القضية الفلسطينية، لأن المجلس لم يكن مهتماً بالمسألة، وإن طرح النواب العرب المسألة جاء باهتاً، يسيطر عليه الخوف من الاتهامات باللascamia.<sup>407</sup>

الملاحظ هنا، أنه على الرغم من أن الخالدي والحسيني مبعوثان عن منطقة واحدة في فلسطين، وهي القدس، إلا أنها نجد تناقضاً واضحاً في أقوالهما في ما يتعلق بموقف الحكومة من الهجرة والاستيطان؛ فيبينما أنحى الخالدي باللائمة على الحكومة لعدم انتباها إلى المسألة، نجد الحسيني يطبل في حرص الحكومة المحلية والمركزية، بينما الواقع والواقع كانت تخالف هذا الرأي، فبفضل التهاون الحكومي على اختلاف أشكاله استطاع اليهود الصهاينة التغلغل والاستيطان في فلسطين. وفي محاولة من الحكومة لتهيئة النواب العرب، صرخ وزير الداخلية الجديد خليل بك بأن الحكومة ستمنع ترکز اليهود في منطقة واحدة.<sup>408</sup>

تعددت خلال عام 1911 مظاهر الوعي العربي لخطر الهجرة والاستيطان الصهيوني، فإضافة إلى طرحها في مجلس المبعوثان، كانت هناك عملية رصد لما يجري في فلسطين، من حيث تزايد أعداد المهاجرين وتجاوزات المستوطنين، وتغافل الحكومة وممثليها في تطبيق القوانين والتعليمات؛ فصحيفة المقتبس استوقفها في 7 كانون الثاني/يناير عام 1911 ما نشرته صحيفة عثمانisher لويد في بطرسبرغ على لسان أحد أنصار الصهيونية القادم من سوريا، الذي قدم وصفاً أو صورة لما هي عليه القدس في ظل الاستيطان الصهيوني، فقال: "لقد كثر الإسرائيليون في القدس بصورة خارقة للعادة حتى أصبحت تعد بلدة إسرائيلية، وإن بقية العناصر تعد بمثابة العدم بالنسبة للإسرائيليين، وإن لهم في القدس (120) مدرسة وكنيساً، وعدهم يتجاوز الثمانين ألفاً، وإن الإسرائيليين في حيفا وبيافا

يزيدون بهذه النسبة... وإن المهاجرة من روسيا نتيجة لما يقع على الخمسة ملايين منهم في روسيا من الظلم، وإن جمعية المهاجرين تتفق مبالغ جسمية لتأمين المهاجرين" 409. وعلقت الصحيفة على ذلك، بقولها: "هذا ما يقول به كبير من كبار الصهيونيين، ننفله ليطلع عليه القراء، ولنعلموا مقدار عنایة الصهيونيين وجريهم، وتكاسلنا في مقاومتهم، مما يجعل الإنسان معجباً بنشاطهم، راثياً لتهاؤنا وضعفنا عسى أن نرى من الحكومة تدبرأً عملاً يشرح الصدور، ويصد هذا السيل الجارف من الأجانب" 410.

توضح الشكوى التي تقدم بها أحد أهالي قرية لبية في 10 كانون الثاني/يناير عام 1911 مدى العنت والاستهتار الصهيوني، وتتواءط بعض موظفي الحكومة، ومفادها أنه بينما كان يزرع في أرضه الجارية بتصرفه جاء عليه خيالان من الجندرمة من طبريا، مع وكيل المستعمرات الإسرائيلية روزنك، وأوقفاه عن الزراعة، ولم يسمح له بتغطية بذاره الذي كان مبذوراً في الأرض 411.

استمرت احتجاجات أهالي فلسطين، التي عبروا من خلالها عن وعيهم خطر الهجرة والاستيطان، فرفع أهالي يافا في 30 آذار/مارس عام 1911 احتجاجاً إلى مجلس المبعوثان والصادرة العظمى، طالبوا فيه الحكومة "بوضع حد للخطر الصهيوني الداهم، والداء الوبيل بسد باب الهجرة، إسوةً بغيرنا من الحكومات" 412.

أظهرت صحيفة المقتبس في 21 حزيران/يونيو عام 1911 الدور الذي أداء الموظفون العثمانيون في مساعدة المستعمرات، ودلت على ذلك من خلال إيرادها خبر حفل الوداع الذي أقامته مستعمرة زمارين لمساعدة المدعى العمومي علي كمال أفندي الذي رافقه في الاحتفال قائد الدرك ذكي أفندي الملائم، حيث أقيمت لهما ليلة راقصة. وقد علقت الصحيفة على قرار نقله بقولها: "الذي أسعفتنا العناية الإلهية بنقله من قضاء حifa إلى قضاء بعلبك، لعدم اقتداره على إيفاء وظيفته في هذه الديار" 413.

هذا التكريم لم يأت من فراغ، فقد كان لهذا المعاون ووكيل المستطوق يد في إطلاق سراح الشخص الذي اعتدى على نجيب نصار، مما أدى إلى احتجاج الأهالي الذين أرسلوا إلى والي بيروت ومتصرف عكا وعديتهم يطالبون بمحازاة المعاون ووكيل المستطوق، وهو ما دأبت صحيفة المقتبس على نشر تفاصيل تداعياته، فذكرت أن المعاون والوكيل هما اللذان سلما المتهم للقنصل الإنكليزي، في حين أن الجماهير من الناس كانت تظن أن القنصل أخذه قسراً عنهم 414.

تمثل مظهر آخر من مظاهر الوعي بتشكيل حكومة حifa المحلية لجنة في أواخر حزيران/يونيو عهدت إليها بمراقبة المهاجرين الموسوبين الذين يأتون البلاد من طريق حifa، وتطبيق أحكام الورقة الحمراء عليهم، وقد علقت الكرمل على هذه الخطوة بقولها: "فتشكر للحكومة انتباها، ونأمل من القوميون أن يقوم بما عهد إليه، فيسطر له في تاريخ العثمانيين الاجتماعي آيات حميدة، كفى حifa ما دخلها من ألوف المهاجرين إلى اليوم، حتى ضاقت بهم" 415.

كان أحد القراء قد بعث في الأول من تموز/يوليو إلى الكرمل يتساءل بتهكم عن تصريح القائم مقام المنشور في الصحيفة حول الجواز الأحمر بأنه ما زال مرعياً، وتساءل "هل لكم أن تقيدوني إذاً عن الألوف المؤلفة من المسؤولين الذين دخلوا حيفا من بعد الدستور؟ وهل يوجد في أيديهم جوازات حمراء؟ ألم تنته مدة إقامتهم في البلاد؟".<sup>416</sup>

شهد عام 1911 عدداً من المصادرات بين الفلسطينيين والمستوطنين، وفي مقدمها حادثة الفولة التي سبقتها حادثة أخرى في الناصرة، ولعل أبرز ما يميز هاتين الحادثتين أنهما تقدمان صورة لحقيقة ما وصلت إليه المستوطنات الصهيونية من قوة وقدرة على التأثير والتلاعب بالسلطات التركية المحلية وغيرها، إضافة إلى أمر آخر، هو ظهور مستوى التسلح العالي لديهم، الأمر الذي تباه له نجيب نصار، ونبه إليه من خلال تأكيده أن هناك عدة أنواع من هذه الأسلحة التي يمتلكها الصهاينة كالموزر والقرداغ، وذلك على الرغم من أن هؤلاء اليهود جاءوا إلى الفولة من طبريا، و"بأن الذي علمناه أن حكومة طبريا نزعت السلاح حتى غير الممنوع"<sup>417</sup>، وحتى الباريد البراهيمية والسيوف العتيقة المصدية المتملة من أهالي ذاك القضاء، فهل فرقت يا ترى بين الأهالي والمستعمرين، وإننا ننبه المراجع العالية إلى التحقيق في ذلك.. ثم يقال إن المتهمين ينتظرون من يثبت عليه الجريمة ليدعى الأجنبية... إننا ننبه حكومة الناصرة إلى التدقيق في عثمانية المتهمين وفي المكان والزمان والطريقة التي تعثمنوا فيها".<sup>418</sup>

توالتحوادث المشابهة لحادثة الفولة والناصرة؛ في رسالة من أهالي سولم حول ادعاء المستوطنين الصهاينة بأنهم أتلفوا ما يساوي قيمته 2100 ليرة من المزروعات، في حين أثبتت التحقيقات أن التلف طفيف، حيث اغتنمت صحيفة الكرمل الفرصة للتذكير بحادثة قتل أحد أبناء كفركنا، وفرار القاتل بعد أن جرت محاولة من المستعمرين للإمساك بهم بأصحاب القتيل، وإهمال الحكومة المحلية التحقيق. كما ذكرت الصحيفة بحادثة قتل أحد المستعمرين في السجرة، وكيف أن الحكومة وجهت الاتهام لأهالي كفركنا، وقامت جراء ذلك بتعذيبهم ومضايقتهم.<sup>419</sup>

استمر التنديد ببعض المأمورين الذين- وفقاً لما ذكرته صحيفة الكرمل في 27 أيار/مايو عام 1911 "لا يألون جهداً في السعي وراء منافعهم الذاتية، فيمدون يد المساعدة لهم وللمسيو فرانك وكيل روتشيلد،... ويخدمون أفكاره كما يرحب، بل أفكار الجمعية الإسرائيلية حتى انتهى إلى زمن توطن في فلسطين ما يقارب من مئة وخمسين ألف نسمة من مهاجري اليهود، وتبدل قرية زمارين إلى (بواخر جاخوب) أي تذكار يعقوب نسبة إلى والد روتشيلد اعترافاً بفضلهم، وأسكنوا فيها يهوداً لا كيهود بل من يهود رومانيا وروسيا الأشداء، وأنفقوا أضعاف وارداتهم وما يجذونه في تلك الأراضي والمشروعات مما يدهش كل متأمل وأخص بالذكر النفقات لإنشاء فنادق ومساكن لإنزال مأمورى الحكومة ضيوفاً على الرحمة والسعفة، وإطعامهم مجاناً".<sup>420</sup>

هذا التهاؤن الحكومي في مواجهة الهجرة والاستيطان الصهيوني دفع بنجيب نصار في حزيران/يونيو عام 1911 إلى توجيه رسالة مفتوحة إلى جميع رؤساء الصحف العربية لاتخاذ موقف موحد معارض للاستيطان الصهيوني، لحمل الحكومة على اتخاذ إجراء ما ضد الصهيونية، والذي كان له صدى وتجاوب من الكثير من الصحف العربية.<sup>421</sup>

تناول الكاتب مصطفى نمر في تموز/يوليو عام 1911، في دراسة تتم عن نضج في الوعي لديه للدور الذي تضطلع به الدول الأوروبية في تشجيع الاستعمار الصهيوني في فلسطين، وللعلاقة بين مصالح هذه الدول والصهيونية، التي اعتبرها علاقة حيوية ومهمة، فذكر بأنه من أخص أمناني الروس سوق اليهود إلى الأراضي المقدسة لإيجاد المشاكل وتوليد المعضلات ليكون لها حق التدخل في سياسة الدولة وأمورها، ولن تستنى لها تفويه كما تفعل في البلقان، "والإنكليز بيت القصيد عندهم فصل القطر السوري عن المصري لئلا يكون بعضهم ظهيراً لبعض إذا اقتضى الحال، لأن الليالي من الزمان جبالى متقلات يلدن كل عجيب، وفصل القطرين لا يكون إلا بإحلال أمة أجنبية في القطر السوري كاليهود، فهي تود أن تقوى اليهود في فلسطين والقطر السوري، وتنشئ دولة مستقلة صوناً لها وحفظاً لكيانها في القطر المصري. وأما ألمانيا، فلها مطامع اقتصادية في العراق، فهي راضية ضمناً عن عمل الجمعية البرلينية الصهيونية، وإلا كانت حزرت الوزارة الحقيقة كما تحذر هي منه في بلادها. ولا يسوء النمسا مهاراتها في بلادنا بوساطة يهود بلادها، فذلك هي تنظر إلى مهاجرتهم بعين الرضا. أما الجمعية الصهيونية، فهي تقرب من جميع الدول ذات المصالح، وتستفيد من نفوذها حتى تبلغ أربها، ومتى اتسع ملوكها وكثير عدد أبنائها في البلاد، أحدثوا القلاقل والفتنة والمشاكل، واضطروا أوروبا للمداخلة ومنحهم حكومة مستقلة، فكل عثماني يبيع جمعيات الاستيطان رأساً أو بالواسطة أو يسهل عمليات البيع ونيل الامتيازات والاستيلاء على التجارة يخون وطنه وحكومته على ما نعتقد".<sup>422</sup>

أعرب نجيب نصار في 27 تموز/يوليو عام 1911 عن استغرابه من قول الصهيوني نورمان بنتويتش (Norman Bentwich)، إنه يعتقد "أن تركيا تقوى من كل قلبها مستعمرة يهودية بهذه في الشرق الأدنى، لكي تقاوم ميل الأعراب والأرمن للانفصال عن المملكة"، وقد رأى نصار في هذا القول كماً كبيراً من الدسיסה والخيانة لهذه السلطنة، ولا سيما إذا ما تمت مراجعة تاريخها بعد الدستور، وتمعن في حوادثها والتقلبات السياسية التي طرأت عليها، فيرجح الظن بعظم تأثير هذه الدسائس في الهيئة الاتحادية، وأضاف "بدأنا نشعر بتأثير الصهيونيين على الهيئة الحاكمة منذ علت نسمة الترك على العرب، وكنا نقول مراراً وتكراراً للعبد الله أفندي مخلص وإبراهيم أفندي أدهم ولكثير من غيرهم أن أحرار الترك سليمون النوايا وحديث العهد في السياسة، ونعتقد أن الصهيونيين وجدوا فيهم موضوعاً قابلاً للخديعة، فأخذوا يتلاعبون بقلوبهم وبالسياسة العثمانية، وسيغرسون في صدورهم النفرة والكره للعرب والعناصر الأخرى، ويوهونهم بأن العناصر، ولا سيما العرب غير مخلصة للدولة".<sup>423</sup>

على الرغم من دفاعه هذا عن الاتحاديين، فإن نصار عاد في آب/أغسطس عام 1911 ليسلط الضوء على مدى تهاون السلطات العثمانية في حيفا في تطبيق أنظمة الدخول إلى البلاد وقيودها، ونجح في تشكيل لجنة من المواطنين لمراقبة الأوضاع هناك، حيث نجحت في الحصول على إذن من متصرف عكا للإشراف على نزول اليهود في مرفأ حيفا، للتأكد من أن قيود الدخول إلى البلاد مطبقة عليهم تطبيقاً دقيقاً.<sup>424</sup>

كما أصدر نصار في ذلك العام، كتابه الصهيونية، الذي هاجم فيه الحكومة لعدم اهتمامها بمنع الهجرة اليهودية.<sup>425</sup>

حدثت مواجهة من نوع آخر، في تموز/يوليو عام 1911، تلك التي جرت في إثر الاحتلال الذي أقامته الجمعية الصهيونية في مستوطنة الملاحة التابعة لطبريا، وما شاهده القائمقام طغول بك من تجاوزات تمس السيادة العثمانية، ما دفعه إلى إيقاف الاحتلال، وذهابه إلى قريتي مسحة وبيت دجن، فمنع إكمال الإنشاءات الجاري بناؤها بدون رخص قانونية، وهدم جانباً من البناء في مسحة، وطرد خمسة من اليهود الأجانب، وعاد إلى مركز القضاء وأخذ في التحقيق والتحري عن غيرهم ليتم طردهم، وعندما راجعه روزنك بالأمر وذكره بأقوال وأفعال شكري العسلي بطعن الصهيونية في مجلس الأمة، وأن الصدر الأعظم رد عليه بكلمتين، وذهبت جهوده هباءً، مؤكداً له أنه "إذا كان كبار رجال الدولة لم يفلحوا بشيء ضد الصهيونية، فأنت من يعبأ بكم؟" فرد القائمقام عليه بقوله: "الدستور لا يبيح مخالفة القوانين ولا التجاوز على الوحدة العثمانية، فأنا كقائمقام أو كعثماني، أحامي عن العثمانية بكل قوتي، وبناءً على ذلك طردت من عرفتهم من الصهيونيين، وسأثابر على خطتي، وأمنع إسكان مهاجريكم الروسيين الذين يحملون البزابورط في جيب والتذكرة العثمانية في جيب".<sup>426</sup>

استخلصت مجلة الكرمل نقطة مهمة جداً من هذه الحادثة، وهي مسألة أساسية في ما يتعلق بالاستيطان الصهيوني ومشروعهم عموماً، وعلاقات المؤسسات اليهودية الأخرى به، على اختلاف مواقفها؛ معارضة أم مؤيدة، وذلك من خلال قولها الذي وضعته بين فوسيين لتأكيد أهميته، ولفت نظر القارئ إليه وهو (عجب، روزنك وكيل للإيكا، ويقولون الإيكا غير راضية عن عمل الصهيونية، فما سر هذا التناقض).<sup>427</sup>

أما صحيفة البيان فهي حديثها عن الصهيونية في 24 تشرين الأول/أكتوبر عام 1911، أكدت ما ذكره مبعوث القدس أن هناك ثمانين ألف يهودي، في حين أن عدد المسلمين لا يزيد عن تسعه آلاف.<sup>428</sup>

كان صلاح الدين القاسمي، وفي مرحلة لاحقة، قد كتب في عام 1918- وبعد أن أصبحت نتائج الهجرة اليهودية خطراً ماثلاً للعيان، وحبلًا ينف حول عنق فلسطين- قائلاً: "وها نحن الآن نعاني ما نعانيه من شرور وأخطار الهجرة الصهيونية التي نبه الرواد إلى خطرها منذ عام 1911".<sup>429</sup>

حاول الشيخ سليمان التاجي الفاروقى، من خلال رسالة بعث بها إلى صحيفة المفيد، ونشرتها في 19 آب/أغسطس عام 1911، التحذير من أن المهاجرين اليهود مسلحون بالمال والعلم، ومن ازدياد موجات الهجرة. لمواجهة ذلك، قام بتشكيل "الحزب الوطنى العثمانى" في آب/أغسطس عام 1911، الذى كان في مقدمة أهدافه، إغلاق باب الهجرة، وتطبيق الإجراءات الحكومية لمنعها.<sup>430</sup>

ترأيد الوعي العربى بالشعور بخطر الهجرة والاستيطان في أعقاب انعقاد المؤتمر الصهيونى العاشر في آب/أغسطس 1911، الذى تميز بنوعية المواقبىع التي ناقشها، والقرارات التي اتخذها- خصوصاً في مجال الهجرة والاستيطان- كذلك الذى ينص على أن المسألة اليهودية لا يمكن أن تحل إلا بالهجرة إلى فلسطين، وأن المهمة الملحة للمنظمة الصهيونية العالمية هي تشجيع الهجرة وتنظيمها.<sup>431</sup> وقد تباهت صحيفة المقتبس لخطورة ما تم بحثه في المؤتمر، فأوردت في 18 أيلول/سبتمبر عام 1911 حديث أوتو فاربورغ Otto Warburg في المؤتمر الذى عرض فيه منجزات الجمعية الصهيونية، كإنشاء مصرف في يافا، وزراعة الحقول والأشجار، وإنشاء مدرسة زراعية وصناعية في حيفا، ومكتبة وطنية ومستودع أثري ومكتب صحي. ولتحتمن الصحيفة بالتعليق على ذلك، بقولها: "فليتأمل القارئ ما يبذله الصهاينة من الهمة في سبيل الوصول إلى غايتهم، ولينظر إلى أماناتهم فيرى نشاطهم، وتقاعدنا عن صد تيارهم، متى نفق يا ترى مما نحن فيه من المذلة".<sup>432</sup>

كتب أحدهم إلى صحيفة المقتبس مقالاً بعنوان "الاستعمار الصهيونى" في 4 أيلول/سبتمبر عام 1911 وقعه بأحرف ي.ك.ش، قدم فيه تحليلاً للأساليب التي نجح من خلالها المهاجرون في الدخول إلى المملكة والاستيطان في فلسطين، كالأوضاع السيئة للدولة العثمانية، وجهل الوطنيين وغفلتهم، وعوزهم إلى الدرهم، وخيانة بعض المأمورين والسماسرة الذين يبيعون نخوتهم بدرهم قليلة، مما ساعد على تحقيق أحلام الصهاينة، " واستعمار ما قدروا على امتلاكه من الأرض، وعدها ذلك فهم يقرون استعمارهم هذا بسلاح التابعية الأجنبية، فإذا صادفوا في سيرهم مانعاً معارضاً من أرباب النخوة الوطنية انفقو ما يقتضي لإذلاله، وإخفات الصوت الوطنى أو اتهموه بالتعدي عليهم".<sup>433</sup>

في السياق ذاته، نشرت صحيفة النفائس العصرية في تشرين الأول/أكتوبر عام 1911 مقالاً بعنوان: "بعض مزارع يهود فلسطين من سنة 1860 إلى سنة 1900" ، بقلم نجيب ميخائيل ساعاتي، الذى تحدث فيه عن تهافت الإسرائىيليين على فلسطين، وليخلص إلى القول: "إن فلسطين كانت آهلاً بكثير من الإسرائىيليين، ولا تزال هذه الأرض المقدسة ملجأهم الوطيد ومحط رحالهم الوحيد، فيصعدونها زرافات ووحداناً، أفراداً وأزواجاً، فراراً من مقاومات الغرب والشمال لهم، وأكده أن هذه الحركة طالما استوقفت أنظار القوم، وغدت بحكم الضرورة من المسائل الشاغلة لأفكار أولي الأمر، ولا غرو إذا شغلت كثيراً من الصحف العربية وغيرها، وشحذت قرائح كتبتها، فالأمر جلل والتقادم عن استقراره يحملنا على الندم".<sup>434</sup>

صنف سليمان البستانى المهاجرة إلى الدولة العثمانية صنفين: هناك ما يكونقصد منه الإقامة أو الاستعمار، كمهاجرة فئة من الأجانب بمعاونة أرباب الأموال منهم لتوطن في بقعة من الأرض، كتوطنها في بعض جهات فلسطين مع البقاء على جنسيتها، وخصوصاً أن هذه الفئة تجد في نفسها من أسباب العناية بها، ما يغනيها عن عناية الحكومة، أو قدوة المهاجرين إليها من تلقاء أنفسهم بقصد الإقامة والت الجنس بالجنسية العثمانية، كمهاجرى الشركس والكريت وبوسنة وهرسك، ليختتم حديثه بالقول: " وإن مجال المهاجرة إلى البلاد العثمانية متسع جداً، يضيق فيه البحث" .<sup>435</sup>

من بين المقترنات التي قدمها البستانى في حديثه- في ما يتعلق بالمهاجرين القادمين إلى فلسطين- أن تعمل الحكومة على تشجيع واستقطاب هؤلاء باعتبار أن بيت المقدس تحديداً مركز سياحي، وهؤلاء سياح يشكلون دخلاً مادياً للدولة بقدومهم وسياحتهم فيها- ويجب على الحكومة الاستفادة من تجربة الدول الأوروبية لزيادة دخلها المالي بتوفير الأجواء التي تشجع السياح على ارتياحها-، ثم تحدث عن السياح والمستوطنيين وفلسطين، فقال: "إن فيها مواطن الأنبياء ومهابط الوحي، فهي بهذا الاعتبار محة المسلمين والمسيحيين وبني إسرائيل من كل أقطار الأرض، لو نظرت إلى المعالم الدينية في أوروبا، وعلمت أن زوار واحدة منها في فرنسا، يربو على عدد جميع الزوار الذين ينتابون بيت المقدس من أبناء جميع الأديان، تحققت إننا لو أعددنا هنا من أسباب الراحة والترحال ما أعدوا هناك، لكن للبلاد من وراء ذلك مورد ثروة جديد، يبقى على أولي الأمر وأبناء البلاد ابتداع كثير من الإصلاح اللازم لمعدات الراحة في الإقامة والانتقال داخل فلسطين وما جاورها، مما لا بد من أسباب التأمين والتسويق، على ما اعتقد زوار المسيحيين والإسرائيليين في أوروبا" .<sup>436</sup>

إن هذا القول، بعيداً من مهنية كاتبه، وباعتباره وزير للزراعة، ويسعى إلى تطوير اقتصاد الدولة وماليتها، صادر عن الوزير العربي الوحيد في الحكومات التركية، والمدقق في ما كتبه يجد أنه بعيد كل البعد من وعي الخطير الذي تشكله الهجرة والاستيطان الصهيوني، وبعيداً أيضاً من تداعيات هذا الموضوع على الساحة العربية خصوصاً، والعثمانية عموماً، فكتب عن الموضوع وبحث فيه بحيادية وعلمية مستقرة، وهو مثال واضح على قصور الوعي لدى بعض النخب العربية، لمثل هذه المسألة المصيرية في الصراع مع الصهيونية.

نشرت صحيفة المقتبس في 23 كانون الثاني/يناير عام 1912 عرضاً صهيونياً آخر لمنجزات منظمتهم في فلسطين، وتمثل ذلك بالخطاب الذي ألقاه أحد زعماء الصهيونية نورمان بنتوبيش، في لندن في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1911، وذلك بعد جولة له في فلسطين، وأشار فيه إلى تزايد أعداد المهاجرين وانتشارهم في القدس والخليل وصفد وطبريا، حيث يشكلون سبع عدد الأهالي، وبأنهم قبل ثلاثة سنون لم يتجاوز عددهم الأربعين ألف يهودي، وبأن المهاجرين الجدد من روسيا تمكنوا من إيجاد مستعمرات خاصة بهم، وافتقت الصحيفة بالتعليق على ما جاء في هذا الخطاب بكلمة واحدة هي، "فتأمل" .<sup>437</sup>

ومن الحلول التي تم طرحها لمواجهة مسألة الهجرة والاستيطان الصهيوني، ذلك الذي قدمه نجيب نصار في شباط/فبراير عام 1912، وطالب فيه بإسكان مهاجري البلقان من المسلمين في سوريا، لأن ذلك "أضمن لمستقبل العثمانية من الإفصاح للجمعيات الصهيونية للاستعمار، ونقل المهاجرين الصهيونيين بالآلاف إلى البلاد".<sup>438</sup>

رأى صحيفة المقطم في هذا الاقتراح إضعافاً للجنسية العربية بإدخال عناصر أجنبية، مما دفع بنصار إلى الرد عليها ساخراً من أن الصحيفة لم تجد ضرراً بالهجرة الصهيونية، وترى الخطر الجسيم في هجرة مئة عثماني إلى سوريا، في حين أن صفحاتها مفتوحة لمقالات الكتبة الصهيونيين.<sup>439</sup>

كما قدمت صحيفة المنادي في 26 آذار/مارس عام 1912 تحليلاً لأخطار الهجرة اليهودية، فأكملت على "أنه بإسكان المهاجرة وضع الصهيونيون أصابعهم في البلاد، وداست الأرجل الأجنبية التراب المقدس، وبأسبابها قلت الثروة، وتعطلت الأشغال".<sup>440</sup>

كانت المستعمرات الصهيونية قد أثارت اهتمام المقدسي أنيس الخوري الذي وصفها في مقال له بعنوان "ماذا رأيت من الأرض المقدسة" في مجلة الكلية في نيسان/أبريل عام 1912، وذلك عند حديثه عن يافا، فقال: "في المدينة مستعمرة للألمان، وأخرى لليهود، وهم في أحسن تنظيم".<sup>441</sup>

كما أثارت اهتمام محمد كرد علي صاحب المقتبس الذي قدم في نيسان/أبريل عام 1912 صورة لما كانت عليه المستوطنات آنذاك، وذلك في معرض عرضه المناطق التي مرّ بها أثناء هروبه إلى مصر من ملاحقة السلطة العثمانية له، فقال: "الجليل أصبح أكثره ملكاً للصهيونيين من مهاجرة الإسرائيлиين الأوروبيين، يستتبونه على طريقتهم المتعارفة في ديار الغرب، حتى تحس للحال بالفرق بين زراعة الوطنيين وزراعة المهاجرين".<sup>442</sup>

ونبهت مجلة المقتبس في عام 1912 إلى "أن الأرض المقدسة- ولا سيما طبرية وصفد وحيفا ويافا والقدس- توشك أن تعد ولاية إسرائيلية، وذلك لكثره المهاجرين في العشرين سنة الأخيرة من الإسرائيлиين الروسيين والنساويين والألمان وغيرهم من دعاة الصهيونية".<sup>443</sup>

تمثل جانب آخر من جوانب الوعي لخطورة الهجرة اليهودية والاستيطان، بالنداء الذي وجّهه نجيب نصار إلى العامة أثناء انتخابات مجلس المبعوثان عام 1912، لانتخاب شكري العسلي وأمثاله من المرشحين للوقوف في وجه الهجرة، وذلك بغض النظر عن كونهم اتحاديين أو غير اتحاديين.<sup>444</sup>

عقد المجلس المنتخب أولى جلساته في 18 نيسان/أبريل، وتلاشى الدور الذي كان للمجلس نتيجة سيطرة الاتحاديين، وغابت القضايا العربية عن مناقشاته، ومن بين القضايا القليلة ذات الخصوصية مسألة الحد من الهجرة اليهودية التي طرحتها نواب

فلسطينيون، ولكن بعد التأكيدات الشكلية لوزير الداخلية طلعت بك، أن الحكومة ستتخذ الإجراءات الضرورية، لم يطرح النواب الموضوع ثانية 445.

شهدت الساحة العربية مع بداية عام 1912 نمواً في الوعي لخطر الهجرة اليهودية والاستيطان، أُسفل عن حملة شعبية واسعة لمناهضتها، وذلك من خلال الضغط على الحكومة باعتبارها معنية بالدرجة الأولى في التصدي لها، وتقديم مجموعة من المطالب من بينها سد باب الهجرة، من خلال تطبيق قانون الجواز الأحمر، وإجراء تحرير أو إحصاء لنفوس الإسرائيليين، ومنهم تذاكر تثبت فيها حقيقة أسمائهم وأسماء آبائهم وعائلاتهم 446.

مع مجيء حكومة الأئتلافيين إلى السلطة في تموز/يوليو عام 1912، وإعادة فتح الصحف المغلقة، ونشاط النوادي السياسية المنحلة، التي تحولت إلى مراكز للعمل الوطني للقوميين العرب، وتردي الأوضاع الوطنية الفلسطينية، زادت الآمال في إعادة الحكومة الأئلافية نظرها في موضوع الهجرة اليهودية والاستيطان 447.

ولكن، وبعد خسارة الدولة العثمانية لحرب البلقان، وعودة الاتحاديين إلى السلطة، ووقوعها تحت تأثير الصهيونية، قررت إلغاء التذكرة الحمراء المفروضة على اليهود الأجانب، كثمرة لنجاح الصهيونية في دفع الاتحاديين إلى خدمة حركتهم 448. وللاستفادة من الأوضاع المؤيدة للصهيونية في القسطنطينية، وفي محاولة منهم لتوثيق علاقتهم فيها، قام زعيم الصهيونية بن غوريون وبن زيفي- و بتأييد من حزب عمال صهيون- بالالتحاق عام 1912 بجامعة القسطنطينية لدراسة القانون، لاعتقادهم بأن دراستهم ستتمكنهم من الوصول إلى البرلمان العثماني، وتمثيل اليهود فيه، وبذلك يتمكنون من جعل الهجرة إلى فلسطين قانونية، كما ستمكنهم من التغلغل في الأوساط الحاكمة الجديدة المعادية للعرب، إلا أن عدم معرفتهم بالقوانين التركية كان حجر عثرة في طريقهما، ففشل مسعاهما 449.

ربطت صحفة المنادي في 2 تموز/يوليو عام 1912 بين الهجرة اليهودية والاستيطان الصهيوني، وبين ظاهرة أخرى كانت تشهدها البلدان العربية، وهي الهجرة المعاكسة، فحاولت الصحفة تتبّع الحكومة إلى خطورتها، فقالت: "وإذا انتبهت الحكومة لأمر آخر جوهرى أيضاً، وهو منع السكان من المهاجرة، والمهاجرة الإسرائيلية... باتجاه فلسطين"، زادت الفائدة وارتقت البلاد ارتفاعاً عظيماً" 450.

لم تكن المنادي أول من كتب في هذا الموضوع، فقد دفعت ازدواجية موقف الحكومة من هجرة مواطنها داخل المملكة، وتتدفق اليهود الصهاينة من خارجها إليها- حيث تشددت في الأولى وتهاونت في الثانية-، إلى مهاجمة هذه السياسة، فانتقد أحد القراء وعبر صحفة المقتبس في 19 كانون الأول/ديسمبر عام 1911 سياستها حيال المهاجرين المسلمين الصربيين البوسنيين والهرسكينيين والجزائريين، وقال: "نرى الحكومة تغافلت منذ أمد عن استعمار اليهود الأجانب الصهاينة، وتخل الأن على العرب والمسلمين بقطع بعض من الأرض لتسكّنهم فيها" 451.

هاجمت صحيفة فلسطين في 2 تشرين الثاني/نوفمبر 1912 الحكومة الائتلافية، ووصفت الأوامر الكثيرة التي صدرت من قبلها بمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين حبراً على ورق، بما فيها الورقة الحمراء، وعقدت مقارنة بين الأوامر التي تمنع هجرة اليهود إلى فلسطين، وتلك التي تمنع هجرة أبناء فلسطين إلى أمريكا، مؤكدة أن الأوامر لم تتحقق الأغراض التي سنت من أجلها، بل استغلها الموظفون لاكتساب المال.<sup>452</sup>

ربط عبد الغني العريسي في حديثه عن مخاطر الهجرة الصهيونية في 8 كانون الأول/ديسمبر عام 1912، بينها وبين الهجرة المعاكسة، فقال: "إن أهالي البلاد الأصليين- العرب- يهاجرون إلى أمريكا. في الوقت نفسه، يهاجر الصهيونيون إلى بلادنا، ولا بد أنه سيأتي علينا يوم، إذا استمرت الحال على هذا المنوال، ويصبح العربي في بلده أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام".<sup>453</sup>

من كان له باع في الحديث في هذا الموضوع، سليمان البستاني، الذي عزى أسباب الهجرة المعاكسة إلى الحروب واحتلال الأمن، وتخاذل أبناء البلد، وظلم الحكام، وجشع جباه الأموال، وانتشار الأوبئة. ورأى البستاني أن المسلمين والمسيحيين في ذلك سواء، وبأنه ربما كانت الوطأة أشد على المسلمين منها على المسيحيين.<sup>454</sup> وفي مقال له بعنوان "الهجرة عند العرب"، نشرته صحيفة فلسطين في 26 تموز/يوليو عام 1913، ربط راغب الخالدي بين تزايدها وبين تأسيس المدارس الأجنبية، وتواتر الأجانب على البلد، مما أدى إلى إقامة علاقات بين الوافد والمقيم، ولا سيما في بيت لحم، حيث الأماكن المقدسة المسيحية، وبعد أن أحرز هؤلاء نجاحاً في المهجر تبعهم سكان القرى المسيحية الأخرى، مثل بيت جالا ورام الله، ثم تبعهم فلاحو القرى الجبلية المجاورة من المسلمين الذين يعانون الفقر الشديد، ورأوا النجاح الذي حققه جيرانهم، فأخذوا يهاجرون إلى أمريكا.<sup>455</sup>

مع ارتفاع أعداد المهاجرين العرب خارج بلادهم، وخصوصاً مع سماح الحكومة التركية بالهجرة لمن يرغب. وكان القانون العثماني قبل ذلك يمنع سفر من هم في سن العسكرية- تجددت المطالبة العربية بوقف الهجرة للحيلولة دون إفراغ البلد من أهلها العرب".<sup>456</sup>

أسهمت التطورات في العلاقة بين الصهاينة والحكومة التركية، وانعكاسها على زيادة الهجرة والاستيطان الصهيوني إلى ارتفاع الأصوات العربية المنددة بهذه العلاقة، فدعا بعض وجهاء فلسطين إلى مقاومة الهجرة بالوسائل السلمية من خلال تقديم العرائض للصدر الأعظم، ونشر المقالات بهذا الخصوص.<sup>457</sup>

استمرت الصحف في نقدها الموظفين الأتراك لتوطئهم وتهاونهم في تسهيل عملية الاستيطان والاستجابة لطلبات المستعمرات، فوجّهت صحيفة فلسطين نقداً لاذعاً لأمر المتصرف مهدي بك بالموافقة على غرس شجر اليو كالبلوس في الأراضي المحيطة بالقرى القرية من شاطئ البحر، أي في جهات المستعمرات اليهودية، لأنه بهذا القرار " تكون عيون قارة قد استقادت الآن من هذا الأمر في مدة أسبوع، ما لم تقدر أن تستفيده في مراجعتها وطلباتها من الأستانة مدة خمسة عشر عاماً".<sup>458</sup>

وعلقت صحيفة المنادي على قرار المتصرف بقولها: "ليس فيه شيء من الغرابة، فإن ما تتصبو الصهيونية إلى نيله منذ كونهم وشروعهم في تنفيذ فكرتهم، سينالونه بفعل عطوفة المهدى، في شهور قليلة إذا مد الله في حبل أيام حكمه في هذه البلاد".<sup>459</sup>

ثمة مسألة أخرى مهمة، تناولتها صحيفة المقتبس، وكانت قد أشارت إليها صحيفة الكرمل، في العام السابق، في معرض حديثها عن حادثي الفولة والناصرة، إلا وهي تعدد أنواع الأسلحة التي وجدت بحوزة المستوطنين في عقب الاعتداء الذي قاموا به، فتساءلت "عندما تم جمع السلاح في عهد سامي باشا الفاروقى أين كان قائمقام طبرية شاكر آرطغرل أفندي عندما جمع من الأهالى حتى الباريد الإبراهيمية، واكتفى بالكتابة للمستعمرات الصهيونية فأرسلوا بضع بارودات عتقة، فلم تسأل الحكومة شاكرًا يومئذ، ولا اهتمت بجمع سلاح المستعمرات حتى صار أشقياؤها بحسن التقانة يهاجمون قرى الأهالى بسلاح الموزر، فتأمل".<sup>460</sup>

كما وجهت صحيفة الكرمل سؤالاً إلى قائمقام الناصرة أمين عبد الهادي في 26 تشرين الأول/أكتوبر عام 1912 عن أسباب تغاضيه عن أعمال البناء التي يقوم بها الصهاينة في الفولة، فرد بأن هذه العمليات ليست سوى مزاودة للماشية (أواخير)، إلا أن الكرمل شككت في صحة قوله، مؤكدة أن كل المستعمرات التي بناها الصهاينة بنوها تحت اسم (أواخير).<sup>461</sup>

ثمة بعد جديد أضافه عارف الشهابي - الذي كان يوقع كتاباته باسم "عبد الله بن منسي" - في وعيه خطر الهجرة الصهيونية، والهجرات الشعوبية عموماً، إلا وهو بعد القومي، وخطر مثل هذه الهجرات على القوميات، وإذا ما كان التغاضي عنها، أو تسفيتها مقصوداً أم لا من قبل الحكومة، فكتب في 23 كانون الأول/ديسمبر عام 1912 قائلاً: "إذا لم يكن ثمة داع يدعونا إلى التألف من فكرة المهاجرة سوى الغاية التي يخيل لنا أن الحكومة ترمي إليها، وهي إضعاف القومية في نفوس أبناء جلدنا، لكان بها مداعاة لنا على النفور والكراهية".<sup>462</sup> وانتقد محمد رشيد رضا التسهيلات التي تمنحها الحكومة للصهيونية، وما يتربّ عليها من زيادة خطر الهجرة الصهيونية.<sup>463</sup>

مع بداية عام 1913، بدأت الدعوة والترويج للتقاهم بين العرب والصهاينة، التي قادها حزب الإصلاح واللامركزية، فأخذت النظرة إلى الهجرة اليهودية والاستيطان - على الأقل بالنسبة إلى هؤلاء - تتغير إلى نظرة إيجابية؛ فعلى سبيل المثال، كتب داود برकات أحد أعضاء الحزب في صحيفة الأهرام عن ضرورة الهجرة لتطوير البلاد.<sup>464</sup>

تتجلى أهمية هذا الطرح في أنه كان المدخل الذي استخدمه الصهاينة لإثارة اهتمام العرب والتقاهم معهم، فبعد أن عاد هوتشبرغ في منتصف آب/أغسطس إلى الاستانة، بعد لقائه بعض الشخصيات العربية، لخاص انتباعاته في ما يتعلق بموقف الإصلاحيين العرب من الهجرة اليهودية، بأن المسيحيين أبدوا عطفاً عليها، وذلك لمواجهة التفوق العددي لل المسلمين، في حين لم يكن لدى المسلمين اتفاق على هذه

المسألة؛ فهم بين مؤيد ومعارض 465، وهناك من وضع شرطاً في حال الموافقة عليها: كتحديد العدد سنوياً، وتحديد الأرض التي يستوطنون فيها، وأن يجلبوا معهم مبلغاً من المال. أما المعارضون للهجرة بشدة، فانطلقوا في موقفهم هذا لمخاوفهم من دخول عنصر جديد ووحدة قومية جديدة بين الأكثريّة العربيّة التي تستمد قوتها من وحدة اللغة والعادات 466.

كان التخلص من المعارضة العربيّة للاستيطان الصهيوني والهجرة أحد الأسباب التي دفعت الصهاينة إلى الدعوة إلى التفاهم مع العرب، إذ كانوا واعين إلى أن جذور هذه المعارضة تعود إلى مرحلة مبكرة منذ محاولات "أحباء صهيون" في بداية ثمانينيات القرن التاسع عشر، كما كانوا واعين دائماً للخطر الذي تشكله الصهيونية على الحقوق العربيّة، لذا حرصوا على إتباع أسلوب التمويه من خلال تأكيد أنّ الهجرة اليهودية إلى فلسطين يمكن أن تقيّد السكان المحليّين خصوصاً، والإمبراطوريّة عموماً، ولا سيما أن اليهود مزودون بالقوى العاملة ورأس المال والتقدّية الحديثة، إلا أنّ هذه الوعود الخالبة لم تحل دون استمرار المعارضة العربيّة لنشاطات المستوطنين اليهود في فلسطين 467.

رأى زعيم الإصلاحيين العرب، رفيق العظم في نيسان/أبريل عام 1913- تماشياً مع طبيعة المرحلة- في الهجرة اليهودية والاستيطان مكاسب ثمينة، يمكن أن تتحقق من خلال أحوال المهاجرين اليهود وقدراتهم وذكائهم، وبأنه من الخطأ رفض هذه المساعدة، إلا أنه في الوقت ذاته، طالب بضرورة وضع نظام يضبط هذه الهجرة، كما هي الحال في كل البلاد المتقدمة، وكان له مأخذ على الهجرة- وفقاً لرده على الزعيم الصهيوني سوكولوف في صحيفة المقطم- أنه من الأسباب التي تضرّر العرب منها، هو عدم اندماج القادمين الجدد مع المجتمع الفلسطيني 468.

كتب حقي العظم في صحيفة الأهرام عن "الهجرة وأسباب مقاومتها"، فحاول أن يوضح نظرة الفلسطينيين والسوريين إلى استيطان اليهود النازحين من الظلم في أراضي فلسطين، وأن هؤلاء يهمهم رقي البلاد، ويعلمون بأن هذه الأرضي ينقصها المال والأيدي العاملة النشطة. أما أسباب مقاومة العرب الهجرة عموماً، والسوريين خصوصاً، فيعود إلى رفض المهاجرين التخلّي عن جنسياتهم الأجنبية، الأمر الذي أضر بالمواطنين، وكذلك ميل الصهاينة للاتحاديين، وإثارة الأخيرة الإسرائيليّين على العرب في المناصب، وليختم العظم مقاله بتوجيه تحذير للصهاينة بأن "يحسبوا حساب الشعب العربي، الذي دبت فيه روح الانتباه للمحافظة على حياته السياسيّة والاجتماعيّة، وبأنه قد يلجأ إلى الزئير غداً إذا دام تسرّب الشوك والريب" 469.

عكس المؤتمر العربي الذي انعقد في باريس في حزيران/يونيو عام 1913 هذا التوجه لدى قادة الحركة العربيّة آنذاك، في ما يتعلق بالهجرة اليهودية والاستيطان، فعلى الرغم من حساسية الموضوع وأهميته، إلا أنه لم تثار المسألة، فتحدث الشيخ أحمد طباره- أحد زعماء حزب الإصلاح- عن هجرة السوريين إلى الخارج، وتعرض بإيجاز إلى الهجرة إلى سوريا، مشيراً إلى وجود فريقين: فريق يستنكر مهاجرة غير العرب إليها، خوفاً من انتزاع المقيم بالوافد. وفريق آخر لا يرى فيها

مانعاً، بل فائدة، لاعتقاده بأن العرب يدمجون ولا يندمجون، ليختتم قوله بأنه لا يأس بالهجارة إذا كان لها نظام خاص<sup>470</sup>. والتقي حافظ السعيد نائب يافا، مع الشيخ طباره في ما قاله، من حيث أن ضرر الهجرة ينتفي إذا ما قيدت بشروط تتکفل بدفع الضرر، فلا يأس بها في هذه الحال<sup>471</sup>.

وكان عبد الحميد الزهراوي الموقف ذاته؛ إذ أبلغ الزعيم الصهيوني هو خبر غ في حديث سري معه- أثناء انعقاد المؤتمر العربي في باريس-، أنه مقتنع بأن الاستيطان اليهودي ضروري لرقي هذه الأقاليم، وإن كان اشترط لذلك الجنسية العثمانية، وعدم طرد الفلاحين<sup>472</sup>. عقب انعقاد المؤتمر العربي، صرخ الزهراوي في 25 حزيران/يونيو، بأنه يعتبر الهجرة اليهودية ليست أمراً مرغوباً فيه فقط، بل ضروري. وكرر في لقاء آخر موافقته عليها، ولكن بشروط منها حمل الجنسية العثمانية، وضمان عدم إخراج العرب من أراضيهم التي يبيعونها لليهود<sup>473</sup>.

جاء موقف الإصلاحيين هذا، على الرغم من تلقي المؤتمر عشرات الرسائل المنددة بالخطر الصهيوني، والمطالبة باتخاذ موقف حازم من الهجرة اليهودية<sup>474</sup>.

هذا التناقض أو التبدل في موقف قادة الحركة العربية، وآلية الطرح لمسألة الهجرة أثناء انعقاد المؤتمر، كان لجهود الصهاينة دور كبير وفاعل فيها، وفي مقدمة هؤلاء هو خبر غ الذي تكشف تقاريره لقادته عن المؤتمر أهمية هذا الدور، فيشير في أحدها في 10 تموز/يوليو عام 1913 إلى الجهد الذي يبذله مع الوفود السورية حول هذا الموضوع، من خلال تذكيرهم بأن أي قرار ضد الهجرة اليهودية سيحرم العرب من جميع مساعدات العالم اليهودي، وستصبح قوته هذا العالم ضدهم وليس معهم، وأكد أن جهوده أثمرت وذلك بتحول موقف الشيخ طباره المكافل بالحديث عن الهجرة<sup>475</sup>.

آثار موقف الإصلاحيين العرب المتعاطف مع الهجرة اليهودية غضب الفلسطينيين واستهجانهم وسخريتهم؛ فصحيفة فلسطين سخرت في تموز/يوليو عام 1913 من الاهتمام بهجرة منكobi الروملي إلى سوريا، وتجاهلهم أخطار الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وتساهل الحكومة العثمانية في تنفيذ قيود الهجرة، وما سينجم عن ذلك من مشاكل في المستقبل<sup>476</sup>. كما نشرت الصحيفة ذاتها في 28 آب/أغسطس عام 1913 مقالاً لعيسي السفري بعنوان: "لقد أسمعت لو ناديت حياً"، استعرض فيه الخطر الداهم من الهجرة اليهودية، وهاجم رجال فلسطين بقوله: "لو كانت توجد غيره لتشكلت من أغنيائهم جمعية وطنية وقفت حاجزاً يمنع التيار الصهيوني"<sup>477</sup>.

هاجم نجيب نصار، وعبر صحيفة الكرمل زعماء المؤتمر لتهاونهم في الوقت الذي طلبوا فيه توطين مهاجرين الروملي في الأناضول، بدلاً من بلاد الشام، فتهكم ساخراً بقوله: "إن مهاجري الروملي يستعرّبون مع الزمن، لأن بيننا وبينهم روابط ومتّسّبات، ولكن المهاجرين الصهيونيّين لا يمتّزجون بشعب"<sup>478</sup>.

ما ضاعف من النكمة على أصحاب مؤتمر باريس أن الحكومة الاتحادية- وفي خطوة استباقية منها لخطب ود رأس المال اليهودي في أوروبا- قامت في تشرين الأول/أكتوبر عام 1913 بـإلغاء الورقة الحمراء المفروضة على اليهود

الأجانب 479، فرأىت صحيفة الكرمل في هذا القرار اعترافاً ضمنياً من الحكومة بعدم التعرض للذين هاجروا سابقاً، إما لسوء تصرف المسؤولين، وإما لضعف اقتدارهم "من حيث أنهم يظهرون كفاعة في تطبيق الورقة الحمراء، فمن المرجح أنهم لا يهمنون باتخاذ الوسائل لمعرفة المهاجرين وإخراجهم؛ فالورقة الحمراء كانت قانوناً غير معمول به، قانوناً صدر مع وقف التنفيذ" 480. كانت الصحيفة قد نبهت إلى نية الحكومة اتخاذ مثل هذا القرار، إذ لاحظت تساهل حزب الاتحاد والترقي في تنفيذ القيود على الهجرة، ونددت بهذا الموقف في أيار/مايو عام 1913 481.

رأىت صحيفة فلسطين أن قرار الإلغاء لم يأتِ بجديد، لأن الجوازات كانت ترد إلى أصحابها من طرق غير مشروعة، إذ كان يسمح لليهود بالإقامة في البلاد، وكل ما في الأمر أن الحكومة اعترفت بالأمر الواقع رسمياً، فسمحت لليهود بالهجرة إلى فلسطين، ومن غير قيد 482.

وعزت صحيفة القبس في 17 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1913 هذا الإلغاء، إلى التدابير التي اتخذها المؤتمر الصهيوني الحادي عشر المنعقد في فيينا في أيلول/سبتمبر عام 1913 483، الذي كان من أهم قراراته اعتبار مسألة الهجرة والاستيطان بالنسبة إلى الصهيونية قضية لا يمكن التناوض بشأنها، وضرورة السعي إلى إسكان كل من في الإمكان إسكانه في فلسطين من اليهود، معأخذ الضمان من الحكومة التركية على أن لا تطردهم ولا تحملهم من الواجبات والضرائب ما لا يحمله سكان فلسطين الوطنيين 484. كان الزعيم الصهيوني روبين قد قدم للمؤتمر صورة سيئة لما عليه وضع الاستيطان في فلسطين، فأشار إلى أنه أثناء زيارته شاهد، والأسى يملا قلبه، فتور الحماسة وانعدام الثقة لدى الكثير من أبناء المهاجرين في بعض المستعمرات، ولا علاج لذلك إلا بدماء فتية من مختلف أنحاء أوروبا، تعيد الشباب وتفتح في الأرض روحًا وثابة جديدة 485.

إذا ما تم الربط بين تاريخ انعقاد المؤتمر، وقرار الحكومة الاتحادية إلغاء الورقة الحمراء، يتضح إلى أي مدى وصل التنسيق أو التفاهم الصهيوني-الاتحادي، وإلى أي مدى كان الصهاينة صادقين في نواياهم للتفاهم مع العرب، وهو الأمر الذي لم يقرأه قادة الحركة العربية المنادين بالتفاهم آنذاك، بدليل استمرار المحاولات إلى ما قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى.

خلال العام 1913، نددت الصحفة- وخصوصاً الفلسطينية- بخطورة الهجنة الاستيطانية اليهودية- الصهيونية، وعبرت عن الاحتجاج الشعبي الذي أبداه الأهالي من الأساليب التي يتبعها اليهود في هذا المجال 486.

أثناء محاولات التفاهم، كانت المعارضة والمقاومة للأنشطة الصهيونية مستمرة في فلسطين، وتمثلت بالمقاومة شبه المسلحة في المنطقة الشمالية منها، و المعارضة الفلاحين للقادمين اليهود الجدد بمحاجمة المستوطنات اليهودية وغزوها 487.

علقت صحيفة القبس في 23 تشرين الأول/أكتوبر عام 1913 على خبر رفع يهود سالونيك للعلم العثماني بدلاً من اليوناني، وذلك عند احتلال اليونان بلادهم، بقولها:

”نحب أن يبرهن المهاجرون من يهود فلسطين على حبهم الجامحة العثمانية، بتجسهم بالجنسية العثمانية، ويعرفوا قدر العثمانية. أما الإسرائيليون العثمانيون، فلا شك عندنا بأنهم يقدرون العثمانية حق قدرها، ويستعدبون في سبيل المصلحة الوطنية حلوها ومرّها“<sup>488</sup>.

بقيت المصادرات بين العرب واليهود في المستعمرات الزراعية محدودة العدد والنتائج، عشية الحرب العالمية الأولى، ولكنها كانت البداية الحقيقة لصراع قومي بشأن مستقبل فلسطين<sup>489</sup>؛ ففي شباط/فبراير عام 1914، حدث صدام بين أهالي قرية غابة الجركس وأهالي مستعمرة الخضيرة، على حدود الأرضي أدى إلى جرح ستة من الوطنيين، وسبعة من المستعمرات الإسرائيليين<sup>490</sup>.

في مقابلة مع صحيفة الإقامة القاهرة في آذار/مارس عام 1914، ذكر حسني سليم الحسيني- الذي انتخب رئيساً لبلدية القدس عام 1910، وترشح لانتخابات مجلس المبعوثان عام 1914- أن الخطر الوحيد للحركة الصهيونية هو في حركة الاستيطان، لذا يجب سن القوانين الجديدة لمنع بيع الأرضي لليهود<sup>491</sup>.

أما حافظ السعيد مبعوث يافا، فقد كانت له وجهة نظر مغايرة بالنسبة إلى الهجرة، فرأى أنها ”قد تكون مصرة، وقد تكون نقىض ذلك، فإن كانت مربوطة بقيود وشروط تتكلف بدفع الضرر فلا بأس منها“<sup>492</sup>. والغريب في أمر تصريحات السعيد هذه، أنها صدرت عن شخص كان من أوائل من أثار مسألة الهجرة والاستيطان الصهيوني في مجلس المبعوثان، وحضر من خطرهما، وذلك في عام 1908- كما أسلف ذكره- فإذا كانت الهجرة والاستيطان في تلك المرحلة خطراً، فكيف هي في عام 1914 بعد أن أصبح للصهيونية صولة وجولة في فلسطين وخارجها، وبعد أن تكاثر المهاجرون اليهود في فلسطين، واستشرى الاستيطان وأصبحت أثاره واضحة للعيان؟ وهو أمر إن دل على شيء، فإنما يدل على أن مواقف النخبة العربية- على اختلاف تسمياتها- من الصهيونية، مواقف مزاجية متقلبة ومبطنة. والسؤال الآخر- اعتماداً على ما ذكره السعيد- والذي ربط فيه بين اتساع الأرضي، وقلة عدد السكان، وقبول الهجرة والاستيطان: هل يعني ذلك أن على كل شعب لديه مساحات واسعة من الأرضي وأعداده قليلة، أن يقبل بالغريب الغازي لبلاده باعتبار أن هناك حيز للجميع؟!

طرق إبراهيم سليم النجار في ما كتبه في صحيفة الأهرام في 14 نيسان/أبريل عام 1914 إلى أعداد سكان متصرفية القدس، وذكر أن ”عدد اليهود فيها يبلغ 300 ألف نسمة، أي ثلث نصف السكان في هذه البقعة، وبأن الإسرائيليين يزعمون بأن عددهم لا يتجاوز 180 ألف، وهو قول مردود لأن عددهم في القدس وبيافا وصفد وطبريا وحدها يزيد على هذا العدد الذي يذكرون“<sup>493</sup>. وقد جاء اهتمام النجار بمسألة عدد السكان انطلاقاً من أنه دستورياً بإمكان سكان متضامنين كالإسرائيليين أن ينتخبوا ثلث عدد أعضاء المجلس العمومي منهم، ”فيتصرّفوا وفتّنّ بجمع ميزانية المتصرفية كما يشأون، ويضعوا يدهم على السلطة، والذي يحازره العلاء هو أن يسعى متتفذو الإسرائيليين في الاستانة لدى الحكومة الحاضرة إلى تعديل حدود متصرفية القدس الإدارية، فتتم لهم الأكثريّة في المتصرفية بلا جدال“<sup>493</sup>.

ورد المعنى ذاته في الخطاب الذي وجده أحد أعيان القدس راغب الشاشبي للفلسطينيين في 19 نيسان/أبريل عام 1914، وبكلمات تعكس حجم الشعور بالخوف والخطر المترتب على زيادة عدد المهاجرين اليهود، واتساع حجم المستوطنات الصهيونية في فلسطين ونفوذها، فقال: "لم يأن أن نفكر في مستقبل بلادنا فلسطين، أنتمبني وطني لا تقاسون بأهالي دمشق، إن دمشق لم يزاحم أهلاها أجنبي حتى الآن، بل إن الذين يهاجرون إليها هم منبني جلدتنا وإخواننا في التابعية، وأما أنتم، فانظروا كيما القتم هلا ترون أن سبيل المهاجرة الأجنبي يقاد بغرقكم؟ إن فيها الآن منهم أكثر من مئة ألف شخص مختلفي التبعات، وعلى جانب كبير من المعارف والمقدرة، فمن يضمن لنا إذا حكمت البلاد بطريق الامركزية، أن لا يوعز الخواجا عنيبي وغيره من زعماء الصهيونية إلى عشرين ألفاً فقط من الصهيونيين أن يتجلسوا العثمانية، حتى إذا ما تم لهم ذلك سعوا بما لهم من نفوذ ومال إلى اكتساب الأكثريّة، فكانوا أعضاء في مجالس البلديات والإدارة والمجلس العمومي، وانصرف الأمر لهم، فتصبح فلسطين فعلاً يهودية على أهون سبب".<sup>494</sup>

استمر رصد أعداد المهاجرين اليهود ونوعياتهم ومستوياتهم العلمية والثقافية، فصحيفة لسان الحال في 15 نيسان/أبريل عام 1914 ذكرت أن باخرة نمساوية وصلت إلى ميناء يافا، وعليها أكثر من ثلاثة صهيوني، وعلقت الصحيفة على ذلك، بقولها: "ولم تر القدس منذ سبى اليهود حتى الآن هذا العدد، وفيه كبار السياسة والمؤلفون الفلاسفة والدكتاترة والمحامون".<sup>495</sup>

وبتوقيع مقدسي مغربي، تحدث أحد أبناء فلسطين عن مصالح الإسرائيليين في هذه البلاد، كونهم يهاجرون إليها من زمن الاستبداد أفواجاً أفواجاً، فتسكنهم جمعياتهم وتملكهم الأراضي وتهيئ الآلات الزراعية وغيرها من الحاجيات التي مهدت لهم سبيل الاستعمار بكل هناء وأمان، ولا يجهل أحد ما يساعدهم به حكام الدور البائد على تنفيذ مآربهم إلى أن أصبحوا في زمن قصير أصحاب أملاك ومزارع وببلاد".<sup>496</sup>

بعث أهل فلسطين برسالة استغاثة إلى النواب والزعماء العرب عام 1914 جاء فيها: "نحن في وسط نكاد نفني فيه، ونجلى عن بلادنا، ويحق علينا ما حق على هنود أمريكا".<sup>497</sup>

تبعاً لذلك، توالت ردود الفعل العربية التي اتسمت بشيء من الوعي لأبعاد هذا الخطر، فطالبت "جمعية مقاومة الصهيونية" التي تشكلت في أيار/مايو عام 1914 في القاهرة، من قبل الطلبة الفلسطينيين بتقديم الاحتجاجات والشكاوى إلى جميع الجهات ذات العلاقة، للعمل على وقف الهجرة.<sup>498</sup>

وجه أحد كتاب صحيفة لسان الحال رسالة تحذير في الأول من أيار/مايو عام 1914 إلى أهالي فلسطين من نتائج تدفق اليهود، وضرورة وعي خطورتها، وسبل مواجهتها، فقال: "نطلب مغارات الصهيونيين ونحن بهذا الخمول بدون جدوى، فالحذر ثم الحذر يا قوم لثلا تصبحوا غرباء، والغرباء مواطنون. فالآن هو الوقت

المناسب لإيقاف هذا التيار الجارف باتفاق الوطنيين يداً واحدة، واتباع وسائل النجاح التي يتبعها الصهيونيون، لئلا يكون لهم بعد هنيئة الأكثريّة في الرجال كما هي في المال، لأن عدد السكان الآن داخل لواء القدس 36 ألف مسلم، وثمانية عشر ألف يهودي، وستة عشر ألف مسيحي، وأطلب من كل وطني صادق أن يضع نصب عينيه ما سيؤول إليه حال هذه البقعة".<sup>499</sup>

أقامت الصحيفة ذاتها في 15 أيار/مايو عام 1914 وفي مقال بعنوان "الأرض ميراث المجتهدين"، مقارنة بين ما كانت عليه أراضي فلسطين قبل الاستيطان الصهيوني وبعده، فقالت: "وهكذا هي الحال بين الإسرائيليين الأوروبيين والوطنيين، فلهم نحو ستين مستعمرة بين سفح جبل الشيخ وغزة، وتدل كل واحدة على مقدرة الإنسان العظيمة، ونتيجة القاني والاجتهاد، وكانت تلك المستعمرات بين أيدي الوطنيين خراباً، وكانت الأموال الأميرية المفروضة على هذه الأرضي منذ نحو خمس عشرة سنة خمسين ليرة، فأصبحت الآن ألفين، وتلائق هذه المستعمرات قرى الوطنيين المهملة الخربة، فيسير الفريق على القاعدة الطبيعية أي تقدم المجتهدين، وتقهقر الكسالى الخاملين، وتكون النتيجة على مر الأيام، بقاء الأنسب وانقراض غير المناسب".<sup>500</sup>

#### رابعاً: الوعي العربي لخطر الهجرة والاستيطان الصهيوني من 1914-1917

بلغ الاستيطان اليهودي الصهيوني ذروته قبيل الحرب العالمية الأولى، فضرب بجذوره في الساحل والقدس، ووصل عددهم عام 1913 إلى 90 ألف نسمة<sup>501</sup>، وبلغ عدد المستوطنات عام 1914، 47 مستوطنة: ست وعشرون في السهل الساحلي، و12 في الجليل، واثنتان في القدس، وست في الأغوار، وواحدة في مرجبني عامر، ضمت جميعها 11990 يهودياً، أكثرها وأكبرها سكاناً "باتج تكفا" أو "ملبس"، حيث جمعت 4000 يهودي، وأقلها عثليت وضمت 51 يهودياً، والخضيرة 626 يهودياً، وربخوت كان عدد من فيها يوم تأسيسها 300 يهودي<sup>502</sup>. أما المناطق التي تصدت للاستيطان ولم يدخلها اليهود، فهي نابلس وأريافها التي تقطنها عشائر عربية. وكان لكل مستوطنة إدارتها وحراسها من اليهود، وتتمتع بامتيازات خاصة حصل عليها الصندوق القومي من حكومة الاتحاديين التي سمح لها بشراء الأراضي لحسابه، وإنشاء المستعمرات.<sup>503</sup>

استمر المهاجرون اليهود بالتوافد إلى فلسطين قبيل الحرب؛ فصحيفة لسان الحال أشارت في 22 تموز/يوليو عام 1914 إلى "قدوم أربعين راكباً إسرائيلياً من التابعية الروسية، حيث رفضت إدارة البوليس دخولهم، وأمرت البحارة بعدم إنزالهم إلى البر، فتوجه قنصل روسيا إلى الباخرة، وأخرجهم بالقوة رغم معارضته البوليس".<sup>504</sup> في 28 تموز/يوليو عام 1914، ذكرت الصحيفة أن عدد اليهود الذي يقدر أنهم دخلوا يافا من جهات مختلفة بـألف، أغلبهم من الشباب الأقوية والشابات.<sup>505</sup>

كانت الأغلبية الإشكنازية من المستوطنين اليهود، عشية الحرب الأولى، مستقرة ومنظمة كما يجب، ولا ينقصها من الناحية الثقافية والاجتماعية والمستوى

الاقتصادي سوى الأمان 506.

و عند اندلاع الحرب العالمية الأولى في 28 تموز/يوليو عام 1914، استطاعت الصهيونية أن توظف الظروف السيئة لصالحها، و توسيع رقعة الاستيطان، كاستغلال الظروف الاقتصادية السيئة التي شهدتها فلسطين من أجل هذه الغاية<sup>507</sup>. وبقي هاجس الهجرة والاستيطان مسيطرًا على التحركات الصهيونية خلال الحرب؛ فبن غوريون، عند اندلاع الحرب، وجد فيها فرصة للشعب اليهودي للاستيطان في أرض إسرائيل، فعرض على جمال باشا مشاركة وتعاوناً سياسياً وعسكرياً يهودياً مع الإمبراطورية العثمانية، إلا أن جمال باشا رفض، وطرده وزميله بن توفي وعدها آخر من اليهود<sup>508</sup>.

كما وضعت الصهيونية نفسها في خدمة الأهداف الاستعمارية البريطانية في الشرق العربي؛ ففي رسالة كتبها الزعيم الصهيوني وايزمن (Weizmann) في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1914، تحدث عن فائدة إسكان مليون يهودي في فلسطين، وعن أنهم سيطرون على البلاد ويعيدون إليها الحضارة، ويكونون حارساً فاعلاً لقناة السويس<sup>509</sup>.

في ما يتعلق بالعلاقة بين العرب وسكان المستعمرات، فلم يخل الأمر من بعض المصدامات؛ فقد ذكرت صحيفة لسان الحال في 27 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1914، أنه بينما كان د. ليفي الإسرائيلي متوجهاً إلى زمارين ومعه فتاة إسرائيلية تعرض لهما في الطريق أربعة من اللصوص وضربوه ضرباً مبرحاً، وسلبوا حوالجهم وتعدوا على الفتاة<sup>510</sup>.

أما في حifa، فلم يبلغ عن أي تعرض للسكان اليهود، فقد استمروا في السكن في الحي الشرقي مدة طويلة بعد عام 1914، ولم يكن هناك أي تنظيم عربي في حifa أو في المناطق المحيطة بها ضد الاستيطان<sup>511</sup>.

يعكس ما جاء في الأوراق والمستندات التي وجدتها الأتراك عام 1915 في القنصلية الفرنسية، درجة العداء للصهيونية والاستيطان الصهيوني؛ إذ تشير إلى وجود خطة عربية للتخلص من الصهيونية، تقضي بإضرام النار في المستعمرات اليهودية، وطرد السكان اليهود الصهاينة ألا أعداء العرب، وهذا هو السبب الذي من أجله كان الأتراك على استعداد تام لمساعدتهم<sup>512</sup>.

قدمت مجلة الهمال في شباط/فبراير عام 1916 تحليلًا لأثار الحرب العالمية الأولى على المستعمرات والوجود الصهيوني في فلسطين، كما عرضت التكالفة المادية العالية لإنشاء مثل هذه المستعمرات، وقدرتها بمئة مليون جنيه، ثم أوردت تصورات المفكرين اليهود حول أثار هذه الحرب، التي تلخصت في أنها قضت على آمالهم، ولا سيما مع ما رأوه من اضطهاد من الحكم الأتراك، واضطرار الكثير منهم إلى الهجرة إلى مصر<sup>513</sup>.

عادت المجلة ذاتها، وأكدت في تشرين الأول/أكتوبر عام 1917 تزايد أعداد اليهود خلال سنوات الحرب العالمية الأولى، وذلك عندما عرضت سكان المستعمرات

الإسرائيلية في يافا، وأشارت إلى أن عدد الأوروبيين والإسرائيليين بلغ أربعة آلاف وخمسمئة، وأن عددهم زاد كثيراً في السنوات الأخيرة 514.

استناداً إلى أحد تقارير المكتب العربي في القاهرة في 19 كانون الأول/ديسمبر 1917، فإن الصهيونيين قد امتلكوا حتى عام 1914، 130 ألف هكتار تقريباً، تشمل أراضي فلسطين 515.

تحقق خطوة مهمة لصالح الهجرة والاستيطان الصهيوني في الأول من أيار/مايو عام 1915، كشفت عن تصور مستقبلي لما ستحصل عليه الصهيونية عند انتهاء الحرب، وذلك من خلال المذكرة التي قدمها هربرت صموئيل (Herbert Samuel) إلى وزارة الخارجية البريطانية، حول مباحثاته مع الزعيم الصهيوني وايزمن ورئيس الوزراء البريطاني لويد جورج، وتنص على ضم فلسطين تحت النفوذ البريطاني من أجل المشروع الصهيوني، حيث عبرت المذكرة عن الأمل، بأنه تحت الحكم البريطاني، ستحصل الصهيونية على التسهيلات التي تحتاجها المؤسسات اليهودية لإقامة المستعمرات والتحكم بالهجرة، حيث سيعطى اليهود الأفضلية. في وقت لاحق، سينمو عدد السكان اليهود إلى أن يصبحوا أغلبية ويستقروا في الأرض 516. ومما تضمنته مذكرة صموئيل أيضاً "أن يتم حشد ثلاثة إلى أربعة ملايين يهودي في فلسطين" 517.

استمرت المتابعة العربية لمسألة الهجرة أثناء الحرب الأولى، فأشارت صحيفة المقبس في 16 أيار/مايو عام 1915 إلى طلب ألفين وثمانين إسرائيليين من التابعية الأجنبية، الدخول في التابعية العثمانية 518.

خلال الحرب، استمر الاستيطان الصهيوني؛ فتم بناء ثلاث مستوطنات يهودية جديدة: الأولى مستوطنة "نحالت يهودا"، في شهر أيلول/سبتمبر عام 1914، في ظاهر ريشون لصيون الشمالي؛ والثانية "كفار جلاري" إلى الجنوب من المطلة في 21 كانون الأول/ديسمبر عام 1916؛ والثالثة "إيليت هشر"، وكانت قد بنيت في عام 1892، ثم أخلت عام 1917، وأعيد في 30 حزيران/يونيو عام 1918 إقامتها، وكانت تعرف قبلاً بـ"نجمة الصبح" نسبة إلى الخربة المجاورة التي تحمل هذا الاسم 519.

في تقرير لأحد الدبلوماسيين البريطانيين، في بداية عام 1915، وصف لأحوال سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، قال فيه: "بالقرب من نهر الأردن هناك مستوطنات يسكنها يهود جزئيون ومغاربة مختلطة بقرى اليهود الفلسطينيين والأوروبيين" 520.

وصف تقرير بريطاني آخر أوضاع المستعمرات اليهود من شباط/فبراير عام 1916 إلى ربيع عام 1917، فقال: "إن معاناتهم بدأت منذ لحظة دخول تركيا الحرب، فرجالهم تمت تعبيتهم، وأملاكهم سلبت" 521.

كما قدم مراسل إحدى الصحف البريطانية وصفاً لرحلة قام بها في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1917 إلى يافا، فقال: "والذي يسافر في جنوب فلسطين يرى كلما تقدم

شمالاً أن العمران تزايد، وفي بعض الأماكن كالمستعمرات اليهودية التي نشط حولها قتال عنيف جداً رأيت للمرة الأولى أقواماً لا يلبسون ملابس أوروبية، إن الرملة بلدة جميلة تحيط بها بساتين وحدائق، ووراؤها سهل شارون المنتهي عند جبال السامر واليهودية، ولم يهدم العدو شيئاً من الأبنية في مستعمرة "ريشون ليصيون" الزراعية اليهودية" 522.

في كانون الثاني/يناير عام 1917، قدمت اللجنة الصهيونية في بريطانيا مذكرة إلى وزير الخارجية البريطاني مارك سايكس، كان من بين البنود التي تضمنتها أنه "على الحكومة التي ستتحكم فلسطين أن تسهل لليهود العالم حرية الهجرة إلى فلسطين، وأن تعطيهم كذلك حق الجنسية الفلسطينية" 523.

تكشف رسالة بعث بها يهودا إلى لويد جورج في 23 أيار/مايو 1917 أن أعداد اليهود في فلسطين هي 100 ألف يهودي تقريباً 524.

عند إصدار وعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني/نوفمبر عام 1917، فتحت فلسطين على مصراعيها للهجرة اليهودية على الرغم من معارضة العرب، ونقل أراضي الدولة للصهيونية من أجل الاستيطان 525. فإذا كان المؤتمر الصهيوني الأول قد نبه عرب فلسطين إلى مخاطر الاستيطان، فإن وعد بلفور ترجم هذه المخاطر إلى واقع 526.

في 29 كانون الثاني/يناير عام 1902، وفي مقال في المنار، تحت عنوان "حياة أمة بعد موتها، جمعية اليهود الصهيونية"، كشف محمد رشيد رضا عن التحايل التي كانت تتبعه الجمعية الصهيونية في الكشف عن مساعيها إلى جعل فلسطين مقر ملکهم وعرش سلطانهم، فقال: "إنها لم تكن تُظهر في أول الأمر طلب الملك، وإنما كانت تتناظر بحب نقل الفقراء اليهود والمخرجين المنفيين إلى بلاد فلسطين ليعمروها، ويعيشوا في ظل السلطان آمنين، وكأنها وثقت بقوتها الآن، فخرجت من مضيق الكتمان، وقد بعث منذ أشهر المستر زانغويل (Israel Zangwell) من لندن إلى الأستانة للمساومة في شراء القدس الشريف، ويقال إنه لقي من الحضرة السلطانية التفاتاً وانعطافاً، وعند رجوعه خطب: "إن اليهود سيرجعون بكثرة إلى فلسطين إلى مملكتهم القديمة التي لا يمكن أن تغرب شمسها من سماء أفكارهم، وسيبلغ عددهم فيها، سنة 2000 أي في آخر القرن العشرين مئتي ألف ألف (مليونين) نفس، وإن غاية ما يرمي إليه اليهود هو جمع النقود الكافية لابتياح أرض فلسطين من السلطان، الذي ستكون الحركة الكبرى تحت سيادته، وبلغ ما جمع إلى الآن ألف ألف دولار أمريكي (مليون)، وفي كل مدينة وقرية يتبؤها اليهود في مشارق الأرض ومغاربها فرع من الجمعية الصهيونية، يجمع المال لهذا الغرض، وكل ما جمع فهو من الفقراء 527، لأن الأغنياء مشغولون بمنافعهم الشخصية" 528.



## الفصل الثالث

# بدایات الوعی العربي لخطر بیع الأراضی للهیونیة، 1897-1917

أولاً: الوعي العربي لأهمية الأراضي بالنسبة إلى الصهيونية

يمكن تلخيص أهمية الأرض في الصراع مع الصهيونية بمقولة نجيب نصار وهي: "فبالأرض نبقى وننتصر، والأرض هي الفيصل لبقاء أو سقوط أو هزيمة أو نجاح الصهيونية".<sup>529</sup>

لقد أدرك الصهاينة أهمية هذه المقوله، وعملوا من أجلها؛ فالأرض بالنسبة إلى الصهيونية مادة الحياة لاستمرارية مشروعها في فلسطين، واليهودي الصهيوني عندما اشتري الأرض، اشتري الحلم ليحوله إلى واقع، لذا لم يكن يعر الثمن اهتماماً مهماً غلا، فالأرض قاعدة حلمه التي تربطه بالواقع، والتي تحقق عملية "الانقلاب الديمغرافي"، بطرد العرب الفلسطينيين من أرضهم، وإحلال اليهود مكانهم، إذ استندت الصهيونية في تحقيق هذا الهدف على شعارها الذي ينادي بمنح "وطن بلا شعب إلى شعب بلا وطن".<sup>530</sup>

بدأ اهتمام الصهيونية بالأرض مبكراً جداً، إذ وضع هرتزل خطة للاستيلاء عليها، تلخصت في ما كتبه في 12 حزيران/يونيو عام 1895 في مذكراته، بقوله: "عندما نحتل البلاد يجب أن نستخلص ملكية الأرض التي ستعطى لنا باللطف والتدريج، سنجاول أن نشجع فقراء السكان على النزوح إلى البلدان المجاورة، وذلك بتأمين أشغال لهم هناك، ورفض إعطائهم أي عمل في بلدنا. أما أصحاب الأراضي، فسيكونون إلى جانبنا، على أننا يجب أن نقوم بكلتا العمليتين: استخلاص الأرض، وإبعاد الفقراء بتعقل وحذر. يجب أن نعمل على إيهام أصحاب الأراضي التي لا تقل على أنهم يخدعوننا ببيعهم الأشياء بأكثر مما تساوي، وأما نحن فلن نبيعهم شيئاً، سيكون استخلاص الأراضي عن طيب خاطر مهمة عمالئنا السريين، ستدفع الشركة أثماناً باهظة، عندها سنبيع فقط لليهود، وستكون المتاجرة بالعقارات بين اليهود فقط، طبعاً لن نستطيع أن نصرح بهذا، ونعلن بأن أي بيع آخر ليس قانونياً، يجب أن نحافظ على ما يباع من ممتلكات من طريق فتح مجال للشركة أن تشتريه ثانية، أي أنه إذا أراد المالك أن يبيع ما يملكه، يكون لنا حق شرائه بالثمن الأول الذي وضعناه له".<sup>531</sup>

وكتب هرتزل في 3 أيار/مايو عام 1896 "إن نحن حصلنا على فلسطين، سنأخذ الأرضي التي يمتلكها السلطان ضمن القانون المدني، مع أنه ربما لم يكن هناك فرق بين السلطة الملكية وبين الممتلكات الخاصة".<sup>532</sup>

ولتحقيق هذا الهدف، شكلت الصهيونية الكثير من المؤسسات التي كان عليها متابعة عملية انتقال الأرضي إلى المؤسسات الصهيونية، وتسجيلها في السجلات الرسمية العثمانية.<sup>533</sup>

## ثانياً: الوعي العربي لخطر بيع الأراضي للصهيونية 1897-1908

جاء الوعي العربي لخطر شراء الصهاينة للأراضي مختلفاً - نوعاً ما - من غيره من الوعي لجوانب الخطر الأخرى المتعلقة بالصهيونية، كما أن مصادر الخطر المتعلقة بهذا الأمر كانت متعددة، فلا ينبع بالصهيونية وحدها، إذ كان عليهم الوعي للنشاط الصهيوني من جهة أولى، ولموقف الحكومة العثمانية وتعليماتها وقوانينها وتطبيقاتها وموظفيها من جهة ثانية، ولملك وسماسرة الأرضي على اختلاف مستوياتهم من جهة ثالثة، لذا تطلب الأمر وعيًا مزدوجًا ومضاعفاً، ولا سيما أن شراء الأرضي من قبل الصهاينة شكل ترجمة عملية وسريعة لما يمكن أن ينجم عن الأفكار الصهيونية، إذ أصبح العرب يرون النتائج ويعايشونه، مما تطلب منهم رفع حالة الوعي لديهم لمواجهة هذا الخطر.

بدأ الوعي العربي لخطورة استيلاء اليهود الصهاينة على الأرضي مبكراً جداً؛ فمنذ ثمانينات القرن التاسع عشر بقيت شعارات الفلسطينيين والعرب تتركز حول مجموعة من المطالب، كان أبرزها بيع الأرضي، واغتصاب اليهود لها 534. استجابة لهذه الاحتجاجات، أصدرت الحكومة التركية عام 1892 قراراً بمنع بيع أراضي الدولة الأميرية أو (الميري) في فلسطين لليهود من دون استثناء الرعايا العثمانيين منهم، وبقيت هذه الإجراءات سارية المفعول حتى عام 1900 535.

في 12 شباط/فبراير عام 1895 بعث عبد الباقي زاده حسني بك - وهو أحد أعيان حلب، وقائم مقام حيفا سابقًا - رسالة إلى الصداررة العظمى، قال فيها: "وأشد ما يعذب وجدان كل ذي جنان صادق عدم المبالغة والسكون من سكان الأرضي المقدسة من مسلمين ومسيحيين بتخلصهم عن أراضيهم رويداً رويداً، وانخراطهم في خدمة اليهود كالأجراء، أو اضطرارهم إلى المهاجرة من بلادهم إلى أمريكا" 536.

ونجد قول زاده هذا، ينطبق تماماً على آل سرسك الذين بدأوا ببيع أراضيهم للصهاينة مبكراً جداً، وقبيل انعقاد المؤتمر الصهيوني، وقد أشار هرتزل في يومياته إلى بيع هذه العائلة الأرضي للصهاينة في ما كتبه في 10 آذار/مارس عام 1897 إلى أن "جمعية الاستعمار اليهودية تتفاوض حالياً مع عائلة رومية اسمها سرسك على ما أظن من أجل شراء سبع وتسعين قرية في فلسطين، يعيش هؤلاء الروم في باريس، وقد خسروا أموالهم في القمار، وهم ي يريدون بيع ممتلكاتهم وهي ثلاثة في المئة من مساحة فلسطين، بسبعة ملايين فرنك" 537.

لقد أسمهم الوعي العربي، أو آخر القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين في الحد نوعاً ما، أو التصدي - بعيداً من السؤال إلى أي حد نجح في ذلك - للهجمة الصهيونية على الأرضي، فنحووا في استصدار تشريعات لمنع بيع أراضي فلسطين لغير العثمانيين، وعدم الاقتراض من المرابين، وتأسيس بنك زراعي فلسطيني لإقراض الفلاحين العرب حماية لهم من سطوة الصهيونيين وانتزاع ممتلكاتهم 538.

من أولى ردود الفعل العربية التي أعقبت انعقاد المؤتمر بهذا الخصوص، الرسالة التي بعث بها أمين أرسلان من باريس في 16 تشرين الأول/أكتوبر عام 1897 إلى

صحيفة المقطم، أكد خلالها أن هدف المؤتمر هو "المفاوضة في مشترى أراضٍ فسيحة وقرى كثيرة في فلسطين، وبحوار أورشليم في الدولة العلية" 539.

من أبرز الخطوات التي تم عن نصح في الوعي لخطر شراء الصهيونية للأراضي، الهيئة المحلية التي شكلها مفتى القدس محمد طاهر الحسيني عام 1897، وهي هيئة ذات صلاحيات حكومية مهمتها التدقيق في طلبات نقل الملكية في متصرفية القدس، فحال بذلك دون حصول اليهود على أراضٍ زراعية جديدة، وأوقف بيع الأراضي في متصرفية القدس عدة أعوام 540.

تعزز ذلك رسمياً بإصدار الباب العالي أوامره عام 1898، القاضية بعدم "جواز بيع الأراضي الأميرية الواقعة في ضواحي القدس الشريف لأجنبي أو وطني" 541. إذ أشادت صحيفة البشير في عددها الصادر في 8 آب/أغسطس عام 1898 بهذه التعليمات وأهميتها 542.

في تقرير نشرته صحيفة المؤيد تحت عنوان: "اليهود في سوريا"، ونقلته عنها صحيفة البشير في 20 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1899 تضمن معلومات مهمة حول تملك اليهود للأراضي في فلسطين، بحيث نجحوا حتى تلك المرحلة في الاستيلاء على قرى بأكملها، كالجاغونة والزبيد والمطلة والجسر، ونصف أراضي قضاء صفد، على الرغم من أن ذلك من نوع رسمياً، وأن ذلك تم بطرق ملتوية 543. وقد أعربت الصحيفة عن استغرابها من أن بدل أعشار القرى- إضافة إلى ضريبة دخولهم وتملكهم- التي ابتعواها من الأهالي، بقي كما هو قبلًا من دون زيادة، على الرغم مما غرسوه من الآلاف المؤلفة من كروم العنب والتوت والأشجار المثمرة، وما يعصرونه من الكميات العظيمة من النبيذ الذي يرسلونه إلى أوروبا، حيث يبيعونه بثمن باهظ لأن مصدره الأرض المقدسة 544.

فشل الأوامر المتعاقبة الصادرة من الباب العالي بعد عام 1897 في الحد من نشاط اليهود في شراء الأراضي. على سبيل المثال، قامت السلطات في بيروت عام 1900 بإبلاغ وزير الداخلية برغبة بعض المالك في بيع ممتلكاتهم في منطقة طبريا لليهودي الفرنسي ناركبيز ليفين (Narcisse Leven)، فأصدر مجلس الوزراء قراراً بمعاملته معاملة الأجنبي وفقاً لقانون عام 1868، ووافقت على عملية الشراء 545.

أدى ذلك إلى حملة احتجاجات واسعة عام 1900 قادها الفلاحون في فلسطين، ورفعوا العرائض احتجاجاً على شراء اليهود الأراضي العربية الزراعية 546، ومنها عملية بيع أراضٍ في طبريا من قبل عائلة سرقق اللبنانيه لليهود، وعندما جاء الفنيون لمسح الأرض تمهدياً لإتمام الإجراءات القانونية لنقل الملكية، قام الفلاحون بمحاجتهم ومنعوا عملية البيع 547.

صودف في هذا العام أن تخلى البارون روتشارلز عن جميع الأموال والقرى التي كان يمتلكها في فلسطين لجمعية خيرية إسرائيلية في باريس، فأصبحت قرية زمارين والجاغونة وسائر القرى التي عمروها لإسكان اليهود مختصة بتلك الجمعية 548.

كانت صحيفة البشير قد ذكرت في 12 آذار/مارس عام 1900 أن مساحة الأرضي التي اشتراها البارون روتسلد في ولاية بيروت تجاوزت المساحة التي كانت الحكومة قد أجازت له شراءها، لذا صدر الأمر بتعيين مفتش خاص لأجل التحقيق في الأمر.<sup>549</sup>

نبهت صحيفة الثمرات في تقرير لمندوبيها في صفد في كانون الأول/ديسمبر عام 1900- نقلته صحيفة البشير- إلى أحد الأساليب التي يتبعها الصهاينة في الاستيلاء على الأرضي وهو ”أن تحاسبهم الحكومة على الحدود لا على الدونمات، إذ كثيراً ما يشترون الأرضي الفسيحة التي لا يجوز لهم تملكها إلا بإراده سنية، فيحددونها بالجهات ليوحوا أنها ذات مساحة قليلة، ولو مسحت، وتبيّن مقدار دونماتها لما جاز لهم تملكها بوجه أبداً“.<sup>550</sup>

وقد ختم المراسل تقريره بالإشارة إلى مسألة مهمة تشير إلى معرفة حقيقة ما تقوم به الصهيونية ووعيها، فقال: ”وعسى أن تكون الحكومة عالمـة بـحـقـيقـة أخـبـارـهـمـ، إذ عـلـمـتـ منـ أـسـرـارـهـمـ فـيـ سـيـاحـاتـيـ هـذـهـ ماـ لـوـ أـبـوـحـ بـهـ لـمـ جـازـ أـنـ يـبـاعـ يـهـوـديـ شـبـرـاـ منـ الـأـرـضـ فـيـ هـذـهـ الـبـلـادـ، وـلـعـلـيـ أـوـافـيـكـمـ قـرـيبـاـ بـبـعـضـ ماـ وـقـفـتـ عـلـيـهـ مـعـ بـيـانـ الـقـرـىـ الـتـيـ بـيـعـتـ لـهـمـ، وـمـاـ أـنـشـأـوـاـ فـيـهـاـ مـنـ الـأـبـارـ، وـالـأـبـنـيـةـ الشـاهـقـةـ، وـكـذـلـكـ الـقـرـىـ وـالـمـزـارـعـ الـجـارـيـ بـيـعـهـاـ لـهـمـ بـأـسـمـاءـ مـسـتـعـارـةـ خـدـمـةـ لـلـدـوـلـةـ وـالـوـطـنـ الـعـزـيزـ“.<sup>551</sup>

شنـتـ الصـحـافـةـ خـلـالـ الـعـامـ ذـاتـهـ حـمـلـةـ ضـدـ بـيـعـ أـرـاضـ بـيـنـ النـاـصـرـةـ وـجـنـينـ مـنـ قـبـلـ رـابـطـةـ الـاسـتـيـطـانـ الـيـهـوـديـ، وـالـتـيـ تـصـدـىـ لـهـاـ مـحـافـظـ مـنـطـقـةـ النـاـصـرـةـ، وـلـكـنـهـ فـشـلـ فـيـ إـيقـافـهـاـ.<sup>552</sup>

في 25 حزيران/يونيو عام 1900 قرر الباب العالي تشكيل لجنة مؤلفة من ثلاثة مأمورين، لأجل التحقيق في بيع الأرضي داخل ولاية عكا.<sup>553</sup>

كما أصدرت الحكومة العثمانية عام 1901 تعليمات جديدة رأى فيها بعضهم خدمة لليهود بدلاً من الحد من توسيعهم؛ إذ منحـتـهـمـ حقـوقـاـ مـتـسـاوـيـةـ كـرـعـاـيـاـ عـثـمـانـيـيـنـ، وـمـكـنـتـهـمـ تـالـيـاـ مـنـ شـرـاءـ الـأـرـضـيـ الـأـمـرـيـةـ، فـمـاـ كـانـ مـنـ الـمـعـارـضـيـنـ لـمـثـلـ هـذـهـ الـخـطـوـةـ إـلـاـ أـنـ جـمـعـواـ تـوـاقـيـعـ لـتـقـيـمـ عـرـائـضـ اـحـتـاجـ لـلـبـابـ الـعـالـيـ.<sup>554</sup>

وبعد مدة وجيزة من إصدار هذه التعليمات، تم منح امتياز لرئيس جمعية الاستيطان اليهودي ليفن لشراء أراضٍ في منطقة طبريا، وحاول عنيتبي أن يوسع هذا الامتياز إلى متصرفية القدس، فعقد مجلس الإدارة فيها جلسة عاصفة عبر خلالها القاضي والمفتي عن غضبهما أثناء مناقشة الموضوع، والذي انتهى بمنح المجلس ليفن حق شراء الأرضي في القدس، مما أدى إلى تصاعد حدة الاحتجاجات، ولم تتوقف إلا بإلغاء الباب العالي امتياز ليفن في منطقة طبريا، وإلغاء كل عمليات نقل الأرضي باسمه في القدس.<sup>555</sup>

تشكلت في تشرين الأول/أكتوبر عام 1901 منظمة محلية مهمتها الحيلولة دون بيع الأرضي لليهود.<sup>556</sup> وخلال العام 1901، وبداية العام 1902 كانت وتيرة

الكراهية تجاه اليهود آخذة بالتفاقم في المجلس الإداري والمحاكم وبين المسؤولين الرسميين 557.

في مقال بعث به سليم قبعين إلى مجلة الجامعة في كانون الثاني/يناير عام 1902، بعنوان: "بلدان فلسطينية يصفها فلسطيني"، كشف عقم المحاولات - سواء من جانب الحكومة التركية وتعليماتها لمنع شراء الأراضي، أو المعارضة العربية لها - للوقوف في وجه الطوفان الصهيوني في شراء الأراضي، قال فيه: "إن جمعية الاستعمار الإسرائيلي ابتاعت من جهات طبريا نحو ستين ألف دونم أرض، وشرع تغرس الكروم وتنشئ الحدائق والأشجار" 558.

هذا النجاح الذي حققه الصهيونية في مسألة شراء الأراضي، لم يثن بعضهم عن الاستمرار في محاربتها؛ ففي عام 1905 تصدى رئيس مجلس بلدية القدس سعيد الحسيني لبيع الأراضي للمنظمة الصهيونية ومؤسساتها في منطقة القدس 559.

### ثالثاً: الوعي العربي لخطر بيع الأراضي للصهيونية من 1908-1914

زادت الهجمة الصهيونية شراسة عام 1908- في أعقاب الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني- ومهما أسمهم في ذلك زياده النفوذ الصهيوني في دوائر الحكم في الآستانة، والوزراء اليهود في الحكومة الاتحادية 560، أضف إلى ذلك أن الحكومة الاتحادية لم تعرف بحقوق المزارعين فيها، ورأت فيها سلعة رائجة من مخلفات السلطان السابق، وأخذت تتحين الفرص المناسبة لطرحها في المزاد العلني لبيعها على اعتبار أنها أصبحت من ممتلكات الخزينة، ففي عام 1908 أجبرت المعارضة السلطان التنازل عن جميع أراضيه في الإمبراطورية إلى خزينة الدولة، فأصبحت تعرف باسم الأرضي المدور (أي المنقلة أو المحولة) بدلاً من الجفتلك السلطاني، وأصبحت دوائرها ومديرياتها تعرف باسم الأرضي المدور 561.

أهدت عملية تنازل السلطان عبد الحميد الثاني عن الأرضي الأميرية الطريق للصهيونية من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من هذه الأرضي، فاستغلت الأوضاع المالية السيئة التي كانت تعاني منها الحكومة عام 1908 لنقدم عروض شراء وامتيازات لهذه الأرضي، بحيث أصبحت العاصمة الآستانة خلال الأعوام 1908-1914 ملادزاً مناسباً لمندوبي الشركات والسماسرة والطامعين في السيطرة على الأرضي السلطانية 562.

ويبدو أن الوعي العربي لموجة شراء الأرضي خلال العام 1908 كانت من القوة والكم بحيث اضطر بن غوريون إلى تعلم اللغة العربية لدراسة القانون للتفاهم مع الزبائن العرب، وذلك من أجل مطالبتهم بإخلاء الأرضي التي تم شراؤها منهم، حيث واجهوا مقاومة عربية عنيفة، ورفضوا إخلاء الأرضي، فيشير بن غوريون إلى ازدياد حدة النزاع على الأرضي، وبأنه في العام 1909 أخذ العرب بالاستيلاء بالقوة على أراضي اليهود 563.

ويؤكد قول بن غوريون هذا، ما جاء في تقريرين لأحد ناشطي الحركة الصهيونية بتاريخ 11 و 17 تشرين الثاني/نوفمبر 1908، يصف فيهما الأوضاع بعد الانقلاب

العثماني، بقوله: "بحسب الأخبار التي تصل من الجليل أثارت الحرية حماسة واسعة بين الفلاحين حتى أنهم صاروا يهددون كبار ملوك الأراضي وسكان المستعمرات اليهودية، إذ أنهم يخطئون في تقسيم الحريات التي أعادها الدستور، وكأن في استطاعتهم استعادة الأراضي التي كانت في حيازتهم وباعوها في الماضي".<sup>564</sup>

كما هاجمت مجلة الأصمعي التي أصدرها حنا العيسى عام 1908 التسهيلات التي وفرتها الحكومة التركية للصهاينة للاستيلاء على الأراضي العربية.<sup>565</sup>

دعا نجيب عازوري في تشرين الأول/أكتوبر عام 1908 إلى ضرورة أن تتخذ كل الوسائل والذرائع اللازمة لتهيئة رأس المال الأجنبي لتشغيل الأراضي الموات والمترفة.<sup>566</sup>

وأرسلت في العام ذاته برقيات احتجاج من أغلبية المدن الفلسطينية، موجهة إلى السلطات العثمانية اعترافاً على بيع الأراضي للمستوطنين الصهاينة.<sup>567</sup>

ويتمثل البيان الذي بعث به عدد من الشخصيات الوطنية الفلسطينية عام 1908 إلى مجلس المبعوثان حالاً من الوعي لدى النخبة الفلسطينية، وتكمم أهميته في أن الشق الأول منه عبارة عن رسالة تحذير موجهة إلى المواطنين من مغبة التقرير بالأرض لصالح الصهاينة، ليصبحوا بلا بلاد تأويهم، كما فعلوا بكثير من الفلسطينيين. أما الشق الثاني من البيان فهو موجه إلى نواب فلسطين في مجلس المبعوثان يطالبهم بعدد من المطالب لمواجهة الخطر الصهيوني، في مقدمها التحذير التالي: "لا تبيعوا لهم أراضيكم واستعملوا كل نفوذكم في منع الفلاح من البيع، وانبذوا السماسرة وحقروهم... أغرسوا في قلوب الوطنيين - وبالخصوص الناشئة - حب العمل في الزراعة والتجارة والصناعة، وارأفوا بالفلاح وأعلوا من شأنه".<sup>568</sup>

ويتبين من مضمون البيان، ومن الأطراف الموجهة إليه، أنه أصاب أساس المشكلة، وقدم الحلول لها.

تصدت صحيفة الكرمل وصاحبها نجيب نصار منذ أواخر عام 1908 لعمليات شراء الأراضي، وينم الشعار الذي رفعته الصحيفة عن درجة عالية من الوعي والفهم لخطورة القضية، وتلخص شعارها بما يلي: "بيعوا للليهود كل شيء باستثناء الأرض، ولا تشتروا من اليهود إلا الأرض".<sup>569</sup>

كان لهذه الصحيفة دور مهم في التوعية وفضح صفات بيع الأراضي في منطقة العفولة والجفتلak في وادي الأردن وغيرها، حيث دأب صاحبها على تحرير نصائح العرب على الامتناع عن بيع أراضيهم، فاعتبر بذلك المحرض الأول وأحد مسببي بعض الحوادث في المستوطنات والعرب، مثل حادثة الشجرة في ربيع عام 1909، وقد عطلت الصحيفة جراء ذلك مرتين خلال العام 1909، وذلك بتهمة الإخلال بالأمن.<sup>570</sup>

انطلق نصار في معارضته وتحريضه وتوعيته من فلسفة تتلخص في أن الولايات السورية، وخصوصاً منطقة فلسطين هي عربية، وبأن السماح للصهاينة بشراء

الأراضي واستيطانها يجب أن يتوقف<sup>571</sup>، ولم يكن هدف نصار تحرير ضد الرأي العام ضد الصهيونية وتوعيته فحسب، بل التبيه لحالات التواطؤ من جانب السلطات التركية لتسهيل بيع الأرض لليهود<sup>572</sup>.

ومن الأمور التي امتازت بها صحفة الكرمل، وجعلتها أكثر تأثيراً في الرأي العام، هو اطلاعها على ما كان يجري في الخفاء، وكانت تقوم بدورها بإطلاع الرأي العام عليه، وذلك بغية إفشال صفقات السماسرة لبيع الأرضي، وفي الوقت ذاته وجهت جهودها إلى الفلاحين محدراً من أن يرهن أحدهم أرضه لدى الشركة الأنجلو- فلسطينية كونها شركة صهيونية<sup>573</sup>.

شهد عام 1909 تحولاً في الوعي العربي لخطر الاستيلاء الصهيوني على الأرضي، ففي حين كان يحركه في الأغلب - وخصوصاً لدى الفلاحين - المناسبة الاقتصادية التي عانها الفلاح الفلسطيني، نجده ينطلق منذ عام 1909 من قاعدة أيديولوجية قوية<sup>574</sup>، تتمثل بأن الصراع العربي - الصهيوني هو صراع بين قوميتين، وتالياً انعكس هذا التحول على نوعية المواجهة لهذا الخطر، فكان هناك إلى جانب الحرب بالكلمة والموافق، حلول عملية على أرض الواقع، تمكن أصحاب الأرضي - وخصوصاً الفلاحين - من الصمود أمام الضغوط والمغريات الصهيونية؛ ففي تشرين الأول/أكتوبر عام 1909، تأسست في حيفا وبيافا والقدس لجان النضال ضد بيع الأرضي للصهاينة<sup>575</sup>. وأسس نجيب نصار اتحاداً في حيفا، كان هدفه الوحيد النضال ضد الصهيونية من خلال إيقاع الحكومة بمنع بيع الأرضي<sup>576</sup>.

وخلال عام 1910 وما بعده، أسهمت - إضافة إلى الكرمل - صحف عربية أخرى في حرب الأرضي، وكان أعداءهم فيها الصهاينة من جهة، والسماسرة والسلطات التركية وبعض موظفيها من جهة أخرى؛ فصحفية المقتبس في عددها الصادر في 15 آذار/مارس عام 1910 وصفت الهجمة الصهيونية على الأرضي بقولها: "ترام اليوم لا يعرض للبيع عقار وأرض في حيفا وما يليها إلا وينقضون عليه، ويشترونه بأثمان باهظة، ومواطناً فلسطيني قصير النظر، لا يعلم أن يحدد هذا الذي يكبره اليوم، سيكون وبالاً عليه غداً"<sup>577</sup>.

وجه عبد الله مخلص في 15 آذار/مارس عام 1910 كتاباً مفتوحاً إلى مجلس المبعوثان، محذراً من العواقب المترتبة على بيع الأرضي للمهاجرين اليهود، وبأن ذلك ينذر بال نهاية التي ستحل بعرب فلسطين، وبأنها ستكون مماثلة لما حل بالعرب في الأندلس<sup>578</sup>.

ويتضح من هذا الكتاب أن الصراع مع الصهيونية بالنسبة إلى عبد الله مخلص، هو صراع وجود ومصير، وبأنه يهددبقاء العربي الفلسطيني في فلسطين، وفي قوله هذا، فهم ووعي عميقين لحقيقة الصراع مع الصهيونية، وأهمية الأرض فيه.

علقت صحفة الكرمل في 13 كانون الأول/ديسمبر عام 1910 على أوامر الحكومة ببيع الأرضي خارج سور عكا قطعاً صغيراً بالمزاد العلني للأهالي، وأن يكتب قائمة بأسماء الفقراء لترسل إلى الوزارة المالية ويصادق على إعطائهم

لزومهم مجاناً، بقولها: "نأمل أن يظهر الكوسميون اهتماماً بالأمر، ولا يتبع طريقة التسويف فيملّ الناس، ونرجو ألا يكون عدد السمسرة الذين يشترون لليهود الأجانب كثيراً".<sup>579</sup>

ومن أبرز قضايا الأراضي التي شهدتها عام 1910 تلك التي قام بها إلياس سرق، ببيعه الأراضي الواقعة بين الناصرة وجنين وتخص قرية الفولة، وقد أثارت عملية البيع هذه معارضة شديدة، فأرسل الأهالي - عندما علموا بهذه المفاوضات في أيار / مايو عام 1910 - برقايتين إلى الأستانة: الأولى من الناصرة بتوقيع المخاتير وممثلي الطوائف الدينية في المدينة؛ والثانية من حifa بتحريض من نجيب نصار.<sup>580</sup>

وتساءل عبد القادر القباني، أحد أعيان بيروت مستغرباً من أنه "من جملة سينات الدور السابق ورود الأوامر المبنية على الإرادة السلطانية بمنع بيع الأراضي إلى اليهود، ومع ذلك كان يحصل البيع، وبعد الانقلاب، وبدور الحكومة المشروطة تقرر منع بيع الأراضي في فلسطين إلى اليهود، وهذه أراضي قرية الفولة في لواء عكا تباع لهم فما معنى ذلك؟"<sup>581</sup>

كان الموقف الأبرز في مسألة بيع أراضي الفولة وغيرها، لقائمقام الناصرة آنذاك شكري العسلي، الذي ينم عن درجة عالية من الوعي، افترضت بالتصدي العملي لعمليات نقل ملكية الأراضي المباعة، مفندًا معارضته هذه انطلاقاً من أن سرق أداة غير أمينة بأيدي شركة أجنبية، كما طالب بحقوق الفلاحين ضامني الأراضي بعدم طردتهم وظلمتهم، ومنعهم من مغادرة الفولة، وقام بوضع أربعة جنود في الفولة لمنع الاستيلاء على الأراضي، ولكن صلابة موقف ومعتقد العسلي لم تجد نفعاً أمام تعنت والي بيروت وحاكم عكا - إذ اشتراهما الصهاينة بالمال - فأجبروا الفلاحين على إخلاء الأرض، وتحويل الملكية في كانون الثاني / يناير عام 1915.<sup>582</sup>

ولكن هذا التواطؤ لم يثن العسلي عن متابعة جهوده للحيلولة دون استيلاء الصهاينة على أراضي الفولة، منطلاقاً هذه المرة من أن توطين اليهود والرعايا الأجانب فيها يعد مخالفة للقانون، بسبب قربها من سكة الحديد الحجازي<sup>583</sup>، حيث تمثل محاولته هذه حالاً من الوعي تميز بها العسلي في حربه مع الصهيونية، وتتمثل بإدراكه للغاية الحقيقة لدى الصهاينة للاستيلاء على أراضي الفولة تحديداً، وهي قربها من خط سكة الحديد الحجازي، إذ كانت العفولة إحدى محطات القطار، وكانت أراضي الفولة تبعد عنها ثلاثة كيلو متر<sup>584</sup>، لذا كان من بين الأساليب التي اتبعها في حربه على الصهيونية، لفت نظر المواطنين إلى مواد القانون التي تخولهم حق الشفعة في الشراء والتملك، ولا سيما أن بعضهم أخذ يطالب الحكومة باستردادها باسم الأهالي.<sup>585</sup>

من ذلك أيضاً، حثه أهالي الناصرة على ملاحقة طلباتهم بشأن الخط الحديدي الذي كان مقرراً إنشاؤه من العفولة إلى الناصرة<sup>586</sup>، فخرج جمهور غير يعد بالآلاف من قصبة الناصرة والقرى وقاموا بمظاهرة وطنية تجاه دار الحكومة مطالبين القائمقام بإيصال صوتهم للاستانة لموافقة على مرور الخط الحديدي الذي تقرر مده

إلى عكا بالناصرة وصفوري وشفا عمرو، واستعدادهم لدفع ما تفرضه عليهم الحكومة من نفقات 587.

ويسجل العсли في خطوطه هذه حالاً آخر من الوعي لكيفية التعامل العملي مع الصهيونية وأساليبها، وذلك من خلال رفع درجة الوعي لدى أصحاب الأرض بحقوقهم وما لهم وما عليهم، إضافة إلى تقديره لأهمية دور الأغنياء والوجهاء في مواجهة الصهيونية، فتوجه إليهم في مثل هذه القضية المصيرية.

لعل البرقية التي أرسلت إلى والي بيروت والصادرة العظمى والداخلية ورئاسة مجلس المبعوثان باسم أهالي الناصرة، وبنتوقيع نادي الاتحاد والترقي والمفتى ورئيس البلدية وأحد أعضاء مجلس الإدارة والمحكمة، يحذرون فيها الوالي من فراغ قلعة الفولة، لدليل واضح على نجاح العсли في مسعاه إلى التأثير في أهالي البلدة وأعيانها، يؤكد ذلك نص البرقية الذي جاء مشابهاً إلى درجة كبيرة لما كتبه العсли في صحيفة المقتبس عن صلاح الدين الأيوبي، ومن معه من المجاهدين الذين جبلت دمائهم بتراب هذه الأرض، ليتم تسليمها بعد ذلك كله إلى مثل الصهيونية افرائيم 588.

يتجلّى وعي العсли خطر الصهيونية في قضية بيع الأرضي واضحًا من خلال رده على سؤال نجيب نصار حول موقفه من بيع الأرضي فقال: "أنا شاب، ونفسي تطلب العلا، ولكن ثق بأني أفضل العزل وخسران مستقبلي على التصديق على بيع وطني من أعداء أمتي ودولتي" 589.

وصف نجيب نصار ثبات موقف العсли تجاه قضية أراضي الفولة في معرض مقال نشره في صحيفة المقتبس بعنوان "بينبني إسماعيل وبني إسحق"، في الأول من كانون الثاني/يناير عام 1911، بقوله: "فلله كم يحتالون على نيل أماناتهم، وكيف يتقلبون لتنفيذ غایاتهم، ولكن قائمقام الناصرة على ما تعهدونه من الإخلاص والتفاني في خدمة الوطن فهو لا يخدع ولا يميل" 590.

دفع شكري العсли منصبه ثمناً لموافقه هذه ولكن، وفي المرحلة ذاتها، تم انتخابه نائباً عن دمشق في مجلس المبعوثان، ليستأنف من هناك معركته.

ساند نجيب نصار العсли في موقفه، فحاول من خلال مقالات كثيرة أن يؤثر في موقف أصحاب الأرضي، وأن يثيّهم عن بيعها، وعندما لم ينجح هؤلاء في مقال بعنوان: "نصب صلاح الدين بين الناصرة وجنين"، اتهمهم ببيع حتى نصب صلاح الدين بمال يسير لينفقوه على الملاهي. واعتراضًا منه بفشله في مسعاه، عمد إلى نشر تفاصيل الكثير من صفات بيع الأرضي للصهاينة 591.

وفي 14 شباط/فبراير عام 1911 كتب نصار مهاجمًا موقف والي بيروت من بيع أراضي الفولة، فقال: "فلنا لشكري العсли مبعوث الشام إن إحدى الجرائد البارزة التي تحترم مبادئها أشارت على إثر ما نشرناه عن بيع الفولة إلى وجوب لوم المبعوثين (لا الوالي) الذين لا يستدركون أمر بيع الأرضي للأجانب، فأجابنا رشدي بك الشمعة إن المبعوثين يستطيعون أن يسنوا القوانين ولكنهم لا يستطيعون

أن يوجدوا رجالاً، وقال شكري أفندي كان يحسن بالوالى أن يبحث عن حقيقة الرجل الذى تقرفت باسمه الفولة، ومن أين أتوا بالمزارعين إليها، وإنهم قيدوا نفوسهم عثمانين فى شهر كانون الأول/ديسمبر أو الثاني، ولم يجر القيد على الأصول، وكفى بأدوار الحيل التي استعملت لفراغ الفولة دليلاً على أنها بيعت للأجانب المستعمرىن، وقلنا نحن غسلنا أيدينا من الفولة حينما بلغنا أن الوالى قال لأهلهما إنه زار زمارين فوجد أن الأهلين المجاورين للمستعمرىن قد تحسنت حالهم، وظننا أن الوالى يرى من واجباته كأكبر حاكم إداري في الولاية تحسين أحوال الأهالى الذين أشواهم الدور السابق، فلا يقضى على آمالهم بقوله ما يفيد أنهم يجب أن ينظروا إلى تحسين أحوالهم ممن يريدون أن ينزعوهم بقاءهم لا ممن وكلت إليه إدارة شؤونهم".<sup>592</sup>

كما حاول نصار كشف الاحتيال الذى مارسه أحد السمسارة الصهاينة ويدعى خانكى الروسي، للالتفاف على منع بيع أراضي الفولة، وذلك بتقديمه إخطاراً يدعى فيه الوكالة عن إلياس سرق، ويطلب مع بعض المزارعين الصهاينيين الإقامة في الفولة، وإدارتها زراعياً.<sup>593</sup>

كشف أحد أبناء فلسطين تحت عنوان "رحلة صغرى"، ما جرى من بيع الفولة، وذلك من خلال نقله حديثاً سمعه من بعض أهلهما، وملخصه "أن أولى الأمر اطلعوا على دخلية الأمر في بيع الفولة من الإسرائىليين، وأصدروا أمراً يقضى بمنعه، فسقط في أيديهم ويد سرق، الذى أشك أن يقبض العشرين ألف ليرة، وعند السؤال عن سرق وما قام به، رد بأنه تدبر أمره وقام بعمل على تسليمهم القرية من طريق الإيجار، ولكن لم يفلح في الصفة وتسجيلها عند محرري المقاولات في ولاية بيروت، فقصد لبنان فتعاطياً العقود أو كاداً، وأصبح الفوليون على شفا جرف الذل، والذي يزيد الطين بلة أنه يحاول إرضاء هؤلاء المساكين الذين استبعدهم السنين الطوال وجنى على ظهورهم القناطير المقتدرة من الذهب والفضة بنقلهم من مسقط رؤوسهم ومنبت غراسهم إلى مزرعة أخرى، ولكن ذلك كله من باب تسكين ثائرتهم حتى إذا ما قضى لبنته وأزاحهم من مكانتهم نبذهم نبذة النواة".<sup>594</sup>

عندما لمس نصار ضعف تأثيره في أصحاب الأراضي، تحول نحو إثارة عامة الشعب ضد الحركة الصهاينية، من خلال التركيز في مقالاته على أن الشعب بحاجة إلى زعماء يوقظونه من سباته، وخرجونه إلى الشارع لكي يتظاهر، ويحتاج بشكل قانوني وعنيف.<sup>595</sup>

الغريب في الأمر، أنه على الرغم من اطلاع الكرمل على كثير مما كان يجري في ما يتعلق بنشاط الصهاينية عموماً، وصفقات بيع الأراضي خصوصاً، إلا أنها كانت باستمرار وحتى مرحلة متاخرة، تنتهز رجال الحكومة الاتحادية عن التورط في هذه الصفقات، ففي 18 حزيران/يونيو عام 1910 كتبت تقول: "يقول الناس إن هذا الوزير (جاويد بك) يميل إلى مساعدة الجمعية الصهاينية أو بالحرى يتوهمن أنه اتخاذ عجز الميزانية حجة لبيع الأملاك الأميرية المدورة إلى الجمعية الإسرائىلية الأجنبية، على أننا لا نعتقد بوجود سبب يدعوه إلى هذا الخوف، لأن ناظر المالية من خيرة رجال الحكومة الدستورية كما يقولون، وقد وضع الأمة ثقتها به، ورقته

من وظيفة صغيرة وسلمته القيادة، أمن الممکن إذاً أن يبيع أملاکها إلى قوم لا يریدون بها وبشعبها خيراً... وهو ما لا تقدم عليه حکومتنا الدستورية، ولا يحتم به أحد من رجالها مع ما هو مشهور عنهم من الحرص على حقوق الحكومة والرعاية".<sup>596</sup>

تحت عنوان " وأنتم ماذا عملتم، ماذا عمل أغنياؤكم؟" ، قالت صحيفة الكرمل: "هم يتاجرون بمصالحکم ويبیعون الأوطان والشرف والمرءة وكل المبادئ الشریفة بمعبودهم الذهب الذي يشعل ضمائرهم بنار العذاب في ساعة الموت، لماذا تظہرون الأسف وتستعظامون الأمر وتلومون الحكومة على عدم دفع الشر، وأنتم تجلبونه علينا بأيديکم يا سماسة السوء، لتربحوا وتسود صفحات تاریخکم وتشقی بладکم وقومک؟ من قال لكم إن الحكومة تعید لكم أراضیکم وأنتم تسليونها من الفلاح وتتبعونها؟ أيها الشعب المسلم للأقدار ، الغافل عما يضمره لك المستقبل، استيقظ، أفلت من قيود عبودية الزعماء الذين يتاجرون بك، افتح عینیک، حافظ على أرضك ومالك، ولأهل الفولة اشتروا أنتم بـلـکم وإـلا فـغـنـیـکـمـ يـبـیـعـهـاـ لـمـنـ أـرـادـ".<sup>597</sup>

من صفقات الأراضي التي أثارت معارضة واسعة في الأوساط العربية، أراضي الجفتال السلطاني (المدورة) المنتشرة في الإمبراطورية العثمانية عموماً، والأراضي الفلسطينية خصوصاً، والتي كانت مركز اهتمام الحركة الصهيونية ومشاريـعـهاـ الاستـيـطـانـيةـ،ـ ولـقـادـيـ إـثـارـةـ الرـأـيـ العـمـانـيـ وـالـعـرـبـيـ،ـ ولـلـلـلـنـقـافـ علىـ أـنـظـمـةـ الـحـكـوـمـةـ الـعـمـانـيـةـ،ـ لـجـأـتـ الصـهـيـونـيـةـ لـتـحـقـيقـ مـبـغـاـهـاـ إـلـىـ أـحـدـ سـمـاسـرـهاـ وـهـوـ نـجـيـبـ الـأـصـفـرـ،ـ الـذـيـ كـانـ يـمـتـلـكـ شـرـكـةـ مـسـجـلـةـ فـيـ بـلـجـيـكـاـ تـتـمـتـعـ بـرـأـسـ الـمـالـ،ـ وـتـحـظـىـ بـدـعـمـ الـمـؤـسـسـاتـ الصـهـيـونـيـةـ،ـ فـقـدـ تـقـدـمـ نـجـيـبـ الـأـصـفـرـ إـلـىـ الـحـكـوـمـةـ الـعـمـانـيـةـ بـطـلـبـ اـمـتـيـازـ اـسـتـثـمـارـ الـأـمـلـاـكـ الـخـاصـةـ بـالـدـوـلـةـ فـيـ وـزـارـةـ الـمـالـيـةـ لـمـدـةـ 99ـ عـامـ،ـ مـقـابـلـ تـعـهـدـ يـقـومـ بـمـوـجـبـهـ بـتـأـسـیـسـ شـرـكـةـ عـمـانـیـةـ لـاـسـتـثـمـارـ الـأـمـلـاـكـ الـکـانـةـ فـیـ الـبـصـرـةـ وـالـمـوـصـلـ وـبـیـرـوـتـ وـسـوـرـیـةـ،ـ وـأـنـ تـقـوـمـ شـرـكـةـ -ـ وـهـوـ الـبـنـدـ الـأـهـمـ -ـ بـتـقـیـمـ الـأـمـلـاـكـ،ـ وـبـیـعـهـاـ لـلـفـلـاحـینـ الـوـطـنـیـنـ لـحـسـابـ الـحـکـوـمـةـ".<sup>598</sup> على أن تدفع الشركة للحكومة مبلغ مئة مليون فرنك، تسترد من ثمن الأراضي التي يصيـرـ بـیـعـهـاـ،ـ وـمـاـ تـعـهـدـ بـهـ الشـرـكـةـ أـيـضاـ،ـ رـيـ الـأـمـلـاـكـ بـاـسـتـخـدـمـ مـيـاهـ الـأـنـهـارـ وـحـفـرـ الـأـبـارـ الـأـرـتـواـزـيـةـ،ـ وـالـسـعـيـ إـلـىـ تـرـغـيـبـ الـبـدـوـ بـالـحـضـارـةـ وـالـاسـتـقـرـارـ،ـ وـإـنـشـاءـ الـطـرـقـ وـالـمـعـابـرـ وـتـجـفـيـفـ الـمـسـتـقـعـاتـ".<sup>599</sup>

أوردت صحيفة الكرمل هذا الخبر في 23 آب/أغسطس عام 1910 نقلأً عن الصحف السورية، وعلقت عليه بقولها: "استغربنا كيف أن الجرائد السورية نقلت هذا الخبر ولم تعلق عليه شيئاً مع أنها لا تجهل أهميته، فهل هي مقصورة على نقل الأخبار ولا يهمها مستقبل بلادها ومصلحة حکومتها، أم هي لا ت يريد أن تخوض في هذا الموضوع قبل أن تدرسه درساً مدققاً" ، إن الشركات تقدم مصلحتها المادية على كل مصلحة أخرى، فقد توجب عليها منافعها بإعاد الفلاحين من الأهالي عن هذه الأراضي واستبدالهم بأجانب، ولا سيما إذا كانت أموالها أجنبية، ومن يدری أنه ليس وراء هذا المشروع أيد أجنبية لها مقاصد سياسية، ربما أن نجيب أفندي الأصفر نفسه لا يعلم بها... نخاف أن تتغلب حاجة الحكومة إلى المال، فتتبع كنزاً

مدفوناً بحفة ذهب... نخاف أن لا تكون الشركة عثمانية بحنة، أو أن لا يكون رأس مالها من العثمانيين، وأن تكون عثمانية بالاسم فقط، وأن تكون الأيدي الصهيونية هي التي تعمل من وراء الستار".<sup>601</sup>

وفي 26 آب/أغسطس عام 1910 قدمت صحيفة المراقب تصييلاً لحقيقة مشروع الأصفر وتداعياته، فأكملت أنه "مندوب شركة أجنبية، وهي يهودية، وبأنه طلب امتيازاً بالأملاك السنوية المحالة إلى الخزينة المالية التي تبلغ مساحتها ثلاثة ملايين دونم، وبأنه التمكّن تأجيل منح الامتياز إلى ما بعد اجتماع مجلس المبعوثان، وأشارت إلى أن الصدر الأعظم رفض مضبوط مجلس شورى الدولة المتضمنة منح الامتياز، وقرر إرجاء المسألة إلى ما بعد انعقاد المجلس".<sup>602</sup>

في السياق ذاته، كشف أحد أعيان بيروت عبد القادر القباني - وهو أيضاً أحد صحفييها - في 28 آب/أغسطس عام 1910 عن وجود عرض آخر أكثر جدوى "مقدم من شركة عمال الحولة العثمانية المشكلة من جميع عناصر الوطن، المسلم والمسيحي واليهودي، الذين طلبوا الامتياز المذكور بشروط أكثر فائدة للحكومة من الأصفر، وتقرر طرحها بالظرف المختوم، وتم تأجيل فتحه بسبب مراجعة الباب العالي بشأن الامتياز، وانتقال المسألة إلى مجلس الوكلاء ثم مجلس شورى الدولة والاستفصال من ولايتي بيروت، وبأن القضية لاتزال قيد البحث في شورى الدولة ومجلس المبعوثان".<sup>603</sup>

في تلك الأثناء، استمرت احتجاجات أهالي فلسطين على المشروع، ففي الأول من تشرين الأول/أكتوبر عام 1910 بعث عدد من أعيان الناصرة رسالة إلى صحيفة المقتبس "يقيمون فيها الحجة على من كانوا اتفقوا مع الأصفر في مشروعه، ويحتجون بكل قوتهم على هذا العمل المنافي للروح الوطنية، وعلى كل عثماني يخدم آمال الصهيونية".<sup>604</sup>

علقت المقتبس على هذه الرسالة بقولها: "نشكر لهم غيرتهم ووطنيتهم، ونخبرهم بأنه قد عز عليهم وعليها دخولهم في المشروع، وقد رجعوا والحمد لله عنه وضرروا به عرض الحائط، وانتبهوا إلى ما يراد منه على ما يحب كل غيور على وطنه يريد حفظ أملاكها لبنيها".<sup>605</sup>

كما قدم أهالي حيفا احتجاجاً في 19 تشرين الأول/أكتوبر عام 1910 على منح نجيب الأصفر الامتياز، وأكملوا على أن الصهاينة وراء هذا المشروع .<sup>606</sup>

تمثل مظهر آخر من مظاهر الوعي العربي بالرد على عرض الأصفر في تقديم أحد أعيان بغداد ويدعى محمود شابندر - وبدعم من واليها ناظم باشا - بطلب للحصول على هذا الامتياز لنفسه باسم شركة غنية جداً، وبشروط أنسع من شروط شركة الأصفر. كما تقدمت شركة تضم عدداً من أعيان دمشق وتجارها، إضافة إلى أحد الأغنياء المعروفين ويدعى جرجي عيد بطلب الامتياز بأراضي منطقة سورية، ودعا هؤلاء محمود شابندر في بغداد إلى الانضمام إليهم.<sup>607</sup>

ويشكل هذا العرض- إذا ما نحننا النفع المادي لهؤلاء- خطوة في الاتجاه الصحيح نحو التصدي للصهيونية، والتي تظهر وعيًا حقيقاً لما يحدث، ولأبعاد مشروع الأصفر الصهيوني، ولكن يبدو أن هذه الخطوة على أهميتها، لم تتفذ. وكانت صحيفة المقتبس قد وجهت في 19 تشرين الأول/أكتوبر عام 1910 دعوة ورجاء إلى والي بيروت والصحف العربية والتركية وحملة الأقلام لتبني مثل هذا المشروع، وتحت الأهالي على المبادرة إلى الاشتراك في هذه الشركات "المضمون مستقبلاها وربحها، إضافة إلى أنها خدمة جليلة يستفيد منها الأغنياء والفقراة" 608.

كررت المقتبس في 31 تشرين الأول/أكتوبر عام 1910 الشكوك المطروحة آنذاك، حول ما إذا كان الأصفر سيقوم بهذا الامتياز وحده. وهو أمر استبعدت الصحيفة حصوله، واصفة الأصفر بأنه عميل وسمسار لغيره، وأبدت تخوفها من أن يجتمع أبناء إسرائيل في تلك الأراضي ووراءهم حماية الدول الأجنبية، مشيرة بذلك إلى الأصابع الخفية للصهيونية في هذا المشروع 609. وأكدت الصحيفة على أن هذه الشكوك والقلق يشاركها فيه أهالي دمشق وبيروت، وبأنهم احتجوا لدى المراجع العليا على الأصفر بدعوى أن الشركة أجنبية، لتختم خبرها، بالقول: "فحمدًا لله على تيقظ الشعور الوطني في البلاد" 610.

انتهى مشروع الأصفر بالرفض من قبل مجلس الوكلاء، وقد عزا أحد أبناء يافا ويدعى عزيز عريضة وفي تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910 هذا الرفض إلى احتجاجات الأهالي والمعواثين، وقد أعرب عن تقاده بأن احتجاج الأهالي يدل على أن هناك بقية حياة في الشعب يغينها الشعور الوطني، ثم ليخلص إلى ما خلص إليه غيره من أن هذه الأرضي التي يريد أن يستولي عليها الأصفر تكفي لإعالة كثيرين من العثمانيين وأسرهم، فإذا أعطيت هذه الأرضي للأهالي بدلاً من إعطائهما للأصفر تبقى عثمانية سياسياً واقتصادياً، ولكن شريطة أن تتألف شركات عثمانية تستثمرها وتتعلم الناس على استثمارها، وإلا استولى عليها الأجانب قطعة بعد قطعة 611.

تقاول عريضة هذا، لم تشاركه إيهام صحفة الكرمل التي أعربت في 11 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910 عن فداناها الأمل بجدوى المعارضة العربية، وقصور الوعي عن مواجهة مشاريع الصهيونية وفي مقدمها مشاريع الأصفر للاستيلاء على الأرضي، فقالت: "هل غرنا الحيفاويين والدمشقيين والبيروتيين احتجاجهم على طلب الأصفرين، فكأنى بنا بذلك الضعيف الذي لا يستطيع حراكاً، ولكنه يصبح لما يشعر بألم الضربة على رأسه، ثم يصمت" 612.

أشارت الكرمل إلى مسألة مهمة في 29 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910 وهي العلاقة بين مشروع الأصفر، والحفاظ على كيان الدولة وسيادتها، وربطت بينه وبين ما حدث في الجزائر وكريت والبلغار وغيرها، وتساءلت "هل يليق برجالها إعطاء ليس ثلاثة ملايين دونماً كما يقولون، بل سبعين مليوناً في البلدان العربية، لتفتح عليها مشكلة المشاكل ويصير حلها بعد إدراك أخطارها من أصعب الأمور على السياسيين، أم نحن لا نشعر بالخطر قبل الواقع فيه، طالما أن غاية الحكومة الحالية إنقاذ أهالي بلادها من المظالم والبلايا التي أوقعتها بها الحكومة السابقة،

فكيف ترمي بالأهالي بين أيدي تجار أو ذوي مطامع سياسية ليستخدمونا إما عبداً وإما آلات لنيل مطامعهم السياسية؟... لا ييرح من ذهن الحكومة أن تسلّم مقاطعات البلاد لشركات أجنبية يسلب الثروة ويضعف عثمانية الشعب، وبيع الرعایا والأملاك لم يغّرّ حكومة ما ولا سد حاجاتها... عمل الحكومة والرعایا على استثمار الأرضي أقرب مالاً وأسلم خطراً على البلاد من تسلّيمها للأيدي الأجنبية، يجب على الحكومة أن لا تدع محلّ لشك في سلامة نياتها، فتعامل مزارعي الأرضي المدوره في البلاد العربية مثلما تعاملهم في بلاد الأناضول<sup>613</sup>.

كان أحد أبناء قضاء سلمية قد بعث برسالة إلى صحيفة المقتبس، وقّعها باسم "وطني غيور"، تحدث فيها أولاً عن برقية احتجاج بعث بها أهالي القرى المدوره في القضاء إلى الحكومة، ثم فند فيها مشروع الأصفر ومدى استفادة الحكومة منه، وتنظر الرسالة درجة عالية من الوعي لدى هذا المواطن؛ إذ قدم حسابات دقيقة جداً لما يمكن أن تجنيه الحكومة من هذه الأرضي في حال منحتها للأصفر أو أبقيت عليها في أيدي أهلها<sup>614</sup>.

مما تضمنته الرسالة التالي<sup>615</sup>:

- إن الأرضي المدوره آلت إلى السلطان المخلوع وحقوق الأمة، لأن شعبه مثل حماة وتوابعها لديها واردات الخمس والمرعى سوى رسوم الأغنام ما يزيد على الثلاثين ألف ليرة سنوياً. ولو فرض المبلغ نفسه في عشرين شعبه في الممالك العثمانية يجاوز المبلغ - على أقل تقدير - ستمائة ألف ليرة.
- إن الحكومة بخسارتها للأهالي هذه المناطق - بعد أن تخسر أراضيهم - ستخسر أمر تجنيدهم، فتققد يداً قوية في الجيش.
- إن القوانين تبيح للأهالي إيجار تلك الأرضي ببدل المثل بطرائق غير قانونية.
- إن مصير أهالي هذه الأرضي- إذا ما أنفذ المشروع- سيتم سحقهم من قبل الاستعمار.
- التناقض بين أوامر وتعليمات نظارة الداخلية التي تمنع بيع قرية في صفة واحدة رحمة بالمزارعين، وبين الحكومة الدستورية التي تريد إيجار بل بيع ثلث الممالك العثمانية تقريراً.
- إن عملية البيع ستكون لأمة أو أمم أجنبية، وهي بذلك تقدم على بيع عدد غير قليل من رعایاها، وتجعلهم أسرى المستعمرين، مع أن حكومات أوروبا تجتهد في المستعمرات وتكثرها لرفاهية رعایاها ليس إلا.
- إن عملية الإيجار تعد إجحافاً بحقوق الخزينة.

من ردود الفعل التي تظهر وعي خطورة أبعاد مشروع الأصفر، سلسلة المقالات التي بعث بها أحد أعيان دمشق، ويدعى خورشيد وهبي، إلى عدد من الصحف ومن بينها المقتبس، حيث دعا في إحداها في 18 تشرين الأول/أكتوبر عام 1910 أهالي سوريا بعامة، والدمشقيين وخاصة، إلى التباحث في المشروع. لكنه عندما لمس

ضعف الاستجابة لدعوته هذه، قدم في 5 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910 اقتراحًا يتولى فيه بيع جميع الأراضي المدورة في غضون ستة أشهر ومن دون مقابل، وكذلك شراؤه مائة ألف دونم من أراضي سوريا وطرحها للمزايدة، لتربح بذلك الحكومة، وصغار المزارعين وكبارهم، كما يسهل زراعة الأرضي في مدة سنة، ويدفع العشر للحكومة، وقد أرسل برقيات إلى الباب العالي وجميع النظارات بهذا المعنى<sup>616</sup>. ثم عاد في 10 كانون الأول/ديسمبر 1910 للحديث عن الأرضي المدورة، مظهراً غضبه مما ورد من أخبار من الآستانة، مفادها أن النواب وافقوا على مشروع الأصفر وعلوا عن مقاومته، متسائلاً في الوقت ذاته عن سبب عدم تدخل الأجانب في البلاد العثمانية، ولا سيما أن التاريخ والحوادث السابقة أثبتت مقوله أن (الحق بجانب القوة)<sup>617</sup>.

المح وهبي إلى ميل الحكومة ورغبتها في منح الأصفر الامتياز على الرغم من العروض الأخرى المجدية مادياً أكثر بالنسبة إليها، ودل على ذلك رفضها اقتراحه أعلاه بتاريخ 5 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910، ولا سيما أن خبرته كمهندس ورياضي وميكانيكي وراعي تمكنه من ذلك<sup>618</sup>.

أدى تجاهل الحكومة اقتراحاته إلى توجيهه نداء إلى كل من يظلمهم الهلال العثماني، قال فيه: "بحق وطنكم تقوموا قوماً رجل واحد، ويد الله مع الجماعة، احتجوا الاحتجاج المشروع على مشروع الخطر الأصفر، لعل رجال العقد والحل يقبلون نداءكم"<sup>619</sup>.

كشف مندوب صحفة المقتبس في الآستانة عن الأساليب الملتوية، وغير المشروعية التي يتبعها الأصفر في سبيل الحصول على الموافقة على مشروعه، فكتب في 17 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910 إلى صحفته كاشفاً عن ذهاب نجيب الأصفر إلى باريس، وعودته مصحوباً بمبلغ ضخم يتجاوز الثلاثين ألف ليرة، ليوزعها على أصحاب النصيب يلتهمونه غنيمة باردة، وإن عاد على الوطن بنار حامية، لذا اقترح على اللجنة التي تألفت لمناهضة هذا المشروع حرصاً على المصلحة العامة "أن يوكلوا في العاصمة أمرهم إلى رجل صادق السعي حسن الهمة يقوى على مدافعة الأصفر ونقوده الرنانة، إذ من دون ذلك، لا يستطيعون أن يحسنوا عملاً، فإن الاحتجاجات البرقية والأخذ والرد والكلام من دون العمل لا تجد فتيلًا، فلينتبه المتابعون، عندنا هنا حقي العظم وهو الرجل الذي فيه الكفاءة لمثل هذا العمل، فليفوضوه ولبيعوا إليه بشروطهم، إن شاءوا أن يكونوا من الفائزين"<sup>620</sup>.

استمرت محاولات كشف المخاطر التي ينطوي عليها مشروع الأصفر، ومنها السلسلة التي بعث بها يونس نادي إلى صحفة تصوير أفكار في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910، كشف فيها عن منح الأصفر ما بين 30 إلى 40 مليون دونم لشركة أجنبية، لمدة سبعين عام، وشكك في السرعة التي تتم بها الإجراءات المتخذة من أجل إتمام الصفقة، وذلك في الوقت الذي تصن فيه الحكومة آذانها عن الاحتجاجات على المشروع، وتساءل نادي عن جدوى القرض الذي ستحصل عليها الحكومة مقابل هذا الكم من الأرضي، وعن جنسية الشركة المحتجبة، وإذا ما كانت

موجدة فعلاً. واستنكر نادي أسلوب التفاوض مع الأصفر بحيث يرفض ويقبل، في الوقت الذي يوجد هناك من يقبل بالصفقة من دون شروط 621.

وكردة فعل على المشروع وللضرر الذي يلحقه بمصالح العرب وبلاد العرب، تألفت في العاصمة في كانون الأول/ديسمبر عام 1910 جمعية "المقاومة مشروع الأصفر" من خيرة رجال العرب المخلصين، وذلك بهدف مقاومة المشروع الذي لقبته جرائد العاصمة بالخطر الأصفر، وذلك باستخدام كافة الوسائل القانونية والمشروعية، حيث تعهدت الجمعية بإبلاغ وإيصال جميع ما يرد لها من البلدان العربية من الاحتجاجات والاعتراضات على هذا المشروع لأصحاب العلاقة من الحكومة. وقد فتحت الجمعية الباب لمن يرغب في الانضمام إليها أو يكتب إليها الرسائل والبرقيات 622.

وجهت صحيفة المقتبس في الأول من كانون الثاني/يناير عام 1911 نداءً إلى رجال الشورى ونواب الأمة وممثلي الحكومة أن لا يضيعوا البلد لقاء أسمهم يعدهم بها الأصفر كما يشاع، وأكدت أن شركة الأصفر ليست عثمانية وغايتها أكثر من تجارية، فهي لا تقبل بمساهمة عثمانية وستضطر كل عثماني لبيع أسمهه لتسقط 623.

في 3 كانون الثاني/يناير عام 1911 عاد خورشيد وهبي إلى اقتراحه السابق، وذلك ردًا على صاحب صحيفة لسان الاتحاد الذي طالب - عبر صحفته - الحكومة بمنح الامتياز لأي شركة كانت، حيث أكد وهبي أن المقصود هنا شركة الأصفر لأنه لا يوجد غيرها، ول يقدم اقتراحًا جديًا تمثل بدعوة الحكومة إلى ضرورة تقسيم تلك الأرضي في كل ولاية على حدة، وأن تتألف في كل واحدة منها شركة لاستثمار هذه الأرضي، وحذر من أن عدم الالتزام بهذا الاقتراح سيجعل من الأرضي المدوره لقمة سائفة للاستعمار، ولتكون حجة امتيازها في ما بعد مدخلاً للاستيلاء على البلد 624.

كما بعث أعيان أهالي القنيطرة برؤية في كانون الثاني/يناير عام 1911 إلى السلطان ومجلس الأمة وصيفي طنين وإقام احتجاجاً على منح الأرضي المدوره للأجانب باسم الأصفر، التي هي ملك للأمة العثمانية، قالوا فيها: "كما إننا نريد أن نحافظ على كرید والعلم العثماني لآخر نقطة في دمائنا، هكذا نريد أن نحافظ على هذه الأماكن لأنها ملك للزراع العثمانيين، ولا يجوز شرعاً إعطاؤها بالدسائس للأجانب" 625.

عرض أحد أصدقاء صحيفة المقتبس - التي عرّفته بأنه من الذين يعملون بكل قواهم على مقاومة الصهيونية - في الأول من شباط/فبراير 1911 بالنشاط الذي يمارسه اليهود الصهابية في الأستانة، والنفوذ الذي أصبح لهم، وهو الأمر الذي تنبهت إليه الحكومة العثمانية، فحظرت بيع الأرضي في جهات القدس من الإسرائيлиين، وقد برر الكاتب خطوة الحكومة هذه، بأنها "لم ترد أن تزيد على الملل والنحل التابعة لها أمة جديدة" 626.

كما وجه أحد أهالي طبريا رسالة إلى أغنياء العرب- يمكن أن يطلق عليها وصف رسالة استفزازية تهدف إلى إثارة الغيرة والحمية فيهم- يعلق فيها على ما سمعه من أخبار حول تشكيل شركة عثمانية ل القوم مقام الأصفر، وتأخذ الامتياز بدلاً منه، فيخاطب هؤلاء بقوله: "ما كنت لأصدق لأن ما أعهده في إخواني العرب من الانقسام وحب الذات يجعلني لا أصدق أقوايلهم ومطالبهم، فإنهم يندعون لبادئ بدء إلى بذل الهمة الصحيحة، ولا يلبثون إلا قليلاً حتى تحل هذه العزائم، ويموت هذا الشعور، فإلى أغنيائنا أوجه هاته الكلمات: مشروع الأصفر مشروع كبير لا تقدرون على القيام به، إذ لا وجود لوحدة الرأي بينكم، فالنجاح بعيد منكم، وأنتم بعيدون من الإصلاح" 627.

تحت تأثير معارضة مشروع الأصفر، قام مجلس شورى الدولة بتعديل بعض مواده، ومن جملتها مادة تتعلق بالمبالغ التي تؤخذ من مزارعي الأراضي، فقبل الأصفر ببعض المواد المعدلة ورفض بعضها الآخر. بناء على رفضه، قررت هيئة الشورى العمومية رد المشروع، وعلى ضوء هذا الرفض، حذرت صحفة تصوير أفكار من وجود محاولة للاحتيال على قرار مجلس الشورى، وذلك بإغفال مجلس الأمة، وتحقيق آمال الأصفر بتصديق المشروع أثناء عطلة المجلس، وبأنه حالما يقبل الأصفر بتعديلات مجلس الشورى تعود مسألته، فتوضع على بساط البحث 628.

علل أعرابي من فرّوق- اختار لنفسه اسم دريد بن الصمة في مقال بعث به إلى صحفة المقتبس في 7 كانون الثاني/يناير عام 1911، تحت عنوان "مشروع الأصفر واليهود"- أن أسباب رفض المشروع من أعضاء مجلس الشورى، بعد أن وافقت عليه نظارة المالية وهيئة الشورى في جلستها السابقة "هو حملات الجرائد على المشروع، حيث أثارت الكيفية التي تم فيها الاتفاق بين نظارة المالية وصاحب المشروع الشبهات لدى العامة، فتخوف الصدر الأعظم من أن يثير المشروع المعاشرة ضده، أضف إلى ذلك معاشرة الأكثريّة في مجلس النواب - رغمًا من ميل بعضهم له - ومن بين هؤلاء قسم كبير من حزب المعتدلين وكذلك حزب الأهالي والأحزاب أو الأفراد الباقية من المبعوثين ضد المشروع، لذا عندما قدم نافع باشا تقريره بشأن مشروع الأصفر كان أكثر النواب من رأيه، وكان بعضهم على اختلاف المشارب يجاهر بمقاومة الضرر العظيم، ويتوعّد بإفشاء أسرار المسألة وكان للأعيان الموقف ذاته. كما أن بعض شبان العرب الذين أقسموا أن يقفوا بتصورهم وأفلامهم في وجه كل نائبة تتوّب البلاد لم يأدوا جهاداً في محاربة شركة الاستعمار وطلائع جيش الاحتلال حتى ملأوا الاستانة ضجيجاً، ونشروا من أسرار المشروع المخفية ما أرعب قلوب العثمانيين، وبناءً على كل ذلك رفض المشروع" 629.

شكّ صاحب المقال- استناداً إلى بعض المطلعين- في أن هذا الرفض موقت، " وأنه حيلة احتلوا بها لتسكين الخواطر، وبأنه لا بد من الرجوع إلى هذه القضية آجلًا، وعند أول فرصة تنسح إذا لم يُبين الرفض إلا على رفض الأصفر بعض شروط أرادت هيئة الشورى إدخالها في المقاولة محافظة على مصلحة الوطن،

فرضها الأصفر ، وهو يدعي أنه سيخدم مشروعه الوطن والأمة". وللإتيان به مقاله بالمطالبة بضرورة مواصلة الاعتراف ، معرضاً عن خوف السوريين من دخول الجمعية الصهيونية في مسألة الأصفر ، واستيلائهم على فلسطين غنيمة باردة على يد اقتصاديّنا الشهير ، ليختتم بقول ينم عن دراية ووعي للخطر الصهيوني على أراضي فلسطين ، وهو: "يشهد الله أن خوفهم في مكانه ، ومن عرف ما يجري في هذه السلطة وتحت ظل هذه الخلافة من أعمال يهودية ليخاف على كل شبر من أرضنا العثمانية" 630.

ثمة قضية مهمة أثارتها صحفة تصوير أفكار تمثلت بالربط بين برنامج الصهيوني "كان" ، وما جاء في كتابه "المملكة الموسوية" ، وبين مشروع الأصفر الذي جاء مطابقاً لما كتبه "كان" وهو الحصول على امتياز واسع يشمل جميع أراضي فلسطين والأملاك الهايكونية (الجفالك الأميرية) ، وعندما تباهت الصحفة إلى أن المقصود من المشروع هو الاستيلاء على أراضي فلسطين ، وما سيترتب على ذلك من مخاطر اقتصادية وزراعية ، أخذت تنشر المقالات تتباهى للحكومة للقيام بواجبها. وقد علقت صحفة الكرمل التي أوردت المقال في 8 آذار/مارس عام 1911 بقولها: "من له أذنان فليسمع ، ومن له عيون فليبصر" 631.

عاد مشروع الأصفر في منتصف عام 1911 ليطفو إلى السطح ثانية ، فتحت عنوان "مشروع الأصفر يبعث حياً" ، كتبت الكرمل في 6 أيار/مايو عام 1911 تقول: "ترامي إلينا أن رسل الأصفر انبثوا في البلاد ، وهم يحاولون التفاهم مع المعارضين في بيروت والشام وخصوصاً مع الصحافة التي قامت في وجه المشروع سابقاً ، وأنهم يسعون في إسكاتها بإعطاء أصحابها أسمهم مجانية ، أما نحن وإن كانت ثقتنا ضعيفة بعدها المال ، فإن اعتقادنا بالمعوّثين وبأرباب الصحف متين ، ولا نخالهم يتذذون خدمة الأمة وسيلة لبيع الوطن بمنافع خصوصية ، ولنا اعتقاد وثيق ببعض أصحاب الصحف يؤثرون الموت جوحاً على التمعن بمال يجر الشقاء على فلاحين الجفالك الأميرية ، خير خدمة يستطيع أن يقوم بها أرباب الصحف والمعوّثون أن يطالبوا الحكومة بتوزيع الجفالك الأميرية على الأهالي المزارعين بحسب احتياجاتهم ، وأن تقتطع أثمانها عليهم ، ولقد نبهنا مزارعي الجفالك مراراً إلى مطالبة الحكومة بذلك ، وقد فعلوا فلدياؤموا على الطلب ، ولدياؤموا الاحتجاجات على تسليم زمامهم لشركة الأصفر ، أو غيرها التي نكاد أن لا نرتاب في أنها تخدم المقاصد الصهيونية" 632.

في تموز/يوليو عام 1911 أصبحت التكهنات بعودة مشروع الأصفر أقوى ، فتصدت الكرمل للكشف عنه ، من خلال تأكيد أن نية الأصفر إعادة طرح مشروعه في أخذ امتياز الجفالك الأميرية ، وبأنه يخطط ليضمن عدم رفض مشروعه للمرة الثانية ، كما أكدت أن "غاية ما تريده لمزارعي الجفالك الأميرية أن الدائرة تدور عليهم إذا لم يقوموا للتحمّل عن حقوقهم بأنفسهم ، ولدياؤموا الحكومة بإحالة أراضيهم عليهم بالبدل الذي تراه عادلاً وتقتطعه عليهم على عشر سنوات ، ولتعلم الحكومة والصحف أن مبادئ الجمعية الصهيونية ، السعي إلى نيل الامتيازات الكبيرة للوصول إلى غايتها ، فإذا كان مشروع الأصفر صهيونياً واستولت هذه

الجمعية على غور بيسان، وهي ستسندي عاجلاً أو آجلاً على مرج ابن عامر، فتقبض بذلك على موارد ثروة فلسطين التي اتخذتها وازعاً لحركتها، وتستعين بضعف الأهالي وجهلهم وفقدان الوطنية على بلوغ أمانيتها، فليتشفف أصحاب العقول على حكومتهم ووطنهم وأبناء قومهم".<sup>633</sup>

لم يكن قادة الحركة العربية بمنأى مما يحدث، فقد قدم حقي العظم اقتراحاً يعكس أولويات قادة الحركة العربية، طالب فيه- وبعد أن تحدث عن الانشقاق والخلاف الذي حدث في الرأي العام العربي، بسبب مشروع الأصفر، والذي انعكس صداه في الصحف الصادرة، داخل فلسطين وخارجها- جميع الأطراف بالاتفاق والاتحاد، لأن الفرقة هي ما يسعى إليه الاتحاديون، ويعملون من أجله، ولويقترح على الصحف واللجان التي تألفت في سوريا، وعلى نجيب الأصفر أيضاً العدول عن هذا المشروع إلى غيره من المشروعات المفيدة الكثيرة في المملكة العثمانية.<sup>634</sup>

ويدل اقتراح العظم هذا، على قصور في الوعي، وفي فهم حقيقة مشروع الأصفر، ومن وراءه، وبأن أي مشروع يتبناه أو ينفذه الأصفر ستكون غايته خدمة الأهداف الصهيونية بالدرجة الأولى، ولديه من الأمثلة السابقة، ما يغني عن إثبات عكس ذلك.

عادت صحيفة الكرمل في 11 تشرين الأول/أكتوبر عام 1911 لتحذر مرة أخرى من أن تكون الصهيونية والأموال اليهودية وراء هذا المشروع الواسع، وبخاصة تلك الأموال الأميرية في فلسطين، وتشمل غور بيسان وأريحا، وبينت أن من وراء الأصفر شركة بلجيكية تمولها الجمعية الصهيونية، وأن الهدف من توسيع رقعة المشروع هو إبعاد الشكوك عن الجمعية الصهيونية ومقاصدها في فلسطين.<sup>635</sup>

انتهى مشروع الأصفر بقرار مجلس الشورى صرف النظر عنه، وذلك بعد أن نظرت فيه الحكومة العثمانية أربع مرات منذ أيار/مايو عام 1910، ومن كان لهم الفضل في مثل هذا القرار، الوزير العربي سليمان البستاني، الذي تمكن من إقناع الحكومة الاتحادية بالاستجابة لمطالب العرب.<sup>636</sup>

أثار الموقف السلبي لمن سكتوا عن صفقات بيع الأراضي، ومن كان طرفاً في عقدها، استياء الكثرين وحنقهم، فالشاعر عبد الرحمن قبيلات في قصيدة هجا فيها هؤلاء، قال:

637 يقولون لا نبغى اليهود وإن رأوا

سنا صفرة الدينار حالاً تخبروا

ففي الفولة التعساء حيناً تفانوا

وسرعان ما زيج الغطا فتطيروا

في معضلات الغور غاروا أو غيروا

وأغرروا وغرروا غيرهم وتغيروا  
وعن فكرة الأرض المدوره انتوا

ولما بدا الدينار داروا ودوروا  
على رسلكم يا قوم فالكل أصفر

realpage0217  
صاحب ذا المشروع ما عاش أصفر  
ولكن جلّ الصحف فيكم تلونت

وما من صحافي كذا يتظور  
فنحن قبل مصفر وبالأمس أزرق

والليوم مخضر ومن بعد أحمر

قدم شكري العسلي تحليلاً لحقيقة ما جرى بالنسبة إلى مشروعه الأصفر، فرأى أن الأخير نجح في المشروع الأول بشراء بعض المسؤولين، ولكن تصدّي نخبة من الشبان الغيورين على وطنهم، الذين ألغوا جمعية لمقاومة المشروع، وكتابتهم المقالات بالتركية والعربية تمكنوا من هزيمته، ويؤكد ذلك تسلیم الصهاينة والأصفر بأن سبب هزيمتهم أصحاب الأقلام والصحف، فعزّموا على إرضائهم، ونحووا في شراء بعضهم - امتنع عن ذكر أسماء هؤلاء لأنهم خدعوا وليس لسوء وطنيتهم - وضرورة الاكتفاء باليقاظهم". وفي ما يتعلّق بالمشروع الثاني، فقد أشار العسلي إلى حديثه مع ناظر المالية بخصوصه، حيث وعده الأخير بعدم البت فيه إلا باستئذان مجلس النواب. وقد اغتنم العسلي الفرصة لكي ينكر ما شاع بأنّ الأصفر ينتمي لحزب الأحرار المعتدلين، وبأن انتسابه الحقيقي هو وأمثاله، لمصالحهم الذاتية.<sup>638</sup>

انتقلت خلال عام 1911 معارضة شراء الأراضي من قبل الصهاينة إلى جلسات مجلس المبعوثان، حيث تولى النواب العرب إثارة التحذير من خطرها<sup>639</sup>، فعندما تحدث النائب إسماعيل حقي في جلسة آذار/مارس عام 1911 عن شراء الحركة الصهيونية أراضي فلسطين من بعض الإقطاعيين وتخصيصها للمهاجرين اليهود، سارع نائب القدس سعيد الحسيني ونائب دمشق عبد الرحمن بك إلى تأييده<sup>640</sup>، وكذلك فعل والي بيروت رضا الصلح<sup>641</sup>.

في جلسة أيلار/مايو عام 1911 تحدث النائب سعيد الحسيني عن دور البنك الذي من خلاله وبمساعدة أثريائهم، تمكن الصهاينة من شراء أراضٍ واسعة، منهاً بدور الحكومة وإجراءاتها في الحيلولة دون ذلك، ومتطلباً بناظر الداخلية "أن يتخذ المزيد من التدابير لتنظيم الأفكار العمومية" 642.

كما تحدث نائب القدس روحى الخالدي في الجلسة ذاتها عن شراء الكثير من اليهود للقري والأراضي والبساتين، مستغلين ضعف نفوس بعض الموظفين وضمائرهم هناك، مؤكداً أن هدف الجمعية الصهيونية هو جمع الأموال لشراء الأرضي 643. لتقادي ذلك، طالب النواب العرب بسن تشريع يمنعهم من تحقيق غايتهم 644.

ولكن هذه المعارضة على اختلاف أشكالها، لم تحل دون عقد صفقات بيع أراض في موقع متفرق من فلسطين، والذي لم تجد بعض الصحف في نشر الأخبار عنها، ما يستحق التعليق منها أو المعارضة. على سبيل المثال، نشرت صحيفة المؤيد في 8 نيسان/أبريل عام 1911 أنهم ابتعوا عشرة آلاف فدان من أراضي رفح لجعلها مستعمرة إسرائيلية 645.

حضرت صحيفة المقتبس في 29 تموز/يوليو 1911 من الخطة التي تتبعها الصهيونية "والتي مكنتها من الفوز بامتلاك ثلاثة أرباع قضاء طبرية في الدور البائد، وهي الآن في عهد الشورى تقصد ابتلاع ما تبقى منه" 646.

في معرض هجومه على الخطاب الذي ألقاه جاويد بك في آب/أغسطس عام 1911، وهاجم فيه المعارضين لسياسية الاتحاديين، قال حقي العظم: "يريد جاويد بك أن يفهم العثمانيين أنهم يجب عليهم أن لا يرفعوا صوتاً على ما يأتيه إخوانه من الحيف والضرر والاستبداد الاتحادي، حتى ولو بيع القطران الفلسطيني والسورى من الصهيونيين الألمان بيع السلع، بل عليهم أن يطأطئوا الرؤوس أمام هذه الإرادة الاتحادية" 647.

في آب/أغسطس عام 1911 شكل الشيخ سليمان التاجي الفاروقى (الحزب الوطنى العثمانى)، وكان من بين الأمور التي تعهد الحزب بالقيام بها تذكير الحكومة بواجباتها، وأبرزها منع بيع الأرضي، وإجراء إحصائية جديدة لنفوسهم، وإحصاء أملاكهم وأراضي المستعمرات واستيفاء الأموال الأميرية منهم لصالح الخزينة 648.

تكمن أهمية هذه المطالبات التي تم عن وعي نوعي، في أنها تلزم الحكومة معرفة ما جرى من صفقات بيع أراضٍ وحصره، والمساحات التي امتلكها اليهود حتى تلك المرحلة، بعيداً من عمليات التمويه والإنكار التي كانت تجري سواء من الصهاينة أنفسهم، أو من الأطراف المتورطة في عمليات البيع على اختلاف أدوارهم وسمياتهم.

نوهت صحيفة المقتبس في 2 أيلول/سبتمبر عام 1911 بنقطة مهمة ومفصلية في المساعي الصهيونية إلى شراء الأرضي، وذلك من خلال الإشارة إلى المؤتمر الصهيوني العاشر المنعقد في بال في آب عام 1911، الذي كانت جلساته مقتصرة

على تلاوة تقارير حسنة عن أعمال المصارف الصهيونية الثلاثة، ومن بينها المصرف الإسرائيلي الوطني الموافق على مشترى أراضٍ في فلسطين، والذي زاد رأس ماله حتى صار يبلغ ثلاثة ألف دولار منذ عقد المؤتمر الأخير<sup>649</sup>.

وتعزيزاً لخبرها هذا، وتأكيداً لجدية ما ورد فيه، ومن يعلمون على تفاصيله، أوردت المقتبس في 13 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1911 قول رئيس المؤتمر الصهيوني إن "المؤتمر قرر تنشيط شركة الأرضي الفلسطيني، التي تقدم وسائل الاستعمار الحقيقة بشرائها الأرضي للمستعمرات، وإعدادها وتوزيعها عليهم"<sup>650</sup>.

كما نشرت المقتبس في 18 كانون الأول/ديسمبر عام 1911 رسالة مطولة من أهالي قرية المجدل التابعة لطبريا، يشكون فيها سلب أراضيهم التي عملوا فيها منذ زمن طويل، ثم ابتعواها من الحكومة ببدل المثل، وهم يملكون سندات طابوا بها، وتبلغ مساحتها سبعة آلاف دونم، ثم حكمت المحكمة بإعطائهما للمدعومة أ. فاربورغ (O. Warburg) وهي من الصهيونية، في حين لا يملك فيها المستعمرات أكثر من 1900 دونم، فرفع الأهالي شكواهما إلى الحكومة في بيروت ومحكمة استئنافها، انطلاقاً من أن الفلاحين إذا اغتصبت أراضيهم وأعطيت لهؤلاء الأجانب يكون الحال كمن يسلم بلاده بأيديه إلى غيره<sup>651</sup>.

إن إيراد الصحيفة مثل هذه الأخبار، يدل أولاً على تلمسها مكمن الخطورة في النشاط الصهيوني لشراء الأرضي، وثانياً إلى أن هذا الوعي العربي والمقاومة لعمليات بيع الأرضي لم تؤثر في هذا النشاط أو الحد منه، بل تجد من خلال ما ورد في مؤتمراتهم وتصريحاتهم وكأن ما يحدث لا يعنيهم من قريب أو بعيد، وهم سائرون في خطتهم لا يثنهم شيء، ولا يلتقطون لأحد مهما بلغ شأنه أو تأثيره أو سلطته، متذمرين في سبيل ذلك الوسائل والأساليب كافة، التي يبدو أنها كانت ناجحة في تمهيد السبل لهم، وليس أدلة على صحة هذا القول من التوسيع الصهيوني في شراء الأرضي، ويفك ذلك ما جاء في التقرير البريطاني الذي بعث به المكتب العربي في القاهرة إلى وزارة الخارجية في 27 آب/أغسطس عام 1911، وذكر فيه التالي: "إن عملية الشراء مؤخراً أصبحت أكثر فاعلية، وأصبحت تتم بشكل سري، فجرت مؤخراً في 31 تموز/يوليو 1911 محاولة مسح لأرض تم شراؤها من قبل اليهود في غزة ورفح، والتي تعود لعرب الرميلات التي تركتها منذ ثمانين عاماً، مما سبب إشكالية في عملية المسح وتحديد الأرض"<sup>652</sup>.

نشرت صحيفة المقتبس رسالة استغاثة بعث بها أحد المواطنين في غزة، وذكر فيها "أن اللهيب قد اتسع عندنا، وتهافت العرب على التخلص من أراضيهم حباً بالأصرف الرنان"، ليختتم رسالته بنداء استغاثة لفت أنظار القائمون ومتصرف القدس لوقف سريان هذا اللهيب<sup>653</sup>.

اغتنمت الصهيونية فرصة حرب البلقان عام 1912، وانشغال الأتراك بالحرب، وتغاضيها عن صفقات بيع الأرضي في مناطق متعددة، وهو ما دفع بصاحب الكرمل نجيب نصار ليكتب تحت عنوان: "هجوم من كل الجهات يا هو واحدة واحدة"، متسائلاً: هل أراد الصهيونيون الاستيلاء على فلسطين دفعة واحدة، أم

يريد أهلها أن يبيعوها؟ أم هي فرصة يريد الصهيونيون اغتنامها في عهد الحكومة الحاضرة؟ أين الأوامر بمنع البيع لهم وبأسمائهم المستعار؟ أين حزب الائتلاف الذي كان يشكو من ترخيص الاتحاديين للصهيونيين بالتملك والتوطن في فلسطين؟ لماذا لا نسمع لهم صوتاً؟<sup>654</sup>.

تمكن وكلاء الصهيونية خلال عام 1912 من شراء جميع أراضي خربة الجمامنة البالغة سبعة آلاف دونم، والواقعة في منطقة ديرة عرب النتوش من ديار قضاء بئر السبع على المشارف الغربية للقضاء.<sup>655</sup>.

وفي ربيع عام 1912 عُقدت صفقة لبيع قريتي جيدا وتل الشمام في مرج ابن عامر من قبل آل تويني للصهيونية، وكانت صحيفة المقتبس، قد تابعت مراحل هذا البيع، وحين أحيلت أوراق البيع إلى مجلس إدارة حيفا للتدقيق فيها، كتبت الصحيفة محذرة المجلس بقولها: "هل يكون المجلس وفيه المفتى والمطران والوجيه آلة للصهيونيين أعداء الوطن العثماني، وللإنقاعيين من الموظفين، ويسجل عليه إثم بيع الوطن الذي اشتراه الأجداد بالدم؟"<sup>656</sup>.

ترافق هذه الهجمة على شراء الأراضي من قبل الصهاينة مع تزايد الوعي العربي لخطرها، فوفقاً لتقرير كتبه أحد هاعام في عقب زيارته إلى فلسطين عام 1912، قال فيه: "إن أبناء البلد الأصليين في فلسطين، والذين أصبح وعيهم القومي يتتمى منذ الثورة التركية، ينظرون بغضب إلى بيع الأراضي للغرباء، ويقدمون أفضل ما عندهم لإيقاف هذا الشر".<sup>657</sup>.

وفي هذا العام أيضاً، انضمت صحيفة جديدة إلى ركب الصحف الفلسطينية والعربية في دفاعها عن فلسطين، ونشر الوعي العربي تجاه ما يجري فيها، إلا وهي صحيفة المنادي التي وقفت نفسها على فضح الأساليب الصهيونية والصفقات التي كانت تتم لشراء الأراضي، والسماسرة ومن يساعدها في مساعها هذا، ففي شباط/فبراير عام 1912 كتبت تقول: "إن مسألة بيع الأراضي والبيوت إلى هذا العدو هي شر المسائل علينا، وهي كانت أكبر مساعدة له على امتداد سطوه في هذه البلاد، وإن طمع الكثيرين منا بالمال قد أثر كثيراً في تقلص ظل سطوتنا أمام العدو الصهيوني".<sup>658</sup>.

وفي تعليق لأحد الكتاب، ورد في المقتبس في 19 كانون الأول/ديسمبر عام 1912 يدل على عمق وعي ما آلت إليه أوضاع الأراضي في فلسطين، وتبعات ذلك، قال فيه: "إن مستقبل فلسطين زاهر بعكس مستقبل الفلسطينيين، فإنه مظلم جداً لأن خمس الأراضي الزراعية بيد الصهيونيين الذين زادوا عن سبع السكان الأصليين، ويتوقع- لو استمرت الحال هكذا- من مساعدة الموظفين ورجال الحكومة على تخليص البلاد من أيدي أهلها إلى أيدي المستعمرين، أن تصبح فلسطين يهودية، يضطر إلى هجرها بحكم تنازع البقاء المسلم والمسيحي".<sup>659</sup>.

وقد تصدى سعيد النابلسي وأولاد الصلاحي لعملية البيع هذه، ورفعوا شكوى ضد المتصرف جودت بك، كما احتج مدير الأوقاف إلى نظارة الأوقاف، ورغم تحذير

الأخير إلا أنه أتم عملية البيع، وأتبعها بأخرى، وفتح مجال الشراء في وجه الصهاينة، وتسهيل الأسباب لهم.<sup>660</sup>

شهد عام 1913 تطوراً مهماً تمثل بحل الحكومة الاتحادية مساحات واسعة من أراضي الأوقاف غير الصحيحة وإعادتها إلى خزينة الدولة، تمهدًا لعرضها في المزاد أسوة بغيرها من الأراضي الأميرية لبيعها لطالبيها، الأمر الذي أثار ضجة عارمة في أوساط المجتمع الفلسطيني نظراً للنتائج السلبية التي تترتب على هذا الإجراء، وفي مقدمها خراب عمل الكثير من المؤسسات الخيرية وأضمحلاله، ومخاطر انتقالها إلى الشركات الرأسمالية الأجنبية.<sup>661</sup>

استمرت خلال هذا العام عملية رصد بيع الأراضي وتقصي تفاصيلها؛ ففي رسالة تحذير وجهتها صحيفة فلسطين في 25 كانون الثاني/يناير عام 1913 إلى العرب عموماً، والحكومة خصوصاً، "من أن يصبح حظ الدولة في فلسطين كحظها في طرابلس الغرب أو ربع البلقان، إذا لم يتم تدارك الأمر، وذلك نتيجة لاستيلاء الصهاينة على فلسطين، قرية تلو الأخرى، فقد ابتعوا القدس بأجمعها، وفلسطين بكليتها". وقد جاء تحذير الصحيفة هذا، في معرض حديثها عن بيع أراضي قرية أبي شوشة.<sup>662</sup>

تكرر هذا التحذير أثناء اللقاء الذي أجراه الوفد العربي برئاسة عبد الكريم الخليل في الباب العالي عام 1913، حيث طرح الوفد مسألة الجهود التي يقوم بها أعضاء جمعية الاتحاد والترقي اليهود من أمثل نسيم مزراحي، أو الذين هم يهود أصلاً (الدونمة) كجاويد بك وحسين جاهد، من أجل إلغاء الحظر الذي كان موضوعاً لاستيلاء السلطان عبد الحميد على بيع الأراضي لليهود والأجانب، وإقامتهم في فلسطين مدة طويلة، حيث أخذ اليهود ينشطون في شراء الأراضي هناك، وفي الحصول على امتياز استعمار بعض أراضي الدولة فيها، وحضر الخليل من عاقبة ذلك.<sup>663</sup>

ووجهت مجلة المنار في شباط/فبراير عام 1913 اتهاماً صريحاً لجمعية الاتحاد والترقي، التي لقبتها بـ "جمعية الأحرارين الدم والذهب"، الأولى لأنها ثورة، والثانية لأنهم نهبو أموال السلطان عبد الحميد، واتفقوا مع الجمعية الصهيونية على بيعها أراضي السلطان عبد الحميد الواسعة. واستندت المجلة لإثبات صحة حديثها إلى قول وزيرهم حقي باشا في خطبة علنية له بأن مستقبل الدولة العثمانية لليهود.<sup>664</sup>

ومن الأراضي التي استولى عليها الصهاينة خلال عام 1913 وادي الحوارث، الذي تنازل عنه شيخ قبيلة الحوارث لأنطون بشاره التيان من كبار ملاكي يافا، وبقيت أراضي الوادي باسم الأخير حتى وفاته، وعندئذ وضع التاجر اليهودي اسحق حايم آريه من مستوطني القدس يده عليه عام 1913، مقابل دين له في ذمة التيان يبلغ 30 ألف فرنك فرنسي.<sup>665</sup>

إن صحيفة المنادي، وفي محاولة منها لتعزيز حالات الثبات على التمسك بالأراضي من قبل مالكيها، على الرغم من العروض المادية المغربية، وفي مؤشر منها لحالة من الوعي حاولت استخدامها في تعميم هذا الوعي، ونقله إلى أكبر

شريحة ممكنة من أصحاب العلاقة، أوردت في بداية عام 1913 خبراً تصف فيه تعاظم الشعور بأضرار بيع الأراضي لليهود، خصوصاً بين القرويين، وأوردت حادثة تدل فيها على ذلك، وملخصها أن أحد السمسرة المعروفيين آنذاك بنشاطهم في البيع لليهود، جاء إلى قرويين عارضاً عليهم بيع أراضٍ لهم مقابل مبلغ كبير من المال ولكنهما رفضاً، واستمرا على موقفهما على الرغم من مضايقته المبلغ. وقد علقت الصحيفة على هذه الحادثة بقولها: "فنتمنى أن يصبح كل الوطنين في هذه البلاد أمثال هؤلاء، فلا يحظى المستعمرون، أعداء الدولة على شبر".<sup>666</sup>

كما نشرت الصحيفة أخبار بيع أراضي أبي شوشة التابعة لقضاء يافا للمستعمرات الصهيونية، وهاجمت الأشخاص والجهات المستترة وراء هذا البيع.<sup>667</sup>

تحت عنوان "لا حول ولا" أكدت صحيفة المنادي في 27 شباط/فبراير عام 1913 على وجود خمسين معاملة بيع وأوراق مزايدة في دائرة الطابو، منها بيع الأراضي المملوكة في بيت صفافة.<sup>668</sup>

مما يؤيد ذلك، الهجمة الشرسة التي تعرضت لها أراضي الجفتلك السلطاني على يد جماعة الإتحاد والترقي؛ ففي عام 1913 سعت الحركة الصهيونية إلى شراء أراضي رفح المصرية الحدوية المتاخمة لأراضي الجفتلك السلطاني.<sup>669</sup>

هناك أيضاً أراضي العربان (البدو) الممتدة في سهول غور بيسان؛ فما إن تم عزل السلطان وتنازله عنها للخزينة، حتى انهالت عروض الشركات الصهيونية المنتشرة خلف مسميات أجنبية غير صهيونية على الأستانة لشرائها تحت حجج وذرائع مختلفة، وقد حال غضب عرب الصقر والغزاوية، ومساندة أعيان الحركة الوطنية في بلاد الشام لهم في رفضهم المشروع الصهيوني، دون تحقيقه.<sup>670</sup>

عادت مسألة الأراضي المدوره ومشروع الأصفر في ربيع عام 1913 ليطفو على السطح ثانية<sup>671</sup>، وكانت صحيفة المنادي قد أشارت في 24 آذار/مارس عام 1913 - ومن خلال رسالة موقعة باسم وطني مقدس - إلى "أن الحكومة استدعت نجيب الأصفر قبل فترة وجيزة لبيع أراضي فلسطين الأميرية- بما فيها أراضي غور بيسان - إلى موكليه من رجال الاستعمار الصهيوني".<sup>672</sup> وقد أكدت صحيفة المقتبس في 30 نيسان/أبريل عام 1913 صحة هذا الخبر.<sup>673</sup>

استحوذت إعادة إحياء مشروع الأصفر على اهتمام أغلبية العرب، كما أثارت حنقهم واستثارتهم؛ فنجيب نصار علق على ذلك من خلال الكرمل بقوله: "هذا مشروع الأصفر الذي يقضي بسقوط جانب كبير من البلاد "الأراضي المدوره الأميرية" في أيدي أجنبية، عاد فظهر إلى المسرح لثالث أو رابع مرة، وكأن كل ما قيل فيه في الدوائر السياسية وفي منبر مجلس الأمة، وكتب عنه في الصحف لم يكفي".<sup>674</sup> وأشارت الصحيفة إلى نقطة مهمة في تركيز الأصفر على الأراضي الأميرية في غور بيسان وأريحا "وهي بيت قصید الأصفر والصهيونية"، ونبهت إلى أنه في حال نفذ المشروع بأموال أجنبية، فسيقيّد الدولة بقيود لا تقل عن قيود الاحتلال العسكري، وسيؤدي إلى مشاكل لا نهاية لها.<sup>675</sup>

وجه روحي الخالدي نداءً في 24 نيسان/أبريل عام 1913 من خلال مقال بعنوان: "إلى الفلسطينيين"- وذلك لإيمانه بأن لأهل فلسطين دوراً كبيراً في إفشال مشروع الأصفر وصفقات بيع الأراضي، من خلال توعيتهم، وحثّهم على التكافف- قال فيه: "فيما أهل فلسطين ومن لهم النفوذ من كبارها وأرباب الرأي والقول فيها ندعوكم باسم الوطن، ونستصرخكم وأفندتكم تقاد تتفطر، إلى أن تمدوا أيديكم لهذا الوطن، فتنتشلوه من الهوة التي يكاد يقع فيها... اسعوا لحمل الدولة على عدم البيع لأولئك المستعمررين، وتسهيل الأعمال للوطنيين، وإعانة البائس منهم...، واحتدوا كلّكم يا أهالي القدس ونابلس وعكا وبيافا وغزة وحيفا على بيع أراضيكم إذا الحكومة أوصكت أن تتم ذلك البيع، فإنكم إذا قمتم بذلك سجل لكم التاريخ أسماء منيرة يكتبها عداد الفخر والعز، وإن اللعنات تلحق بكم إلى قبوركم إذا ظللتم في تسهيل البيع لل المستعمررين والسمسرة" 676.

تبرز في ندائه هذا، مجموعة من النقاط المهمة التي تشكل مفصلاً في الوعي للمشكلة ولكيفية حلها؛ فقد استحوذ الخالدي الأعيان وأصحاب النفوذ والرأي للإسهام في التصدي للبيع بالتأثير معنوياً ومادياً: معنوياً من خلال رفع درجة الوعي لدى الفلسطينيين ليتمكنوا من المواجهة والصمود، ومادياً من خلال تحفيز الأغنياء منهم على شراء هذه الأراضي، وتمكين المزارعين من استثمارها وربطهم بها، وكذلك رفع المستوى الاقتصادي والثقافي للفلسطينيين.

تكمّن أهمية خطاب روحي الخالدي في أنه أصبح نموذجاً لكل الدعوات العربية والفلسطينية التي جاءت بعد ذلك على اختلاف مصادرها، من صحف وجمعيات وبرقيات، وغيرها من وسائل الاحتجاج.

وتساءلت صحيفة المنادي: لماذا لم يطلب الأصفر شراء أراضي الجزيرة بالعراق، وهي الأغزر والأخصب، واختار فلسطين؟... لتجيب على هذا السؤال بالتأكيد أن من هو إلا سمسار للصهيونيين يشتري ويسجل بأسمائهم 677.

كانت لدى صحيفة المقطم المصرية نظرة للأصفر ومشروعه مختلفة تماماً من غيرها؛ إذ اعتبرته شخصاً وطنياً يستحق كل الشكر، لإنقاذه على استصلاح الأرض التي لا تصلح للزراعة، وإصلاحه الري وإنشاء الترع الازمة، وحفر الآبار الارتوازية، وتوطين القبائل في هذه الأراضي، ومد خطوط سكك حديد جديدة، وتسهيل السيارات للنقل 678.

في أيار/مايو عام 1913 قررت الحكومة إحالة أراضي غور بيسان البالغة 800 ألف دونم إلى شركة عثمانية أحد أعضائها جاوديد بك، مقابل خمس ملايين ليرة عثمانية، حيث صادق مجلس الشورى على القرار، ورفعه للأنظار السلطانية- وفقاً لما أوردته المقتبس من دون تعليق منها في 21 أيار/مايو عام 1913- في حين هاجمت صحيفة المنادي قرار الحكومة، هذا الذي منحت بموجبه جماعة استحلوا باسم العثمانية- كما أطلقت عليهم الصحيفة- هذه الأرضي، وهم من المستعمررين الصهاينة الذين يحاولون نيل أماناتهم في تلك الأرضي 679.

أما صحفة الكرمل، فقد استصرخت في 26 حزيران/يونيو عام 1913 أبناء الأمة العربية، محذرة من أثر هذه القرارات في رابطهم العربية والعثمانية، فقالت: “قولوا كلمة لمندوبين الحكومة أن تمليك الأرضي للجمعيات الصهيونية يضعف القومية العربية، وبالتالي الجامعة العربية العثمانية، وأن تشاهدو هذا ولا تعارضوه لأنكم لا صلة بينكم وبين إخوانكم في العروبة والعثمانية والوطنية، أو لأنكم لا تعلمون أن ضياع فلسطين يقضي على آمالكم وحياتكم الاقتصادية”<sup>680</sup>.

لم تكن مواقف المعارضة هذه تجد قبولاً لدى بعضهم؛ فهاجم أحد الكتاب ويدعى أمين عبد النور مواقف الصحف في إثر الهجمة على الأصفر ومشروع الأرضي المدور، فتصدى نجيب نصار للرد عليه مبرراً هذا الدفاع بأنه لم يأت من فراغ، بل جاء اعتماداً على موقف الرأي العام العربي المعارض مثل هذه المشاريع، وللأثر السلبي المتوقع منها، فقال: “إن جرائنا على إثر الاحتجاجات السابقة من حيفا ودمشق والقدس صاحت مقالات انتقاداً وتهديداً ووعيداً وتكهن بوجود دسائس أجنبية يقصد بها غزو البلاد وامتلاكها، وطرد الأهالي والوطنيين وإيدالهم بيدهم صهيونيين إلى ذلك من الافتراضات التي أفناناها في كل حركتنا، فالجرائم التي تهدد وتعد مستندة إلى شعب لا يجوز لفرد مثل أمين أفندي أن يصدر أحكاماً عليها”<sup>681</sup>.

جاء التطور الآخر بخصوص قضية الأرضي الأميرية في حزيران/يونيو عام 1913، حيث أصدرت الحكومة أوامرها إلى ولاية بيروت وسورية ببيع الأرضي الأميرية في تلك الجهات، ولم تشترط في هذا البيع أي مدة زمنية، بل من خلال مزاد على<sup>682</sup>.

لعل ردود الفعل التي أثيرت حول هذا القرار، سواء من قبل الأطراف الرافضة له، أو الأساليب المتبعة في التعبير عن هذا الرفض، لدليل على حالة وعي عربي أخذت تتطور مع تطور القضية التي يتم التعامل معها، فتساءلت صحفة المنادي عن الغاية من هذا القرار، ” فهي لم تشترط في هذا البيع شرطاً أن تضع له حداً، بل إنها اختر عته لتخالص من لوم اللائين وانتقادات من قاموا عليها عندما أرادت بيع تلك الأرضي إلى المستعمرتين الصهيونيين، وهنا نسأل: هل من الممكن أن يتسلى للوطنيين شراء تلك الأرضي وهم في ما نراهم من الفقر؟ وهل تتسرّب تلك الأرضي إلى الأجانب بوساطة سماستهم، كما تسرّب غيرها من قبل؟“<sup>683</sup>

توالت المواقف المعارضة بيع الأرضي الأميرية، وذلك من خلال إظهار الضرر الذي سيلحق بالدولة نتيجة هذا البيع، كخسارتها للضرائب السنوية المترتبة على هذه الأرضي؛ فصحيفة صباح رأت في تموز/يوليو عام 1913 أن بيع مثل هذه المساحة من الأرضي في وقت تدر فيه المال للسلطنة، قرار غير صحيح، ”فلو كانت هذه المزارع ملكاً للأفراد لنظروا فيها إلى حالة السوق المالية، لأن الفرد متى باع لا تبقى له علاقة، في حين أن الحكومة ليست كالأفراد، فهي شريكة دائمة بالضرائب التي تأخذها من الأرض والأملاك، فعلاقتها بما تبيعه لا تقطع، ونحن لا نعارض البيع غير أننا نعارض زمنه، إذا أحسناً الأمن والري وإصلاح الأرض تزيد منفعتنا، لم نسمع قط أن حكومة من الحكومات باعت 28 مليون دونم بمجرد إعلان في جريدة، ولنا أمل أن الحكومة تشرك الأهالي بهذا الشراء، فتجعله لهم

على أقساط، ولا يبهرها تقدم الشركات وأصحابها لشراء هذه الأرضي بأسعار غالبة قليلاً، بل عليها أن تقضى الوطنين عليهم طمعاً بالمستقبل".<sup>684</sup>

تزامن طرح هذه القضية، وما أسفرت عنه من ردود فعل عربية مع عقد المؤتمر العربي الأول في باريس في 18-23 حزيران/يونيو عام 1913، الذي شكل انتكاسة لآمال العرب والفلسطينيين بهذا الخصوص؛ إذ غُيّبت القضية تماماً عن جدول أعمال المؤتمر وتم تجاهلها، وذلك على الرغم من البرقيات التي رفعت للمؤتمرين من أهالي بيسان وجنين خصوصاً، وفلسطين عموماً، وأعلنوا فيها معارضتهم بيع الأرضي في مناطقهم<sup>685</sup>، إضافة إلى التظاهرة الكبيرة التي شهدتها مدينة نابلس غداة انعقاد المؤتمر، ضد عملية بيع الأرضي للمستوطنين اليهود.<sup>686</sup>

سجلت صحيفة الكرمل حالة وعي جديدة تتعلق بالالية تعاملها مع هذه القضية؛ ففي محاولة منها لتوسيع المواطنين لحقيقة جدية الحكومة التركية في اتفاقها مع الإصلاحيين العرب، قامت بنشر بنود الاتفاق بين الطرفين، وقرار الحكومة التركية بيع الأرضي المدور- والتي لا تستطيع أن تقدم على شرائها إلا المنظمة الصهيونية أو سماستها- في خبر واحد.<sup>687</sup>

ومما يستغرب له، أن مثل هذه القضية المصيرية بالنسبة إلى الأمة العربية ككل، تم تجاهلها من قبل دعاة القومية العربية والمطالبين بحقوقها والمؤتمرين من أجلها، في حين أن الصهاينة عندما أجروا مباحثاتهم مع هؤلاء للوصول إلى تفاهم مشترك، في المرحلة التي سبقت انعقاد المؤتمر العربي الأول، وخلال الجلسات السرية التي عقدوها في الاستانة مع شخصيات عربية ونواب عرب، وفي القدس و耶افا وبيروت، كان من بين النقاط التي ركز عليها الصهاينة مسألة شراء الأرضي، وأن لا يخضع تملك اليهود لها للضغط والإكراه.<sup>688</sup>

ولم يكتف الصهاينة بذلك، بل توصلوا إلى اتفاق مع الحكومة الاتحادية بعد انعقاد مؤتمر باريس، فزاد شراؤهم للأراضي.<sup>689</sup>

لم تحل حالة الإحباط التي خلفها المؤتمر العربي دون استمرارية التصدي العربي لمشاريع بيع الأرضي، فوجه محمد كرد علي صاحب صحيفة المقتبس تحت عنوان: "الأراضي الأميرية والصهيونيين" الاتهام إلى الحكومة بأنها تحاول حل أزمتها المالية، بإعلانها بيع الأرضي الأميرية بمزاد عام، وبصفقة واحدة من مشتر واحد، وإن قبضت ربع ما تساويه هذه الأرضي، وذلك خوفاً من أن يطول عليها أمر بيعها لحاجتها الشديدة إلى المال، مشيراً إلى أن الطريقة التي تم بها الإعلان عن بيع هذه الأرضي في بعض صحف الاستانة، يدل على أنها تريد رفع عتب الأمة عنها في ما بعد؛ فهي تعلن بالصورة الظاهرة، وتنتظر بأنها تقضى بيعها من الوطنيين، وستقوم في ما بعد بتسجيل سكوك البيع مع من تريد من الصهيونيين، أو من غيرهم ممن ترضيهم شروطهم.<sup>690</sup>

حاول كرد علي أن يبين فداحة الخطأ الذي ترتكبه الحكومة، لأن هذه الأرضي ملك لأصحابها الفلاحين العثمانيين، والتي سلبت منهم لعجزهم سنة أو سنتين عن

زرعها، أو لأسباب تافهة أخرى، وليس من العدل أن تباع للصهيونيين ويحرم منها أهلها، وتعطى لشركة لا تبقي على الأخضر واليابس في كل بلد تدخله<sup>691</sup>. كما حاول استثارة كل من هو معني بهذه القضية للوقوف في وجه مشروع الأصفر، فقال: "لذا فواجب الصحف وأهل الرأي وأصحاب الأموال التذرع بكل الطرق الممكنة لإكراه الحكومة على بيع الأراضي الأميرية للعثمانيين، بحيث يؤدي هذا الضغط إلى تراجعها، كما تراجعت قبل عامين عن بيع هذه الأموال- في غفلة عن الأمة- لشركة الأصفر أو الصهيونية"<sup>692</sup>.

ذكرت صحيفة المقتبس في 19 تموز/يوليو عام 1913- نقلًا عن صحيفة إيطالية أن بيع الأراضي المدورة سيتم عاجلاً لأن الطلبات كثيرة، سواء كان من الوطنيين أو الأجانب<sup>693</sup>. كما نشرت في 29 تموز/يوليو عام 1913 خبراً- نقلًا عن صحيفة إقدام (التركية)- مفاده أن ناظر العدلية الأسبق نجم الدين بك يسعى باسم إحدى البيوت المالية إلى ابتناء بعض المزارع والأراضي الأميرية التي تزيد نظارة المالية بيعها هذه الأونه<sup>694</sup>.

كانت مسألة بيع الأراضي الأميرية والمدورة من بين المواقبيع التي أثارها الشيخ عبد العزيز جاويش في كلمته التي ألقاها أمام الصدر الأعظم في اللقاء الذي جرى مع وفد من أبناء العرب في 5 آب/أغسطس عام 1913<sup>695</sup>، وطالب فيها بضرورة النظر في "مسألة بيع الأراضي المدورة- الجفتل- في البلاد العربية، ولا سيما فلسطين، لأن دخول الأجانب إليها وحرمان أهاليها من مواردها، مما لا ترضونه فخامتكم، فالتمس من حنان الحكومة السنوية اتخاذ قرار قطعي موافق في هذا الشأن"<sup>696</sup>.

من شنّ حملة على الحكومة التركية وحزب الاتحاد والترقي ل موقفهما من مسألة بيع الأراضي، "الجمعية الإصلاحية" في البصرة، التي اتهمتهم في بيانها الصادر في آب/أغسطس عام 1913 بأنهم "باعوا وطنهم، هؤلاء هم الأوغاد الذين استحلوا بيلدز وسرقوا مجوهرات السلطان، وملابين الليرات، وتركوا البلاد مدانة وحملوها قروضاً أجنبية، ووضعوا أراضي الدولة في المزاد، إنهم أنفسهم الذين شجعوا الحركة الصهيونية، واقترحوا عليها بيع فلسطين لليهود لإنشاء وطن مستقل لهم هناك"<sup>697</sup>.

في البرقية التي رفعتها لجنة الامركزية الإدارية في 9 تشرين الأول/أكتوبر عام 1913 إلى الصدر الأعظم- في أعقاب تراجع الحكومة عن وعودها للعرب التي وعدت بها في مؤتمر بارس- أيدت فيها برقيات أبناء الأمة العربية، التي كان من بين مطالبها "عدم جواز بيع أراض أميرية إلا بقرار من مجلسها العمومي"<sup>698</sup>.

بعث صديق فلسطيني مطلع على أسرار الصهيونية بر رسالة تحذير- وفقاً لما وصفته صحيفة المقتبس- في 19 تموز/يوليو عام 1913، ويشير فيها إلى أن "المذاكرات جارية بين الطالبين ووزارة المالية بشأن بيسان وسمخ، مما يدل على أن مخالب الصهيونية أوشكت أن تتشب في رقبة فلسطين المسكينة"<sup>699</sup>.

في نداء عام وجهته إحدى المنظمات الوطنية التي تأسست في القدس، في تموز / يوليو عام 1913، وخاطبت فيه المسلمين والسيّريين والعرب مستكراً قبولاً لهم بأن يصبحوا عبيداً للصهاينة، وحاثة الشعب الفلسطيني على الضغط على الحكومة لحظر بيع الأراضي الأميرية للأجانب حظراً تاماً، وفقاً لما يقتضيه قانونها، وتحذيرهم من بيع أراضيهم، بل استخدام القوة لمنع الفلاحين من بيع أراضيهم، وطرد سماسترة بيع الأراضي وتأكيد ضرورة تأهيل السكان - ولا سيما الشباب - لممارسة الأعمال الزراعية.<sup>700</sup>

من الحلول التي قدمت للحكومة لحل أزمتها المالية أولاً، وتبقي الأراضي بأيدي أصحابها ثانياً، المقترن الذي تقدم به نجيب نصار عبر رسالة وجهها إلى صحيفة المقبس تحت عنوان: "الأراضي الأميرية والصهاينيين"، ويقضي بتوزيع الأرضي (الأميرية) على الأهالي الوطنيين العثمانيين، مقابل استيفاء ثمنها أقساطاً.<sup>701</sup>

أثارت أخبار منح امتياز أراضي الحولة وبيع أراضي غور بيسان في المزاد مخاوف أهاليها، فبعث زعماء قرها وقبائلها وأعيانها وكبار المزارعين برقين إلى كل من السلطان ووالى بيروت، أوضحوا فيها أن هذه الأرضي اغتصبت منهم، وسجلت باسم السلطان السابق، مذكرين السلطان بواجباته تجاه رعاياه، وبأنهم يؤثرون الموت دفاعاً عن شعبهم وممتلكاتهم، على أن يهجروا بلادهم.<sup>702</sup> ولم يكتفوا بذلك بل اتفقا على التظاهر ضد الحكومة<sup>703</sup>، فأفقدت الأخيرة متصرف لواء نابلس وفائدتهم قضاء الناصرة للتحقيق، وإقاعهم بالعودة عن نيتهم، مقابل وعدها بعدم البيع للشركات الأجنبية.<sup>704</sup>

تعليقً على خطوة الحكومة هذه، ورد في الكرمل: "كان الأولى بالحكومة أن تقول لهم بصرامة إنه ليس في النية بيع فلسطين للجمعية الصهيونية أو سماستها، وأنها ستبقى لها في طبعهم، وإلا فإن الإجابة عن طلبات الأهالي بأن شروط المزاد ستعلن، وأن حقوقهم ستؤمن، مما يبعث على الاعتقاد بأن البيع واقع لا محالة، وإذا وقع البيع، فسيكون موقعه شرك الصهاينة".<sup>705</sup>

رصدت الصحف كل تطور يتعلق بهذه القضية؛ فصحيفة القبس تناولت في 30 أيلول / سبتمبر عام 1913، تحت عنوان "الأراضي المدورة أيضاً"، مخاوف البدو والحضر واحتتجاجاتهم: "اصطكط الأسماع من هول احتجاجات البدو والحضر في فلسطين على بيع الأرضي المدورة من الشركات الأجنبية، التي تتحين الفرص للثواب على هذه الفرصة، وقام الناس وقعدوا في سوريا والعراق ونادوا بالوليل والثبور على الحكومة لتصفهم وتقربهم في عقر دارهم، وكان المأمول أن تجاب هذه الطلبات العادلة، فكانت أجوبة الحكومة عليها من قبيل التخدير، وإليك آخر مثال يدل على أن الحكومة لا تزال على عزّمها الأول وإن كل هذه الصرخات التي كادت تفلق الصخرات لم تثن من عزيمتها شيئاً، فصحيفة تصفير أفكار - وهي من صحف العاصمة - أكدت في عددها الصادر في غرة شوال أن البرنس إبراهيم بك ينوي مشترى بعض المزارع التي طرحتها الحكومة للبيع من الأماكن الأميرية بقيمة 380 ألف ليرة، والذي علمناه أن هذه المزارع في جوار فلسطين، جاءتنا

تصفيير أفكار بهذه الشري المولمة في أول أيام عيد الفطر كأنها ت يريد معايدة مساكين المزارع الفلسطينيين، والأنكى من ذلك أن تتجاهل المزارع التي دار عليها البحث، وتقول عنها إنها في جوار فلسطين وهي في سويدة فوادها، هذه المزارع هي ولا شك غور بيسان وما ولاه من الأراضي الخصبة التي لا تقل عن ثلاثة ألف دونم صالحة للزراعة يمكن إسقاوها من الغور... الأكثرية من مزارعي غور بيسان كانوا قبل ثلاثة سنة قبائل رحل، وقد تحضروا أو كادوا بفضل تلك المزارع، فنزع الأراضي من أيديهم- فضلاً عن كونها تقيم النزاع وتحدث الأحداث- فإنها تدفع هؤلاء المساكين إلى الفقر فالغارات، ومتى رجعوا إلى سيرتهم الأولى تراجع العمران في البلاد، وعمت الفوضى وزاد الضرر، فهل لحكومتنا التي نراها تحاول أن تعمل على تحقيق أمني العرب وتتوى تخويلهم بعض الإصلاحات الضرورية أن يجعل مبتدأ خبرها العدول بناً عن بيع الأراضي صفة واحدة، وإن كانت في حاجة ماسة إلى المال ولا تستطيع أن تطرحها قطع صغيرة".<sup>706</sup>

عقد في آب/أغسطس عام 1913 اجتماع وطني في نابلس، أكد فيه المجتمعون على "الخطر العظيم الذي نشعر به من قرار بيع الأراضي المدوره بالزاد العلني، نظراً لما يتربصه ذرو النوايا المريعة من الطامعين في بلادنا الفلسطينية".<sup>707</sup> وطالب المجتمعون في برقيات رفعوها إلى الحكومة بأن تصرف النظر قطعياً عن مشروع المزاد العلني، وتوزيع الأراضي ببدل المثل على الفلاحين، وبتقسيط ثمنها عليهم.<sup>708</sup>

كما شهدت نابلس مظاهرات كبرى في آب/أغسطس عام 1913 للغاية ذاتها.<sup>709</sup>

ولكن، وعلى الرغم من حالة الرفض والاحتجاج العربي الواسع، إلا أن ذلك لم يثن الحكومة عن خططها، فعادت مرة أخرى إلى قضية بيع الأراضي، ومنح امتيازها لبعض الشركات، ومنها أراضي الحولة<sup>710</sup>؛ ففي 7 أيلول/سبتمبر عام 1913 أوردت المقتبس نقاً عن صحيفة ترجمات حقيقة أن شركة عثمانية تألفت لشراء الأرضي المدوره في فلسطين لتوزيعها على الأهالي في ما بعد، مقابل دفع 300 ألف ليرة مقدماً، وتقسيط بقية الثمن، وعندما استشارت الحكومة والتي ببروت بهذا الشأن، أجابها بأن لديه من يدفع مليون ليرة، ويدفع 350 ألف سلفاً، فسكتت نظارة الداخلية عن الجواب- وفقاً للمقتبس- التي نقلت أيضاً تساؤل صحيفة الكرمل عن مدى صحة هذا الخبر.<sup>711</sup>

لم الصهيونية لتخفي سياستها في امتلاك الأراضي؛ ففي المؤتمر الصهيوني المنعقد في أيلول/سبتمبر عام 1913 في فيينا، كان من أهم قراراته التركيز على امتلاك الأرضي. رصدت صحيفة المؤيد هذا الأمر، فنقلت عن صحيفة إقدام (التركية) مقالاً لأحمد جودت يتحدث فيه عن المؤتمر، والسبل التي يسعى الصهاينة إلى امتلاك فلسطين من خلالها، ومنها ابتياع الأرضي والأملاك الواسعة، وإن كانوا اختلفوا في السبل الموصلة إلى هذه الغاية.<sup>712</sup> وأشارت مجلة الهلال في تشرين الثاني/نوفمبر إلى الموضوع ذاته، في مقال بعنوان: "الصهيونية"، بأن من أدواتها لتحقيق أهدافها ابتياع الأرضي.<sup>713</sup>

في السياق ذاته، نشرت صحيفة فلسطين في 26 تشرين الأول/أكتوبر عام 1913 قصيدة للشيخ سليمان التاجي الفاروقى جاء في بعض أبياتها 714:

بني الأصفر الرنان خلوا خداعنا

فلسنا عن الأوطان بالمال نُخدع

أنسلمها طوعاً وفينا بقية

من الروح إننا إن فعلنا لطلع

أقل شعوب الأرض أهون أمةٍ

تساومنا في أرضنا كيف نهجع

أيرضيك يا ذا التاج أن بلادنا

على مشهد منا تُباع وتُنزع

عاد مشروع الأصفر ثانيةً بتسمية جديدة، وهي "الأصفرین" نسبة إلى سليم ونجيب الأصفر، وكان نشاطهما يتركز على أراضي الجفتل السلطاني بعامة، وحوض الحولة وغور بيسان وخاصة 715. ولكن المعارضة الشعبية الواسعة التي اجتاحت الولايات العربية، عرقلت سير المداولات الحثيثة التي كانت تجري بين الحكومة الاتحادية والشركات الأجنبية وسماسرة الحركة الصهيونية وأجهضتها 716. اضطرت الحكومة إلى الاستجابة لمقترحات المعارضة ظاهرياً بتشكيل شركات عثمانية لاستثمارها أو منحها لمزارعين بالتقسيط، فتم منح امتياز تجفيف مستنقعات الحولة إلى ميشال إبراهيم سرق، وسليم سلوم وأحمد بيهم من لبنان عام 1914 717.

كان قد تم تحذير المجلس العام في بيروت في كانون الثاني/يناير عام 1914 من منح امتياز تجفيف الحولة لأحمد بيهم وعدد من عائلة سرق، وذلك لأنهم كانوا يعملون نيابة عن المصالح اليهودية 718.

من أشد المعارضين لانتقال الأرضي للصهيونيين قبيل نشوب الحرب الأولى، قائمقام طبرية أمين أرسلان الذي لم يكن موقفه هذا ناجماً عما كان يراه من خطر يهدد الفلاحين الفلسطينيين فقط، بل أيضاً وأكثر من ذلك- لقلقه من أن يغير انتقال الأرضي العربية إلى اليهود من هوية البلد، وكان يعتقد بأن مصير فلسطين آنذاك لم يكن بأيدي العرب، بل بأيدي السلطات العثمانية، وبأن هذه السلطات كانت تحت النفوذ الصهيوني 719.

كما واجه منح الامتياز معارضة من المزارعين المقيمين في حوض الحولة، فطالبوا الحكومة بإلغائه، ومنهم إيهاب حق الشفعة، إلا أن اندلاع الحرب العالمية الأولى حال دون متابعة مطالبهم، وتوقفت أعمال التجفيف من قبل أصحاب حق الامتياز 720.

يشير يوسف الحكيم في كتابه بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، إلى أنه كان لوالى بيروت آنذاك دور في منح مشروع الامتياز الذي كان يواجه معارضة في العاصمة، لأسباب اقتصادية وسياسية، حيث نجح الوالى بالتنسيق مع الحكومة في القضاء على المعارضة، وضمن المراكز الحكومية المهمة لأصحاب الشركة التي تساعدتهم على إنجاح المشروع؛ إذ نجح سلام وسرق بالنيابة في مجلس المبعوثان، وحصل على امتياز استثمار الحولة 721.

قدمت صحيفة لسان الحال في 22 كانون الثاني/يناير عام 1914 عملية حسابية لمشروع تجفيف الحولة، مؤكدة "أن الأرباح التي يمكن الحصول عليها من تلك الأرضي لو أتقنت زراعتها ترغيباً للذين أحيلت عليهم من الاحتفاظ بها، والابتعاد عن المضاربة... وهذا تلميح لا يخفى على البصیر، فالذين أحيلت عليهم تلك الأرضي وطنيون، ونرى أجانب يتطاولون بأعناقهم منذ سنين، ولم يحل دون وصولهم إليها غير أجنبيتهم، وهم ذوو مال كثیر، والمال غرار، فعسى أن يحرص مواطنونا عليها ويعمروها" 722.

عادت الصحيفة ذاتها في 6 شباط/فبراير لتنثر الموضوع ثانية تحت عنوان: "حول الحولة وغور بيسان"، وفيه: "رجونا أن لا تفوح من هذا المشروع رائحة لا ترتاح إليها حاسة الشم، أي لا تحول الحولة من حال إلى حال، وકأن الأيام القليلة التي مرت جاءت تبرر ارتياها، لسنا بطارقين الموضوع من هذا الباب، بل من وجهة عمرانية، حسبنا أن نعلم أن أراضي الحولة وغور بيسان من الأرضي المدور، وهي من أخصب ما هو موجود على سطح المعمورة... وتدرجياً ستتصبح أراضينا ملكاً لللجانين، ونصبح نحن عبيداً لهم" 723. وقد أوردت صحيفة فتى العرب المعنى ذاته، بقولها: "إن الفلسطينيين سيصبحون غداً مماليك لا مالكين" 724.

في رحلته إلى فلسطين في نيسان/أبريل عام 1914، قال جرجي زيدان واصفاً<sup>أ</sup> الحالة هناك: "ومما لا شك فيه أن مستقبل تلك البلاد إذا ظلت على ذلك، واليهود عاملون على ابتياع الأرضي واستعمارها، وأهلها غافلون أو متဂاهلون، وحكومتها ساكتة أو مشغولة، فلا يمضي زمان طويل حتى تصير كلها لليهود" 725. عزز داود العيسى في 29 أيار/مايو عام 1914 الصورة التي قدمها جرجي زيدان، وذلك اعتماداً على مصدر صهيوني؛ إذ قام بنقل ما جاء في البرنامج السياسي للصهيوني أوشكين، وقال فيه: "إن فلسطين لا يمكن أبداً أن تكون لنا، إلا إذا استولينا على أرضها جميعاً أو أكثرها، وإلا كانت حالنا فيها كمثلها في جميع البلاد التي كانت كمنفى لنا" 726.

أظهر تقرير المكتب العربي في القاهرة أن الصهاينة حتى عام 1914 امتلكوا 130000 هكتار من أفضل أراضي فلسطين، وبأن الجهود تبذل لتدريب اليهود

## على الأساليب الزراعية 727.

خلال عام 1914، استمرت صفقات بيع الأراضي والاستيلاء عليها، وهو ما دفع بصحيفة لسان الحال إلى ترديد قول الشاعر، لقد أسمعت لو ناديت حيأً وقالت: "لا تلوموا الصهيونيين لأن الدنيا ما هي إلا دار كفاح وعرارك فيرتقي فيها النشيطون، ويتهقر الجاهل الكسول... ليس اللوم في ذلك على الحكومة بل على أنفسنا، فنحن اليوم أصبحنا نجني ما غرسه لنا الآباء، ولا شك سنجني أو لا دنا ما نغرسه، ترى ماذا نغرس لهم، نغرس بيع الأراضي حباً بالأصفر الرنان" 728.

في قولها هذا، تطرح الصحيفة فكرة مهمة جداً وهي أن المعركة مع الصهيونية ليست معركة آنية، ولا قضية بيع عدد من الدونمات زاد عددها أو قل، بل هي معركة أجيال، ويحدد نصر أحد الأطراف أو هزيمته، مدى اجتهاده، وكيفية غرسنا، كعرب، في نفوس أجيالنا المقبلة التمسك بالأرض والوطن، والاجتهد ونبذ الكسل.

كان المجلس الإداري في نابلس قد اتخذ قراراً في تموز/يوليو عام 1914 بعدم بيع الأراضي الأميرية للصهاينة، وإلنشال مثل هذا القرار سعت الصهيونية إلى فصل ارتباط عدد من قرى اللواء وإلهاقها بقضاء يافا لعزلها وليسهل عليهم شراؤها 729.

أما الأمير علي نجل عبد القادر الجزائري ونائب رئيس مجلس المبعوثان، فقد أسس في تموز/يوليو عام 1914 جمعية إسلامية لمقاومة التيار الصهيوني، وشراء أراضي سورية وفلسطين لمنع سقوطها في أيدي الصهيونية 730.

وفي بيان منسوب إلى حزب الامركزية، كانت "الصرخة الثانية" منه بعنوان "بلاغ للأمة العربية والمعتدين لحقوقها"، تحدث فيه عن بيع الأراضي المدورة والامتيازات الممنوحة للشركات الأجنبية، لتهيي البيان صرخته بمطالبة أبناء الأمة العربية باختيار المخلصين من أبنائها في الانتخابات النيابية، وأن يشترط على كل نائب من نوابها قبل كل شيء عدم الاعتراف بالامتيازات والأراضي الممنوحة للأجانب، والتي باعها حقي وجاويد 731. كان هناك بيان آخر في آب/أغسطس عام 1914 خاطب أبناء الأمة العربية يحذرهم من أن "جاويد بك وضع بلادك في البazar الأوروبي" وتساءل البيان: "هل حقي وجاويد يكونان مسلمين، بينما هما يسهلان الطريق للصهاينة للاستيلاء على أراضي فلسطين؟" 732.

ومن المؤشرات على أثر المعارضة لمحاولات الحكومة نقل ملكية الأراضي إلى اليهود، التي تتم عن وعي بخطورتها، أن طلعت بك عندما تحدث معه موظفو السفارة البريطانية في إسطنبول حول النظر في القيود المفروضة على بيع الأراضي، أخبرهم بأن هذه القيود جاءت نتيجة شكاوى السكان المحليين الذين يخشون غزواً يهودياً أجنبياً 733.

مهما يكن من أمر، فإن الوعي العربي تجاه قضية بيع الأراضي للصهاينة في تلك المرحلة، امتاز بالنضج، وبالبحث عن الحلول العملية لمواجهة الضغوط الصهيونية المالية والاقتصادية، إضافة إلى ارتفاع وتيرة الاحتجاجات على اختلاف أشكالها،

وقد ساعد على نجاح هذه المساعي طبيعة الظروف التي كانت تشهدها المنطقة، وخصوصاً في ما يتعلق بالعلاقات بين العرب والأتراك، وتزامنها بحيث ظهرت دعوات عربية للفصل، ثم ظهر بوادر تناهُم بين الطرفين.

كما كان للدور الذي أداه الوزير العربي سليمان البستاني - وكان يتولى نظارة التجارة والزراعة آنذاك - أثره في معارضته قرار الصدار ببيع أراضي غور بيسان لشركة الاستعمار اليهودية، وإقفال الحكومة بالاستجابة لمطالب العرب 734.

#### رابعاً: الوعي العربي لخطر بيع الأراضي للصهاينة

##### خلال الحرب العالمية الأولى

استمرت المفاوضات خلال الحرب العالمية الأولى، لعقد صفقات بيع الأراضي، ولم تقتصر على بيع مساحات محددة من أراضي فلسطين، فقد نبهت مجلة أفكار، وصحيفة القبلة إلى مفاوضات كانت تجري بين السفير الأمريكي مورغانتو والحكومة التركية، لبيع فلسطين بعد الحرب لليهود ليستعمروها، حيث أظهرت - وفقاً للسفير - ميلاً إلى هذا المشروع، وبأنهم كانوا يعرضون على الصهاينة القيام بإنشاء الفنادق، ومد سكك الحديد 735. وقد علقت مجلة أفكار على هذا الحديث بقولها: "قلنا، وهذا هو السر في تسليم أوراق قنصلية فرنسا في بيروت للأتراك" 736.

أكَدت مذكرة للمكتب العربي في القاهرة بتاريخ 12 كانون الثاني/يناير عام 1917 أن النشاط الصهيوني لشراء الأراضي وإنشاء المستوطنات لم يتوقف خلال الحرب، وأن المنظمة الصهيونية استطاعت الحصول على 40 ألف هكتار من أجود الأراضي لاستيطانها بعد انتهاء الحرب 737.

في كانون الثاني/يناير عام 1917 قدمت اللجنة الصهيونية إلى الحكومة البريطانية مذكرة، كان من أبرز بنودها أنه على الحكومة التي ستتحكم فلسطين أن تسمح بحرية شراء الأراضي للشعب اليهودي في فلسطين، وأن توافق على تأسيس شركة يهودية لاستعمار فلسطين باسم اليهود، وأن لا تقتصر مساعدة الحكومة لهذه الشركة على شراء الأراضي، ولكن يجب أن تنقل إليها جميع الأراضي الأميرية كذلك 738.

كان أحد التقارير البريطانية الذي قدم وصفاً للحالة التي كانت عليها فلسطين خلال عام 1917، قد ذكر أن المسلمين من سكان القدس وضواحيها يعارضون بشدة شراء الصهيونيين الأراضي، وتالياً تجريد السكان من ممتلكاتهم، وأن معارضه النواب في البرلمان العثماني من أتراك وعرب، امتلاك الصهاينة الأراضي، لم يكن له أي أثر، الأمر الذي شجع الفلسطينيين العرب على الانخراط في صفوف جمعيات عربية سرية تهدف إلى تحقيق الحكم الذاتي للعرب 739.

#### خامساً: الوعي العربي للدور الذي أداه بعضهم في تسهيل استيلاء الصهاينة على الأراضي

إن عملية بيع الأراضي للصهاينة لم تكن لتحقق لولا وجود أطراف أسهمت وسهلت عقد صفقاتها، ومن أهم هذه الجهات:

#### 1- الولاة والمتصرون

الأمثلة على هؤلاء كثيرة، ساعدتهم في ذلك طبيعة السلطة التي لديهم، إضافة إلى ضعف أو السلطة المركزية تغاضيها عن أدائهم، ومن هؤلاء والي القدس كاظم بك الذي هاجمه نجيب عازوري عام 1902، بقوله: "إذا اشتريت قطعت أرض في تركيا تعطى سند ملكية رسمي، بعد أسبوع تقريباً يحضر آخر مع سند ملكية رسمي وشرعي مماثل للذي معك، وسينماز عك في حقوقك بالأرض... ومن الطبيعي أنك ستتشكر للسلطة التي لا تستمع لكما إلا لتشتمركما، وسيعطي الحق لصاحب أكبر عرض، لقد خلق كاظم بك مورداً كبيراً لمدخله بالتسويف الامتناهي، وهناك دعوتان من هذا النوع في يافا، منذ ثلاث سنوات واحدة بين أمين ناصيف والشيخ رباح، والثانية بين السيد طاسو والسيد ميال".<sup>740</sup>

من المتصرون الذين تجاوزوا التعليمات الرسمية، وساعدوا الصهاينة على الاستيلاء على الأراضي خلال عام 1905 رشيد بك، والذي أثار سلوكه غضب الأوساط العربية التي تحركت للضغط على أصحاب القرار، لعزله عن مركزه، فاستجاب الباب العالي لهذه الشكاوى، وتم إقصاؤه عام 1906، واستبدل بآخر.<sup>741</sup>

مما يؤكد إدراك المتصرون الجديد على أكرم بك سوء أعمال سلفه، وبأن الهدف من تعينيه وقف تسرب الأراضي، كان أول عمل قام به إرسال برقيه إلى رئيس اتحاد التحالف الصهيوني في القسطنطينية، جاء فيها: "إن اليهود كأي جماعات أخرى من الممكن أن يقوموا بشراء الأراضي، ولكن هذا لا يعني قيامهم بإخضاع فلسطين، وإنني سوف أقوم بمنع بيع الأرض عند الشك بأن ذلك يقوم على طرق غير شرعية".<sup>742</sup> كما اتخاذ في تموز/يوليو عام 1907 عدداً من الإجراءات الإدارية لكي يحول دون امتلاك اليهود الذين عرف عنهم براعتهم في شراء الأراضي، وبخاصة في القدس، من امتلاك أراضي في فلسطين، فعزل بوساطة الباب العالي- يعقوب مائير الذي عين نائباً للحاخام باشى الأكبر بصورة مخالفة للإجراءات والأنظمة المعمول بها، والمعروف عنه تأييده شركات شراء الأرضي. وكذلك طرد "عنيتبي" الذي يعتبر من رؤساء الشركة، وهو عضو في رئاسة المجلس العثماني، كونه شخصاً غير مرغوب في بقائه في القدس.<sup>743</sup>

عندما شعر أكرم بك بعدم قدرته على الحد من انتقال الأراضي للصهاينة بطرق غير مشروعة، أوصى بإلغاء الأرضي المنقوله بطرق غير قانونية.<sup>744</sup>

بدورها، كشفت صحفة المقتبس عن حالات تورط مماثلة من قبل قائمقام حيفا وأعضاء مجلس إدارتها، ففي مقابلة معه حول إجازته بيع أراضٍ لشخص يهودي يدعى هارون إيزنبرك، أنكر ذلك، وأكد أن البيع لليهود الأجانب غير جائز. وكان للصحيفة الموقف ذاته مع قائمقام يافا؛ فعند سؤالها له عن إيزنبرك، أكد أنه عثماني منذ أربع عشرة سنة، وأن أملاكه تقدر بخمسة آلاف ليرة، حيث اغتنمت الصحيفة الفرصة لذكر بحادثة مماثلة تم فيها رفض البيع لأحد اليهود، لأنه يحمل اسمًا

مستعاراً، وبموافقة مجلس إدارة يافا، في مرحلة سابقة، على بيع أراضٍ لأحد تجار اليهود، الذي سلمها بدوره إلى الجمعية الصهيونية للتصرف بها 745.

من أمثلة ذلك أيضاً، الانتقاد الذي وجهته صحيفة المقتبس في 7 تشرين الثاني / نوفمبر عام 1911 لمتصرف القدس بشأن بيع أراضي البدو التابعة لبئر السبع: "نحن لا نستغرب بيع العربان أراضيهم، لأنهم ما زالوا رحالة لا يعرفون للأراضي قيمة، ولكن الذي يدعوه للاستغراب تغافل الحكومة، ولا سيما كبار الموظفين أمثال متصرف القدس الذين يجب عليهم المحافظة على الأهالي، وينتظر منهم أن يكونوا بعيداً النظر، فلا يتركون الحدود تقع في أيدي أغيار لا يريدون للبلاد خيراً، مع أنه يجب على الحكومة وعمالها أن يكونوا شديدي التيقظ في مثل هذه الأحوال" 746.

تكشف الرسالة التي بعث بها نجيب نصار إلى والي بيروت في تشرين الثاني / نوفمبر عام 1911، وتحمل عنوان "إلى والي بيروت ربوا الروح الوطنية في صدورهم"، إدراكه خطورة الدور الذي يؤديه الموظفون، وفيها يدعوه الوالي - بعد عرض تجاوزات بعض الموظفين في مجال تمرير صفقات بيع الأراضي - إلى ضرورة الاعتبار بما جرى في طرابلس الغرب، والكف عن التهور في تمليل الأجانب البلاد بحق أو بغير حق 747.

كما نبهت صحيفة المقتبس إلى النقطة ذاتها التي ذكرها نصار في رسالته، من خلال تذكير متصرف القدس بضرورة المحافظة على العربان لأنهم "وإن كانوا إلى الآن لا يحسنون الزراعة ولا يعرفون للأراضي قيمة، فهم مخلصون للحكومة، ويبذلون دماءهم في سبيل حماية الأوطان متى داهمتها الأخطار، وحسبنا بقبائل طرابلس الغرب دليلاً على ذلك، فليعتبر المعتبرون" 748.

وجه نجيب نصار في 18 تشرين الثاني / نوفمبر عام 1910 نداءً إلى متصرف عكا وقائممقام الناصرة، قال فيه: "إذا كان الفلاح جاهلاً، وإذا كان الاختيارية والمحتررون اعتادوا أن يتلاعبوا بحقوقه ويتجاوزوا بمصالحه، فالواجب المقدس يفرض على عمال الحكومة الدستورية الوصاية على رعياتها، وأن تكف أيدي الطامعين عنهم، فهل لمتصرف عكا وقائممقام الناصرة أن يبحثوا بحثاً دقيقاً عما إذا كان لأهل الفولة حق بأراضي الفضلة، ويعاونوهم على الحصول عليها، ثم يرشدون أهل الفولة بمعاونة أركان اللواء إلى طريق تمكّنهم من مشتري القرية، وحفظ كيانهم لئلا يتشتتوا وينفروهم، ولنا رجاء بوجوه عكا والناصرة أن يتحققوا الآمال بهم" 749.

قدمت صحيفة المنادي في 10 نيسان / أبريل عام 1912 صورتين متناقضتين لوعي الموظفين في التصدي لعمليات بيع الأراضي، فقالت: "غلط من قال إن الصهيونيين يقدرون على شراء شبر من أراضي هذا اللواء بدون مساعدة المتصرفين ورضاهما". ولتوسيع قولها هذا، عقدت الصحيفة مقارنة بين متصرف القدس الأسبق عزمي بك وخلفه جودت بك؛ فال الأول كان يرفض كل طلب للصهيونيين يتعلق بشرائهم أي بقعة من أرض هذه البلاد، ومنها عرقلة بيع أراضٍ قرب بئر السبع بلغت مساحتها سبعة آلاف دونم، وذلك لأن سكانها من البدو، وخشية من أن

يتوجّل الصهيونيون في الشّراء، فتصير تلك الأراضي في أيديهم في زمان قرّيب. كان على النّقيض من ذلك، خلفه جودت بك، فعندما حاول الصّهابيّة تصحيح مسح أرض في قضاء يافا باسم عرب أبي كشك من أراضي الوقف، قدم لهم التّسهيلات كافية، وكان أداة في يد وكييل الصّهيونية عنّيتبي يحرّكه كيّفما شاء، فوافق على بيع أرض بئر السّبع، وسهل إدخال أراضي الوقف لأرض عرب أبي كشك التي كانت ممحوّزة حجزاً وفقياً، فأضحت مساحتها أربعة آلاف وتسعين دونماً، بعد أن كانت تسعّئه دونم، وأصدر موافقته على بيعها للصّهابيّة.<sup>750</sup>

من كان له باع طويلاً في تقديم الخدمات للصّهيونية، متصرّف القدس مهدي بك، الذي رشّته الصّهيونية بالأموال الطائلة<sup>751</sup>، والذي كان مجال نقد واعتراض من قبل الفلسطينيين والعرب، وذلك لتجاوزاته الخطيره لصالح الصّهابيّة، وعلى حساب أهالي فلسطين. وقد أشار روحي الخالدي إلى ما قام به مهدي بك في كتابه السّيونزم، وذلك في معرض حديثه عن مستعمرة عيون قارة، وزيارة مهدي بك إليها في 6 آب/أغسطس عام 1912، حيث استقبل بحفاوة، وأسفلت زيارته عن منحهم جميع التّلال الرّملية على ساحل البحر.<sup>752</sup>

ووجهت صحيحة المنادي نقداً لاذعاً لما قام به مهدي بك، وأشارت إلى أن الصّهابيّة منذ عام 1897 يسعون لدى حكومتي الأستانة والقدس إلى الحصول على هذا الإذن ولكلّهم فشلوا، فجاء مهدي بك ومنهم إيهام دون مقابل، بعد أسبوع من وصوله القدس.<sup>753</sup>

من الأراضي التي قام مهدي بك بتسهيل استيلاء الصّهابيّة عليها، أراضي قرية كفروريّة عام 1912. ثم تلاها أراضي أبي شوشة، التي أثارت موجة من السخط والاعتراض ضدّ المتصرّف، فكتبت صحيحة فلسطين في 17 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1912 مقالاً اتهمته فيه بالتوطؤ على بيع الأراضي لليهود.<sup>754</sup>

كشف أحد المواطنين المطلعين على صفقات بيع الأراضي تورط المتصرّف في بيع أراضي كفروريّة، من خلال رسالة بعث بها إلى صحيحة المنادي تحت عنوان: "لا حول ولا قوّة إلا بالله" ، في 10 كانون الأول/ديسمبر 1912، تحدث فيها عن عملية استيلاء على أراضي القرية المحلولة والموقوفة على المساجد، وضمنها إلى بعض ملّاك الأراضي في القرية ليسهل بيعها للصّهابيّة، وعندما تقدّم باعتراض لدى المتصرّف، تعلّل الأخير بعدم قدرة الحكومة على تحمل تكاليف الكشف على الأرض إذا ما تأجل البيع لحين إجراء تحقيق في الأمر، فتعهد صاحب الرّسالة بتلك التكاليف، فحول الاستدعاء إلى مأمور الدّفتر الخاقاني، وتمّت المباعة سرّاً.<sup>755</sup>

من أبرز الأراضي التي أسّهم مهدي بك في بيعها أراضي مستعمرة "قطرة" التي اشتراها شركة الإيكا، ومستعمرة "بئر يعقوب" التي اشتراها بلدية الرّملة.<sup>756</sup>

يبدو أن مهدي بك دفع ثمن تجاوزاته هذه، حيث تم استبداله بآخر، ويتبّع مدى السخط من أفعاله من خلال الدّعوات التي وجهتها الصّحف إلى خلفه، تناشدّه باستدرّاك ما تنازل عنه من أراضي وامتيازات منها لمستوطنيّين اليهود واسترجاعها؛ فصحيفة المنادي في 24 كانون الثاني/يناير عام 1913 خاطبت

المتصرف الجديد، بقولها: "نحن نلتف نظر عطوفة متصرفنا الجديد إلى النظر في أراضي كفرورية التي تم بيعها على عهد سلفه مهدي بك سمسار الصهيونيين، ثم إننا نرجوه أن ينقض بيع أراضي أبي شوشة، لأنه غير قانوني، ولا يتفق مع أوامر حكومة الاستانة الأخيرة التي تمنع بيع الصهيونيين" 757.

حملت رسالة وجهتها صحيفة فلسطين إلى المتصرف الجديد المعنى ذاته، تحت عنوان: "إلى متصرفنا الجديد الصهيونيون وأبو شوشة"، نبهت خلالها إلى استيلاء الصهاينة على فلسطين، قرية تلو أخرى، وأكدت أن تبيتها هذا جاء من منطق الواجب الوطني 758.

المفارقة هنا، أن مهدي بك هذا، صاحب السجل الحافل بالخدمات التي قدمها للصهاينة، وفي مقدمها تسهيل شراء الأراضي، كان قد أصدر تعليمات في 11 تشرين الأول/أكتوبر عام 1910 إلى عموم أقضية ونواحي القدس تنص على منع تملك الأراضي والأملاك لليهود الذين يحملون التابعية الأجنبية- خصوصاً الذين يحملون جوازاً روسيأً، أو الذين أقاموا مدة قصيرة في أمريكا ليكسبوا حق تابعيتهم- فهو لاء منع إقامتهم في فلسطين زيادة على ثلاثة أشهر... فإذا كانوا منوعين من الإقامة، ينبغي أن يكونوا أيضاً منوعين من تملك الأراضي والأملاك 759.

المفارقة الأخرى أن مهدي بك أو "خادم الصهيونية"، كانت العرائض أحد أسباب عزله، التي رفعت ضده إلى الحاخام الإسرائيلي في الاستانة من اليهود الصهاينة في فلسطين، احتجاجاً على قرارات منعه بيع الأراضي، والذي سعى بدوره لدى الحكومة في العاصمة إلى عزله 760، وإن كانت صحيفة فلسطين استبعدت حدوث مثل هذا الأمر، لأن تعليمات المتصرف بالمنع كانت حبراً على ورق، وعزت قرار العزل وتعيين طاهر خير الدين متصرفاً للقدس خلفاً له، لتبه الحكومة المركزية إلى المساعدات التي قدمها للصهيونية 761.

كان أحد المواطنين الفلسطينيين قد سخر من ازدواجية مواقف المتصرف، وذلك في الرسالة التي بعث بها إلى صحيفة المنادي في 10 كانون الأول/ديسمبر عام 1912، يقول فيها: "كنت قبلأً قد اطلعت على أوامر كثيرة لسعادة متصرف اللواء، تقضي بعدم بيع الأراضي إلى اليهود الصهيونيين... ثم أخذت في الضحك من حال هذا المتصرف الذي يأمر بمنع بيع الأراضي إلى اليهود، ونراه يروج ذلك البيع بيده إلى جماعة منهم، ولا سيما إلى رئيسهم المدعو عزيتبي أفندي المتسلط على قلب المتصرف" 762.

لم يكن نجيب نصار بمنأى من انتقاد مهدي بك ومحاجمته، وإن كان أكثر عمقاً في هذا النقد، من خلال الإشارة إلى أن سياسة المتصرف ليست فردية، بل هي تتم بباركة وموافقتها الحكومة الائتلافية في الاستانة، فهم لا يختلفون في تعاطفهم مع النشاط الصهيوني عن الاتحاديين الآتراك؛ فمهدي بك عينه الاتحاديون بينما احتفظ بمنصبه وألقى خطابه في المستعمرة الصهيونية أيام الائتلافين، الأمر الذي أشعره وسواء من الوطنين بالمرارة، وفقدان الرجاء بأي حكم عثماني، وقال: "إن بقاء

مهدي بك في موقعه بعد خطابه، إنما يدل على رضى الحكومة الحالية عن أعمال الجمعية الصهيونية".<sup>763</sup>

ومن الأمثلة أيضاً على تورط المتصرفين في بيع الأراضي، تواطؤ متصرف عكا وقائم مقام حيفا لإتمام بيع قرية "كركور وبيروس"، للصهيوني هرون إيزنبرغ، وهو ما آثار هجمة ضده من قبل الصحافة، فأبدت صحيفة المفيد أسفها لأنه "حتى في مثل هذه الأوقات الحرجية لا يزال بعض المتصرفين والقائم مقاميين جاهلين أو متواطئين غایات الصهيونية".<sup>764</sup>

لم يكن المتصرفون دائماً داعماً ومساعداً للصهاينة، بل كان هناك من تصدى لهم وبقوة، للحيلولة دون تحقيق مخططاتهم، وفي مقدمها الاستيلاء على الأراضي، ولم تخف هذه المواقف على الأوساط العربية على اختلافها، فكان هناك وعي لأهمية هذا الدور، وتقدير لأصحابه في المعركة ضد الصهيونية، ومن ذلك الدعم الذي قدمه متصرف القدس رؤوف باشا لأهالي العباسية في صراعهم مع اليهود الصهاينة عام 1901، والذي كان من أشد حكام المتصرفية مقاومة للتغلغل الصهيوني، إذ لم يكتف بهذا الدعم، بل قدم مطحنة للحبوب في ملبس للشيخ إبراهيم أبو رباح الخالدي، باعتباره أحد أقطاب المقاومة الشعبية للتغلغل الصهيوني وبيع الأراضي.<sup>765</sup>

من أمثلة ذلك، الدور الذي أدّاه قائم مقام الناصرة شكري العسلي في قضية بيع أراضي الفولة.

كما تصدى قائم مقام القدس في شباط/فبراير عام 1913 لبيع طواحين نهر جريشة (العوجة) للصهاينة بوساطة أحد الأعيان الحاج يوسف وفا، ومن قبل مجلس إدارة المتصرفية، الأمر الذي أثار احتجاج الأهالي، فتقدمو بشكوى إلى القائم مقام الذي انتصر لهم برفضه البيع، واتخاذ قرار بضرورة شراء الطواحين للمنفعة العامة.<sup>766</sup>

في العريضة التي تقدم بها أحد كبار مزارعي الجفتلوك في غور بيسان إلى الحكومة باسمه واسم رؤساء العشائر ومشايخ القرى هناك احتجاجاً على بيع أراضي الغور، حاول أن يثير حمية أولي الأمر، ويختم العريضة بمطالبة والي بيروت ومتصرفيات القدس ونابلس وعكا وقائم مقاميتها أن يحذو حذو والي البصرة في طلبه إبقاء أراضي الجفتلوك للمزارعين.<sup>767</sup>

## 2- موظفو الطابو

وكان لهؤلاء دور مهم في صفقات بيع الأراضي سلباً أو إيجاباً؛ فهناك من قدم خدمات للصهاينة في هذا المجال، ومنها ما كشفته رسالة احتجاج من الناصرة في 18 تشرين الأول/أكتوبر عام 1910 ضد مأمور الطابو فيها، لموافقته على بيع ثلاثة آلاف وخمسين دونم وجدت فضلة في أراضي الدولة، ومطالبة أهالي الفولة بها لدى المحاكم، حيث طلبت الرسالة الأهالي "أن لا يقعدهم الوهم عن المطالبة بحقوقهم إذا كانوا محقين، ولا شك في أن رجال المحاكم يراغون الأهالي، وأنها لم

تعد تستمال بالنفوذ والجاه، وبأنه حديب بالحكومة أن لا تحكم لورثة المشترين بأكثر مما اشتروه، وأن توزع الفضلة ببدل المثل على الأهالي .768

من ذلك، ما ذكره نجيب نصار في رسالته إلى والي بيروت، حول اطلاعه على تقرير في طبريا مرسل من مأمور طابو عكا إلى القائممقام، يطالب فيه بوجوب رفع أيدي أهالي المجدل عن ألف ومئتي دونم وجدت خلال التحقيق، وبقرارات مجلس الإدارة واللواء والولاية أنها فضلة، وأن الأهالي فتحوها خارج حدود القرية المباعة للمستعمرات الصهيونيات، وأن بيعت للأهالي ببدل المثل بأمر من نظارة الطابو نفسها. يعلق نصار على ذلك التقرير بقوله: "فدهشت لجسارة ذلك المأمور على كتابة ما يخالف نظام الطابو وأوامر الحكومة التي تقضي بعدم معارضه صاحب القوجان وواعض العيد حتى نهاية الدعوى، ومن إقدامه على طلب أمر خارج وظيفته وأوامر نظارته القائلة باستيفاء بدل المثل من الأهالي عن هذه الأراضي وعدم نزعها من أيديهم" .769

مثل ذلك أيضاً، إدخال كاتب الطابو الأراضي المحلولة والموقوفة في قرية كفرورية إلى أراضي أحد ملوك الأراضي، الذي قام ببيعها إلى اليهود، وقد جاءت هذه الصفقة بالاتفاق بين مالك الأرض وبعض المأمورين وأعضاء مجلس الإدارة، ولم تقد الاحتجاجات التي تقدم بها أبناء القرية ومختارها .770

هناك أيضاً ما أورده صحيفة المنادي تدليداً بقيام كاتب الطابو في يافا في نيسان/أبريل عام 1913 ببيع بياره لأحد اليهود الصهاينة نيابة عن صاحبها، وعندما بلغ الأمر الحكومة قامت بعزله، وقد أعربت الصحيفة عن استغرابها من ردة فعل الحكومة وازدواجية موقفها، وخصوصاً في ما يتعلق ببيع الأراضي في القدس، وتجاوزات مأمور الطابو "الذين يوّقون المعاملات في دور الصهاينة ومدرسة عنيتبي وفي المحل الذي يريدونه، وي ساعدوهم فوق ذلك على إدخال الوقف في جملة المبایعات، ذلك يتوجهون وينتهون لأمثال سعيد أفندي" .771

في المقابل، كان هناك من موظفي الطابو من تصدى لعمليات البيع، وكان محل اعتراض وتقدير، ومثال ذلك تصدّي موظفي الطابو في يافا لعمليات بيع أراضي أبي شوشة وكفرورية ورفض بيعها في بداية عام 1913، مما اضطر السمسارة والمشترين إلى الذهاب إلى القدس لإتمام البيع، وقد علقت صحيفة المنادي على ذلك بالتساؤل والاستغراب "عن إتمام العملية في القدس، حيث إن الأرضي تابعة لليافا، ولكن الشارين وجدوا هنا في دائرة الطابو وباقى الدوائر صدوراً رحباً ورجالاً معينين لم يجدوا أمثالهم في يافا، فاختاروا إتمام البيع في القدس" .772

من أمثلة الذين ناصبوا الصهيونية العداء، ووقفوا سداً منيعاً في وجه صفقاتها لشراء الأراضي، رئيس مكتب الأراضي والمالية في القدس، مما ألب اليهود الصهاينة في فلسطين عليه، لينتهي الأمر بعزله، وذلك استجابة لمساعي الحاخام الإسرائيلي في الاستانة لدى الحكومة التركية من أجل هذه الغاية .773

كما كان لمأمور طابو عكا الموقف ذاته، فكتب مراسل صحيفة المقتبس في عكا في 17 كانون الأول/ديسمبر عام 1910 أن مأمور الطابو فيها يمانع كل الممانعة أن

يملك الصهيونيون الأراضي هناك، وقد علقت الصحيفة على موقف المأمور هذا بقولها: "عسى أن يظل مأشياً على هذا المنوال حتى لا تخرج الأراضي إلى يد الأجنبي، ويندم الأهلون حين لا ينفع الندم".<sup>774</sup>

### 3- أصحاب الأراضي (الملاكون)

شهدت عمليات بيع الأراضي وشرائها مقاومة و المعارضة مزدوجة ضد الصهاينة من جهة، وكبار المالك من جهة أخرى؛ فالأراضي التي اشتراها الصندوق القومي اليهودي كانت تلتها أملاك أميرية، وكان الثنائي أملاكاً خاصةً، أصحابها عرب؛ بعضهم يقيم خارج فلسطين، وبعضهم الآخر في القدس وبيافا وحيفا وقيسارية والرملة. تشير الوثائق إلى أن الأراضي الخصبة التي اشتراها الصندوق اليهودي خلال الأعوام 1905-1913 في السهل الساحلي ومنطقة القدس والناصرة ومرجبني عامر، من أسر عربية معروفة<sup>775</sup>، وكانت عبارة عن 29 ألف دونم باعها ملاك أثرياء يعيشون في بيروت، وأربعة آلاف دونم باعها ملاك من أسرة ثرية تقيم في القدس، وخمسة آلاف باعها ملاك يقيمون في يافا، وثلاثة آلاف دونم باعها ملاك يقيمون في الرملة.<sup>776</sup>

كانت أرض فلسطين وفقاً للقانون العثماني ملكاً للدولة، ومن مجموع مساحة فلسطين كانت الدولة العثمانية تملك 42 بالمئة، ومن الأراضي الزراعية كانت 156 أسرة فلسطينية تملك أربعة ملايين دونم، سبع أسر فلسطينية تملك 94 قرية، وأربع أسر سورية تملك نصف مليون دونم وتشمل قرى، وست أسر لبنانية مسلمة ومساوية تملك 640 ألف دونم و 11 قرية.<sup>777</sup> وقد حصل هؤلاء المالك على الأرضي عبر الالتزام أو الشراء بالمزاد العلني من الدولة التي صادرتها لعجز الفلاحين عن دفع الضرائب المستحقة عليها.<sup>778</sup> وتقيد المصادر بأن ما باعه الفلاحون خلال الأعوام 1901-1914 إلى الحركة الصهيونية لا يتجاوز 4.3 بالمئة من مجموع ما اشتراه<sup>779</sup>. ولم تكن لفئة كبار المالك - التي كانت تقيم في المدن الكبرى - دراية بالأرض وفلاحتها، بل كان عدد غير قليل منهم يقيم خارج فلسطين ذاتها كآل سرق وتويني وسلم، لذا لم تتوρع عن بيع الأرض للمنظمات اليهودية والصهيونية، لأنها لم تكن تشعر بارتباطها بالأرض، وكانت تستخدمها وسيلة لتكديس الأموال.<sup>780</sup>

ومن هذا المنطلق، كانت الصعوبة في مواجهة هؤلاء، وفي وعي خطورة دورهم، لأنهم لا ينتمون إلى الأرض ولا تشكل لديهم أي قيمة معنوية، وتتحصر قيمتها بالنسبة إليهم بالجانب المادي، الذي يعنيهم، وهو ما كانت الصهيونية مستعدة لتقديمه خير استعداد، فنجحت في شراء انتماء هؤلاء لقضيتهم بالأموال الطائلة، وهو ما جعلهم عرضة للهجوم والنقد من قبل الأوساط العربية على اختلافها، فقد سخر نجيب نصار من بائعي أراضي الفولة، متهمًا إياهم بأنهم "لا يتورعون عن بيع حتى نصب صلاح الدين بمال يسيير ينفقونه على الملاهي، ثم يعيشون في شقاء، ويورثون أبناءهم البلاء".<sup>781</sup>

كانت الكرمل نشرت اتهامات وجهت لأحد أعيان الشام ويدعى أحمد الشمعة بمساومة الصهاينة له لابتياع قرية المنشية، وبأنه ينزع العكاوين على الأراضي المجاورة لعكا ليضمها للمنشية ويبيعها للصهاينة، ولكن الصحيفة عادت واعتذر في 16 نيسان/أبريل عام 1910 عن هذا الاتهام، وأكدت قول الشمعة بأنه لن يبيعها لوكلاه الجمعية الإسرائيلية الأجنبية، ولو دفعوا له أضعاف أضعاف قيمتها، لأنه لا يريد بيع وطنه بالمال، وختمت اعتذارها بالقول: "نعم المبدأ القويم المبني على شعور غني هي تتحلى به شيخوخة هذا المقدام الكريم، فليقتد به الأغنياء".

عادت الكرمل ونشرت في 20 أيار/مايو عام 1911 رسالة لأحد أبناء عكا، يشكو فيها من أن الحكومة الاتحادية منحت أهالي عكا الأراضي المحيطة لسورها، ليتمكنوا من تحسين ظروف حياتهم، فظهر أحمد الشمعة مدعياً أن هذه الأرض تابعة لقرية المنشية، مع أن للباشا دونمات معلومة المقدار 782.

كشفت المقتبس في 12 حزيران/يونيو عام 1911 عن "قدوم وجوه العكاوين إلى دمشق لاتفاق مع أحمد الشمعة على أراضي ضاحية عكا، معللين سبب قدومهم بالترويج عن النفس، في حين أن السبب الحقيقي هو دعوى أرض قائمة في المحاكم النظامية" 783. وقد بعث الشمعة برسالة "مأجورة" إلى المقتبس في 28 حزيران/يونيو عام 1911 ينفي فيها هذه الاتهامات، ويؤكد أنها دسائس من بعض أصحاب المصالح 784.

عقب الهجمة الصهيونية على الأراضي، أثناء حرب البلقان عام 1912، وتعاضي السلطة العثمانية عنها، زاد حنق نصار على كبار ملوك الأرض، للإقبال على بيع الصهاينة، فحمل عليهم بعنف وخطابهم: "اليوم تقررون وتبيعون وتتقاضون عديكم وثروتكم بأيديكم وبأختامكم، وتزبدون عديد الغير وثروته وملكه، فإذا قوي عليكم وعاملكم كما يعامل القوي الضعيف، فإلى من تشتكون، وعلام تعتمدون" 785.

كان نصار يعي تماماً أهمية دور ملوك الأرض في المعركة مع الصهيونية، لذا فإنه عندما فشل في تحريض عامة الشعب، توجه نحو هؤلاء ليستشير اهتمامهم وهمتهم، فخطابهم في 18 تشرين الأول/أكتوبر عام 1912، بقوله: "العزم بالغنم أيها الأغنياء، فالوطن صار كله إليكم، لقد ملكتم رقبة أراضيه، واستوليت على رقاب بنيه، وصار الشعب غريباً في أرض آبائه، وعيدياً لفنة قليلة منكم، فأنتم المتعمعون بلذاته، المتصرفون المطلقون العاملون بما تريدون، أنتم إذا القائمون وبمقتضى الشرع والنوايس عليها، المطالبون بحمايته، فنحن لا نطالبكم بأن تمنطوا صهوات جيادكم، و تستلوا سيفكم، و تقدموا صفوف المهاجمين، ولكننا نطالبكم بمال قليل، مما ربحتوه من كد الفقراء وتعبهم، لينفق عليهم في أحوال ينكر فيها الأخ أخاه، والابن أباه" 786.

لم يكن هجوم نصار هذا على كبار الملوك، ووعيه خطورة دورهم في المعركة على الصهيونية، موضع ترحيب دائمًا من قبل الآخرين، بل تعرض لانتقادات حادة في بعض الأحيان، فرد عليه بعضهم بقولهم: "ملك ولوطننا أيها النصراني" 787. واتهمته صحيفة المقتبس بعدم الموضوعية في هجومه ضد هؤلاء، في بينما ثار على

آل توبيني لرهنهم مرزعني جيداً وتل الشمام في مرج بنى عامر، سكت عن معاملات مثلها يقوم بها زعيمان من زعماء لوائي عكا ونابلس، مصطفى الخليل وعبد الهادي عبد الهادي، لبيع قرية كركر وبيدوس في قضاء حيفا 788.

كانت الطبقة الوسطى في فلسطين من أشد من تأثر بعمليات بيع الأراضي، وهو ما تتبهت إليه صحيفة المقتبس، فقدمت في 16 حزيران/يونيو عام 1911 وصفاً لحالها في القدس، فقالت: "والوسط هي المعمول عليها في تعمير البلاد، وقد تزللت أركانها بخروج أملاكها وأراضيها القليلة من أيديها إلى أيدي الصهيونيين بواسطة الطمع" 789.

اتهمت صحيفة المنادي في 20 شباط/فبراير عام 1912، أصحاب الأراضي والملك بأنهم وراء ترسيخ الوجود الصهيوني في فلسطين، فقالت: "لا شك في أن اللوم في رسوخ قدم هذا الضيف الفظيع والعدو، علينا نحن وعلى من أخذوا بيعونه، وتركوا أراضيهم لعبته، فلو تتبه أصحاب الأراضي من قبل، لما وجد مكاناً يأوي إليه، وعاد من حيث أتى، ولو رفضوا طلبه شراء أراضيهم لما رأى بقعة يحتلها ويجمع شعبه فيها، إن مسألة بيع الأراضي لهذا العدو هي من شر المسائل" 790. لخصت الصحيفة في هذا المقال الذي عكس وعيًّا لحقيقة الصراع وهي الأرض التي كان من المفترض أن تند الحلم الصهيوني في فلسطين بمده، من خلال منع مادة الحياة عنه، ومثل هذا الأمر لا يمكن أن يتم بمعزل عن ومساندة ملاك الأراضي ووعيهم، وهم أصحاب القول الفصل في حسم المعركة.

حاولت صحيفة المنادي استثمار ما أورده صحيفة فلسطين حول النشاط الذي يمارسه أحد الأطباء اليهود، الذي عينته الحكومة، ويدعى "موبال" في شراء الأراضي لصالح الصهاينة، وتوظيف هذا الخبر في مهاجمة أصحاب الأراضي فقالت: "أما نحن، فإننا لا نجد الأمر يوجب كل ذلك، فالرجل يهودي يريد أن ينفع قومه، ولكن ما قول جريدة فلسطين في إخواننا المسيحيين والمسلمين الذين نشأوا وتربوا في هذه البلاد، والذين يعيشون بمال الأمة، ويسعون أكثر ما يسعى الدكتور موبال إلى بيع البلاد إلى الصهيوني، ألا يجب أن يعلق هؤلاء من أرجلهم في أبواب المدن، ليكونوا عبرة لغيرهم، وأن يلعنوا في كل لحظة ودقيقة..." 791.

تبين الرسالة التي بعث بها أحد المواطنين الفلسطينيين إلى صحيفة المنادي، مدى السخط والغضب الذي أحدثه كبار المالك لدى أهالي فلسطين؛ فتعليقًا على نشر صحيفة فلسطين في 17 أيار/مايو عام 1913 خبر نية بعضهم، بيع أراضٍ في قرية القبيبة، استذكر عدم ذكر الصحيفة أسماء هؤلاء، والاكتفاء بكتابية نقاط مكانها، وطالب صحيفة المنادي بذكر أسمائهم "ليعرف الناس الكاذبين والمحتالين من الصادقين المخلصين، وخصوصاً أن هؤلاء البائعين كانوا قد ادعوا في ما سبق معاداتهم الاستعمار الصهيوني" 792.

وعندما عرض روحي الخالدي في كتابه السيونزم المستعمرات الثمانية والعشرين التي أنشأها الصهاينة في فلسطين، انتهى في كلامه عليها بالإشارة إلى مزاعم

الصهيونيين بأنهم "اشتروا أكثر هذه الأرضي من المتنفذين، ولم يشتروا من الفلاحين إلا مقداراً جزئياً".<sup>793</sup>

#### 4- الأعيان

كانت هناك فئة أخرى غير طبقة كبار المالك أسممت بوجهه، أو بآخر في تسهيل حصول الصهاينة على الأرضي، وهي فئة الأعيان والذوات على اختلاف تسمياتهم ووظائفهم ومراتكزهم الاجتماعية، ومن هؤلاء- إضافة إلى كبار ملاك الأرضي- أفندية المدن وشيوخ القرى والقبائل البدوية، وقد أسمم وجود هذه الفئة الواضح في الجهاز الإداري، وإشغال بعضها مراتكز إدارية حساسة في نوعية الخدمات وكمها، التي قدمتها للصهاينة، وفي مقدمها شراء الأرضي.

يتمثل الوعي لخطورة الدور الذي مارسته هذه الفئة، في الهجوم الذي تعرضت له؛ فصحيفة المقتبس أشارت في 15 آذار/مارس عام 1910 إلى "استغلال من لا خلاق لهم من الموظفين، بالاشتراك مع بعض الأغنياء في البلاد، بل مع فريق من أعيانها، ويزحزننا أن ننعتهم بسماسرة السوء، فيقضون على البلاد شر قضاء".<sup>794</sup>

في حديثها عن دور هؤلاء، التمتنت صحيفة المؤيد العذر للصهاينة في شراء الأرضي، "ولكن ما عذر الذين يسلمون بوطنهم، فكبار القوم لا تتعدى أنظارهم غaiياتهم الشخصية، وإنهم إلا آلات بأيدي ذوي الأطماع والأغراض".<sup>795</sup>

وجهت صحيفة المنادي في 2 نيسان/أبريل عام 1912 اللوم والتقرير لعائدات القدس الوجيهة التي "انشغلت بالتطاحن والتنافس في ما بينها، ونبذت كل شيء غيره في شؤون دولتها وببلادها وأمنها، فخسرت أموالها الموروثة، وفتحت السبل لتدخل الأجانب في بلدها، وباع الوطنيون أراضيهم لرجال الاستعمار، وبذلوا ثمانها في سبيل تمكين الوهم، وإرضاء الحكام، فخسروا أموالهم وضيعوا الموروث".<sup>796</sup>

أثناء الرحلة التي قام بها جرجي زيدان إلى فلسطين خلال عام 1914، قام بتسجيل مشاهداته خلالها، فوصف- في معرض حديثه عن نشاطات الصهيونية فيها وشرائطها الأرضي- أعيان فلسطين بقوله: "أما أعيان البلاد، فمنصرفون إلى المسائل السياسية والتزاوج على الوظائف والنيابات، أو المطالبة بالإصلاح، ولو صرفوا الهمة والجهد إلى الناحية الاقتصادية، لكان ذلك أقرب إلى الوطنية والاستقلال".<sup>797</sup>

لم يكن هؤلاء سواء في موقفهم من بيع الأرضي للصهاينة؛ فهناك من الأعيان من تصدى لها كسليم الأحمد عبد الهادي الذي انتخب عضواً في مجلس إدارة قضاء جنين، وعندما عزمت الحكومة العثمانية على تأجير أراضي الجفتلك- أراضي الغور- أو بيعها من إحدى الشركات الأجنبية، بذل جهداً عظيماً للhilولة دون ذلك للبقاء على مزارعها، وخشية تسربها بالمزاد العلني إلى المؤسسات الصهيونية، وقد أنشأ شركة لهذه الغاية، ونجح مساعيه، وبقيت الأرضي مدة في حيازة مزارعها.<sup>798</sup>

## 5- السمسرة

كان هؤلاء بمثابة الشريان لصفقات الأرضي التي كانت تتم لصالح الصهاينة، وذلك من خلال نفوذهم في بعض الأحيان، أو الأموال والغش والتزوير والترهيب في أحيان أخرى، وبيور د هرتزل في مذكراته دور هؤلاء السمسرة، فيقول: "إن آل سرقة عرضوا علينا شراء مقاطعة في وادي جزريل/مرج بن عامر، صاحبها الذي يريد بيعها هو السيد سرقة من بيروت، وأظنه قال: إما أن تشتري هذه الأرض مني جمعية الاستعمار اليهودي، أو يشتريها الصهاينة، ويظهر أن بعض السمسرة يريدون أن يربحوا مما يعتقدون أنه مناسبة لنا، ربما استطعنا أن نكشف عن بعض هذه السمسرات".<sup>799</sup>

لم يكن دور السمسرة بخافٍ على الكثرين، وتاليًا شُنَّ الهجوم تلو الآخر عليهم، وذلك من خلال اتهامهم بخيانة الوطن، أو إطلاق لقب سمسرة الصهاينة عليهم، أو التشهير بهم وذكر أسمائهم صراحة، بهدف تعريف المجتمع بهم، وتاليًا التوعية لخطورتهم وتجنبهم، أو لتنبيه عن أفعالهم، وإيقاظ حس الوطنية في نفوسهم.

كانت تجاوزات السمسرة وأعمالهم من الخطورة بمكان، حيث إن من الأمور التي كلف مأمور الباب العالي- المبعوث إلى سنجق القدس- لمراقبتها ورصدها هو عمل السمسرة، والذي بعث بدوره برسالة إلى السلطان في آب/أغسطس عام 1905 يشير إليها فيها "بأن يرسل موظفين يكون من أولوياتهم منع تسرب الأرضي لليهود، وأن يقروا سداً حائلاً أمام السمسرة الذين يعملون على تسريب الأرضي الكبيرة إلى اليهود، وبأنه سيقوم بعزل المأمورين الموظفين الفاسدين (السمسرة) الذين يتلقون الرشاوى من اليهود".<sup>800</sup>

يبدو أن عدد السمسرة في العهد الاتحادي قد ازداد وتوسيع نشاطهم، حيث إن صحيفه المنادي علقت على كثرتهم بقولها: "نکاد لا نمشي في طريق أو نسير في شارع أو ننظر إلى إحدى القهوات، حتى نجد سمسرة السوء، أو سمسرة الصهاينيين منتشرين يحيطون بجماعات من القرويين، وأصحاب الأرضي لخداعهم، وسلبهم ما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم".<sup>801</sup>

قدمت صحيفه المفيد صورة لنشاط هؤلاء، ولكن في العاصمة إسطنبول، مشيرة إلى أنها غدت في الأعوام 1908-1914 ملادًا مناسباً لمندوبى الشركات والسمسرة الطامعين بالسيطرة على الأرضي السلطانية.<sup>802</sup>

وجه سليم الأحمد عبد الهاדי رسالة في 27 أيار/مايو عام 1911 إلى نجيب نصار، يحذر من محاولات اليهود سرقة أراضي نورس، كما فعلوا بالفولة، وتورط السمسرة ووكيلها حنا منصور، ويتسائل عن عدم إرسال حكومة جنين مساعدة.<sup>803</sup>

من أكبر صفقات الأرضي التي تمت من خلال السمسرة، تلك التي تمت في أراضي عرب أبو كشك أو العوجة، وكان ذلك في عام 1911 عندما تنازل الشيخ محمد الفارس أبو كشك أحد مشايخ القبيلة عن قطعة أرض من أراضي الديرة

تعرف بغور الوادي مساحتها 10 آلاف دونم لسمسار من أهالي يافا، وقد نقلها بدوره إلى إحدى الشركات الصهيونية في مدينة يافا.<sup>804</sup>

أسهمت صحيفة المقبس بدورها في حملة التوعية ضد الدور الذي يمارسه السمسارة في بيع الأراضي، فهاجمتهم في 11 آب/أغسطس عام 1910، بقولها: "فهم اليوم أخطر منهم بالأمس، إذ سلبوا من الأماكن والعقارات والأراضي ما يقارب من نصف المجموع، وجل هذه الأرضي قد انتقل إلى الأجانب من الإسرائيليين المستعمررين الذين لا يزالون يدأبون في بذل كل الوسائل لاستملك ما بقي".<sup>805</sup>

كانت صحيفة المنادي قد نددت بهؤلاء وحذرت منهم، بل لم تتوتر عن تسميتهم بأسمائهم، فتحت عنوان: "لمن يريد سمساراً"، قالت: "يتعب أصحاب الأماكن والأراضي من القرويين وغيرهم في إيجاد سمسار، فيكون واسطة لديهم عند المستعمررين الصهيونيين يبيع إليهم أملاكهم، ويتم عنهم المباعات في دوائر الحكومة... فعلى من يريد سمساراً طيباً حاذقاً، يوفق بينهم وبين الشارين على الوجه التي ترضيهم في الظاهر، وتضرر ببلادهم وأمتهن، وتتفع الصهيونيين في الباطن عليه بتوفيق أفندي أبوب العضو في مجلس إدارة يافا".<sup>806</sup> لم تكتفي الصحيفة بنشر هذا المقال أو الإعلان في هذا الصدد، بل كررت نشره في أعداد تالية.<sup>807</sup> وكانت الصحيفة قد حذرت من مساعي السمسار توفيق أبوب، الذي أطلق عليه لقب "سمسار الصهانية"، لبيع أراضي الكنيسة بعد أن أتم بيع أراضي أبي شوشة ومن قبلها أراضي كفوريه.<sup>808</sup>

لم يكن النجاح دائماً حليف السمسارة، فكثيراً ما كانت تتحطم أمالهم على صخرة بعض الوطنين الذين كانوا على درجة من الوعي بحيث يرفضون المغريات والأثمان الباهضة التي كانت تقدم لإغرائهم بالتنازل عن أراضيهم ويتصدون لها، ومثال ذلك الحادثة التي أورتها صحيفة المنادي في 27 نيسان/أبريل عام 1913، وأرادت بها الإعلاء من قدر أولئك الذين تمسكون بأراضيهم، ليكونوا قدوة للمواطنين الآخرين، والتشهير بالسمسار توفيق أبوب، فقالت: "إن القرويين بدأوا يشعرون بأضرار البيع لليهود، وإنه عندما جاء قبل أيام أحد السمسار إلى الشيخ محمود علي وأخويه والقرويين، ورأودهم على بيع أرض لهم واسعة بسبعة وثلاثين ألف ليرة، أبوا عليهم البيع، ولو أوصلوا الثمن إلى أضعاف ذلك، فنتمنى أن يصبح كل الوطنين في هذه البلاد هؤلاء، فلا يحظى المستعمرون أعداء الدولة على شبر ليقع أمثال توفيق أبوب ومن أقاموه للسمسرة لهم في الخزي".<sup>809</sup>

كما هاجمت الصحيفة نجيب الأصفر الذي سعى إلى شراء أراضي غور بيسان لموكليه من رجال الاستعمار الصهيوني، وأطلقته عليه لقب "سمسار الصهانية".<sup>810</sup>

اعتبرت صحيفة المنادي السمسارة وجهين لعملة واحدة، وإن اختلفت اسماؤهم، وقالت: "وها هم اليوم قد استبدلوا الأصفر بالأخضر، ووضعوا حبيباً بدل نجيب"

811. كما اتهمتهم بالتجدد من الوطنية والدين، لأن من خاللهم يتبع الصهاينة كل ما يريدون ابتهاعه بأثمان بخسة 812.

رد نجيب نصار ساخراً على وعد رفيق العظم ببذل المساعي لدى سراة فلسطين لينتخبوا مندوبيهم للمشاركة في المؤتمر العربي، بقوله: "لو علم الزعيم أن مصائب فلسطين تأتيها من بعض سراتها، أكثر مما تأتيها من الصهاينة، لأن هؤلاء سماسرة الصهاينة والباعين لهم، لما قال إن لجنة الحزب تسعى لدى السراة" 813.

كما وجه نصار نداء عاماً إلى أهالي فلسطين في حزيران/يونيو عام 1914 يدعوهـم فيه إلى طرد سماسرة بيع الأراضي ولعنهـم 814.

سادساً: الوعي العربي للأساليب التي اتبـعها الصهاينة

### للاستـيلاء على الأراضـي

تنوعت الأساليب التي اتبـعها الصهاينة للاستـيلاء على الأراضـي، وكان هناك من الأوساط العربية من كان على درجة عالية من الوعي لمثل هذه الأساليب وفضحها؛ فصحيفة البشير ذكرت في 10 كانون الأول/ديسمبر عام 1900 بأن اليهود الصهاينة يعمدون إلى "شراء الأراضـي الفسيحة التي لا يجوز لهم تملـكها إلا بإـرادة سنية، فيحدـدونها بالجهـات ليـوهـمـوا أنها ذات مسـاحة قـليلـة، ولو مـسـحت وـتبـين مـقـارـدـونـهاـ لـماـ جـازـ لـهـمـ تـمـلـكـهاـ أـبـداـ، إـذـ كـانـواـ يـقـصـدـونـ منـ هـذـهـ الطـرـيقـةـ أـنـ تـحـاسـبـهـمـ الـحـكـومـةـ عـلـىـ الـحـدـودـ لـاـ عـلـىـ الـدـوـنـمـاتـ" 815.

من الأساليب ما ذكره روحـيـ الخـالـديـ وـيـتـعـلـقـ بـالـطـرـيقـةـ التـيـ اـتـبـعـهـاـ شـرـكـةـ الإـيـاـ الصـهـيـونـيـةـ لـلـاسـتـيـلـاءـ عـلـىـ أـرـاضـيـ قـطـرـةـ، بـمـسـاعـدـةـ مـسـتـطـقـ غـزـةـ رـشـيدـ أـبـوـ خـضـرـةـ، فـقـالـ: "ادـعـىـ أـحـدـ أـهـالـيـ قـطـرـةـ بـأـنـ لـهـ فـيـ أـرـاضـيـهـاـ نـصـفـ سـكـكـةـ، وـأـنـ باـعـهـاـ لـرـشـيدـ أـفـنـدـيـ، فـقـيـدـتـ فـيـ الطـابـوـ وـجـرـىـ الفـرـاغـ بـأـمـرـ المـتـصـرـفـيـةـ، وـعـلـىـ هـذـهـ الـكـيـفـيـةـ شـرـعـواـ فـيـ مـشـتـرـىـ أـرـاضـيـ بـاسـمـ المـسـتـطـقـ، وـمـنـ تـمـنـعـ عـنـ الـبـيـعـ اـتـهـمـ بـجـنـاحـةـ وـأـلـقـىـ فـيـ السـجـنـ...ـ فـيـخـرـجـ لـهـ مـأـمـورـ الطـابـوـ بـشـارـةـ أـفـنـدـيـ صـافـيـ مـنـ لـاتـينـ يـافـاـ قـوـجـانـاـ بـالـبـيـعـ...ـ وـمـاـ زـالـوـ يـشـتـرـوـنـ بـالـتـرـهـيـبـ وـالـتـزوـيرـ حـتـىـ اـسـتـولـوـاـ عـلـىـ ثـلـاثـ أـرـاضـيـ الـقـرـيـةـ، ثـمـ بـعـثـواـ إـلـىـ قـطـرـةـ قـوـمـيـسـيـوـنـاـ مـؤـلـفـاـ مـنـ نـائـبـ المـجـدـلـ إـبـراهـيمـ بـكـمـيـ، لـأـنـ قـطـرـةـ تـابـعـةـ لـنـاحـيـةـ المـجـدـلـ، وـمـنـ مـأـمـورـ الطـابـوـ المـذـكـورـ، وـعـدـ العـظـيمـ أـفـنـدـيـ الـغـصـينـ عـضـوـ مـجـلـسـ الإـدـارـةـ...ـ وـاسـتـمـرـوـاـ فـيـ قـطـرـةـ شـهـرـاـ كـامـلـاـ يـذـبحـ الـيـهـودـ لـهـمـ كـلـ يـوـمـ خـارـوفـاـ، وـتـأـتـيـهـمـ الـبـوـسـتـةـ مـنـ الـرـمـلـةـ فـيـهـاـ الـتـعـلـيمـاتـ الـلـازـمـةـ لـعـلـمـ الـفـرـاغـ" 816.

ما كـشـفـهـ الخـالـديـ مـنـ هـذـهـ الـأـسـالـيـبـ "ـسـيـاسـةـ الصـهـيـونـيـنـ تـشـوـيـقـ الـحـكـومـةـ لـاضـطـهـادـ كـبـرـاءـ الـبـلـادـ...ـ وـإـذـلـالـهـمـ وـالـتـسـبـبـ فـيـ انـقـراـضـهـمـ، ثـمـ الـاسـتـيـلـاءـ عـلـىـ أـفـكـارـ الـفـلـاحـيـنـ الـبـسـطـاءـ وـوـضـعـهـمـ تـحـتـ سـلـطـتـهـاـ الـمـالـيـةـ، وـاسـتـخـدـمـهـمـ فـيـ زـرـاعـةـ أـرـاضـيـهـمـ الـتـيـ يـمـتـلـكـوـنـهـاـ قـرـيـةـ بـعـدـ قـرـيـةـ" 817. وـقـدـ جـاءـ قـوـلـ الخـالـديـ هـذـاـ تـقـنـيـداـ لـمـزـاعـمـ

الصهيونية بأنهم اشتروا أكثر الأراضي من المتنفذين، ولم يشتروا من الفلاحين إلا قليلاً<sup>818</sup>.

كان للمال الدور الأبرز في إغراء أصحاب الأراضي، وهو أسلوب ألفته الصهيونية وبرعت في استخدامه؛ فقد بعث أحد أبناء غزة إلى صحيفة المقتبس في 7 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1911، حول هجمة الصهاينة على أراضي عربان بئر السبع في غزة، وإغراء هؤلاء لبيع أراضيهم "ببذل الأصفر الرنان الذي يحبه البدوي أكثر من امرأته وأولاده، كما طفق المستعمرون يستجلبون ودهم بالهدايا والعطایا لرؤسائهم"<sup>819</sup>.

من الأساليب التي انتهجها الصهاينة، التخلص من أي موظف يمانع أو يعرقل سير انتقال الأراضي إليهم، وهو أمر نبهت إليه صحيفة المقتبس فأشارت إلى تقديم أهالي قريتي مسحة وعما- من المستعمرات الصهيونية في قضاء طبرية- شكوى تفيد بتعريضهم لهجمات متكررة من القرى العربية المجاورة، وتغاضي قائم مقام طبرية عنها، على الرغم من تقديم اليهود عدة شكاوى له بهذا الصدد. وعلقت الصحيفة على ذلك بقولها: "ولما كان كتابهم مناقضاً لدعواهم، وعارضياً من الحقيقة... فسيق لهؤلاء المستعمررين إقامة الدعاوى التزويرية على جوارهم، والضغط على الحكم الذين لا يجارونهم على ما يبغون... ونظراً لانتباه القائممقام ووقوفه سداً منيعاً دون مطامعهم، سخطوا عليه، وأخذوا يرمونه بالعدوان عليهم"<sup>820</sup>.

كما قدمت صحيفة مرآة الغرب وصفاً لتلك الأساليب في الأول من كانون الثاني/يناير عام 1912 "كاستعطف متصرف، إلى التماس وال، وإلى إغراء ذي ملك إلى رشوة ذي نفوذ، إلى إطماع فقير، إلى خداع فلاح، إلى نصرة سياسي، وغير ذلك من الفنون وضروب السياسة التي امتلكوا بها أراضي واسعة في نواحي طبرية ومرج بن عامر ولواء عكا وحيفا وساحل يافا وجوار القدس حتى توصلوا إلى نواحي غزة"<sup>821</sup>.

من ذلك أيضاً، شراء الصهاينة الأراضي بأسماء وهمية أو بأسماء آخرين، ثم تحويلها بأسمائهم، ولم تكن هذه الطرائق بخافية عن الفلسطينيين والعرب، فكتبت المنادي في 12 تشرين الأول/أكتوبر عام 1912 بهذا الصدد منتقدة السماسة وبعض الوجهاء الذين يستقدون بخيانتهم وتديسهم وشرائهم الأماكن والأراضي بأسمائهم، والحقيقة أنها بمال الصهيونيين، وهم يكادون لا يستلمون أوراق امتلاكها، حتى يحولوها إلى الراغبين من الصهاينة<sup>822</sup>.

في رسالة بعث بها نجيب نصار في أيار/مايو عام 1911 من طبريا إلى الولاية والمتصوفية، حذر فيها من أحد هذه الأساليب، وهو استيلاء المغاربة على بعض أراضي طبريا بصفتهم مهاجرين، ثم عند وفاة بعضهم أو عودتهم إلى بلادهم، يرسل سماسة اليهود بعضاً من المغاربة يطلقوا عليهم أسماء أصحاب الأراضي (التي تركت سين، وقرر مجلس إدارة طبريا أنها أميرية) وأتوا بهم لإجراء فراغ هذه الأرضي. على الرغم من توقف المعاملة يومئذ بناءً على هذه البرقية، إلا أن نصار ذكر بأنه علم "أن اليهود استلموا هذه الأرضي، وأدخلوها ضمن

حدودهم، وهم يفلحونها ويزرعنها ويتصرفون بها تصرف المالك بملكه، وقيل إنها أفرغت لهم أو لأحد سماستهم".<sup>823</sup>

كما برع اليهود الصهاينة في رصد الأوضاع المالية والاقتصادية لمالك الأرضي وال فلاحين في فلسطين وخارجها، واغتنام الفرصة لإغرائهم بالمال لحل أزماتهم الاقتصادية مقابل بيع أراضيهم، وقد قدمت صحيفة المنادي وصفاً دقيقاً لهذه الحالة بهدف توعية هؤلاء من الواقع في بيت المقدس، فقالت: "وقد اتخذوا الأزمة المالية المنتشرة في هذه البلاد وسيلة لترويج أعمالهم، فالقروي المسكين يجد في لمعان الرنان نور حياته، فلا ينظر إلى عاقبة تفريطه في ثرواته".<sup>824</sup>

نجد الصورة ذاتها، في ما كتبه شكري العسلي في الرسالة التي وجهها إلى قائد الحملة الحورانية سامي الفاروقى في 5 كانون الأول/ديسمبر عام 1910 لافتاً نظره إلى هذه القضية، ومن خلال وصفهم بقوله: "ترابهم لا يفتر عن طرفة عين، وهم يتجلسون الأخبار عن الذين تأخرت حالتهم المالية من أهل هذه البلاد، ويدفعون للبائع ثمناً فاحشاً ليطمع ويشتروا منه".<sup>825</sup>

تعتبر مرحلة الحرب العالمية الأولى من الفترات الذهبية التي استغلتها الصهاينة خير استغلال، حيث اغتنمت طبيعة الظروف الاقتصادية أثناء الحرب، واضطراب الاقتصاد، واضطرار الكثير من العرب إلى بيع أراضيهم، فكانت بالمرصاد لشراطها.<sup>826</sup>

كما استخدم اليهود الصهاينة الديون وسيلة لتملك الأرضي، فعمدوا إلى إغراء أصحاب الأرضي بالديون سواء الفردية منها، أو تلك التي يقترضها المزارعون من البنوك، وبخاصة البنك الأنجلو- فلسطيني، الذي كان يكمله برأس مال يهودي، وكان اليهود يأخذون منهم ضمانات تعطيهم الحق في بيع أراضيهم في حال عدم قدرتهم على السداد، وقد نجحت الشركة الأنجلو- فلسطينية والمنظمات الصهاينة "إيكا"، والصندوق القومي اليهودي في الاستيلاء على مساحات كبيرة من الأرضي بهذه الطريقة.<sup>827</sup>

كانت أكثر فئة متضررة هي فئة الفلاحين الشركاء الذين كانوا لا يملكون الأرضي التي كانوا يعملون فيها لوقت طويل ويعيشون في خوف دائم من الطرد، وكانوا عرضة للاستغلال من قبل المربين الذين كانوا يسلفونهم الأموال وتتكبد عليهم الديون، فهؤلاء تضرروا من الهجمة الصهاينة لأنهم بعد حصولهم على الأرضي، قاموا بطردهم لعدم وجود قوانين تحفظ حقوقهم، وهناك أيضاً فئة المالك الصغار الذين يملكون أرضاً ولكنهم اضطروا نتيجة تراكم الديون أن يتخلوا عنها<sup>828</sup>، وبهذه الطريقة انتقلت أراضي قرية أبو شوشة إلى اليهودي ملقي بير جمام الألماني الجنسية، بعد أن دفع رسوم تسجيلها.<sup>829</sup>

من أشهر من برع في هذا المجال الحاج إبراهيم كوهين الجزائري الفرنسي الجنسية، واليهودي الفرنسي الجنسية روزنك، فتمكن من تملك مساحات واسعة من الأرضي في لواء عكا من طريق القروض والديون، فاشترى روزنك مساحات كبيرة من الأرضي في قيسارية من ورثة صادق باشا، بعد أن أغرق أولاده

بالقروض بضمان أراضيهم، فاشترى منهم جميع أموالهم 830، ومن أجل هذه الغاية أسس عدداً كبيراً من الشركات والمصارف 831.

حاولت صحفة المقتبس التوعية لمثل هذه الأساليب، وفضح ما كان يجري، فأشارت في 19 شباط/فبراير عام 1912، إلى محاولة اليهود منع ورثة صادق باشا من فراغ نصف أراضي قيسارية للدير، فقدموا لهم ثمناً أعلى مما اتفقا عليه مع الدير، إلا أن الورثة رفضوا بيعها لليهود، فحاول اليهود منع عملية البيع، إلا أن الحكومة أمرت بفراغ الأرض للدير، فحاول اليهود رشوة وكيل الدير لمنع التسجيل، فرفض، ولكن ذلك لم يمنع اليهود من الاستمرار بمعارضة البيع، ونجحوا في ذلك، وتم تسجيل الأرض باسم جول روزن 832.

قدمت صحفة المقتبس صورة مناقضة لما كان يجري مع اليهود بالنسبة إلى الإقراض، فأشارت في 15 آذار/مارس عام 1910 إلى أن الجمعية الصهيونية أنشأت فرعاً لبنك أنجلو - فلسطين في كل ثغور فلسطين المهمة تعمل للاسرائيليين فقط، فتسليفهم المبالغ الطائلة بفوائد ضئيلة، لتيح لهم استثمار عقارات وأراضٍ في فلسطين، ثم يسدد المبلغ على أقساط 833.

شكلت الامتيازات الأجنبية منفذًا آخر للاليهود الصهایین، استطاعوا من خلالها التحايل على قوانين الدولة العثمانية للاستيلاء على الأراضي، فاشتروا مساحات واسعة منها على أساس تبعيتهم للدول الأجنبية، لا على أساس كونهم يهود 834، ولم تتوان القنصليات عن تقديم الدعم اللازم لإنتمام معاملات نقل الأموال غير المنقولة لرعايا اليهود الذين سكنا القدس ومناطق فلسطينية أخرى، فكان اليهودي الراغب في شراء أو بيع أي عقار ما عليه إلا أن يكتب استدعائه، وينذله بعبارة "إنني من المسؤولين المستوطنين الممنوعة مهاجرتهم" ، ويقدمه لقنصل 835.

امتدت خدمات القنصليات لرعاياها اليهود إلى قضاء يافا ولواء عكا، من خلال مساعدتهم على شراء الأراضي وفراغها وتسجيلها، وفي مقدم هؤلاء القنصل الإنكليزي في حيفا بيرو أبليا، وبيور نجيب نصار في صحفته الكرمل في 10 حزيران/يونيو عام 1911 حادثة جرت مع هذا القنصل، فقال: "اتصل بنا أن المسيو أبليا قنصل الإنكليز في حيفا كان ينوي إجراء فراغ قطع أراض اشتراها من الأهالي لأحد اليهود الإنكليز المقيمين في لندن (لندن) ولعله من أعضاء إحدى الجمعيات الاستعمارية، ولما فهم أن ذلك يقتضي له استئذان طلب إجراء الفراغ باسم إفرايم كروس شقيق وكيل مستعمرة الشجرة الإسرائيلية، فاستعلمـتـ الحكومة المحلية من قائمـانـ الناصرة وطبرـياـ عن إفراـمـ المـذـكـورـ، فـورـدـ الجـوابـ منـ الـأـوـلـ أنـ إـفـراـمـ المـذـكـورـ اـشـتـرـىـ الفـوـلـةـ لـلـجـمـعـيـةـ الصـهـيـونـيـةـ، وـوـرـدـ الجـوابـ منـ الـثـانـيـ أنـ الرـجـلـ يـحـمـلـ بـزـابـورـطـاـ فيـ الجـيـبـ الـواـحـدـ، وـتـذـكـرـةـ عـمـانـيـةـ فيـ الجـيـبـ الـآـخـرـ، وـقـرـرـ مجلسـ إـدـارـةـ حـيـفـاـ وـجـوـدـ مـحـاذـيرـ سـيـاسـيـةـ وـإـدـارـيـةـ منـ فـرـاغـ أـرـاضـيـ المـسـيـوـ بـيـلاـ لـهـذاـ الرـجـلـ، فـنـقـولـ بـتـرـتـيـبـ إـيـجـادـ شـخـصـ ثـالـثـ جـدـيدـ لـتـقـرـعـ هـذـهـ أـرـاضـيـ لـأـسـمـهـ، فـالـأـسـمـاءـ الـمـسـتـعـارـةـ عـنـ الـجـمـعـيـاتـ الـاسـتـعـمـارـيـةـ الإـسـرـائـيـلـيـةـ مـتـوـفـرـةـ حـتـىـ بـيـنـ بـعـضـ الـيـهـودـ الـعـمـانـيـينـ 836.

وقد تعرض نجيب نصار - بعد روايته هذه أيام - إلى مهاجمة أحد اليهود من التابعية الإنكليزية له، حيث التق حوله مجموعة من اليهود لتشجيعه، وعندما تم حجز اليهودي المعتمدي في أحد مراكز الشرطة، تدخل القنصل الإنكليزي ونجح بعد عدة محاولات من إطلاق سراحه.<sup>837</sup>

كشفت صحيفة المقتبس في 21 حزيران/يونيو عام 1911 الأسباب الكامنة وراء ما حدث لنصار، فقالت: "من أسباب الدافعة لهذا العمل هو كون المسيو بيلا يتعاطى سمسرة البيع والشراء في حيفا لحساب الصهيونيين، حتى إنك تجد أكثر المعاملات في الحكومة هي لاسم الموما إليه، وبالنظر إلى كون نجيب أفندي نصار وأنصاره من الوطنيين قد نبهوا إلى مضار الاستعمار هنا، فأصبح الشعب يدرك الخطر الذي يتهده" <sup>838</sup>. أكد شكري العسلي في كانون الأول/ديسمبر عام 1912 أن بعض عقود بيع الأراضي يتم توقيعه في الفصليات.<sup>839</sup>

كما أثارت إحدى صفحات شراء الأراضي تساؤل متصرف عكا - الذي تزامن تسلمه منصبه مع مباحثات عقد هذه الصفة - إذ تقدم أحد اليهود الصهاينة لطلب فراغ قريتي تل الشمام وجيدا باسمه، على الرغم من أنه روسي، الأمر الذي دفع بالمتصرف إلى إرسال عدة برقيات إلى طبرية للاستفسار عنه، وقد علقت صحيفة المقتبس التي أوردت الخبر في 2 نيسان/أبريل عام 1914 على ذلك بقولها: "فنسيم بن إسرائيل اسمه مستعار، وكذلك عثمانية وهو روسي، وإذا كان نسيم مزارع عند إحدى الجمعيات الصهيونية في بيت حن، كيف يستطيع الذي لا يملك لنفسه أرض فدانين أن يشتري قرى ودسرا؟"<sup>840</sup>

لم تكتف الصحيفة بهذا التحذير والتساؤل، بل قدمت مبررات عدم شرعية مثل هذا البيع، فالمشتري ويدعى نسيم بوم (Nassim Boom) لا يملك الجنسية العثمانية، ولا يزال يحمل الجنسية الروسية، وكذلك وجود تعليمات وأوامر تمنع بيع الأراضي الواقعة على جانبي الخط الحجازي، كما هي الحال في هاتين القريتين، أضف إلى ذلك الأوامر التي تمنع سكنى مهاجري اليهود.<sup>841</sup>

وستغل اليهود الصهاينة قدرتهم الشرائية العالية في رفع أسعار الأراضي لتصبح أعلى من سعرها الحقيقي بأضعاف، فيطمع بذلك أصحاب الأراضي بالبيع؛ فهناك من كان يغريه المال فيبيع، وهناك من رفض وتمسّك بأرضه. في كتاب مفتوح إلى مجلس النواب وجده عبد الله مخلص في 15 آذار/مارس عام 1910 تحدث فيه عن الصهيونية ومخاطرها في فلسطين، مشيراً إلى قوة المال في استملك الأراضي، بحيث عجزت القوانين التي وضعتها الدولة عن الوقوف في وجه إغراء المال، فقال: "كان زمن الاستبداد يشدد النكير على استملك الصهيونيين في فلسطين، فيقيم في طريقهم العثرات، ومع ذلك فقد كانت قوة الأصفر الرنان تعليه على أمره أحياناً... وتلقاهماليوم وهم لا يعرض للبيع عقار وأرض في حيفا وما يليها إلا وينقضون عليه انقضاض الباز على صغار الطير، ويشترونه بأثمان باهظة تكاد لا تصدق، ومواطننا الفلسطيني قصير النظر لا يعلم أنه سيصبح مسوداً بعد أن كان سيداً، فيبيع عقاره وأرضه لقاء ربح جل أو قل، ثم يقوم ليشتري أرضاً ثانية، وقد ارتفعت أسعارها ارتفاعاً باهظاً فلا ينجح".<sup>842</sup>

في المعنى ذاته كتب عبد القادر القباني في 26 آب/أغسطس عام 1910 محدراً، بقوله: "هذا الموضوع وطني مهم، وخصوصاً لاستعداد الصهيونيين للغارة على الوطن واستملاك أراضيه الزراعية، ولا يغرس قوماً كثرة ما ينالهم من ثمن الأرضي، فإنها ستكون وبالاً عليهم إذ تعذر عليهم شراء شبر أرض من الصهيونيين بمثل ثمنه المباع به أو بأكثر منه".<sup>843</sup>

لكن إغراءات الصهيونية المادية لم تكن مجدية مع بعضهم؛ ففي تموز/يوليو عام 1910 ذكرت صحيفة المقتبس أن الجمعية الصهيونية تسعى لدىشيخ عرب الفضل إلى أن يبيعها أراضيه التي تساوي الآن خمسين ألف ليرة، بنحو نصف مليون ليرة، فأبى. وقد علقت الصحيفة على هذا الرفض بقولها: "فتعذر أن يبقى الأمير على إياته حتى لا يذكر في حياته ومماته بما يكره، ولكن أليس في إغلاء الأنماط دليل على ما ينويه الصهيونيون من استعمار هذه الأرض التي تدر علينا وعسلاً، وما فيها من الفوائد والمستقبل الظاهر؟".

أما صحيفة الكرمل، فقد اغتنمت الفرصة للإشادة ب موقفه، ودعوة الآخرين إلى الإقتداء به، فقالت: "نحن نكاد نكون على ثقة بأن هذا الأمير الكريم لا يبيع أراضيه ليصبح هو وعشيرته غرباء في بلادهم، ولا يخون وطنه الذي اشتراه الأجداد بدمائهم، ألا يعتبر خونه الأوطان الذين لا هم لهم إلا شراء الأرضي وبيعها من الجمعيات الاستعمارية أو وكلائها بحمية هذا الأمير".<sup>844</sup>

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



## الفصل الرابع

### بدايات الوعي العربي لإقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين

جاء تعبير العرب عن وعيهم هدف الصهيونية خلق كيان يهودي في فلسطين، وغيرها من البلاد العربية. على اختلاف أشكاله. من خلال تسميات ومفاهيم متعددة اختلفت في استخدامها تبعاً لدرجة الشعور بالخطر، والوعي لإنصارات الصهيونية على تنفيذ مشروعها، واتخاذ الخطوات الكفيلة بذلك، فكان هناك تعبير الدولة اليهودية المستقلة أو المملكة اليهودية أو الوطن القومي، أو كيان يهودي. وتعد بدايات تتبه العرب إلى هدف الصهيونية إقامة كيان مستقل في فلسطين، منذ أن بدأت الصحف ووكالات الأنباء تتناقل خبر استفحال الأطماع الصهيونية في البلدان العربية، والتي بدأت تكشف عن نفسها بشراء الأراضي لإقامة المستعمرات الصهيونية، ومن ثم تأسيس الدولة اليهودية المستقلة.<sup>845</sup>

كانت هناك إشارة صريحة ومبكرة إلى رغبة اليهود في إقامة دولة لهم في فلسطين، وذلك في التقرير الذي رفعه كمال بك أحد المسؤولين الأتراك في القدس إلى الباب العالي عام 1888، وطرق فيه إلى "ما شاع انتشاره في الخارج بأن اليهود في العالم يحاولون تقوية أنفسهم في القدس أكثر من أي وقت مضى، وذلك لإعادة دولتهم المزعومة"، ورداً على ذلك قامت الدولة العثمانية بتقوية الإدارة في القدس.<sup>846</sup>

حرضت الصهيونية في طرحها مفهوم الدولة المستقلة التي تسعى إلى تحقيقها على أن يكون طرحاً دبلوماسياً يتحقق وطبيعة الظروف والجهة التي يتم معها مناقشة الموضوع أو التفاوض معها بشأنه، بدليل قول هرتزل للسلطان عبد الحميد بجعل فلسطين كدولة شبه مستقلة.

إن هناك عدة إشارات في يوميات هرتزل، تعكس الرغبة الصهيونية في إقامة كيان يتخد شكل الدولة المستقلة؛ ففي نيسان/أبريل عام 1896 في لقاء له مع دوق بادن، قال: "من واجبنا نحن زعماء اليهود أن نقنع الشعب أن تأسيس دولة يهودية هو من صالح اليهود، وليس اضطهاداً لهم".<sup>847</sup>

في 3 أيار/مايو 1896 كتب هرتزل تعليقاً على عرض رئيس تحرير صحيفة البريد العثماني- وكان الأخير على علاقات طيبة مع عزت باشا- التوسط لدى السلطان، قال: "أخبرته بكلمات قليلة عن القضية، وقلت له: "إن نحن حصلنا على فلسطين، لا نرضى بأقل من التنازل عنها كبلد مستقل، ومقابل هذا نحن مستعدون أن نسوي أوضاع تركية المالية". وفي مقابلة له مع القاصد الرسولي في 19 أيار/مايو عام 1896 طلب منه مساعدة البابا على قيام المشروع الصهيوني، قال له: "لا نريد مملكة، وإنما نريد جمهورية أرستقراطية، وعندما نركز أنفسنا، تكون

القدس خارج حدود الدولة، فابتسم القاصد الرسولي، وقال: “أ يعني أنكم ستتركون القدس وبيت لحم والناصرة وتقيمون العاصمة في الشمال؟ أجبت نعم”<sup>849</sup>.

وقد أرسل هرتزل في 25 آب/أغسطس 1896 إلى السلطان ملحاً لمشروعه، كان من ضمن ما اشتمل عليه من مطالب أن يعطى المهاجرون اليهود الاستقلال الذاتي المضمن في القانون الدولي في الدستور، والحكومة وإدارة العمل في الأرض التي تقرر لهم فلسطين كدولة شبه مستقلة”<sup>850</sup>.

وعندما عقد المؤتمر الصهيوني الأول في باريس في آب/أغسطس 1897، نص أحد قراراته على إقامة وطن قومي لليهود، حيث أحجم المؤتمرون عن ذكر الدولة اليهودية صراحة كأحد أهدافهم، واكتفوا بعبارات غامضة<sup>851</sup>. ويؤكد صحة ذلك قول هرتزل في تعليقه على المؤتمر: “في بازيل أنشأت هذا الكيان المعنوي الذي لا تراه كما هو أغلبية الناس، أنشأته بوسائل قليلة جداً، وبالتدريج وضعت الناس في جو مناسب للدولة، وجعلتهم يشعرون أنهم هيئة وطنية”<sup>852</sup>.

وكان هرتزل قد عاد ووضح في يومياته في 15 تشرين الأول/أكتوبر 1898 تصوره لحدود الدولة وشكلها ونظامها، فقال: “نريد فترة انتقالية في ظل مؤسساتنا الخاصة، وحاكمًا يهودياً خلال تلك الفترة، بعد ذلك تنشأ علاقة كالتى تقوم الآن بين مصر والسلطان، وما أن يصبح السكان اليهود في منطقة ما ثالثي مجموع سكانها، حتى تصبح الإدارة اليهودية سارية المفعول على الصعيد السياسي، بينما تعتمد الحكومة المحلية دائمًا على عدد الناخبين في المنطقة أو المحطة”<sup>853</sup>.

أحدثت قرارات المؤتمر الصهيوني الأول في ما يتعلق بإنشاء كيان صهيوني يهودي في فلسطين ردود فعل لدى العرب، وإن كانت تكاد لا تلمس بصورة مباشرة، ويتبين ذلك من خلال ما لاحظه إلبرت عنيتبي في القدس- وهو القريب من نبض المجتمع الفلسطيني- فقال: “إن إقرار المؤتمر الصهيوني الأول لأهدافه المتمثلة بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، قد أثر سريعاً في العلاقات بين العرب والمهاجرين اليهود في المدن الفلسطينية”<sup>854</sup>.

من أولى ردود الفعل العربية التي أعقبت انعقاد المؤتمر بهذا الخصوص، الرسالة التي بعث بها أمين أرسلان من باريس في 16 تشرين الأول/أكتوبر عام 1897 إلى صحيفة المقطم بعنوان “مملكة صهيونية”， أكد خلالها أن هدف المؤتمر هو “المفاوضة في مشارق أراض فسيحة وقرى كثيرة في فلسطين وبجوار أورشليم في الدولة العلية، وجعلها مملكة إسرائيلية مستقلة تحت سيادة الحضرة الشاهانية، وعاصمتها القدس الشريف”<sup>855</sup>. وعلى الرغم من أن أرسلان عرض باستفاضة مقررات مؤتمر باريس، حيث أشار إلى أن الحزب الصهيوني يدأب إلى إنشاء وطن لليهود في فلسطين تضمنه شرائع وثيقة، وحديثه عن الآلية التي اتخذتها لتنفيذ مثل هذا الأمر، إلا أنه عند حديثه عن وجهة نظره حول هذا الأمر، قال: “لست أظن أن تلك المملكة يتم إنشاؤها كما يريدون، وربما اكتفوا بتوسيع نطاق مستعمراتهم هناك، وأقلعوا عما يسهل فكراً وقولاً، ويصعب أو يستحيل فعلاً”<sup>856</sup>.

ويأتي قول أرسلان هذا ليناقض ما كان قاله في موضع آخر من المقال نفسه، وذلك عندما أجاب على افتراءه أن القراء يعودون تحقيق تلك الأمني أضغاث أحلام، ليؤكد بأن الإسرائيليين فكروا في هذا الأمر، وشرعوا فيه منذ سنوات، ليس تعرض نشاطهم في هذا السياق .857

وكانت مجلة المشرق من تطرق بشكل مبكر جداً إلى نية اليهود إقامة دولة مستقلة، في عددها الصادر عام 1899 قالت: "إن غاية اليهود في مساعيهم لدى السلطان العثماني، هو أن يمهدوا الطريق لأبناء جلدتهم لإنشاء مملكة مستقلة في الأراضي المقدسة التي كانت قبل المسيح" .858

كانت الصحافة سباقاً إلى إثارة المخاوف حول مساعي الصهيونية إلى إقامة دولة يهودية؛ ففي صحيفة الأهرام، كتب فرح أنطون بعنوان "الحمام الإسرائيلي، ووطنه القديم"، في 17 كانون الأول/ديسمبر عام 1898 حول تأسيس كبار اليهود "المجتمع الصهيوني"، ودوره في تمهيد السبيل للاستيلاء على أورشليم، وجمع المال من أغنياء اليهود من أجل شراء فلسطين، بقصد العودة إليها، وإعادة التمدن اليهودي فيها، بحجة أن الأرض أرضهم وأرض أجدادهم قبلهم .859

في 29 نيسان/أبريل عام 1899 أكد الأمير شكيب أرسلان في مقال له بعنوان "الإسرائيليون في فلسطين" على أن "مقصد الصهيونية هو إعادة ملك فلسطين، واسترجاع أرض الميعاد، وضم اليهود تحت راية واحدة في وطنهم القديم" .860

يبدو أن هذا الوعي بدأ تتسع أطره نوعاً ما، ويتصح ذلك من خلال ما ذكره عنيبي عام 1900، بأن المسلمين الأميين سأله عن صحة ما يشاع بأن اليهود يريدون استعادة هذه البلاد، وبأنه بعد ما يقارب السنة والنصف أخبره بعض الشباب المسلمين بأنهم على استعداد للضحية بأخر قطرة من دمهم على أن تقع الصخرة المشرفة بيد غير المسلمين .861

اهتمت بعض الصحف- وخصوصاً صحف الاغتراب، بأخبار اليهود الصهاينة ونشاطاتهم خارج الدولة العثمانية، ومنها صحيفة الهدى التي أوردت في عددها الصادر في 25 أيار/مايو عام 1901 خبر عقد اليهود في بوسطن اجتماعاً "بحثوا فيه مستقبل اليهود وموقفهم بين الأمم، وما صنعته الأمة اليهودية في القرن التاسع عشر، وما وصل إليه بعض أفرادها من النفوذ والوجاهة، كما بحثت أمر إنفاذ مبشرى اليهود يطوفون الأرض، ويتبنون إخوانهم الإسرائيليين في ديانة آبائهم، ليحفظوا الأمة من الانفراط، وليتمكنوا وقتاً من الأوقات من استرجاع مجدهم القديم، ورد عظمتهم السابقة" .862

هذا ما نقلته الصحيفة حرفيأً، واكتفت به، إذ يبدو أنها لم تجد في هذا الكم من المعلومات ما يثير حسها وحاستها الصحفية للبحث عما وراء الخبر، وربطه بنشاطات الصهاينة ومؤتمراتهم، وتحذير أبناء جلدتهم مما هو آتٍ ، وما يراد ببلادهم. وقد أشارت الصحيفة في العدد ذاته إلى احتقال اليهود بذكرى مرور 5662 سنة على إعطاء الله النبي موسى الوصايا العشر على جبل سيناء، حيث

أقاموا بهذه المناسبة الحفلات باعتباره اليوم الذي أظهر الله محبته وعانته بشعبه المختار 863.

في 29 كانون الثاني/يناير عام 1902، تحت عنوان "حياة أمّة بعد موتها، جمعية اليهود الصهيونية"، كشف محمد رشيد رضا عن التحايل التي كانت تتبعه الجمعية الصهيونية في الكشف عن مساعيها في جعل فلسطين مقر ملتهم وعرش سلطانهم، فقال: "إنّها لم تكن تُظهر في أول الأمر طلب الملك، وإنّما كانت تتظاهر بحب نقل القراء اليهود والمخرجين المنفيين إلى بلاد فلسطين ليعمروها، ويعيشوا في ظل السلطان آمنين، وكأنّها وقفت بقوتها الآن، فخرّجت من مضيق الكنّان"، وأضاف رضا بأنّ أحد زعماء الصهاينة وهو زانغويل إسرائيل Israel Zangwell وبعد لقاء له منذ أشهر مع السلطان للمساومة في شراء القدس الشريف- قد أكّد في خطبة له: "بأنّ اليهود سيرجعون بكثرة إلى فلسطين، إلى مملكتهم القديمة التي لا يمكن أن تغرب شمسها من سماء أفكارهم" 864.

في عام 1903 عاد رضا ليوجه الاتهام إلى اليهود وبصراحة أكثر، من أنّهم يعملون على الاستقلال بفلسطين، وإقامة دولة جديدة لهم فيها 865.

وأكّد مثل هذه الاتهامات ما كان يرد على لسان بعض قادة الصهاينة ومؤيديها؛ ففي عام 1904 كتب مكاريوس يصف حال الأمة الإسرائيليّة بقوله: "مرّ على الأمة الإسرائيليّة أدهار طويلة، وهي تضرب في أنحاء الأرض هائمة على وجهها، لا يستقر لها قرار، ولا يهدأ لها بال من شدة ما انتابها من نوازل الأقدار، التي هدمت أركان عزها، وقوضت دعائم مجدها، وذهبت بدولتها رفيعة الشأن، حتى تفرق شمل اليهود في جميع الأمسار، ولكنها كانت مع ذلك رغم الدهر رانية في لم شعثها وجمع كلمتها وضم جامعتها، تدافع عن كيانها بالصبر وثبات الجأش، والرضوخ لأحكام الأقدار" 866.

وشاھين مكاريوس اليهودي الذي كان يعيش في مصر، ونشر فيها كتابه تاريخ الإسرائيّيين، تحدث صراحة عن مجد دولة يهودية غابرة، وعن تطلع وجمع كلمة لإعادة جامعه اليهود، لدولتهم على الشأن 867.

أولاً: الوعي العربي لهدف الصهيونية إقامة دولة مستقلة

خلال الفترة 1908-1904

ترسخت المخاوف بوعي الصهيونية إلى إقامة دولة أو كيان مستقل في فلسطين، وأخذت تبرز بشكل أوضح عام 1905، وذلك بعد موجة الهجرة اليهودية الثانية المتدفعه على ميناء يافا، وذلك بعد فشل ثورة روسيا عام 1905، وبتحريض من الحركة الصهيونية التي تبنت فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين 868.

شكل نجيب عازوري حالة وعي متميزة لمساعي الصهيونية إلى إقامة دولة مستقلة لليهود في فلسطين، وقد بدا ذلك جلياً في كتابه يقطة الأمة العربية، الذي صدر عام 1905، وتحدث فيه عن جهد اليهود الخفي لإعادة تكوين مملكة إسرائيل القديمة، وبأن مساعاهم هذا جاء معتمداً على التقسيم الحرفي والمادي للتوراة، فيقول: "إننا لا

ننوي نقد الطريقة التي تقرر بها الكنيسة المسيحية الكتاب المقدس، نحن نحل التعليم الكتابي المسيحي لأن المعنى المجازي والروحاني الذي يضفيه اللاهوتيون المسيحيون على قصص التوراة أخلاقي تماماً، ويرفع كثيراً من قيمة العهد القديم، بينما التفسير الظاهري والحرفي الذي يقتصر عليه اليهود، يجعل هذا الكتاب خطيراً ولا أخلاقياً، ويشكل إدانة رهيبة لهم”， وأكد عازوري على أن مطالبهم بإقامة هذه الدولة سينجم عنه تصارع القوميتين العربية واليهودية 869.

في طرحة هذا، يقدم عازوري وعيّاً شاملاً لحقيقة الصهيونية، سواء من حيث اعتبارها مستندة إلى فكرة القومية المستقلة التي تدخل في صراع وجودي مع القومية العربية، والذي يجب أن يتم بمعزل عن الدولة العثمانية لعجزها عن مواجهة الصهيونية، أو من حيث فهمه ووعيه حقيقة نشاطها وأالية عملها، ولعل ذلك يعود لاتصاله المباشر مع هؤلاء أثناء وجوده في فلسطين وخدمته هناك.

على الرغم من أن كتاب عازوري لم يحصل على الاهتمام الذي يستحقه على الساحة العربية، إلا أنه كانت له أصوات وأثر لدى الطرف الآخر من المعادلة وهم الصهاينة؛ ففي المؤتمر الصهيوني السابع في آب/أغسطس عام 1905 جاءت تصريحات ماكس نوردو رئيس المؤتمر لتفيد ما وجده عازوري من اتهامات، فقال: “بأن الصهيونية لا تعلم بالتأمر على سلخ فلسطين عن الإمبراطورية العثمانية، أو إعلان قيام مملكة أو جمهورية يهودية مستقلة، ووضع الحركة وإمكانياتها وطاقات اليهود بتصرف الحكومة العثمانية، واستعداداً للدفاع عن فلسطين ضد حركة اليقظة العربية، التي يعترف بسعة انتشارها آنذاك، وأن اليهود مع احترامهم الكامل لحقوق السكان الأصليين، ليسوا على استعداد للسماح بأي تهمج على سلطة الباب العالي أو خرق لها، لا بل هم يجذون كل قواهم للدفاع عن السلطان” 870.

في السياق ذاته، يأتي التقرير الذي بعث به قائمقام يافا محمد آصف بك إلى متصرف القدس أكرم بك في 26 حزيران/يونيو عام 1906 إشارة واضحة إلى هذا الوعي، حيث عرض فيه خطر الوجود اليهودي والمتمثل بإعلان اليهود حكومة مستقلة بهم كما حصل مع الأرمن 871.

يستدل بعضهم على رفض الحكومة المصرية المشروع الصهيوني للاستيطان في العريش، كأول إشارة إلى معارضته العرب ووعيهم إقامة وطن يهودي في أراضيهم 872، إذ فشل الصهاينة في إقناع السلطات المصرية عام 1906 بالسماح لهم بتأسيس دولة يهودية في شبه سيناء 873، وهذا أمر ي جانب الصواب؛ فالسلطات المصرية وافقت على المشروع، في حين رفضها المعتمد البريطاني كتشنر (Lord Kitchener).

عرضت مجلة المقتطف في كانون الثاني/يناير عام 1908 كتاباً بعنوان القاهرة والقدس ودمشق، من تأليف مرغوليوث، وهو - وفقاً لتعريف المجلة- أستاذ للعربية في مدرسة أوكسفورد الجامعية، الذي تناول فيه تاريخ هذه العواصم، حيث ركزت المجلة في حديثها عن تاريخ أورشليم عاصمة اليهود، وبأن الزمن الذي كانت فيه

هذه المدينة عاصمة لليهود قصير جداً يشمل عصر داود وسليمان، وعلقت المحلة على ذلك، بقولها: "ولو أبقى ملوك اليهود في مدنهم آثاراً منقوشة ومكتوبة كما أبقى ملوك مصر وبابل وآشور لكان الاستدلال على تاريخهم أسهل وأدق، نعم إن التوراة تذكر تاريخ اليهود وأسلافهم بالتفصيل من الخلقة إلى قرب زمن المسيح، ولكن علماء التاريخ يفرضون أنهم ليسوا يهوداً ولا نصارى ولا تابعين لملة أخرى، وهم يبحثون في الأخبار التاريخية، فيجرحون تاريخ التوراة كما يجرحون تاريخ هيرودوتس، ولا يقبلون منها إلا ما تؤيده الآثار، وينطبق على العقل ولا ينافي العلم، و شأنهم في ذلك شأن الطبيب والفلكي والكيماوي والطبيعي" 874.

ثانياً: الوعي العربي لهدف الصهيونية إقامة دولة مستقلة ما بعد

الانقلاب الدستوري عام 1908

أدى الانقلاب الذي قاده الاتحاديون ضد السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908، وما تبعه من تطورات أسفرت عن تحييته في نيسان/أبريل عام 1909 إلى توجيه الاتهام للصهاينة بالضلوع بالمؤامرة ضد السلطان بالتعاون مع الاتحاديون، وبدأت الأصوات العربية تتعالى بهذا الشأن؛ فنجيب نصار عام 1909 اتهم اليهود بتدبير الثورة على السلطان بهدف إحداث الفرقة بين الأتراك والعرب من أجل هدم الإمبراطورية العثمانية، وإقامة مملكة يهودية على أنقاضها 875.

مما يؤكد هذا الاتهام الرسالة التي بعث بها السلطان عبد الحميد الثاني إلى معلمه شيخ الطريقة الصوفية أبي الشامات، وينظر فيها أن سبب تخليه عن الخلافة هو الضغط الذي تعرض له من قبل تركيا الفتاة للمصادقة على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة "فلسطين"، وعرضهم عليه مبلغ مئة وخمسين ألف ليرة انكليزية ذهباً، ورفضه العرض بشكل قطعي، لذلك خلعوه وأبعدوه إلى سلانيك، ولينهي رسالته بالحمد بأنه لم يلطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الناشئ عن إقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة 876.

يبدو أن مساعي الصهاينة داخل فلسطين وخارجها خلال مرحلة حكم الاتحاديون من أجل إقامة دولة لهم في فلسطين، كان من الكم بحيث استقر الكثيرين؛ ففي حدتها عن اليهود في صفد، أشارت صحيفة الاتحاد العثماني في 15 تموز/يوليو عام 1909 إلى تشكيلهم الجمعيات التي كان أحدها "جمعية الاتحاد الإسرائيلي العثماني"، والتي عينوا لها اثنى عشر رئيساً، ونقشوا لها خاتماً، حيث شكت الصحيفة بحقيقة مبادئ الجمعية بأنها قاصرة على وقاية حقوق الفقراء، وبأن ذلك قول حق أريد به باطل 877.

أشار أحد كتاب صحيفة الأهرام في 6 تموز/يوليو عام 1909 إلى أن الغاية من تأسيس الجمعية الصهيونية المعروفة "بالسيونزم"، هو جعل البلاد الفلسطينية وطنًا مستقلاً، ومملكة حرة لليهود، مستندًا في إثبات صحة ذلك إلى أهم ما كتبه الكتاب اليهود في هذا الصدد، وخصوصاً كتاب "المملكة اليهودية" لهرتزل 878.

كشف مراسل صحيفة المؤيد في نيويورك في 21 تموز/يوليو عام 1909 عن نية جمعيات الماسون المتفرقة في أنحاء العالم إعادة بناء هيكل سليمان في أورشليم، كما كان قديماً في عهد الملك الحكيم، وفي ختام الخبر الذي أورده مراسل الصحيفة كتب معلقاً: "فإذا ثبت الماسون على عزمهم في إخراج هذه الفكرة من وراء جدران المحاول إلى حيث يراه الناس حقيقة مجسمة، عاد إلى أورشليم مجدها الزائل، وقامت روح الملك سليمان في مقرها، بعمل أتباه ولو بعد مرور الأجيال الطوال... وإن إعادة بناء هذا الهيكل إذا صحت، تعد من الأعمال العظيمة التي تستحق الشكر والذكر".<sup>879</sup> على الرغم من أن كاتب المقال أشار إلى أن الصعوبات المالية قد تم تذليلها من أجل بناء الهيكل، لتوافقه لدى الجمعية، وبأن مدة البناء لن تستغرق ثلث المدة الزمنية التي استغرقها في عهد بانيه الأول، إلا أنه نوه إلى أن هناك "بعض الصعوبات الوطنية في القدس".<sup>880</sup>

إن ما يثير التساؤل هنا ليس ما تحدث عنه صاحب المقال - لأنه يبدو أنه من منتبني الجمعية الماسونية، يدل على ذلك الصيغة الحماسية التي كتب فيها، ولأنه لم يوقع المقال باسمه، واكتفى بالتوقيع بأرقام بدلاً من اسمه. بل نشر الصحيفة هذا الخبر بلا تعليق منها، وخصوصاً إذا ما ربطناه بطبيعة المدة الزمنية التي نشر فيها المقال سواء من حيث ما كان معروفاً من تعاضد الصهيونية والاتحاديين، أو بما يتعلق بمسألة مساعي الصهيونية لتحقيق مشروعهم ليس في فلسطين فحسب، بل وبالمنطقة العربية، ولما كان شائعاً آنذاك من أن الصهيونية والماسونية هما وجهان لعملة واحدة.

لم تكتفِ صحيفة الكرمل بالتحذير من نية الصهيونية إقامة دولة مستقلة في فلسطين، بل شكت في تموز/يوليو عام 1909 بالأسس التاريخية التي استندت إليها الصهيونية لتبرر دعوتها هذه، وقالت: "فإن كانوا يدعون ذلك لأن أجدادهم امتلكوها بحق مفتوح، فقد امتلكتها بعدهم أمة بالحق نفسه، وإن كانوا يبنون دعواهم على قول التوراة، يكون الحق عز وجل أعطاها ملكاً لإبراهيم، فالحق نفسه يأخذها من أيديهم، فضلاً عن كون أمم كثيرة تفرعت عن نسل إبراهيم غير الطوائف اليهودية".<sup>881</sup>

أما يوسف الخالدي، فقد حذر في الوثيقة التي نشرها في 7 تشرين الأول/أكتوبر عام 1909 من قيام دولة يهودية في فلسطين، لأن ذلك سيكون له نتيجة حتمية، وهي اندلاع صراع دموي ناجم عن المعارضه العربية الشديدة لقيام مثل هذه الثورة، مقتراحاً لحل المشكلة اليهودية في أوروبا، إيجاد وطن قومي لهم خارج فلسطين.<sup>882</sup>

استشهدت مجلة النعمة بالمستعمرات التي يشيدها الصهاينة في مدن معينة كأورشليم وبيافا وأرجائها وحيفا وصفد، لتدل على مساعي الصهيونية إلى إقامة دولة يهودية. وقد جاء ذلك عند حديثها في الأول من تشرين الثاني/نوفمبر عام 1909 عن النشاط الإسرائيلي في فلسطين، وتحديداً جمعيتي "أحباء صهيون"، وجمعية "مساعدة فلاحي وصناع اليهود في فلسطين والشام"، والتي - وفقاً للمجلة - "غايتها لا تزال

واحدة، وهي مساعدة المهاجرين الإسرائيлиين في فلسطين في تأسيس مملكة مستقلة".<sup>883</sup>

نشرت صحفة الأهرام في نهاية عام 1909 رسائل مراسلها في فلسطين حول "قلق الفلسطينيين من الحركة الصهيونية، واتهامها بأنها تهدف إلى إقامة دولة صهيونية مستقلة".<sup>884</sup>

على الرغم من النقاش الذي جرى حول هذه النقطة في الأوساط العربية والثمانية، ووضوح المساعي الصهيونية إلى تحقيقها، إلا أنه كان هناك من يخرج من بين هذه الأوساط، لينفي وجود مثل هذا التوجه لدى الصهاينة؛ فصحفية جراب الكردي في 31 آذار/مارس عام 1909 نفت المزاعم بأن لليهود أطماعاً في إقامة حكومة يهودية في فلسطين.<sup>885</sup>

دحضت الصهيونية كل تشكيك بطلعاتها المستقبلية من أجل إقامة دولة، وذلك عندما أنشأت عام 1909 مدينة تل أبيب أو "تل الربيع"، وذلك بعد أن تزايد عدد مستوطنيها واتسعت مساحتها، وكانت الحركة الصهيونية قد وضعت خطة لدمجها مع مستوطنة المنشية، التي أنشأت عام 1888، ووضعتها تحت مظلة مدينة كبيرة مستقلة استقلالاً تاماً عن يافا، وكان لها كيان خاص جداً، 886، وتأتي أهمية هذه الخطوة في أنها كانت البداية الفعلية لتشكيل الدولة.

تزايدت خلال عام 1910 مظاهر الوعي العربي لهدف الصهيونية إقامة دولة أو كيان يهودي صهيوني، ومثال ذلك تغطية مجلة الاتحاد العثماني- وإن لم تعلق أو تبد رأياً في ما نقلته- للمؤتمر الصهيوني التاسع في 10 كانون الثاني/يناير عام 1910، وخطاب الزعيم الصهيوني ماكس نوردو، الذي أثار فيه نقطة مهمة جداً، حين تحدث عن "رغبة الصهاينة في مساعدة تركيا في نهضتها الجديدة، ولكن بصفة شركاء أحرار وجدوا جنسityهم بعد أن فقدوها منذ ألفي عام، لا بصفة مستعمرین أو أجانب يتاح لهم النزول في الممالك العثمانية".<sup>887</sup> لم تعلق الصحفة على هذا الخطاب رغم خطورته ودلائله، سواء من حيث صيغة الخطاب الصهيوني مع الحكومة التركية، والذي اتسم بالندية، أو الحديث عن أنهم أصحاب حق، وبأن المطالبة به أمر مشروع.

أما صحفة الكرمل، فقد علقت على انعقاد المؤتمر في 22 كانون الثاني/يناير عام 1910، بقولها: "ويعلم القارئ مما كتبته الصحف المصرية والأجنبية، ومما يصرح به بعض أركان هذه الجمعية أن الغرض من تأليفها إعادة مملكةبني إسرائيل القديمة إلى حالها، وحمل اليهود المشتتين في أقطار العالم على الاندماج في سلك هذه الجمعية، ليعملوا يداً واحدة في هذا المشروع الكبير الأهمية، وكفى باتخاذ الجمعية اسم صهيون الجبل المقدس الذي شاد داود النبي عليه عرش الملك الإسرائيلي بعد طرد اليهوديين منه، ولا يخفى ما في قلوب الإسرائيليين من الحنين إلى صهيون عرش ملوكهم الأقدامين". ولتدلل الصحفة على صحة أقوالها هذه، أوردت تصريحاً لرئيس المؤتمر الصهيوني، أكد فيه "أن الصهيونية ترمي إلى إيجاد وطن ثابت في فلسطين لليهود المشتتين في العالم الذين لا يريدون أن يندموا

في العناصر العائشين بينها، وإذا كانت هذه الطائفة تسعى وراء إيجاد وطن دائم لها في فلسطين فلأن أفرادها لا يريدون أن يعيشوا كالغرباء أو كالضيوف، بل هم يبغون متابعة حياتهم الوطنية التي انقطعت منذ ألفي سنة ولكنها ظلت متواصلة في قلوبهم".<sup>888</sup>

حضرت صحيفة المقتبس في 15 آذار/مارس عام 1910 من تكرار مأساة الأندلس، "ولكن هذه المرة في فلسطين وعلى أيدي الصهاينة الذين يبنّون كل مرتخص وغال في سبيل ذلك، فنحن لا نخشى كما يتوهم البعض من قيام الدولة الإسرائيلية بعد كبوتها ألوفاً من السنين، ولا هم يحلمون بذلك لأنّه ضرب من المحال، ولكننا نخشى أن ينبع الدخيل الأصيل، ونخرج من بلادنا أفراجاً، ثم نميل بوجهنا إلى بقعتنا النّظرة فنبكيها ونرقّها، ويصيّبنا ما أصاب الأندلسيين...".<sup>889</sup>

عادت الصحيفة ذاتها في 4 أيلول/سبتمبر عام 1910 للحديث عن الاستعدادات الصهيونية من أجل إقامة الدولة - ولا سيما بعد أن ملكوا المال والنفوذ في أوروبا وأمريكا وغيرها من البلدان، وسيطروا على زمام الاقتصاد فيها. فقالت: "أسسوا جمعية باسم (الجمعية الصهيونية)، فدخل في هذه الجمعية ألوف من الإسرائيليين في أنحاء المسكونة على اختلاف تابعياتهم ومواطنتهم، وللكل مقصد واحد ووجهة واحدة، ولما تيسر لهم المال والاتحاد لم يبق عليهم إلا إعداد المسكن الذي يكون لهم ملجاً وأساساً للعمل أي لتأسيس جامعة فخيمة بإعادة دولتهم القديمة... وهم في الحقيقة لا وطن لهم ولا وطنية، بل يؤمنون بأن س تكون لهم فلسطين وطنًا في المستقبل".<sup>890</sup>

يلاحظ هنا، أن الصحيفة وبعد أن اعتبرت قيام دولة يهودية ضرباً من المحال، عادت وخلال أشهر قليلة إلى الحديث عن قرب تحول المحال إلى واقع من خلال عرضها النشاط الصهيوني لإقامة كيان لهم في فلسطين، وإن كانت لم تفرق في ما سيكون شكله وطنًا كان أم دولة.

أما صحيفة المؤيد، وفي معرض حديثها عن مدينة يافا في 17 نيسان/أبريل عام 1910، فانحصر تعريفها لها بأنها "الباب الوحيد لأرض الميعاد، والمينا القريب للأراضي المقدسة... وهي باب محطة رحال الإسرائيليين لزيارة أرض آبائهم وجودهم، التي لأجلها تركوا مصر وأراضي الفراعنة".<sup>891</sup>

دأب محمد رشيد رضا، صاحب مجلة المنار على التنبيه إلى أن المشروع الصهيوني لا يتوقف عند إيجاد ملجاً لليهود المضطهدين في بعض دول أوروبا، وإنما يتعدى ذلك إلى امتلاك فلسطين، وإقامة كيان سياسي يهودي فيها، ففي مقال له بعنوان "الخطر على الدولة العثمانية من اليهود"، في 2 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910، قال فيه: "وقد كانت لهم يد في الانقلاب العثماني لأنّهم كانوا مظلومين أو مضطهدين في المملكة العثمانية، وإنما يريدون أن يملّكون بيت المقدس وما حوله ليقيموا فيه ملك إسرائيل، وكانت الحكومة العثمانية تعارضهم في امتلاك الأرض هناك، وهم الآن يظهرون المساعدة للحكومة العثمانية الجديدة، لتساعدهم على ما يبتغيون". وبعد تحذيره من خطرهم ذكر رضا بالشأن العظيم الذي لبّيت المقدس لدى

ال المسلمين والنصارى كافة، و"بأن تغلب اليهود فيه ليقيموا ملك إسرائيل، ليجعلوا المسجد الأقصى (هيكل سليمان) - وهو قبلتهم - معبداً خالصاً، سيشعل نيران الفتنة" 892.

أما رفيق العظم، فقد رأى في 29 كانون الأول/ديسمبر عام 1910- ومن خلال حديثه عن "اليهود في فلسطين والجمعية الصهيونية"- بأنه على الرغم من أن "هدف الصهيونية هو استعمار بقعة من الأرض ليقيموا عليها "ملك إسرائيل"، لكن الخلاف قائم بينهم حول تحديد هذه البقعة بين من يرى أنها "أورشليم" لا غير، ومن يقبل بأي مكان مناسب لتقام عليه الدولة اليهودية"، وأبدى العظم اعتقاده باستحالة قيام دولة يهودية على أرض فلسطين، وليدلل على صحة قناعته هذه، ساق عدداً من الصعوبات التي تحول دون قيام مثل هذه الدولة في القدس: كمعارضة الشعوب المسيحية، ومعارضة قطاع واسع من اليهود لخشيتهم من أن يفقدون وجود كيان سياسي لهم حقوق المواطن في بلادهم، ثم معارضة الدولة العثمانية 893.

مما يستغرب له في ما كتبه العظم، عدد من المتناقضات تتم عن قصور إلى حدّ ما في الوعي، ويتجلّى هذا القصور في ما يلي:

- أن هذه الأقوال تبدو وكأنها صادرة عن شخص مغيبٍ عما يجري من نشاط صهيوني على مختلف الأصعدة من أجل امتلاك فلسطين، ومتغيب أيضاً عن حركة الاستيطان الواسعة التي كانت تشهدها فلسطين، وهو أمر يتناقض مع حقيقة ما كان عليه العظم، فهو من أبرز المثقفين العرب آنذاك، إضافة إلى أنه من الشخصيات الحزبية والسياسية، وقربه من مركز القرار السياسي، وعلى اتصال مع القاعدة الشعبية على اختلاف مستوياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

- قوله إن الخلاف بين الصهاينة على موقع دولتهم المقبلة لا يزال قائماً، فهم في حقيقة الأمر حسموا أمرهم، ويعملون استناداً إلى ذلك، ومن أجل غاية واحدة استملاك فلسطين- وفي حال سمحت الظروف يتسعون في أماكن أخرى- وإذا كان هناك من يعارض هذا التوجه، فهم نسبة تكاد لا تذكر من حيث العدد والتأثير والوزن السياسي.

فندت صحيفة الكرمل أقوال العظم هذه في 20 كانون الثاني/يناير عام 1911، وفقاً لما يلي:

- انطلاقاً من أن الواجب يقضي علينا مداركة أقواله لما يمكن أن تحدثه من تأثير في تقليل اهتمام الحكومة والصحافة والوطن بالخطر الصهيوني، فقوله إن المعترضين عن ضيق سوريا من دون أموال الإسرائيليين وقوتهم وتجارتهم وعديدهم لا يمنعهم عن السعي إلى منشودهم، كما أن ضيق جزر بريطانيا على الإنكليز وأموالهم وتجارتهم لا يحملهم على إهمالها وإقامة ملتهم في بلاد أوسع.

- قوله إن الدول النصرانية لن تسمح بوجود مملكة إسرائيلية في فلسطين لئلا يصير بيت المقدس إلى اليهود، فهو قول غريب في بابه لأن بيت المقدس الآن بيد المسلمين بما الذي يدعوه الدول أو الشعوب النصرانية إلى تفضيل بقائه في أيدي

ال المسلمين على انتقاله إلى أيدي اليهود، والذي نعلمه أن فكرة إقامة دولة يهودية في سورية غالبة في أوروبا حتى وفي بعض الدوائر السياسية الأوروبية، ولكنها لم تطبخ بعد، ثم أن الذي يهم المسيحيين من بيت المقدس كنيسة القيامة ومحال أخرى يتركها اليهود حرية لهم، لأن الذي يهتم به اليهود هو بيت المقدس والحرم الإبراهيمي القائم على أنقاض الهيكل القديم وجبل صهيون مدينة داود القديمة، وهذا المكان في أيدي المسلمين. هل يجوز ترك المصالح السياسية والاجتماعية لرحمة الدول النصرانية وتعليق الآمال بحمايتها عليهم؟

- ختمت الصحيفة بقولها: "وعندنا إن أقوال المعارضين للجمعية الصهيونية ليست إلا من باب ذر الرماد في العيون لإيهام العثمانيين خلاف الحقيقة، لأن اليهود المستعمرین كلهم وقسم كبير من اليهود العثمانيين يعملون لغاية واحدة وهي امتلاك أرض آبائهم، فجمعية الإيكا الاستعمارية الإسرائيلية تظاهرة بمخالفة الصهيونيين على خط مستقيم، ولكنها في الحقيقة تعمل وإياهم لغرض واحد، فهي تشتري ما تصل إليه يدها من الأراضي وتسكن المهاجرين الإسرائيليين في موضع الوطنين، وتعلمه مقاطعة الأهالي وتقاطعهم هي بنفسها بقصد إضعافهم".<sup>894</sup>

شهد عام 1911 تاماً في الوعي العربي لخطر الصهيونية في إقامة دولة مستقلة في فلسطين، ويعود ذلك إلى عدة أسباب، منها تصدي عدد من المفكرين لفضح الصهيونية وأهدافها من أمثال نجيب نصار وروحي الخالدي وشكري العسلي وغيرهم، وإثارة المسألة الصهيونية في جلسات مجلس المبعوثان أكثر من مرة لللقاء. أضف إلى ذلك، وجود عدد من الصحف - وخصوصاً تلك التي تصدر في البلدان العربية - والتي أولت هذه المسألة اهتماماً: كصحيفة المقتبس والكرمل وفلسطين والمنادي والبيان وغيرها من الصحف؛ ففي نداء أو صرخة وجهها نجيب نصار صاحب صحيفة الكرمل، وعبر صفحات المقتبس، تحت عنوان "نصب صلاح الدين بين الناصرة وطبريا"، في 15 كانون الثاني/يناير 1911، قال: "والله لو كان عندنا نصف ما كان عند ألافنا من الحماسة والنخوة الوطنية والغيرة على الجامعة العثمانية، لما حلم الصهيونيون باسترداد بلاد أجدادهم بالمال، وإعادة ملك إسرائيل القديمة إلى سورية وفلسطين".<sup>895</sup>

أشارت صحيفة المقتبس في الأول من شباط/فبراير عام 1911 إلى "أن اليهود قبل سنتين من هذا التاريخ كانوا يخلصون النية للدولة العثمانية ولية أمرهم، أما بعد ذلك فإن اليهود الألمان والروس منهم يرمون إلى تأليف شعب مستقل أو إعادة المملكة إلى سابق مجدها".<sup>896</sup> عبر الصحيفة ذاتها، حذر أحد أهالي طبريا قائد الحملة الحورانية سامي باشا الفاروقى من الاجتماع الذي عقدته الجمعية الصهيونية في مستعمرة الملاحة احتفالاً بذكرى هرتزل، وما رافقه من مظاهر تثبت للحكومة مقصد الصهيونية في تأليف مملكة يهودية في فلسطين.<sup>897</sup>

أما صحيفة فلسطين، فقد عكست وعيها وفهمها من خلال التركيز على محاولات الصهيونية تجذير وجودها في فلسطين، وإضفاء مظاهر الاستقلال الذاتي عليه؛ فرداً على مطالب الصهيونية بتعيين حاكم يهودي في إحدى المدن الفلسطينية، قالت

الصحيفة: "إن فلسطين تتفق كل الانتفاع من تعيين حاكم إسرائيلي، ولكن بعد أن يغادرها كل من لا ينتمي لإسرائيل، ليكون حاكماً واحداً لشعب واحد" 898.

في مجلس المبعوثان، شكل سعي الصهيونية إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين محوراً لبعض لجلساته؛ ففي الأول من آذار/مارس اتهم مبعوث كوملجنة ورئيس حزب الأهالي إسماعيل حقي الحكومة بتنفيذ سياسة الصهيونية الرامية إلى تأليف مملكة يهودية، مقابل منح الحكومة القرض المالي الذي كانت تسعى إليه 899. وقد أيد كل من نائب القدس سعيد الحسيني، ونائب دمشق عبد الرحمن بك أقوال حقي بك وملاحظاته، وكذلك فعل نائب بيروت رياض الصلح في جلسة 8 آذار/مارس عام 1911، مؤكداً أن يهود الخارج، وليس الموسويون العثمانيون هم الذين يسعون إلى تشكيل دولة في فلسطين 900.

في الجلسة التي عقدها المجلس في 3 أيار/مايو عام 1911- وبعد أن طرح موضوع الصهيونية- رد نائب القدس روحى الخالدي على تساؤل للنائب اليهودي نسيم مزلياح عما إذا كان موقفنا بإمكان تشكيل حكومة يهودية في المملكة العثمانية، بأن لهم خيالات بهذه، وليس تطرد بالقول إن واضعي هذه الفكرة هم اليهود الذين طردوا من بلاد الروس، وبأن من وراء هذه الفكرة ويروج لها، شخص يدعى "فيدر هل هديزه" هيرتزل الذي نشر عام 1896 رسالة بعنوان "الدولة اليهودية" 901.

مما يستوقف المرء في عرضه مجريات هذه الجلسة، الملاحظات التالية:

- إن طرح الخالدي جاء على استحياء، إذا ما قورن بضراوة الطرح الذي قدمه إسماعيل حقي في جلسة الأول من آذار/مارس، حيث رد الصدر الأعظم على اتهاماته بقوله: "لا أنكر وجود جمعية صهيونية في أوروبا تسعى إلى تكثير الموسويين في فلسطين، وتتأليف دولة إسرائيلية في ما بعد، إلا أن الموسويين أنفسهم سخروا من هذه الفكرة، لأن تأليف الحكومة ليس بعدد السكان، والأسطورة هي تحقق فكرة أشخاص معدودين إذا كانت على هذه الصفة، وإذا كان في هذه الأرض أمة واحدة لا تخدع بالخيال فهي أمة إسرائيل" 902.

- إن نائب القدس- على الرغم مما لديه من قناعات وحقائق حول ما تسعى إليه الصهيونية، وما قامت به بالفعل على أرض الواقع، بحيث أصبحت حقيقة ملموسة، لا يمكن إنكارها آنذاك- اعتبر الأفكار الصهيونية لدى اليهود هي "خيالات" 903.

- إن الطريقة التي تمت فيها إنتهاء موضوع المناقشة في موضوع الصهيونية خلال الجلسة، والانتقال إلى موضوع آخر من دون أن يولد هذا الانتقال السلس المتعتمد أية معارضة أو إصرار من قبل النواب العرب لاستئنافه، ووقعوا في مصيدة النواب اليهود في المجلس، الذين تمكنا من مسخ الموضوع على أهميته.

في جلسة 16 أيار/مايو عام 1911 قدم روحى الخالدي شرحاً موسعاً عن المسألة الصهيونية، ليخلص إلى القول إن المخططات الصهيونية ترمي إلى تأليف أمة لهم

في فلسطين بعد استيطانها. وأكد نائب دمشق شكري العسلي في الجلسة ذاتها أنهم يسعون إلى تأليف دولة يهودية 904.

في كتابه الصهيونية الذي نشره عام 1911، رد نجيب نصار على أقوال الصدر الأعظم بأن الصهيونية ونشاطها مجرد أوهام- ليناقض بذلك نفسه، في ما قاله في جلسة المجلس- بقوله: "إن الصهيونية الحديثة تسعى إلى تأسيس وطن، حيث تسلط الحركة على التاريخ اليهودي منذ ذلك الحين، وبأن الحركة التي تتسلط على تاريخ أمة أو تستغله لا يمكن اعتبارها وهمية، ولا يصح وصف القائمين بها بالمتهوسين" 905.

تحدثت صحفة اللواء في 9 نيسان/أبريل عام 1911 عن الجمعية الصهيونية فقالت: "في أوروبا والعالم المتندون كله جمعيات مؤلفتان من اليهود ومحببهم غرض إداتها وتسمى الصهيونية إنشاء دولة مستقلة من اليهود في فلسطين حيث دالت دولتهم القديمة، وغرض الأخرى- وهي فرع من الجمعية الصهيونية، انفصل عنها واستقل- إنشاء دولة يهودية مستقلة في أي جزء من العالم" 906.

ونقلت صحفة الأهالي عن صحفة التايمز في 26 نيسان/أبريل عام 1911، قولها: إن الحركة الصهيونية لم تثبت أن شفت عن رغبة اليهود في التجمع في فلسطين، بقصد تحويلها إلى مملكة يهودية 907.

أما صحفة الكوثر، فقد حاولت التذكير في 5 آب/أغسطس عام 1911، من خلال مقال بعنوان "فلسطين والجمعية الصهيونية"، بما كانت قد نشرته قبل عام من تاريخه حول فلسطين، وطمع الإسرائيليين فيها لإعادة ملکهم، مع بيان الأسباب التي تدعوهם إلى ذلك، وبأن إعادة إثارة الموضوع مرة أخرى يعود "لطرحه في زوايا الإهمال من جانب ذوي الحل والعقد، لأنهم لا يعبأون بما يجري الآن في أنحاء فلسطين من الدسائس بواسطة هذه الجمعية، وبأن هناك دسائس أجنبية تشغله في تقرير الوحدة العثمانية، ففلسطين التي بابها القدس الشريف، وغرضها تلك الأنحاء المجاورة، كما عرفناها تسعى لكي تكون دولة على حدة، تخرج عن قاعدة السلطنة العثمانية، وقد أثبتت جميع الجرائد وبعض المبعوثين خطة هذه الجمعية، وأبانت لها سعيها الحثيث لكي تكون دولة مفرزة مستقلة بنفسها" 908.

نقلت صحفة الكرمل في 21 تموز/يوليو عام 1911 الخطاب الذي ألقاه الزعيم الصهيوني ديفيد ولفستون (David Wolffson) في المؤتمر الصهيوني العاشر، الذي أنكر فيه "أن الصهيونية تسعى لإقامة مملكة في فلسطين، وبأنها تبغي وطنًا يهوديًّا يستطيع اليهود أن يعيشوا فيه أحراراً، ويمارسوا عوائدتهم بدون ممانعة" 909. كما أوردت في أيلول/سبتمبر عام 1911 خطاب د. أكسون (Axon) مندوب إسرائيليًّا روسيا في المؤتمر الصهيوني العاشر، الذي ختم خطابه بالدعاء والدعوة لأن تعقد اجتماعات المؤتمر في العام التالي في القدس 910. يبدو أن هذه العبارة استقرت الصحفة، فعلقت على ذلك، بقولها: "أنظر إليها القارئ الكريم بماذا يفكر الصهيونيون، ونحن ساهون لا هون، حكومتنا تعد الصهيونية ضرباً من الأوهام،

ولا تتخذ الوسائل لمقاومة تيار عمومي، وفي كلام زعمائهم من المفاحر ما فيه" 911.

على الرغم من أن مساعي الصهيونية إلى إقامة دولة مستقلة كانت واضحة للعيان، إلا أن بعضًا منهم حرص على إنكارها؛ فنسميم ملول في كتابه أسرار اليهود، الذي أصدره عام 1911، تحدث فيه عن فئة من الناس تسعى من أجل الشهرة الشخصية والمنفعة، "فمنهم من زعم بأن الإسرائيليين يجعلون كل همهم الآن في إعادة الملك لإسرائيل، وبرهانهم على ذلك استعمارهم للأراضي فلسطين، ولم يمتنع بعض أولئك الزعماء من إصدار الجرائد ونشر الورقيات لتعيم مذهبهم بين طبقات الشعب.. ولقد قام أحدهم هذين اليومين وكتب مقالاً في جريدة المؤيد، والمقال نفسه بنصه، في جريدة الحقيقة الظاهرة في بيروت، يزعم فيه أن الإسرائيليين يجتهدون في الزراعة والصناعة في فلسطين لقصدهم بإعادة الملك لإسرائيل، وشق عصا طاعة الدول التي يتبعونها وينبه الحكومة بأن تنظر إليهم بعين القلق" 912.

نقلت صحيفة المقتبس في 20 أيلول/سبتمبر عام 1911، حديث رئيس الجمعية الصهيونية ماكس نوردو، الذي أكد فيه "أن الصهيونية ليست وهمًا من الأوهام بل كل من خبر مقدار تشبثها بها يعلم مبلغ أهميتها... على أن بعضًا من أعداء اليهود يشيعون أراجيف مؤداها أن الصهيونيين ثوار ومرماهم الحقيقى بعد حلول فلسطين المجاهرة باستقلالهم شعباً خاصاً يكون مملكة لها تاج وعرش، وإن سبق لي التصريح أن هذه الإشاعات ليست إلا أراجيف فلا أزيد عليها شيئاً" 913.

شككت صحيفة المقتبس في 13 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1911 بتصريحات نوردو هذه، وبما صرحت به في المؤتمر الصهيوني العاشر، "بأنه ليس لليهود في فلسطين في أدنى ميل إلى الانفصال عن الدولة العثمانية، كل ما يرمون إليه أن يصيروا شعباً إسرائيلياً ناجحاً في مملكة عثمانية ناجحة" 914.

كشف شكري العسلي في حزيران/يونيو عام 1911 عن محاولة مبكرة من قبل الصهاينة للتقاهم مع العرب بخصوص الحصول على كيان مستقل، إذ "اقترحوا على إخواننا الأحرار من العرب قبل الدستور أن يساعدوهم بالمال على شرط أن يسمحوا لهم بفلسطين ليؤسسوا فيها حكومة يهودية، ولكن خاب سعيهم" 915.

بقي موضوع إقامة دولة يهودية في فلسطين كغاية تسعى إليها الصهيونية، يثير اهتمام بعضهم في العالم العربي، ويقف بعضهم الآخر منه غير مكترث؛ فصحيفة البيان الصادرة في نيويورك أوردت في 17 أيلول/سبتمبر عام 1912 ما نشرته المجلة الإسرائيلية- الأمريكية حول منح الحكومة العثمانية المستعمرات الإسرائيلية في فلسطين استقلالاً نوعياً في إدارة قضاياها البلدية، حيث رأت المجلة بمثيل هذا القرار "خطوة أولى للحصول على استقلال نوعي ووطني أوسع، طمع إليه الصهيونيون في العالم، وجاء بعد جهد طويل" 916. نقلت صحيفة البيان هذا الخبر- وذلك بالرغم من خطورته، وما يترتب عليه من أمور مصيرية في فلسطين، وما له من دلالات مهمة- من دون أي تعليق أو شرح لأبعاده.

أما صحيفة الكرمل، فكان موقفها مغایراً تماماً، إذ نشرت في افتتاحية كانون الثاني / يناير عام 1912، ما كتبه صاحب المجالات الإنكليزية في مقال بعنوان: "اليهود كعدو للسلام"، جاء فيه: "إن الجمعيات الاستعمارية الإسرائيلية تسعى متضامنة إلى جمع شتات اليهود، وإقامة مملكة يهودية لهم في المستقبل في هذه البلاد"، فعلقت على ذلك بقولها: "نحن نظل نحترم مبادئ الجمعيات اليهودية ومساعيها في خدمة قومية شعبها وإعادة ملتهم ومجدهم، حتى نراها اعتدت على الشرائع والإنسانية، وتجاوزت حقوق الغير وداست مصالح الأقوام الآخرين بلا رحمة تحت أقدامها".<sup>917</sup>

حضرت مجلة المقتبس عام 1912 من أن "دعاة الصهيونية يريدون أن ينشئوا مع الزمن في فلسطين مملكة تكون سداها ولحمتها بيد أبناء إسرائيل".<sup>918</sup>

ووجهت مجلة المنار في شباط / فبراير عام 1913 اتهاماً صريحاً لجمعية الاتحاد والترقي بتمهيدها الأسباب لجمعية الصهيونية لامتلاك البلاد المقدسة لإقامة ملك إسرائيل فيها، مستدلة على صحة هذه الاتهامات، بتصرير وزيرهم حقي باشا في خطبة علنية له "بأن مستقبل الدولة العثمانية لليهود".<sup>919</sup>

كما وجهت صحيفة الكرمل الاتهام في 27 آذار / مارس عام 1913 إلى الجمعيات الصهيونية بأنها تسعى إلى استئصال الفلسطينيين لتحل محلهم، وتوجد لها قومية وتقيم حكومة.<sup>920</sup>

اكتفت صحيفة المؤيد في 5 تشرين الأول / أكتوبر عام 1913 بنقل مقال لصاحب جريدة إقدام التركية أحمد جودت- من دون تعليق منها- تحدث فيه عن أن غاية الصهيونية هو إعداد وطن لليهود الذين لم يذوبوا في المملكة التي ولدوا فيها، وبأن معنى الصهيونية تأليف أمة من اليهود، وبأنهم سعوا مع الدكتور هرتزل إلى احتلال فلسطين، وإيجاد حكومة يهودية فيها.<sup>921</sup>

أكذ روحي الخالدي في كتابه السيونزم أو المسألة الصهيونية، على أن الصهيونيين اصطلحوا على نظرية حديثة انتشرت بين يهود أوروبا الشرقية، يراد بها تأسيس دولة يهودية في فلسطين، حيث يهاجر إليها جميع اليهود المتألمين من الاضطهاد المسمى باصطلاح الإفرنج (أنتي سيمترن)، ليؤسسوا في فلسطين على قواعد ملتهم وطنًا خاصاً بهم، تعرف الأمم المتقدمة بوجوده".<sup>922</sup>

أما جرجي زيدان، فقد كتب في تشرين الثاني / نوفمبر عام 1913، يقول: "إن اليهود المهاجرين يسعون إلى استرجاع ذلك الوطن غير مرة بأساليب مختلفة آخرها الحركة الصهيونية التي غرضها جمع الشعب الإسرائيلي في فلسطين، وجعلها وطنًا خاصاً بهم".<sup>923</sup>

تحدث محمد رشيد رضا في 28 كانون الأول / ديسمبر عام 1913، وبعد عرضه سلسلة من عجائب الأمور - وتحت عنوان "المسألة الشرقية والصهيونية"- "أن من أعجب ذلك كله تصدّي جمعية من يهود أوروبا لتكوين دولة جديدة في البلاد المقدسة من هذه المملكة، تتّألف من مهاجرة فقراء اليهود الممزقين في جميع

أطراف الأرض بمساعدة هذه الجمعية، فكيف تسمو همة جمعية أسسها رجل من اليهود إلى تكوين دولة من أوزاع المهاجرين الفقراء في بلاد تنتازع على شبر الأرض فيها أقوى الأمم والدول، وتسفل همة أصحاب هذه البلاد عن حفظها لأنفسهم، دع سمو الهمة إلى تأسيس ملك جديد، في قطر قريب أو بعيد،..علم الصهيونيون أن الدول الكبرى لا يسمح لها منهن بامتلاك مهبط الوحي ومصدر الدين الموسوي والعيسوي، وإنه إذا زال ملك الترك من بلاد فلسطين، فلا بد من أن تكون مستقلة تحت حماية جميع الدول، فطمعوا في إرضاء الدول بأن تحل إشكال التنازع بين الدول والمذاهب المسيحية بأن يكون اليهود هم أصحاب ملك في هذه المملكة، بل طمعوا أيضاً في إرضاء جمعية الاتحاد والترقي بذلك، بل يقال إنهم أقنعواها به، فهي تساعدهم على التمهيد له، لقطع الطريق على العرب، وتكثر خصومهم في بلادهم".<sup>924</sup>

عاد محمد رشيد رضا في آذار/مارس عام 1914 ليؤكد ما كان قد ذكره سابقاً حول مساعي الصهيونية إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين، وإلى قناعة جمعية الاتحاد والترقي بهذه الفكرة، ودعمهم للصهاينة من أجل تفديها، واقتراحه لإفشال مثل هذا الترتيب، أن يتم التفاهم مع الصهاينة.<sup>925</sup>

كان إدراك القوميين العرب إصرار الصهيونية على هدفها في إقامة دولة يهودية مستقلة، أحد الأسباب التي أدت إلى تحولهم من السعي إلى التفاهم معها إلى معاداتها، وهو أمر أكدته شفيق الحكيم- أحد كتاب صحيفة المقطم- في 14 نيسان/أبريل عام 1914.<sup>926</sup>

يؤكد ذلك، ما صرّح به محمد المحمصاني، قائلاً: "نحن نقاوم الصهيونية - تلك الحركة السياسية- التي غايتها إيجاد وطن يهودي في فلسطين".<sup>927</sup>

في محاولة منه لتوسيع دعاء التفاهم مع الصهيونيين لحقيقة من يتعاملون معه، خاطب نجيب نصار هؤلاء في 29 أيار/مايو عام 1914 بقوله: "الذين يقولون على رؤوس الأشهاد أن فلسطين وطنهم القومي، وهم أصحاب الحق في هذا الوطن؟ فكيف إذاً يمكن الاتفاق مع قوم أجانب يعملون على نزع وطن العرب من أيديهم، وإقامة وطن ملك لهم فيه؟"<sup>928</sup>

دفع التطور على طبيعة الوجود الصهيوني في فلسطين بأعيان من القدس وبإفراوغزة إلى الاستعانة والاستجداد بالمنتدى الأدبي العربي، ومناشدته في نيسان/أبريل عام 1914 باسم الوطنية، العمل بكل ما لديه من الوسائل لينبه الحكومة ضد ما أسموه بالتيار الصهيوني، الذي يسعى إلى تأسيس حكومة إسرائيلية في فلسطين.<sup>929</sup>

خلال عام 1914، وعبر صحيفة المقطم حاول أحد الفلسطينيين وهو محمد عبد الرحمن العلمي التحذير في كتاباته للصحيفة من البعد السياسي للصهيونية مستشهاداً بتصريحات زعماً منهم القائلة إنه ينبغي ألا يكون لهم غاية سياسية إلا فلسطين، وجعلها وطنًا لهم، بامتلاك فلسطين وإن فلسطين لليهوديين في الماضي، ويجب أن تكون لهم في المستقبل".<sup>930</sup>

نقلت صحيفة الأهالي في الأول من شباط/فبراير عام 1914 عن صحيفة المانشستر غارديان (The Manchester Guardian) مناقشتها مستقبل الصهيونية، وفي ما إذا كانت ستتحول إلى حركة سياسية ترمي إلى تكوين مملكة مستقلة بنفسها في داخل السلطنة، أو أن تبقى حركة علمية تهذيبية ترمي إلى إحياء اللغة العربية ونشرها بين اليهود 931. وقد شكت الصحيفة بذلك، إلا أنها خلصت إلى القول "إنه ليس هناك فارق كبير في مسلك الحركة السياسية والحركة التعليمية، وإن العشيرة التي تمكنت من تغذية الشعور نحو الاتحاد على الشعور بالتعليم العام، لا يمكن أن تتمتع بعد زمن يسير عن الاندماج في العمل السياسي" 932.

تعكس تقارير الدبلوماسيين البريطانيين تزايد الوعي العربي والمخاوف من سعي الصهيونية إلى إقامة دولة- أثناء الحرب العالمية الأولى- ففي مذكرة في 12 كانون الثاني/يناير عام 1917، أشار إلى أن "الأوضاع السياسية في فلسطين، وأسباب المعارضة العربية للصهيونية، تعود إلى أهداف الصهيونية السياسية الحديثة، والتي تهدف إلى إنشاء دولة يهودية مستقلة ذاتياً، وإقصاء السكان تدريجياً" 933.

عقب الإعلان عن وعد بلفور في 2 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1917، أشارت التقارير البريطانية من فلق المسلمين والمسيحيين من قيام حكومة يهودية في فلسطين، وتحديداً في القدس، وهو الأمر الذي كان له دور في إظهار المسلمين تعاطفاً كبيراً مع ملك الحجاز، واتخاذ خطوات لإبلاغه بذلك 934.

ونقلاً عن صحيفة التايمز اللندنية، أشارت صحيفة الأفكار في عددها الصادر في 2 كانون الثاني/يناير عام 1918، إلى أن هدف اليهود من المساعدة العسكرية في الحرب، ومشاركتهم هو ليس إنشاء إمارة إسرائيلية مستقلة فقط، بل لأجل محاربة الأتراك والألمان أيضاً 935.

### ثالثاً: الوعي العربي لمظاهر إقامة الدولة اليهودية المستقلة

ترافق الوعي العربي لخطورة مساعي الصهيونية من أجل إقامة كيان أو دولة مستقلة في فلسطين مع الوعي لمؤشرات قيام هذه الدولة ومظاهرها، الذي بدأ بشكل مبكر جداً منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريباً، وذلك عندما أصبح اليهود في فلسطين يتمتعون بالحماية الأوروبية لهم، وعندما شعر أهل البلاد بأن اليهود يعيشون في استقلالية عنهم وعن الحكم، وإدارة شؤونهم من خلال الحماية الجديدة 936.

مما ضاعف من زيادة الوعي العربي، ومخاوفهم تجاه هدف الصهيونية إقامة كيان أو دولة، المظاهر التي اتخذتها الصهيونية، وتدل بصورة جلية على جديتها في هذا الأمر والعمل على تحقيقه، ومن أبرز هذه المظاهر إقامة المدارس اليهودية وإحياء اللغة العربية، واستخدام الطوابع اليهودية، وإنشاء محاكم خاصة باليهود 937.

كانت اللغة العربية من أهم الأمور التي حرصت الصهيونية على استخدامها وتعويضها، وهي أيضاً من أبرز المظاهر التي استثارت الوعي العربي- وإن كان بشكل متاخر وضعيف نوعاً ما، ولا يرقى لأهمية أمر كهذا- ومما يلفت النظر كثرة

المدارس التابعة لليهود آنذاك، إذا ما قورنت بمدارس الطوائف الأخرى، وعذابتهم بالتعليم الديني الذي يعتبر مصدراً أصولياً في تفسير العلاقة بين اليهود وفلسطين. هكذا، ففي الوقت الذي كان يصر فيه اليهود على تعلم العبرية، كان أبناء البلاد يتعلمون التركية ويدرسون التاريخ العثماني ونسوا ثقافتهم وتاريخهم .938.

من مظاهر اهتمام الصهيونية بالتعليم في المستوطنات تأسيس مكتب (مدرسة) لتعليم العبرية فقط في كل قرية 939، وتوقفت الطوائف اليهودية على غيرها من الطوائف في فتح المدارس 940. وعلى الرغم من أن مدرسة مكفيه إسرائيل كان من شروط إنشائها أن تكون لكل الطوائف، ولكن إدارة المدرسة لم تلتزم بهذا الشرط، ومارست التمييز في القبول، واقتصرت على الطلاب اليهود 941.

يشير التقرير الذي أورده دورية صندوق استكشاف فلسطين في نشرتها عام 1906، إلى الاهتمام الصهيوني باللغة العبرية ونشرها؛ فتحت الدكتور ويلر (Wheeler) تحت عنوان: "ملاحظات طبية"، عن نشاط المستشفى المقام في القدس، وإلى المراجعين من يهود قادمين من مختلف أنحاء العالم ومختلف الجنسيات واللغات، أغلبيتهم يتقاهمون في ما بينهم باللغة العبرية، "والتي أصبحت بالتأكيد لغة حية في فلسطين، لقد أخبرونا بأنه في بعض المستوطنات اليهودية لا يسمح بالتكلم إلا بالعبرية فقط" 942.

على الرغم مما ورد في التقرير أعلاه، والذي يشكل إشارة واضحة إلى أن تطبيق استخدام اللغة العبرية بين اليهود، وفي المستوطنات ليس حادثاً عرضياً أو اجتهاداً فردياً، بل هو سياسة عامة متبعة ومطبقة بحرص بالغ وبخطط مدروسة، إلا أننا نجد على الجانب الآخر المعنى بالقضية، والمستهدف مباشرة، ألا وهو الجانب العربي، جاء الاهتمام، مقارنة بما كان يجري على أرض الواقع باهتاً، فيكاد يكون صاحب صحيفة النبراس من أوائل من تحدث عن هذا الأمر وحذر منه، وذلك من خلال ما نشره عن رحلته إلى فلسطين في تشرين الأول/أكتوبر عام 1909، فعند حديثه عن يافا أشار إلى أن "ليهود فيها مدرسة عظيمة لتدريس العبرانية، وهم يسعون لتكون هذه اللغة لغتهم العامة، ليتمكنوا بذلك من جعل قومية لهم جامعة" 943.

يلاحظ من خلال قوله هذا، إضافة إلى موضوع اللغة، وهو الأمر الأهم، توظيف هذه اللغة باعتبارها اللبنة الأولى في المشروع الصهيوني في توحيد قوميتهم.

أثارت صحيفة المقتبس الموضوع في 27 آذار/مارس عام 1910، وذلك بوصفها للأعمال النافعة التي تقوم بها الصهيونية لقومها، فقالت: "لم تكتف بتكرис الرابطة الدينية بينهم، بل أخذت تعمل على رابطة أخرى، فقررت نشر اللغة العبرية، وتعليمها لعامة الموسويين في المملكة العثمانية" 944.

حول الاهتمام الصهيوني بقضية التعليم- على اختلاف أشكاله- كتب عبد القادر القباني أحد أعيان بيروت، في 26 آب/أغسطس عام 1910 مذكراً قومه ومحفزاً لهم، فقال: "ليس من رأى كمن سمع، لقد فتحوا في القدس مدرسة الصنائع وفتحوا في يافا مدرسة زراعية، فهل لأنباء الوطن المسلمين والنصارى وعدد جميع اليهود

العثمانيين وغير العثمانيين بالنسبة إليهم نسبة العشر مكاتب صناعية وزراعية، والجمعية المذكورة على وشك إنشاء مدرسة كلية في حيفا، ومما يقال إن عند إحداث المدرسة الزراعية في يافا شرطت الحكومة على أصحابها أن يقبلوا عدداً معيناً من أبناء الوطن يعلموهم مجاناً. فكم تلميذاً عندهم من أبناء الوطن؟ 945.

في مضبطة مقدمة لمجلس إدارة حيفا بحق المعهد العلمي الصناعي الكبير الذي تتوى الجمعيات الاستعمارية الإسرائيلية إقامته في حيفا، جاء فيها "الذي علمناه أن هذا المعهد سيكون أكبر معهد علمي صناعي في سوريا يفوق الكلية في بيروت، ولا يضم بين جدرانه سوى أبناء الإسرائيليين، واللغة الرئيسية فيه ستكون اللغة العبرانية، والقول إنه يقبل الطلبة من أبناء البلاد العثمانية من باب ذر الرماد بالعيون، وإن يكن هذا المعهد سيسلح أبناء المستعمرين بسلاح العلم والصناعة ليحاربوا به وينازعونا البقاء، فلن لا نطالب الإداره بالوقوف في سبيل منافع أعدائنا السياسيين لأنهم إخواننا في الإنسانية، ولكننا نأمل من أصحابه وبينهم الأئمين على مصالح الحكومة السياسية والإدارية والوكيل عن الأهلين أن يظهروا مثل هذه الرغبة والاهتمام على الأقل في المعارف الأهلية، الإسرائيليون لهم مكاتب منظمة تعلم فيها العلوم الحديثة وفيها معلمون يحسنون طرق التربية، فأبناؤهم يتعلمون قواعد اللغة والجامعة اليهودية، وكيفية استخدام الأوقات، ويدرسون فنون الاقتصاد السياسي والعلوم الرياضيات، وأولادنا يدورون في الشوارع والأزقة على شواطئ البحور يتعلمون قتل الأوقات والسباب والفاظطة ومدارسنا أشبه بالزرابي، ومعلموها معذورون إذا كانوا يجهلون العلوم وقواعد التربية والواجبات الوطنية لأنهم لم يتعلموها، على هذا المنوال لا يمكننا أن نربي جيلاً من الجيل الحالي ليقف في ميدان التنازع" 946.

أكدت مجلة المقتبس في عام 1912 ما ذكرته المضبطة أعلاه، فذكرت أنهم "من أجل هذا تراهم في مدارسهم لا يعلمون العربية، ويجعلون اللغة العربية لغة التعليم والاتصال، ولهم في فلسطين جرائد ومطبوعاتهم ينشرونها على مناحيهم بامان من مراقبة الحكومة، وتوفيق الخطأ على ما يلائم مصلحة البلاد" 947.

كان أحد القراء قد بعث إلى صحفة المنادي في حزيران/يونيو عام 1913 رسالة روى فيها حادثة شهدتها بنفسه، تتعلق بمسألة اللغة العبرية، فيذكر أنه "في أثناء مروره بجماعة من الإسرائيليين المستعمرين وجدهم يتقاهمون بلغتهم الجامعه العبرانية، وكان هناك إسرائيلي معرب لا يعرف العبرية، فسخروا منه لجهله" 948.

أما صحفة فلسطين، فقد أثار اهتمامها في شباط/فبراير عام 1914 قضية عامة وحساسة، تمثلت بإدخال الحكومة التركية- لأول مرة- اللغة العبرية في كتاباتها، حيث اعتبرت الصحفة هذه الخطوة اعترافاً صريحاً من الحكومة المحلية بأنه لم يعد لها غنى عن استعمال هذه اللغة 949.

لم يكتف الصهاينة بإقامة المدارس والمعاهد لتعليم العبرية وغيرها من العلوم المتنوعة، بل سعوا إلى إقامة جامعة عبرية، وبيورد الزعيم الصهيوني حابيم

وأيّز من في مذكراته ظروف تشكيلها، فقال: "في جنيف أنسنا نحن الصهيونيين أول جمعية لتحقيق فكرة الجامعة العبرية، ولدت فكرة الجامعة العبرية في القدس مع ولادة فكرة الصهيونية، وبعد رفض السلطان الفكر، وفي عام 1902 نشرنا كراسة عن فكرة الجامعة كان لها أحسن وقع بين يهود العالم أجمع، وتوالت علينا رسائل التشجيع والتبرعات، وفي عام 1913 أدرجت فكرة الجامعة في جدول أعمال المؤتمر الصهيوني الذي عقد في فيينا في تلك السنة، وكانت أنا قد أعجبت بموقع على جبل الطور يصلح لإقامة الجامعة عليه، كانت تملّكه الليدي جراي هل، وقد طلبناه منها عام 1916 وال الحرب مشتعلة، فأعجبت من طلبنا، وقدّمت الموقعاً بدون مقابل".<sup>950</sup>

أثار موضوع الجامعة العبرية الاهتمام العربي- وتحديداً الصحف- ولكن الجانب الذي تم التركيز عليه ليس الجامعة بحد ذاتها، وإنما اللغة المستخدمة للتدريس فيها، والخلاف الذي نشب بين الصهاينة والحكومة الألمانية حول هذه القضية؛ ففي آذار/ مارس عام 1914 أثارت الصحف العربية هذه المسألة باعتبارها مؤشراً على ما وصلت إليه الصهيونية من نفوذ في تلك الفترة، والمتعلقة بالصراع بين الحكومة الألمانية ويهود فلسطين والجمعية الألمانية الصهيونية حول اللغة الواجب استخدامها في المدارس التقنية والجامعة العبرية في حيفا، هل هي العبرية أم الألمانية؟ فرأىت صحفية لسان الحال- إضافة إلى بعض الصحف الفلسطينية مثل الكرمل وفلسطين- في هذا الصراع نوعاً من التعبير عن القومية اليهودية، والتمسك باللغة العبرية كلغة رسمية للصهيونية، وبأن النصر في هذه القضية سيكون نصراً للصهيونية.<sup>951</sup>

أما صحفة الدليل التي أوردت الخبر في 29 آذار/ مارس عام 1914، فقد علقت على الموضوع بقولها: "إن اليهود يريدون الحق لهم وحدهم في الاختيار، لأن المال الذي جمع لهذا المعهد لم يدفعه غير اليهود، ويظهر أن الحق في جانبهم، وإذا ما أصبحت فلسطين مستعمرة وجب عليهم أن يقوموا بإحياء لغتهم".<sup>952</sup>

سخرت صحفة المؤيد بمرارة من هذا الخلاف الذي حدث بين الحكومة الألمانية والجمعية الصهيونية، وذلك بعد أن نقلت النص ذاته الذي أوردته صحفة الدليل.<sup>953</sup>

إن اهتمام الصحف العربية بالحديث عن هذه القضية، والتعليق عليها يمثل حالة من الوعي لأبعادها، إلا وهو اللغة العبرية باعتبارها ركناً أساسياً من أركان المشروع الصهيوني حرست عليه منذ البداية، ولم تتهاون في تطبيقه، وهو ما أكدت عليه هذه الصحف تصريحاً وتلميحاً، وإظهاراً لأبعاده ودلائله.

في السياق ذاته، عبر رفيق العظم عن استهجانه في نيسان/أبريل عام 1914 رفض الصهاينة فتح مدارسهم لأبناء العرب، وتدريس اللغة العبرية إلى جانب العبرية.<sup>954</sup>

كما أثارت صحفة فلسطين قضية اللغة العبرية من خلال المنشور الذي أصدرته- في أعقاب تعطيلها من قبل الحكومة بحجة نشرها مقالاً يشيع الفرقة بين أفراد

الشعب- وأشارت فيه إلى ممارسات الصهيونية في فلسطين، والتي أبرزها مقاطعة اللغة العربية، واستبدالها بالعبرية 955.

ومن المظاهر الأخرى للاستقلال الذاتي الصهيوني، الصحافة العبرية الصهيونية، ففي وصف لما هي عليه الأوضاع في القدس وتدورها، كتب سائح مصري، يصف المعارف والثقافة فيها، فأشار إلى "وجود أربع جرائد عربية لا هم لها سوى الشتائم والمخاصل وركيكة، وأن هناك بعض الصحف العبرانية انتشرت بين الإسرائييليين، فأصبحت لسان حالهم، والعارفون يقولون إنها أرقى من الجرائد العربية بكثير" 956.

بلغت هذه الصحف درجة عالية من النفوذ، ففي يافا تطاولت صحيفة يهودية على مفتني المدينة، الأمر الذي أدى إلى تظاهرة شعبية 957.

من هذه المظاهر أيضاً، والتي استثارت الوعي العربي، تلك التي تتعلق بصورة مباشرة بما ينبع عن شروع الصهاينة في إقامة دولتهم، وما يرتبط بذلك من مقومات الدولة، كاستخدام العلم الصهيوني، والطوابع واستقلالية الإدارة والتشيد الخاص بهم، وغيرها من المظاهر الأخرى؛ فعقب الثورة التي قادها حزب الاتحاد والترقي عام 1908، وتعاظم الدور اليهودي فيها، وانعكس ذلك على أحوال اليهود في فلسطين، رفعوا في يافا علمًا ملوّناً باللونين الأزرق والأبيض احتفالاً بثورة الاتحاد والترقي، وطالبوها بتمثيلهم في مجلس الأمة المراد تشكيله، وكان لهذا الطلب دلالاته وأبعاده 958.

لم تقتصر مطالبهم على ذلك، بل في تقرير أرسله رئيس الحاخامين في الأستانة إلى نظارة العدلية والمذاهب، طالب فيه الحكومة الجديدة أن تعين للجند الموسوين مستخدمين روحانيين في الطوابير التي ينخرطون فيها، وأن تمنحهم حرية مذهبهم في أعيادهم الدينية، وأن يكونوا مستقلين في مأكلهم، وأن يعفى أساتذة المدارس وتلامذتها من الخدمة العسكرية. وقد اكتفت صحيفة المؤيد التي نقلت الخبر، بالقول: "إن النظارة تنظر في أمر هذه المطالب" 959.

ثمة مظهر آخر مهم، تحدثت عنه صحيفة العصر الجديد في 5 كانون الثاني/يناير عام 1910، و يتعلق باستخدام عملة صهيونية خاصة، فذكرت أن الجمعية الصهيونية قامت بتأجيل أعمالها كافة، لكي تستعمل الدرارهم التي لديها في أورشليم على وجه الخصوص 960.

كان أهالي فلسطين يتلمسون بأنفسهم أن اليهود الأجانب الذين حلوا في فلسطين، قد أصبح لهم مقومات الحكم الذاتي في مستعمراتهم وأحيائهم، فلهم نقود صهيونية خاصة، ولهم بريد خاص بين مستعمراتهم لصدق عليه طوابع صهيونية، ولا يستعملون إلا العبرية في لافتاتهم وفي أسماء شوارعهم وإعلاناتهم 961. وهناك إشارة إلى عثور شرطة دمشق على نقود من النحاس عليها شارات صهيونية 962.

وصف أحد أبناء مدينة يافا في 5 آب/أغسطس عام 1910 التحول الذي شهدته فلسطين خلال الأعوام العشرة السابقة، فقال: "إن هؤلاء الإسرائييليين لا يألون جهداً

في الاستقلال بأعمالهم وتوزيعها على الأفراد منهم،... وهكذا أصبحت جميع المستعمرات الإسرائيلية في فلسطين بلاداً مستقلة يحكمها مجلس مؤلف من أهلهما، ولها عدا عن ذلك مدارس وإدارات خاصة بها، لا دخل للحكومة في شيء منها. أما في البلدان الكبرى، كالقدس و耶افا فلا يقلون استقلالاً في أمورهم، فجمعياتهم وعدها ينبع على الخمسين تدبر أمورهم حسبما تقتضيه مصلحتهم القومية، وأغراضهم السياسية، ليختتم وصفه هذا بقوله: "إن أطماع الإسرائيليين كبيرة، وقد خطوا في سبيل الحصول عليها خطوات واسعة، حتى أصبحوا، ولهم في النفوذ والسلطان ما جعلهم يؤسسون حكومة صهيونية مستقلة ضمن الحكومة العثمانية" 963.

جسّد النداء الذي وجهه شكري العسلي - وكان آنذاك قائمقاماً للناصرة - إلى قائد الحملة الحورانية سامي باشا الفاروقى، ونشرته المقتبس في 5 كانون الأول / ديسمبر عام 1910 درجة عالية من الوعي العربي لظهور مظاهر الاستقلال الذاتي لدى اليهود الصهاينة في فلسطين، فقال: "هم لا يخالطون العثمانيين، ولا يشترون من عندهم شيئاً، ولهم بنك أنكلو - فلسطين يفرضهم بفائدته لا تتجاوز الواحد في المئة في السنة، وقد جعلوا لكل قرية فيها إدارة مدرسة، وكل قضاء مديرية، ولكل جهة مدير عام، ولهم رأية لونها أزرق وفي وسطها خاتم سليمان، وتحته كلمة عبرانية معناها "صهيون"، لأنّه جاء في التوراة أن أورشليم ابنة صهيون، ويرفعون هذا العلم مكان العلم العثماني في أعيادهم واجتماعاتهم، ويتزمنون على المارش الصهيوني... ويحلّون دعاويهم واختلافاتهم في ما بينهم بمعرفة المدير، ولا يراجعون الحكومة، ويعلمون أبناءهم الرياضة البدنية، ولهم بريد خاص وطوابع خاصة وغير ذلك، مما يبرهن لك على أنّهم بدأوا بتأسيس مقصدهم السياسية وتأليف حكومتهم الخيالية، فإذا لم يتبّعه النواب وتتّيّقظ الحكومة، وتضع حدّاً لهذا السيل الجارف لن يمضي على فلسطين يوم أو بعض يوم إلا وترأها أصبحت ملكاً للجمعية الصهيونية ورفاقتها أو شعبها المذكورات" 964.

المفارقة، أنّ صحفة المقتبس التي نشرت هذا النداء، نجدها تنشر بعد ما يقارب الشهر والنصف، أي في 23 كانون الثاني / يناير عام 1911 تقاصيل الاحتفال الذي أقيم لاستقبال سامي باشا في 21 كانون الأول / ديسمبر عام 1910، حيث ركزت الصحفة في خبرها على المشاركة الفاعلة للإسرائيليين، والتي تدلّ - وفقاً للصحفية - "على أنّ الروح الوطنية دبت في نفوس الأهلين، ولا سيما الشبان منهم، فقام أعضاء الجمعية الأدبية الإسرائيلية بتقديم علم عثماني مزركش إلى سامي باشا، إقراراً له على جميله في توطين الأمن في ربوع حوران... وقام جمهور عظيم من شبان الإسرائيليين تقدّمهم الموسيقى العسكرية، وهم يحملون الأعلام العثمانية وباقات الزهور..."، ولتحتم الصحفة خبرها بقولها: "ولا يسعنا في هذا المقام إلا الشكر لأولئك الشباب الذين قاموا بهذا الاحتفال مما دل على وطنيتهم، وأي دليل أعظم من شكر المحسن للوطن عن إحسانه" 965.

هذه الازدواجية أو القصور في الفهم والوعي يقف المرء أمامه حائراً؛ فإذا كانت الجمعية الأدبية الإسرائيلية، وطلاب المدرسة الوطنية الإسرائيلية أظهروا خلاف ما يبطنون، بالقيام بما ينافي أفكارهم، وما يقومون به على أرض الواقع، وذلك

خدمة لمصالحهم وأهدافهم، فكيف لصحيفة مثل المقتبس، وقد نشرت منذ مدة وجيبة ما يكشف هذه التوايا ويعريها، كيف لها أن تنشر مثل هذه التفاصيل، وتظهرها بصورة تسبغ على هؤلاء أقصى درجات الوطنية والانتقام، في الوقت الذي يسعون فيه إلى إقامة كيان مستقل عن الدولة العثمانية في فلسطين.

أخذت مظاهر الاستقلال الذاتي لدى اليهود في فلسطين مع بدايات عام 1911 بالانتشار، بحيث أصبحت تثير وعيًّا عربياً أوسع، وردود فعل أعمق، وتجلّى ذلك في وسائل وعده مناسبات؛ ففي جلسة مجلس المبعوثان المنعقدة في 6 آذار/مارس عام 1911 اغتنم نائب دمشق شكري العسلي مناقشة نائب القدس روحي الخالدي المسألة الصهيونية، ليوزع على أعضاء المجلس طوابع تحمل صورة هرتزل، قائلاً: “انظروا الطابع الذي يستعمل بالبريد” 966، واستمر في تأكيد أنه إيه الصهاينة- يسرون في فلسطين سير أمة، ففي أعيادهم يرتفعون راية زرقاء كتب عليها “صهيو” 967.

في الجلسة التي عقدت في 8 آذار/مارس عام 1911، أكد نائب بيروت رضا الصلح هذا الأمر، وأضاف أن اليهود في فلسطين اتخذوا أيضاً علمًا خاصًا بهم، وسكونا نقوداً 968.

وكان روحي الخالدي قد أكد في جلسة مجلس المبعوثان في 12 أيار/مايو عام 1911، إصدار الصهاينة عملة خاصة بهم، وجاء قوله هذا في معرض مناقشة المجلس لاقتراح يقضي بتوحيد المسكوكات، وتعليقًا على قول أحد النواب حول إصدار عملات خاصة في الجزر باسم بعض الكنائس، جاء رد ناظر المالية بالتأكيد أن ضرب العملة ينحصر في الحكومة 969.

في برقية بتوقيع إسعاف النشاشيبي من القدس إلى الكرمل جاء فيها: “أنباني صادق أنه احتفل ليلة الأحد في النادي الصهيوني العام بيوبيل بن يهودا آخذين الأعلام الصهيونية، ورتل فيه النشيد الاحتلالي الصهيوني، وبيعت أوراق البريد الصهيونية، وذلك كان وسيكون أمثاله والفلسطينيون لا هون لاعبون” 970.

عاد روحي الخالدي إلى الحديث عن الموضوع ذاته في كتابه السيونزم عام 1913، بما ينم عن درجة عالية من الوعي، وليستأنف ما كان قد بدأه سابقاً في تحذيره من مظاهر الاستقلال الصهيوني، فقال: “لم يدع الصهيونيون شيئاً من شارات الدولة إلا وضعوه، ولم يكتفوا بالعلم الصهيوني وطوابع البريد الصهيوني، حتى زادوا عليها المارش الصهيوني (النشيد الصهيوني)، وقد أورد الخالدي تفاصيل هذا المارش بالحروف الأجنبية والألفاظ العبرية مع تعريتها، منها إلى أن الشطر الثالث من مطلع النشيد قد تم تعديله من “لنرجع لأرض آبائنا”， ليصبح بعد بدء استعمارهم لفلسطين “لنكون أمة حرة بأرضنا... أرض صهيو القدس” 971.

هذه المظاهر تم رصدها من قبل أحد أبناء يافا، في رسالة بعث بها إلى صحيفة المقتبس في 29 تموز/يوليو عام 1911 واصفاً الاحتلال الذي أقامته الجمعية الصهيونية في مستعمرة الملاحة بذكرى هرتزل مؤسس الصهيونية، الذي شارك فيه طلبة المكتب الإسرائيلي، والذين ساروا إلى المكان المذكور بين الهاتف

والتصديق، رافعين الأعلام الصهيونية، وليؤكد في ختام حديثه أن هذا الاحتقال "أثار أنظار القائمقام الذي أخذ يراقب حفلتهم" 972.

علقت صحيفة المقتبس على الرسالة بما يلي "نشكر قائمقام طبرية على اهتمامه بالمسألة الصهيونية، ويا حبذا لو كان كل قائمقام وكل متصرف في ولايتي بيروت وسورية، وحتى والي بيروت، ووالى سوريا يهتمون بالحركة الصهيونية اهتمامهم بذاتهم، ويطبقون أحكام قانون الجمعيات على فروع الجمعية الصهيونية السرية المنتشرة في كل مكان، ليحفظوا البلاد من الأخطار المقبلة" 973.

في أيار/مايو عام 1911، حاولت صحيفة أبو الضيا إيصال هدف مزدوج لقرائها بين عن وعي وقراءة لأبعد الحدث، ولما بين السطور، وذلك من خلال مقال بعنوان "مظهر جديد من مظاهر الصهيونية"- نقلته عنها المقتبس بحرفيته في 30 أيار/مايو عام 1911- وهو لشخص من حيفا وقع بالأحرف ع.م. تحدث فيه عن مقابلته صديقاً أجنبياً، يعلم أدق التفاصيل في فلسطين، أخبره بأن الصهاينة أسسوا مملكتهم سنة 1903 في زكرون يعقوب على مقربة من يافا، ونصبوا د. شوفر ملكاً عليهم، وأخذت الحكومة الجديدة تسجل العقود والمقاولات التي يتعاطاها أبناء موسى، وتطبع عليها طوابع خاصة بها، وجمعت في ديوانها كل المستندات التي لها صلة بالصهيونية، وعندما بلغ هرتزل ذلك طلب من شوفر التراجع عن هذا الأمر، لأنه لم يبن أوانه بعد، وعندما رفض الأخير التراجع، بعث له هرتزل من "خلعه عن تخته وأزال كل الأدلة والمستندات التي تتعلق بتأسيس المملكة الصهيونية" 974. وعلقت الصحيفة على ما جاء في المقال بقولها: "إن كل مظهر من مظاهر الصهيونية يشف عن نيات القائمين بها" 975.

أما صحيفة المنادي، وبعد أن استعرضت في نيسان/أبريل عام 1913 المصالح والسلطة والنفوذ الذي يتمتع به الإسرائييليون، فقالت: "أصبحت مستعمراتهم كزمارين وطبريا وغيرها التي يخنق عليها العلم الصهيوني، صباحاً مساءً، خالية من مسلم أو مسيحي" 976.

استمرت مظاهر الاستقلال الصهيوني خلال عام 1914 تستثير التساؤلات والاهتمام، وفي مقدمها المؤسسات التي أنشأها الصهاينة في فلسطين؛ فأشارت مجلة المقتطف في كانون الثاني/يناير عام 1914 إلى إنشاء دار البحث الزراعي عام 1909، وإنشاء دارة صحية لدراسة الأمراض ومقاومتها 977. وتحدثت صحيفة لسان الحال في 10 شباط/فبراير عام 1914 عن بناء مستشفى لأمراض العيون في يافا، تم افتتاحه بمناسبة زيارة روتшиلد القدس 978.

كما بعث مجموعة من الشباب المتعلمين في يافا في آذار/مارس عام 1914 رسالة إلى الباب العالي، جاء فيها: "الصهاينة في يافا حكومة ضمن حكومة، لهم في مستعمرة تل أبيب سجن يسجون فيه الوطنين الذين يحدث بينهم وبين اليهود خلاف أو نزاع، وكان معاون النيابة السابق قد أخرج بيده سجينًا مسلماً من هذا الحبس اليهودي، ولم يفعل غير ذلك، وللصهاينيين علم كبير يرفعونه على الجهة اليمنى من الباب الكبير لمدرستهم، ويوم روتшиلد في يافا طافوا بعشرات من هذه

الأعلام في شوارع المستعمرة. وليختموا رسالتهم بالتساؤل "إذا ما كانت الحكومة العثمانية عاجزة عن تأييب الصهيونيين؟، فيجب عليها إذ ذاك أن تدل الوطنين على أماكن يهاجرون إليها، وإما تكون قادرة، فيجب عليها حينئذ أن تضع حدًا لهذه الاعتداءات والإهانات التي من شأنها الاستخفاف بالسلطة العثمانية، وإن استقلال البلاد وكراهة الحكومة مهددان من الصهيونيين، وإذا لم تدرك الحكومة رعاياها المساكين فعلى الدنيا السلام" 979.

تابعت الصحيفة ذاتها اهتمامها في ما يتعلق بقضية مهمة جداً، وهي تشكيل الصهيونية فرقة عسكرية خاصة بها، والقيام في نيسان/أبريل عام 1914 باستعراض لقواتها العامة، وذلك بعد أن وصل القدس ثلاثة صهيوني، منهم كبار رجال السياسة والمؤلفون وال فلاسفة والدكتورة والمحامون 980. والغريب في الأمر، أن مثل هذا النشاط لم يثير اهتمام الأوساط العربية الأخرى، أو دفعها إلى التعليق عليها، وذلك على الرغم من خطورته وأبعاده وتوقيته.

تحدثت صحيفة فلسطين في 29 نيسان/أبريل عام 1914 عن التهديد الصهيوني في فلسطين، مؤكدة أنه إذا لم يسرع المخلصون إلى إنقاذ الفلسطينيين من مصيرهم، سيكون مماثلاً لمصير الهنود الحمر في أمريكا؛ فالصهيونية التي تشكل دولة ضمن دولة، تهدد مصير العرب وصميم وجودهم في فلسطين 981.

كذلك أمر تسليح الصهيونية؛ فصحيفة الأمة في 21 شباط/فبراير عام 1910 ذكرت، نقلًا عن أحدى الصحف التركية لا توركي أن يهود إزمير قد عزموا على فتح أكتتاب للأسطول العثماني لشراء مدمرة يسمونها (إسرائيل)، وبأن الإسرائييليين لم يكتفوا باللجان التي شكلوها للأكتتاب للأسطول، وإظهار مبلغ حبهم لوطنهم العزيز، بل أرسلوا دعوة عامة إلى جميع أبناء جنسهم للحضور إلى كنيسهم ببلانة، حيث أجبت الدعوة من قبل كثيرين، وذكر الخطيب أبناء جنسه بما كان يلاقيه أسلافه من الإضطهاد والظلم الشديد، ورحب بهم السلطان، ثم شكلت اللجان للأكتتاب 982.

كما أثارت صحيفة الكرمل مجموعة من التساؤلات حول وصول عدد من الصناديق المملوكة بالдинاميت، ومواد أخرى إلى مدرسة الصنائع التابعة للجمعية الصهيونية الاستعمارية بحيفا، فقامت الصحيفة بالاستقصاء من خلال سؤال مديرية الجمرك التي أجابت بأنها جاءت بمقتضى أمر من المديرية العمومية، وعند سؤال القائم مقام، أشار إلى موافقة كل من وزارة الداخلية والحربيّة عليها، وبأن الهدف منها فتح صهاريج للمكتب وحفر قناة حتى البحر، وقد علقت الصحيفة على ذلك بقولها: "والحال هذه لا يمكننا إخفاء قلقنا من تسليم ثلاثة آلاف كيلو مواد جهنمية لإدارة شركة لا نعرف ماهيتها العمل الذي استخدم لاستعمال هذه المواد، وإذا كانوا لا يسيئون استعماله، وعندنا أنه كان خير للحكومة لو استلمت هذه المواد وسلمتها بحسب اللزوم، لأننا لا نعلم من يكون المسؤول، إذا اتفق في المستقبل، لا سمح الله، وقوع حوادث نسف بالдинاميت في هذه النواحي" 983.



# الفصل الخامس

## الوعي العربي للخطر الاقتصادي للمشروع الصهيوني، 1897-1917

أولاً: الوعي العربي للخطر الاقتصادي الصهيوني

خلال الفترة، 1897-1905

أدرك العرب في فلسطين وخارجها أن الصهيونية تسعى إلى السيطرة على الوطن العربي سيطرة سياسية عسكرية شاملة، ولكنها في البداية على الأقل كانت تسعى إلى أن تكون هذه السيطرة اقتصادية، وذلك على الرغم من أن الاعتبارات الاقتصادية في المشروع الصهيوني لم تكن هي الأساس في ذهن مهندسيه الأوائل؛ فلسطين برقتها الصغيرة وبفقرها النسبي بالموارد والثروات، لا يمكن أن تشكل قاعدة مشروع اقتصادي مربح، إلا أن أهمية فلسطين تتبع من موقعها، ومن الاعتبارات الاستراتيجية لهذا الموقع.

هذا لا يعني أن الجانب الاقتصادي والاستفادة المادية كانا غائبين عن أذهان زعماء الصهاينة؛ ففي يومياته في 20 نيسان/أبريل عام 1897، كتب هرتزل يصف الأوضاع في فلسطين، قائلاً: "الطقس ممتاز والأرض غير قاحلة، والطبيعة الرغامية فقط جرفت إلى الوديان من الجبال حيث كانت في الماضي جلالي خصبة، إن البرتقال مزهر حالياً في فلسطين، كل شيء يمكن فعله في تلك البلاد". كذلك ما كتبه حول رؤيته المستقبلية لاستثمار ثروات فلسطين، فقال: "يمكن إنشاء صناعات كيماوية عظيمة على شواطئ البحر الميت كثير الملوحة، ويجب تحويل مجرى المياه الفنية التي تصب فيه الآن واستعمالها كمياه شرب. يجب استبدال الروافد بقناة في البحر المتوسط، أيضاً يوجد الكثير من المياه المولدة للفوهة التي يمكن تحويلها إلى كهرباء".

إن وعي الخطر الاقتصادي الذي شكله الصهيونية كان لدى الفلسطينيين أسبق وأكبر منه لدى بقية العرب، ومن هذا المنطلق جاءت مقاومتهم الصهيونية مبكراً جداً، بدليل أن هذه المقاومة لم تشتت إلا عندما بدأ بتطبيق العمل العربي، في حين أن الوعي العربي خارج فلسطين كان ينصب أكثر على خطر الصهيونية السياسية، لذا انطلقت المعارضة لها على أساس قومي- باعتبار أن الصهيونية تهدد كيان الأمة العربية ووحدتها. وذلك لبعد هؤلاء من تأثير الخطر الاقتصادي الصهيوني.

قبل أن يترسخ الشعور بالتهديد الصهيوني الاقتصادي لدى الفلسطينيين، ساد مناخ من التسامح والاعتدال في تعامل أهالي فلسطين مع من سكن من يهود وغيرهم في بيوتهم وحراتهم ومدنهم كأصدقاء لهم، الأمر الذي نجم عنه إقامة اليهود المستوطنين شراكات اقتصادية مع العرب، أسفرت عن قيام نشاط تجاري واجتماعي ملحوظ، إذ استقاد الفلسطينيون من أصحاب الدور والمتأجر في زيادة الدخل الذي رافق قدوم المهاجرين اليهود إليها.

أسهم هذا التسامح أيضاً في قناعة بعض الجماعات اليهودية الأجنبية عندما استقرت للعيش في فلسطين بفكرة الاندماج مع التكوينة الاقتصادية والاجتماعية لأهلها، وبخاصة المؤسسة التجارية، ولكن بنمط جديد، شجع على ذلك أن أغلبية سكان المدن كانت تعمل في التجارة والصناعات اليدوية والزراعية البسيطة، وعمل اليهود كمهنيين وفنيين مهرة، وأبدعوا في الصناعة والحدادة والخياطة، واحتكروا أعمال الصيرفة والمصرفية.<sup>990</sup>

تطورت العلاقة بين الطرفين إلى علاقات اجتماعية، وذلك بعد أن اندمج اليهود في المجتمعات المدنية، ومما يدل على وجود الثقة بين الطرفين- والتي أسهمت في بناء علاقات مع أهالي الأرياف- إقبال العمال العرب على العمل كمزارعين وعمال في مستوطناتهم، وحراس لحماية أملاك اليهود فيها.<sup>991</sup> على مدار السنين، تطور اعتماد مشترك بين المستوطنين وال فلاحين؛ فالمستوطنون الذين عانوا العمل الزراعي المرهق، قرروا الاعتماد على العمال العرب بصورة كبيرة، وهو ما أدى إلى تحسن مستوى المعيشة لدى العرب تحسناً كبيراً، وبخاصة في مواسم الحصاد، ولكن هذه العلاقة سرعان ما تأثرت سلباً بمجموعة من العوامل التي أثبتت أن العداوة والتوتر قد يحدث، وإن كان هناك منفعة اقتصادية مشتركة بين الطرفين، وتمثلت هذه العوامل بما يلي:

- 1- الفروق الثقافية بين العرب واليهود، التي لم تضعف أو تخفي، على الرغم من العلاقات القائمة بينهما على المنفعة الاقتصادية.<sup>992</sup>
- 2- عجز الفلاح الفلسطيني- على الرغم من أنه لا يقل فطنة وذكاء عن المزارع الصهيوني- عن تحديث أساليبه، لافتقاره إلى رؤوس الأموال والإرشاد الزراعي المركز على البحث العلمي والتعليم الزراعي.<sup>993</sup>
- 3- ضعف البنية التحتية في قطاع الصناعة في فلسطين في أوائل القرن العشرين، مما أدى إلى تأخر ظهور الطبقة العاملة الفلسطينية، التي كانت تفتقر إلى الوحدات الإنتاجية الكبيرة، والمشاريع العامة وتوجيه الاستثمار.<sup>994</sup>
- 4- إقبال المهاجرين الصهاينة على شراء الأراضي من كبار الملاك، وطردهم الفلاحين الشركاء في الأرض، ومنعهم في القرى المجاورة من حقوق الرعي المكتسبة في هذه الأرضي، مما أدى إلى بداية نزاع وصدام بين الفلاح الفلسطيني والمهاجر الصهيوني.<sup>995</sup> وزادت النقمـة باستيلاء الدائنين على أراضي الفلاحين المتقلين بالديون، لبيعها لليهود الأجانب، مما أثار استياء السكان العرب في الريف الفلسطيني، الذي ما لبث أن تحول إلى عداء ظاهر ومكـنون.<sup>996</sup>
- 5- أدى التطور والتحسن الاقتصادي في المدن الفلسطينية وتحسين الزراعة، إلى ارتفاع مستوى المعيشة، وظهور فئة من التجار والسماسرة التي استفادت أكثر من غيرها من الفرص الاقتصادية الجديدة، وكانت تعمل لخدمة مصالحها الشخصية، ومصالح الصهاينة على حساب التاجر أو الفلاح الفلسطيني.<sup>997</sup>

مع تبدل الأوضاع، أخذت طبيعة الوجود اليهودي في فلسطين تتحول من الطابع الديني والمعايشة إلى الطابع الاستعماري الزراعي، وبخاصة مع وجود الفكر الصهيوني<sup>998</sup>. أخذ هذا التحول يمس مباشرة مصالح الفلاحين وجودهم، ومصالح أهل فلسطين الاقتصادية، الذين أصبحوا مهددين نتيجة النشاط الاقتصادي الذي يمارسه المستوطنين الصهاينة<sup>999</sup>.

عند انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في آب/أغسطس عام 1897، تتبه العرب إلى أن اليهود الذين استوطنوا في فلسطين، قد استولوا على معظم حركة التبادل التجاري فيها، وإلى أنه إذا ما زادت أعدادهم، فسوف يحتكرون الأعمال. وقد أجبت مجلة المقتطف رداً على تساؤل أحد القراء بما إذا أراد الصهاينة تعمير أراضي فلسطين بالفلاحة والصناعة، بقولها: "إن اليهود الذين أتوا فلسطين حتى الآن أهل صناعة وتجارة، وقد أفلحوا فيها، وقبضوا على موارد التجارة وأساليب الصناعة، أما الفلاحة فلا نظن أنهم يعكفون عليها، لأنهم ليسوا أهل فلاحة في البلدان التي هم منتشرون فيها، بل ربما ملکوا الأراضي، وأبقوا سكانها الحالين حراثين فيها، وقد صار كل شيء ممكناً لأهل المال فلا يستحيل عليهم إذا أرادوه"<sup>1000</sup>

. يؤكد صحة ما ذهبت إليه المقتطف في ردها، أن هرتلل بعد زيارته فلسطين في تشرين الأول/أكتوبر عام 1898، وبعد أن علم بأن الحمى تناقضت باليهود المهاجرين إليها، قرر أن يعهد بالأعمال التي تعرض أصحابها للخطر، إلى العرب، وعلل هذا القرار بأنه "سيكون تكاليف هذا بلايين، ولكن هذا سيؤدي إلى خلق بلايين من الثروة الجديدة، يمكن استخدام العرب الذين لهم مناعة ضد الحمى للعمل"<sup>1001</sup>.

مع بداية القرن العشرين، استمر اعتماد الصهاينة على الفلاحين العرب في مستوطناتهم، وخصوصاً مع جهود روتشيلد لتطوير الزراعة، وازدياد حاجة اليهود إلى الخبرات والعمال العرب، إضافة إلى حاجة العمال العرب الاقتصادية إلى العمل في المستوطنات، حيث استمرت علاقة المنفعة المتبادلة بين الجانبين، ولكن ذلك لا ينفي وجود احتقار وازدراء متبادل بينهما؛ فالمستوطن كان ينظر إلى العربي على أنه غريب في عاداته ودينه ونظامه بسبب الفوارق المختلفة<sup>1002</sup>.

على الصعيد التجاري، أصبح النشاط الصهيوني في هذا المجال يمثل خطراً على التجار العرب الذين رأوا فيه تهديداً لمصالحهم<sup>1003</sup>، وتحولت بعض المدن كحيفاً وبيافا إلى مدن صهيونية<sup>1004</sup>، وتطور مركز المدينتين التجاري نتيجة تدخل اليهود والأجانب في تجارتتها<sup>1005</sup>، وقد نبهت صحيفة الأهرام إلى الأطماع السياسية والاقتصادية للصهيونية، واتهمتها باحتكار التجارة، وبخاصة في مدينة يافا<sup>1006</sup>.

كما نشرت صحيفة الجامعة في كانون الأول/ديسمبر عام 1902 مقالاً لسليم قبعين حول بلدان فلسطين، ومن بينها طبريا، فأشار إلى قضية مهمة تتم عن وعي حقيقة الخطر الصهيوني على الجانب الاقتصادي، وهي "أن أهلها من غير الإسرائيليين يتعاطون صيد السمك، لوجوده بكثرة في بحيرة طبريا، فكأنهم ورثوا هذه الصناعة

عن الإسرائيлиين الذين تقدموا لهم في هذه البلاد، وكان بودنا أن يتسللوا بمواطئهم الإسرائيлиين الذين يستدررون اليوم خيرات الأرض من طرق الزراعة" 1007.

مع مرور الوقت، وتفاقم التغلغل الصهيوني على اختلاف أشكاله، برزت المقاومة المحلية لهذه الظاهرة، وإن لم تكن أعمال المقاومة منسقة ومنظمة، إذ توسيع بصورة عفوية، وبالتزامن مع عمليات شراء الأراضي من المالكين الغائبين، وطرد الفلاحين أو المرابعين عنها، وكانت كلما توسيع عملية الاستيطان وانتشرت في الريف، عمّت المقاومة واتساع نطاقها، وأصبحت المواجهة حتمية بين الفلاحين المقيمين على الأراضي، والمستوطنين الذين عمدوا إلى طرد هم منها، وتالياً قطع أسباب معيشتهم فجأة من دون سابق إنذار، فكان طبيعياً أن يقاوموا هذه الظاهرة بعنف لمواجهة المستوطنين المدعّمين بقوة السلطة التي كانت يدها ثقيلة على الفلاحين، وخفيفة على المستوطنين في تنفيذ تعليمات الدولة وأوامرها، وفي تنفيذ الصفقات المشبوهة بين المستوطنين وأصحاب الأراضي 1008.

لم يكن الفلاحون وحدهم في هذه المواجهة، بل كان هناك القبائل البدوية التي حُرمت هي أيضاً من مراعي قطعانها لاستيلاء المستوطنين عليها، فأدى ذلك إلى قيام الفلاحين مع البدو، ومن دون تنسيق مسبق، بعمل متكامل في مهاجمة المستعمرات وحرق المزارع، وتخرّب المراافق 1009.

### ثانياً: الوعي العربي للخطر الاقتصادي الصهيوني

#### خلال الفترة 1905-1908

شهدت هذه المرحلة قدوم الموجة الثانية للهجرة اليهودية، وكانت مطابقة من حيث الحجم للأولى، ولكنها مختلفة كثيراً في روحها، والقوة القيادية بين القادمين الجدد، فكانوا مجموعة من بضعة آلاف من الشباب ذوي الأفكار الثورية 1010. أظهر هؤلاء تنظيماً عالياً، وترمتاً عقائدياً لصهيونيتهم، وتجلّى ذلك بأوضح صوره في موقفهم من عرب فلسطين، وإصرارهم على مقاطعة اليد العاملة العربية مقاطعة تامة، ومقاطعة المنتجات العربية 1011، لذا دعوا إلى سياسة عمل تقوم على أن الوظائف التي نشأت من رأس مال يهودي يجب أن يشغلها عمال يهود، كما طالبوا بإدخال تغيير على حياة اليهود الذين يفدون إلى فلسطين من خلال تشجيعهم على الانخراط في العمل الزراعي بدلاً من المهن التي يتعاطونها، لأن فلسطين لن تكون ملكاً لليهود بامتلاك الأراضي فقط، وإنما ينبغي أن يقوموا بأنفسهم بالعمل على تلك الأرضي، ولذا أطلقوا شعار "أرض عربية" و"عمل عربي" 1012، وهو ما سيؤدي إلى قيام اقتصاديين منفصلين عربي ويهودي، وتالياً مجتمعين منفصلين 1013.

تتجلى هذه الفلسفة بأوضح صورها في ما ورد في يوميات أحد أفراد هذه الهجرة، وهو يوسف براص، وذلك عندما تحدث عما شاهده عند وصوله إلى مستوطنة ريشون لتسبيون، فقال: "وجدنا أن من يعمل بالحقول هم جيراننا العرب، واليهود يديرون العمل ويراقبونه.. تملكتي الذهول، أهكذا تبني بلادنا، اليهود يكونون المالكين، وجيئنهم العرب يعملون في الكروم" 1014.

أدت هذه النظرة إلى حدوث خلاف بين المستوطنين القدماء والجدد، فهو لاء كانوا يحملون الأيديولوجية فقط، في حين كانت تقصهم الخبرة العملية التي يجدها المستوطنون لدى العامل العربي، فضلوا الأخير على المهاجر الجديد، وبات المستوطنون الجدد أينما ذهبوا لا يجدون عملاً لأن العرب لا يدعون لهم عملاً في الحقول ولا في الكروم، حتى إن بعض أصحاب المستوطنات كانوا يفضلون جلب عمال من مصر 1015.

على الرغم من أن الدعوة إلى تعميم العمل العربي بدأت منذ عام 1905 تقريرياً، إلا أن ذلك لا يعني أن تطبيقها تم على الفور، بل استمر الاعتماد على العمال وال فلاحين العرب بعد عدة سنوات من إطلاقها؛ فعالم الآثار ماكلستير (S. Macalister) كتب أثناء زيارته بلدة صفد، واجتيازه مستوطنة "الملحمية" عام 1907 واصفاً الأوضاع فيها، بقوله: "سررنا بروية شباب يهود يقومون بأنفسهم بأعمال الحراثة، في حين تركت هذه الأعمال للعمال الفلسطينيين في معظم أجزاء فلسطين" 1016.

يبيرز في الاتجاه نفسه، ما أورده يوسف براص عن حديثه عن إقامة مستوطنة "عثليت"، فيقول: "في ربيع عام 1908، بلغني نبأ الشروع بإقامة مستوطنة يهودية جديدة، هي "عثليت" الكائنة في منطقة الشومرون، إذ علم المقاول بوجود نقاشين يهود، وأعرب عن رغبته في تشغيل عدد منهم... أسرعت بالتوجه إلى المكان... كان بعض المواطنين العرب من أهالي الخيام يعملون في نحتها، لم أجد يهودياً واحداً في هذا المكان" 1017. وينقل الصورة ذاتها عند حديثه عن العمل في مستوطنتي "ريشون لتسیون" و"رحوبوت"، فيقول: "في رحوبوت كان هناك مزارعون يستغلون بأنفسهم في كرومهم وبياراتهم بالإضافة إلى عمالهم العرب، وكان من هؤلاء المزارعين اليهود من كان على استعداد لتشغيل عمال يهود، كان العمال العرب يزيدون كثيراً عنا عدداً، وعند قدومنا إلى "رحوبوت" لم نتمكن من الحصول على عمل، تملص المزارعون من استخدامنا، وحين كنا نسألهم عن سبب ذلك، أجابوا: إننا نرافقكم، دعوا العمل للعمال العرب، وفعلاً كان العمل بالفأس شاقاً جداً، وقد اعتناد العمال العرب العمل في جميع الظروف. أما نحن الذين لم نعتناد هذه الظروف، فقد قاسينا كثيراً في المرحلة الأولى" 1018.

إذا ما عكست هذه الأقوال وغيرها من مواقف مدى قبول فكرة العمل العربي لدى المستوطنين الصهابين القدماء والجدد، ومدى سرعة تطبيقها، فهي تعكس أيضاً مدى تقبل العامل أو الفلاح العربي الفلسطيني للعمل لدى هؤلاء، وفي مرحلة متقدمة من تطبيق المشروع الصهيوني، ووجود عدد من أتباع الحركة الصهيونية وقادتها في هذه المستوطنات، مما يدل على أهمية العامل الاقتصادي سلباً وإيجاباً على العلاقة مع الصهيونية ومشروعها.

في الوقت الذي حرص فيه المهاجرون الجدد على تطبيق سياسة العمل العربي، كانوا حريصين أيضاً على تجميل صورة الصهيونية في ما يتعلق بهيمتها الاقتصادية على فلسطين، فاقتصر الزعيم الصهيوني كابلانسكي بأن "على الصهيونيين أن يصورو نشاطهم الاستعماري في فلسطين بمثابة "الفتح الاقتصادي الإسلامي لبلاد مختلفة وضئيلة السكان" 1019. وقد أيده في هذا الرأي الزعيم

الصهيوني سميلانسكي الذي رأى أن العرب سيستقدون من قدوم اليهود الذين سيساعدون في إحياء الأرض القاحلة وإعادة إعمارها 1020.

حضر إبراهام موبييل- وهو يهودي من مواليد فلسطين وكان على دراية بمشكلة الفلاحين، عندما أخذ اليهود يشترون الأراضي من الأغنياء المتنفذين والتجار- في رسالة بعث بها إلى الصهيوني بنسرك، يقول: "ولكن الآن عندما يرى الفلاحون أن إخوتنا ينwoون العمل في الأرض بأنفسهم، وأنه لم يعد بإمكانهم استئجارها، مهما دفعوا في سبيل ذلك، فسوف يقاتلوننا، إذ كيف سيحصلون على لقمة خبزهم؟ لذلك ليس غريباً أن يضع الفلاحون العوائق على أمل أن يفقد المستوطرون صبرهم ويبحثوا عن مكان آخر" 1021.

حضر بن غوريون من حدوث صراع طبقي وعداء قومي، وعوا الدعاية المعادية للصهيونية في الصحافة العربية وزيادة حدة الهجمات على اليهود، إلى العمال العرب العاملين في المستعمرات، فهم "مثل كل العمال العرب يكرهون ظالميهem ومستثمريهem، ولكن بما أنه بالإضافة إلى صراع الطبقات هناك هذه الحال من الاختلاف القومي بين العمال والمزارعين، هذه الكراهية أخذت شكل العداء القومي، وأكثر من ذلك العناصر القومية المتغلبة على العامل الظبقي، والكراسية لليهود ثارت من جماهير العمال العرب" 1022.

على الرغم من هذه التحذيرات إلا أن أنصار العمل العربي استمروا في تنفيذ مخططهم بهذا الشأن؛ ففي تشرين الأول/أكتوبر عام 1906، رفض المؤتمر التأسيسي لمنظمة بوعالي لتسين (عمال صهيون) الفلسطيني- الذي عقد في حيفا بحضور خمسة عشر عضواً- فكرة إقامة منظمة مشتركة تجمع العمال العرب واليهود معاً، الأمر الذي يستدل منه على أن الأيديولوجية الصهيونية بمبادئها الانعزالية بدأت تترسخ جذورها بين العمال اليهود في تلك المرحلة، وأن اتجاههاً بين صفوف العمال العرب قد تبلور لممارسة العمل النقابي، وبخاصة داخل التجمعات العمالية، بعد طرح هذه القضية في المؤتمر التأسيسي للمنظمة، والحيز الكبير الذي أخذته من النقاش 1023.

أسفر هذا الاجتماع في حيفا عن اختيار بن غوريون عضواً في اللجنة المركزية للحزب، وحدث هناك صراع بين تيارين: الماركسي الذي ينادي بمحاربة الطبقية وأن تكون منظمة الهاستدروت (الاتحاد العام للعمال اليهود) التي سيؤسسهما الحزب مشتركة بين العرب واليهود، وفي المقابل تيار يميني قومي على رأسه بن غوريون، ينادي باحتلال العمل والأرض، وان تكون الهاستدروت لليهود فقط، وكانت السيطرة لهم فأصبح الحزب الجديد يعرف باسم "حزب العمال العربين الاشتراكيين- الديمقراطيين في أرض إسرائيل" (عمال صهيون) 1024.

أخذت مسألة العامل العربي، والخلاف حوله بين الأطياف الصهيونية المختلفة نقاشات طويلة على صفحات صحفها التي عكست البعد الاقتصادي للخطر الصهيوني، فكتب أحدهم ويدعى يوسف أهروتو فيتش تحت عنوان "العمل الحقيقي في فلسطين" ، يقول: "إن كل الأرض اليهودية في فلسطين يعمل بها العرب، وأكثر

من ذلك أن الفلاح العربي يبيع للمستوطنة اليهودية البيض واللحم والخضار، إن وضعه المادي يتحسن، وهو غير مضطر إلى بيع أرضه، ومع ذلك فإن الفلاح العربي مستغل ومهان، ولكن الفلاح الذي يتتحقق حسب كل الآراء بعقله ومؤهلاته على الفلاح الروسي لن يتحمل ويصمد للأبد.. وعندما يأتي يوم الانتقام والجزاء، سيصب العامل العربي غضبه، بل كل شيء على رأس أصحاب العمل اليهودي... والآن لا يوجد عامل عربي واحد يعرف بوضوح ما هو هدفنا هنا وتطلعنا، إننا نقف أمام مشكلة تتطلب الحل القومي".<sup>1025</sup>

تمت ترجمة هذه التوجهات إلى واقع، من خلال العمل على طرد الفلاحين العرب من المستعمرات الصهيونية، إضافة إلى المقاطعة الصهيونية المنظمة للمنتجات العربية.<sup>1026</sup>

يتضح التشدد الصهيوني في تطبيق خطة العمل العربي خلال تلك المرحلة من خلال الحادثة التي وقعت عام 1908، وذلك عندما قررت شركة تطوير فلسطين زرع غابة من أشجار الزيتون في بيت عريف القرية من اللد تخلidiaً لذكرى هرتزل، واستخدمت لهذه الغاية عملاً من اللد، فما كان من قادة الحركة الصهيونية العالمية إلا أن بعثوا بمجموعة من العمال اليهود، قاموا بقتل أشجار الزيتون، وأعادوا غرسها في اليوم التالي بأنفسهم، وتم طرد العمال العرب من المشروع، وفي إثر هذه الحادثة أصدر مكتب فلسطين التابع للحركة الصهيونية- والشرف على الاستيطان- أمراً لمديري مزارع الحركة ومستوطناتها بالامتناع عن استخدام العمال العرب في أشغالهم.<sup>1027</sup>

نجم عن هذه السياسة توتر في العلاقات بين العرب والمستوطنين الصهاينة، وساد التذمر الأوساط العربية التي تأثرت مباشرة بتصورات الصهاينة العنصرية<sup>1028</sup>؛ وفي أكثر من حادثة، قام العمال العرب بضرب أصحاب العمل أو العمال اليهود، كما حدث في مستوطنة كفار تيفور (Kafar Tavor) في الجليل الأدنى<sup>1029</sup>، وكانت هناك اعتداءات على أصحاب العمل قام بها مزارعون مستأجرون للأراضي لتأخرهم بدفع أجورهم.<sup>1030</sup>

لم تقتصر هذه الاعتداءات على المستوطنين في فلسطين، بل إن موظفي البارون روتشيلد أدعوا عام 1905 أنهم خاضوا نضالاً شديداً، بما فيه عبر المحاكم، ضد فلاحي سخم جولان الذين حاولوا طيلة السنوات الأخيرة السيطرة على أراضي البارون، والخلص من دفع الحصص المترتبة عليهم، بل اتهموهم بسرقة المحاصيل، وذلك خوفاً من مطالبتهم بوضع اليد عليها، أو محاولة جلب يهود من المهجر بدلاً منهم.<sup>1031</sup>

أما نجيب عازوري، وعلى الرغم من وعيه الكبير لخطر الصهيونية، إلا أنه ألم في وقت لاحق لإصدار كتابه يقطة الأمة العربية عام 1905- إلى أن إنشاء المستعمرات والمصارف اليهودية يؤدي إلى تقوية القومية العربية، بفضل مصالح أقطاب المال في العالم، ولم يكن في ذلك منسجماً مع نفسه.<sup>1032</sup>

عارض فريد قصاب فكرة وجود تهديد اقتصادي للمشروع الصهيوني، وحاول أن يحمل الصورة بوصفه المستوطنين اليهود في فلسطين بأنهم أكثر إخلاصاً للصناعة والزراعة أكثر من أي مكان آخر، وبأنهم قاموا بعمل ضخم في استصلاح أرضهم القاحلة .1033.

لم نلمس هذه الرؤية الإيجابية للخطر الصهيوني الاقتصادي في الرسالة التي بعث بها أحد أبناء يافا إلى صحفة الأهرام في 31 آب/أغسطس عام 1906، وتدور حول ردود فعل أهالي مدینته تجاه وجود اليهود بينهم، فقال: "يظهر أن مراحل الحقد على اليهود الروس المهاجرين حدثاً إلى بلادنا بدأت تغلي في صدور المواطنين، لأنه ما كادت ترسخ أقدامهم في يافا، حتى أخذوا ينافسون الأهالي في تجارتهم وزراعتهم وصناعتهم، وإن حكومتنا تسوق هذا لتصبح حداً لmigration them، حذار من ردود فعل العامة، وهذا نحن قد أذننا، ومن أذنر قد أذنر" 1034. كذلك في البيان الذي أرسله عدد من الشخصيات الفلسطينية إلى نواب فلسطين عام 1908، وطالبوها فيه نوابهم باتخاذ جميع الوسائل لمواجهة خطر الصهيونية، من خلال تقوية التجارة والصناعة الوطنية، وغرس حب العمل في الزراعة والتجارة والصناعة، وخصوصاً لدى الناشئة .1035.

كانت الانتخابات النيابية فرصة لإظهار أثر التهديد الاقتصادي الصهيوني على فلسطين؛ فصحيفة الأصمعي عقدت مقارنة بين الفلاح العربي والمستوطن الصهيوني، أظهرت فيها الدعم الذي يتمتع به الأخير نتيجة الامتيازات الأجنبية، وفساد الإدارة المحلية، وإعفائه من الضرائب العثمانية، ومقاطعتهم العرب، الأمر الذي يؤدي إلى استحالة صمود العرب في وجه منافسيهم في تلك الظروف والأحوال، لذا دعت الصحيفة إلى شراء البضائع الوطنية عوضاً من الأجنبية، وناشدت أصحاب رؤوس الأموال العرب تطوير التجارة والصناعة الوطنية .1036.

في بيانه الانتخابي في آب/أغسطس عام 1908، كان من بين الأشياء التي وعد نجيب عازوري ببحثها في مجلس الأمة، في حال نجاحه، المطالبة بحماية التجارة والصنائع الوطنية من منافسة الأجانب، وحث الأهالي على تشكيل شركات تجارية، وتعهده باتخاذ الوسائل والذرائع اللازمة لتهيئة رأس مال من الأجانب لتشغيل الأرضي الموات والمترفة .1037.

توالت بعد ذلك التحذيرات من الخطر الاقتصادي للصهيونية؛ فمجلة النعمة في الأول من تشرين الثاني/نوفمبر عام 1909، قامت باستعراض نشاط الجمعيات الصهيونية، ودورها في مساعدة فلاحي وصناع اليهود، ومشاريع الآثراء اليهود .1038. وأخذت مجلة النبراس على أهل فلسطين عزوفهم عن عمران بلادهم، لأن البلاد بلادهم، ويجب أن تكون خبراتها ومرافقها بأيديهم .1039.

خلال العام 1909، راحت معارضه الفلاحين التهديد الاقتصادي الصهيوني تشتد؛ انطلقت في البداية على أساس المنافسة الاقتصادية، لتحول بعد ذلك إلى منطلق أيديولوجي قومي 1040، فعندما حاولت جمعيات الاستيطان إقامة قرى زراعية على الأرضي قاوم الفلاحون والعشائر البدوية هذه المحاولات، وحدثت صدامات

بين الطرفين، وجد الفلاحون عوناً مهماً في معركتهم للدفاع عن أراضيهم ومصدر رزقهم في قائمقام ناحية طبريا الأمير أمين أرسلان 1041.

كما تجددت الصراعات بين مستوطني مستوطنة "سجرة" والقرى العربية المجاورة على خلفية الصراع بشأن ملكية الأراضي وحدودها، وتمسك الصهاينة بسياسة العمل العربي، فحدث صدام مسلح في نيسان/أبريل عام 1909، نجم عنه قتل ثلاثة من سكان سجرة، ويهودي من حيفا، وتوفي عربيّ جراء إطلاق المستوطنين النار عليه 1042.

رأى صحفة الاتحاد العثماني في كانون الأول/ديسمبر عام 1909، أن خير وسيلة لمواجهة النفوذ الأجنبي في فلسطين، هو إصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فيها 1043. كما دعت صحفة الأصمعي إلى شراء البضائع المحلية عوضاً من الأجنبية، وناشدت الممولين العرب تطوير التجارة والصناعة الوطنية 1044.

نادى نصار بالدعوى ذاتها عبر صحفة الكرمل، حين طالب بمقاطعة تامة لليهود، وذلك بعدم الشراء منهم، أو البيع لهم، وعدم تأجيرهم للبيوت، وقد كانت دعوة نصار ذات تأثير إيجابي، ونجحت في إثارة الفلاحين ضد اليهود 1045.

قام نادي "الإخاء الوطني" في نابلس، وفي خطوة تتم عن وعي خطر البعد الاقتصادي للصهيونية، بإنشاء صندوق اقتصادي للقيام بأعمال ذات مردود اقتصادي جيد 1046.

رصدت صحفة المقتبس النشاط الاقتصادي الصهيوني، وقدمت له صورة دقيقة من خلال ما نشرته في 15 آذار/مارس عام 1910، فكتب مراسلها في حيفا عبد الله مخلص، يقول: "لم يك يعلن الدستور حتى أخذت الأسرات الإسرائيلية المهاجرة تستثمر بالتجارة، وتحتكر الصناعة، وتزاحم الفقراء، وأنشأت الجمعية الصهيونية فيها فروعاً لبنك أنجلو- فلسطين في كل ثغور فلسطين المهمة، تعمل للإسرائيликين فقط... نرى معمل الصابون في حيفا، وبقية المعامل الميكانيكية التي يتولى أمرها إسرائيليون لا تستخدم العمال إلا من أبناء ملتهم، بل نرى الإسرائيلي لا يعامل مواطنه المسلم أو المسيحي ولو على أقل قليل، بل يظل مهرولاً حتى يصل إلى مخزن ابن دينه، ويشتري وبيع منه... نحن نكرر هذا الاتحاد والوفاق، ونتمنى لو ينسج عليه بقية مواطنينا، فالتعاون من الأسباب الحيوية التي ترقى بالشعوب، وتبلغ بها إلى قمة المجد والفخار" 1047.

توضح الصورة التي قدمها يوسف الحكيم لليهود في فلسطين- على اختلافهم- في عام 1910، هيمنته المالية والاقتصادية، فيقول: " جاء إلى فلسطين من اليهود الإسكانج عدد كبير ، استوطن بعضهم في ضواحي القدس خارج السور وفي يافا وبعض القرى المجاورة لها ولحيفا، وظلوا محظوظين بجنسياتهم للاستفادة من الامتيازات الأجنبية، فكان منهم في القدس تجار وصراخون ومديرو فنادق وأساتذة مدارس وأطباء وأرباب مهن حرة، كالخياطة وغيرها... لقد ظهر أن تعاون اليهود العالمي في الأمور الاقتصادية قد زاد المتاجر اليهودية في القدس نشاطاً مكناها من

مزاحمة غيرها، على الرغم من محافظة جميع اليهود على الاستراحة أيام السبت، وإغلاق مخازنهم ومصانعهم إغلاقاً يلفت نظر كل مارّ في أسواق القدس" 1048.

علّقت صحيفة جراب الكردي على اليمونة الصهيونية على اقتصاد فلسطين، بقولها: "خير لنا أن يأتي أصحاب الأموال من أي بلاد كانت وأي جنس كان ليستخر جوا كنوز أرضنا... وهو خير لنا من أن تبقى هذه الجواهر ضائعة، ونحن نتبرج بكلمة الوطن والوطنية، وجيوبنا أفلس من طنبرة أو رباب..." 1049.

كانت المؤتمرات الصهيونية وما كان يجري بحثه فيها من مواضيع تتعلق بالجانب الاقتصادي مدار اهتمام ووعي عربين لأهميتها؛ فصحيفة الهدى نشرت تفاصيل ما جرى في المؤتمر الصهيوني الثالث عشر المنعقد في مدينة بتسبرغ بنسفانيا- ونقلته عنها صحيفة الكرمل- في الأول من آب/أغسطس عام 1910، الذي كان من أهم مقرراته أن تجتمع اللجنة الإجرائية العظمى في الجمعية الصهيونية في العالم كله قريباً للنظر في أفضل الطرائق التي يقدر بها اليهود على الانقاض من الاستعمار اليهودي في فلسطين 1050. وقد اغتنمت الكرمل الفرصة لتوجه الخطاب إلى الأمة المعنية بالدرجة الأولى بحدث كهذا، لطرح عدداً من التساؤلات منها: وأنتم أيها المواطنون أي جمعية ألقتم؟ وأي شركة أنشئتم؟ وكم مؤتمراً عقدتم لتدرأوا عنكم الخطر الذي يهدد أراضيكم وتجاركم وجماعتكم من هذه الغزوة الاقتصادية العظيمة؟ بل، بأي عمل صغير قمتم؟ وبفلاحي أيه قرية اهتمتم؟ وأي بيع للأجانب منعتم؟ وأي احتجاج رفعتم، ولم تروعوا ولم تشف من تحته غایاتكم؟ 1051.

مع مرور الوقت، أخذ الوعي العربي لمواجهة التهديد الصهيوني الاقتصادي بالتطور، فبدأت خلال عام 1910 حملة منظمة لمقاطعة البضائع المصنعة في المعامل والمنشآت اليهودية، وتشكلت المنظمات التي حاولت ترجم حركة الاحتجاج 1052، وذلك رداً على مقاطعة اليهود للبضائع والأيدي العربية 1053.

كانت صحفتا المؤيد والعصر الجديد قد نشرتا في الأول من كانون الثاني/يناير عام 1910 مقررات المؤتمر الصهيوني المنعقد بهامبورغ، وأهمها رصد الأموال للمشروعات التجارية في فلسطين 1054.

أثار النشاط الصهيوني الاقتصادي غضب محمد كرد علي صاحب صحيفة المقتبس، وحفيظه، فكتب في 16 آذار/مارس عام 1910 يقول: "لا عجب إذا نزل الصهيونيون بخيلهم ورملهم يستعمرون البلاد، ويستثمرون كنوزاً نام عنها أهلها... إن من طبائع البلاد شيئاً يقال له الكسل، وخور العزائم... إذا سعينا إلى إزالتهم بالتربيّة والتعليم ننتمي بأرضنا... هذه الأمة اعتادت أن تتوقع كل شيء من الحكومة، فتريد منها أن تنظم زراعتها وتؤلف لها شركاتها، وتعلم أبناءها، وتعلمها كيف تتجه، إن المضي الذي يبديه جمهور الصهيونيين، والكسل الذي لا نخجل منه، هو الذي نعمر به فلسطين لكن بغيرنا، وعلى حسابنا" 1055.

استمر الوعي والتحذير من توسيع النشاط التجاري الصهيوني في المدن الفلسطينية، فنبهت صحيفة الاتحاد العثماني في 29 كانون الثاني/يناير عام 1910 إلى إفلاس البيوت التجارية الأصلية في يافا، وإلى استيلاء تجار جدد يهود على الوضع في

المدينة، وأضافت "لم تخل سنة من إفلاس أو إفلاسين، يذهب ضحيته عدد من التجار الوطنيين، فتهدم بيوت، كان من الواجب أن تعم وتترقي لولا ما أحاق بها من جهل أربابها، وانقسامهم على أنفسهم واستسلامهم لخدمة الأجنبي الذي يطمع في أموالهم".<sup>1056</sup>

تحت عنوان "الاستعمار الصهيوني"، نشرت صحيفة المقتبس سلسلة مقالات، وصفت فيه مهارة اليهود في الاقتصاد جاء فيها: "من أغار التاريخ لفترة ظهر له أن الإسرائيликين قوم جد وعمل، لا يحلون أرضاً إلا ويصبحون أغنياءها، فيستولون على تجاراتها وصناعتها، وعلى كل ما من شأنه الغنى والثروة، وحالتهم في أوروبا اليوم شاهد عدل على ذلك. وهم يقتلون أثر مقوله نابليون إنما يكون الظفر بثلاثة أولها المال وثانيها المال وثالثها المال، ومنها اشتتوا برنامجهم وسعوا في القرن الأخير إلى ابتزاز أموال كل من ليس منهم، ويظهر للمطلع على حال أوروبا الاقتصادية صدق القضية، فيعلم أن معظم الذهب هو في مصارفهم".<sup>1057</sup>

في العدد التالي، بتاريخ 6 أيلول/سبتمبر عام 1910، لخصت الصحيفة الممارسات التي يقوم بها اليهود للسيطرة على الاقتصاد، فقالت: "فهم يتلاعبون بالنقد، حتى إن النقود الذهبية التي تصل إلى أيديهم تضيع من بلادنا ضياعاً، فيبعثها الله حية تسعى في مصارف أوروبا الخاصة بالصهيونيين، فالذهب ذاهم، والمتأليك باقية في أيدي الوطنيين، وكلهم يعملون في جد ونشاط فلا تجد منهم أحداً بلا عمل، ولا يستخدمون أحداً من الوطنيين في مصانعهم وصناعاتهم العالية، إلا عند الحاجة، وذلك لا يكون إلا في الخدمات الرخيصة. ويسعون للقضاء على الصناعة الوطنية كصناعة الحجار، وذلك بإيجاد بدائل أجمل وأرخص. يتعلمون اللغة الوطنية العربية بسرعة كي يعرفوا كيف يبيعون ويشترون من الوطنيين، ولا يدعون صنعة أو تجارة تمازجها الحيلة إلا ويضعون أيديهم عليها، وهم يشتغلون بالزراعة على الأصول الأوروبية، فإن لهم في فلسطين أراضي واسعة جداً، تربتها خصبة وزراعتها متقنة، فإنك إذا مررت في أيام الرياح بمستعمراتهم تأخذك الدهشة والعجب حينما تسأل عن الأرض الطويلة النبت الجيدة التربة، فيقال لك: إنها لفلان المستعمر، حينما تشاهده راكباً فوق آلته التي تجوب الفدان الواسع الأطراف، فتحصد ما فيه بسرعة البصر بإتقان وانتظام، وتجهش بالبكاء حينما تسأل عن الأرض القاحلة القصيرة النبت فيقال لك: إنها لفلان المسلم أو لفلان المسيحي، وكلهم من الوطنيين حيث ترى العشرات منهم يقضون الأيام والليالي الطوال في حصد أرض صغيرة بمناجلهم القصيرة التي ورثوها عن أبيهم آدم".<sup>1058</sup>

نجد الصورة ذاتها في ما أوردته صحيفة المؤيد في 17 آذار/مارس عام 1910، فتحدثت عن الآلية التي يعمل وفقها الصهاينة: "يهم المتمولون منهم بتأليف شركات، وطلب امتيازات جديدة، وهذا يدلنا على أن حركة الأعمال آخذة بالاتساع".<sup>1059</sup>

كتب نجيب نصار في 18 حزيران/يونيو عام 1910، تحت عنوان "حاربوهم بسلاهم"، مخاطباً قومه وأمنته: "قوموا واقتحوا عيونكم، وانظروا في ما حولكم، في ما يحذق بكم من الأخطار، وقاوموا الذين ينماز عنكم بقاعكم بسلاهم، اقتدوا بهم

وتعلموا منهم... هم ألغوا الشركات المالية لشراء هذا الوطن منكم، فألغوا أنتم شركة مالية لتحفظ وطنكم لكم، وتقى تجاركم من خطر مزاحمتها،..أنظروا كيف يعطفون بعضهم على بعض، ويبتعدون عن الشراء منكم كي لا تتسرب دراهمهم إليكم، فاعطفوا على بعضكم ورروجوا صنائعكم وتجاركم لتبقى أموالكم لكم تتدالونها بين أيديكم. أفيقوا، فقد صار تاجركم يدفع أجرة مخزنه أضعافاً ولكنه يصرف نهاره (يكش ذبان) في المدن التي كثر بها تجار الأجانب، إلى متى يبقى غيننا لهم سمساراً، وآمرنا بأوامرهم مؤتمراً، وفغيرنا يذوق عذاب التضييق أشكالاً وألواناً؟“ 1060.

في 18 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910، كتب نصار يحذر من مخاطر الاجتياح الاقتصادي الصهيوني، موجهاً اللوم لأهلاها لتكاسلهم وتقاعسهم: “فلاطين بلاد تحوم حولها الأ بصار كما يحوم النحل حول الزهر، وذلك لأنها بلاد تجارية وزراعية عدا عن كونها الأرض المقدسة عند أصحاب الأديان جميعهم، وإن شئت قل لأن أكثريتها أهلاها نائمون لا يشعرون بالأخطار التي تحيق بهم، ولا يهتمون بإيقانها، والرزرق السائب يعلم الناس الطمع، وبعد هذا وذاك هل تفيقون أيها المواطنين من غفلتكم لتعلموا على خدمة وطنكم وتحفظوا كيانكم؟ اقترح على الصحف السورية أن تتناول هذا الموضوع وتخوض فيه وتكتب ما يبدو لها من طرق الإصلاح“ 1061.

كما اغتنم نصار فرصة رفض الحكومة مشروع الأصفر، لذكرى الأمة في 17 كانون الثاني/يناير عام 1911، “بأن المقاومة وحدها لا تعني فتيلاً، وهذا الفوز وقتي فقط،...فطالما الأمة نائمة لا تهتم باستثمار أراضيها وإحياء صناعات وطنية وتُوجد تجارة خصوصية، فمطامع الماليين والمستعمررين الأجانب تبقى حية، ويبقون واقفين بالمرصاد، فكلما سنت سانحة اغتنموها واستولوا على مورد من موارد رزقنا، وأضعفوا استقلالنا، فلتقم الصحافة وعقلاء الأمة بما عليهم، لينهضوا الشعب ويوقفوه في موقف الثبات في ميدان التزارع“ 1062.

دفع ضعف ردة الفعل العربية إزاء التحذيرات من النشاط الاقتصادي الصهيوني، ببعضهم إلى اليأس والقطوف من حال الأمة؛ فكتب أحد أهالي حيفا ويدعى بولس شحادة، في آذار/مارس عام 1911، قائلاً: “إذا كنا نرجو من الأمة أن تؤلف الجمعيات العمرانية يفني العمر كله، والفكر لم يخرج بعد إلى حيز الوجود. أين أمتنا من الأمة الإسرائيلية التي حنكتها الأجيال وعلمتها المصائب أن تتحدى وتنكأف للصلحة العامة وهي التي لا تزال تخزن الدرهم والدينار من قضى الله بتنشيتها بين أمم الأرض، لترد مجدها المسلوب وعزها المفقود، ولو لا اتحاد كلمتها ووجود قادة الأفكار فيها وتماسكها، لاندثرت كما اندثرت الأمم الغابرة، وأصبحت أثراً من بعد عين“ 1063. لقد قدم هذا الكاتب فهماً لأسباب الداء، وبرهن على وعي ما يحدث، وسبل مواجهته على الرغم من يأسه.

في تعليق ساخر حول إعجاب الحكومة التركية الجديدة (الاتحادية) بالسياسة والإدارة الألمانية، تساءل نجيب نصار في الأول من تموز/يوليو عام 1911، بقوله: “إن الحكومة الألمانية رأت لحفظ حياة البلاد الاقتصادية أن تتمي الصناعة،

وتنتشر البلاد بواسطة أهلها، أما حكومة حقي باشا فرغم شعفها بالإدارة والسياسة الألمانية لا تجد لها غنى عن الأموال الأجنبية، وبالحري الصهيونية، وهذه الأموال لنا أشبه بالطعم الذي يلقيه الصياد للسمكة، وهو بذلك يخالف الألمان الذين يحبهم كثيراً في سياسته، فقد صرخ من منابر سلانيك بأن أعاذه رجال الدولة العسكريين والإداريين والسياسيين والاقتصاديين سيكونون من اليهود”<sup>1064</sup>.

أثار نائب بيروت رضا الصلح في جلسة مجلس النواب في آذار/مارس عام 1911، مسألة سيطرة اليهود على اقتصاد البلاد، ورفضهم دفع الضرائب بحجة أنهم أجانب يتمتعون بالامتيازات<sup>1065</sup>.

كما تحدث نائب القدس روحى الخالدي في جلسة مجلس المبعوثان في 3 أيار/مايو عام 1911، عن دعوة هرتزل إلى تأسيس بنك صهيوني، ثم قامت بتأسيسه نقابة اليهود المتحدة، وكان رأس ماله ملياراً من الفرنك<sup>1066</sup>.

أسهبت صحيفة فلسطين في استنارة الوعي العربي لخطر الصهيونية الاقتصادي؛ فتحدث تحت عنوان: ”المهاجرون وغلاء المعيشة“، في 29 أيار/مايو عام 1911 عن الأوضاع المتردية في يافا، وعزت ذلك إلى الزيادة في عدد المهاجرين، فقالت: ”نراهم احتلوا أكثر أسواق البلدة، واستأثروا بمخازنها والتي تأخذ جميع لوازمهما من بائعهم وصانعهم وتاجرهم، بدون أن يتذلّلوا هم لأحد من بائع وصانع وتاجر غيرهم، فحصل جراء ذلك عدم تكافؤ في كفتي ميزان العمران“<sup>1067</sup>.

خلال عام 1911، اتّخذ الوعي العربي لخطر الصهيوني الاقتصادي سبلاً عملية لمواجهته؛ فتشكلت في يافا جمعية عربية أعلنت عن تأسيس الشركة الاقتصادية التجارية، وكان من أعضائها سليمان الناجي الفاروقى وال حاج حيدر و محمد أمين الحسيني<sup>1068</sup>، وحدّت غايتها في العمل ضد اليهود ونشاطهم، وقد حذرت إحدى الصحف العربية من خطورة هذه الجمعية<sup>1069</sup>. لكن تأسيس هذه الشركة لاقى تحفظاً من قبل بعضهم، كصلاح الدين القاسمي الذي حذر من أن تتحول هذه الشركة ”التي يدعون أنها وطنية عثمانية إلى أداة بيد الصهيونية، ما دامت الأسواق المالية مفتوحة أبوابها، وتعرض أسمها لكل طالب“، مؤكداً أن للصهيونية في معظم المصارف أيدي عاملة تسعى إلى خدمة مصالحها<sup>1070</sup>.

تكمّن أهمية حديث القاسمي، ليس في تتبّعه القائمين على الشركة للحذر من السقوط في براثن الصهيونية فقط، بل في جانب آخر مهم جداً، ألا وهو فضح أساليب الصهيونية في السيطرة على الأسواق المالية، وهو جانب؛ قلة هم من استوقفهم.

أما الحزب الوطني الذي تأسس في يافا، صيف عام 1911، الذي اعتبر خطوة تنظيمية مهمة في الوعي والتوعية لخطر الصهيونية عموماً، فقد خلا برنامجه من أي إشارة إلى الجانب الاقتصادي في هذا الصراع وسبل مواجهته<sup>1071</sup>.

أثارت القرارات التي اتخذها المؤتمر الصهيوني في بال عام 1911 اهتمام صحيفة الهدى التي نشرت تحت عنوان ”الصهيونيون في فلسطين“ تفاصيل الكلمة التي ألقاها رئيس وفد الاتحاد الصهيوني الأمريكي إلى المؤتمر - ونقلتها صحيفة المقتبس

في 13 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1911- وتحدث فيها عن القرارات التي اتخذها، والتي تمحورت حول شركة تشييد الأراضي الفلسطينية، وإنشاء مصرف زراعي، يحق بموجبه لكل إسرائيلي يمتلك خمسة دولارات الاقتراض من المصرف مبلغاً طائلاً، وهذا المصرف هو فرع للمصرف الإنكليزي- الفلسطيني، "وذكر بأنهم انتقاموا انتقاماً لطيفاً من النواب العثمانيين الذين حاولوا التقليل من شأن الصهيونية والقائمين بها، وذلك أن ناظر النافعة أرسل لجنة خصوصية لدرس أحوال الزراعة في فلسطين، فرفعوا له تقريراً قالوا فيه إن كل ما رأوه في فلسطين من الأشياء التي ترمي إلى تحسين الأحوال الزراعية هناك، وإدخال الوسائل النافعة فيها كان في المستعمرات الصهيونية" 1072.

على الرغم من عدم تعلق الصحيفتين على هذه المقررات والأقوال، أو تحليلها، إلا أن نشرها من قبل صحيفة الهدى، وإعادة نشرها من قبل المقتبس يشيران إلى إدراكهما خطورتها، ومحاولة منهما للتتبّع إلى خطورة التغلغل الصهيوني، والتناغم مع الاتحاديين، وفي الوقت ذاته تحفيز أهل البلاد على الاقتداء بالعدو، والاستفادة منه بما يفيدهم في معركتهم معه.

ثمة حقيقة أخرى لفتت صحيفة الكرمل النظر إليها، في كانون الأول/ديسمبر عام 1911 بخصوص مسألة الصراع العربي الفلسطيني- الصهيوني على الصعيد الاقتصادي، وهي تأكيدها أن الصهيونين أنفسهم لا ينكرون أن الفلاح العربي أضعف من أن يتمكن من مزاحمتهم مادياً وفنياً، وعلى ضوء ذلك تساءلت الصحيفة كيف يمكن التوفيق بينهم وبينه ما دامت مصلحتهم مناقضة لمصلحته؟ فالخوف ليس في عدد الصهيونيين، وإنما بضعف الفلاح المسكين إزاء الصهيونيين 1073.

انطلاقاً من هذه الرؤية، كرست الكرمل وصاحبها نجيب نصار الجهود للنهوض بالفلاح الفلسطيني، ووجهت الدعوى إليه لتحسين أساليبه في الزراعة، وغرس الأشجار في أراضيه، والاقتداء بالمزارع الصهيوني، والدعوة إلى العمل على نهضة شاملة للبلاد بإنشاء جامعة وطنية لصلاح الأحوال الاجتماعية، ورفع شأن المزارع والعامل والصانع، ومراقبة التعليم الابتدائي، والحكومات والموظفين، وإنشاء جمعيات علمية وشركات زراعية وتجارية وصناعية، وترجمة هذه الدعوة إلى أعمال 1074.

بدوره، حذر رفيق العظم في 11 كانون الأول/ديسمبر عام 1911 من سيطرة رأس المال الصهيوني على فلسطين، فقال: "ماذا تسع فلسطين من قوة ومال وعمل أغنياء اليهود ومالهم وتجارهم الذين ضاقت حتى الممالك الكبرى عن استثمار رؤوس أموالهم، فبماذا يستثمرونها في فلسطين إذا هاجروا إليها؟" 1075. على الرغم من أهمية طرحه هذا، إلا أنه عاد ليؤكد أن خطر الصهيونية الحقيقي في فلسطين يمكن في رفضهم التابعية العثمانية، وإصرارهم على التمسك بتباعيّتهم الأجنبية، وما يتترتب على ذلك من تدخل هذه الدول في شؤون الدولة من أجل حماية هؤلاء في حال حدوث أية مشاكل، والامتيازات التي يحصل عليها هؤلاء جراء هذه التابعية أو الجنسية 1076.

أثارت أقوال العظم هذه، سلسلة من ردود الفعل بين معارض ومؤيد؛ فلاقت استحساناً لدى الأوساط الصهيونية، حيث أثني الصهيوني سليمان يلين في صحيفة لسان الحال عليه، وأكد أن ما يريده اليهود هو إيجاد مزارع لإيواء اليهود المضطهدين، فالبرنامج الصهيوني اقتصادي بحت ليس له وجهة سياسية. وأيده في قوله هذا نسيم ملول الكاتب الصهيوني 1077. في حين، رد نجيب نصار في 20 كانون الأول/ديسمبر عام 1911 على مقوله العظم، بقوله: "إن اليهود متى تملعوا واستولوا على موارد الرزق، قاموا بفتنه تضطر أوروبا إلى المداخلة في شؤونهم، ولا يعلم إلا الله ما حالهم من النفوذ في أوروبا" 1078.

انتقدت صحيفة المنادي في 2 نيسان/أبريل عام 1912 وجهاء القدس وأعيانها لتطاحنهم في ما بينهم "فبنبت كل شيء غيره من شؤون دولتها وبلادها وأمتها، فخسرت أموالها الموروثة، وفتحت السبل لتدخل الأجانب في بلادها ومزاحمتها العيش.. يفضل الشاب من أبنائنا وظيفة في دائرة من دوائر الحكومة على تجارة يتعاطاها ويكسب منها الثروة، ليكيد لمن يناظر عائلته" 1079.

في 12 حزيران/يونيو عام 1912، أوردت صحيفة فلسطين خبر قدوم باخرة نمساوية على متنها 420 إسرائيلياً يمنيًّا جلبهم وكلاء المستعمرات، وأرسلوهم إلى المستعمرات الإسرائيلية للاستغناء عن الفلاحين الوطنيين 1080.

جددت صحيفة المنادي في 13 حزيران/يونيو عام 1912 مطالبتها المتصرفة الجديد مهدي بك، بضرورة الإصلاح في مجال الزراعة والصناعة 1081، وفي 15 تشرين الأول/أكتوبر عام 1912، أوضحت الصحيفة ذاتها أن الأرض هي الهبة التي منحها الله للفلسطينيين، و"كنز كتب الله أن لا يفتح إلا على أيدي غيرنا من الأجانب والمستعمرات الإسرائيليين الذين عرموا أسرارها وحفظوا طلاسم فتحها وهي المال والعلم، فهل لحكومتنا أن تمدنا بهذين السرين، فتكثر في قرانا المدارس الابتدائية، وفي مدننا المدارس الزراعية والصناعية، وتسهل علينا اقتراض المال والاستغلال في الأراضي" 1082.

تصدت إحدى الصحف العربية الصادرة في فلسطين لتشكيك صاحب صحيفة المنادي بمقاصد الصهيونية، بقولها: "وليبحث حضرته إذا أراد أن يتتأكد نفع الإسرائيليين في بلاده عن حالة فلسطين قبل أربعين عاماً وحالتها اليوم، فيتمثل له الفرق، ويتأكد أن اليهود هم أعظم عامل لرقي بلاده" 1083. لكنّ صحيفة المنادي فندت هذا الإدعاء بتأكيدها: "أن الصهيونية هي أم المسائل التي سدت الرزق في وجه الوطنيين، وجعلت الأهلين في ضيق من الأعمال، وفقر مدقع، وانحطاط في المجموع عاقبته الانقراض والدمار" 1084.

استوقف مراسل صحيفة المنادي في جولته في الأراضي الفلسطينية، ما شاهده في بعض الأراضي التي تعود للصهاينة ذات الترتيب والزراعة والتقطيع والنوعية، وهو ما نقله لصحيفته التي علقت بدورها في 26 حزيران/يونيو عام 1912 على هذا التقرير، بقولها: "وإننا نلام كثيراً إذا كررنا هذا الشعب العامل، ونلام أكثر إذا نمنا عن مقاومته ومجاراته في أعماله، وسد أبواب الرزق في وجهه بمنع البيع منه،

فمتى يا ترى نزاحم هؤلاء المستعمررين الذين جاءوا إلى بلادنا، وأخرجونا من أرضنا... وموتونا في فقرنا، فيُضطر رجالهم إلى الرجوع إلى أوطانهم الأخرى، أغلب الظن أن ذلك أبعد من نيتون، وأصعب من كل ممكناً" 1085.

قدمت مجلة المقتبس عام 1912 صورة لما كانت عليه الأوضاع الاقتصادية في كل من العراق وسوريا وفلسطين، وتوضيح الهيمنة التي كانت لليهود على الحياة الاقتصادية، وذلك من خلال سلسلة بعنوان "بين الشام وال العراق"، ذكرت فيها "أما اليهود فلا شأن لهم يذكر في بيروت ودمشق في ما يتعلق بالتجارة، ولكن سطوتهم ظاهرة في فلسطين، فقد أصبح زمام التجارة في قبضتهم، كما هي الحال في بغداد والبصرة، فالمسلمون هناك ضعفاء وقليلو الجرأة والخبرة في التجارة وشيوخون الاقتصاد، ولذلك تمكّن الإسرائييليون من ناصية الثروة العراقية، فامتلأت صناديقهم باللجين والنصار، ولليهود في بغداد شركات كبرى لها معامل كثيرة في أوروبا والهند، فالمسلم يكدر يمينه ويعرق جبينه تحت حرارة الشمس وبرودة الهواء والرابع والأمطار والثلوج، واليهودي في حانته ومخزنه في رفاهة وترفة يبتز منه ثمرة عمله وسعيه ببضائع فرنجية يبيعه إياها بأضعاف أثمانها، وهو يجهل قيمتها الحقيقة، وفي استطاعة المسلمين في بغداد والبصرة أن يوقفوا هذا السيل الاقتصادي الإسرائيلي بتأليف شركات تجارية تقاوم شركات الإسرائييليين، أو تشارطونهم مكاسبهم على الأقل، ولكنهم انغمموا في الملذات والشهوات بدل أن يفكروا في ما يضمن لهم السيادة في المستقبل، وأعرف كثيراً من المتمولين في البصرة وبغداد لا يقل ريع أحدهم عن عشرين أو ثلاثين ألف ليرة سنوياً ينفقونها على السفاهات والخلعات في الهند أو بين جدران قصورهم.. فيصبح المالك الموسر في البصرة رازحاً تحت أثقال الديون، حتى يضطر إلى بيع أملاكه وأطيانه صفقة خاسرة، ولو كان لليهود صلة مع العرب والفلاحين، أو لو لم تكن عصبية الشيعة ل كانت أكثر أملاك المسلمين تنتقل إلى تصرف اليهود، فهذه العصبية هي التي أقامت لنا هذا الشبح الذي حفظنا به شرفنا الحالي ولو بالاسم فقط. أما في دمشق وبيروت، فإن ضعف اليهود الاقتصادي هو كضعفهم في الموصل وكركوك، وهذا يدل على أن المسلمين في هذه الحواضر شعروا بضرورة الاعتماد على النفس، ولذلك فاليهودي في دمشق لا يستطيع مواجهة هذه المجموعة العاملة فيقتصر صفوها ويده أقصر من أن تمتد إلى المصارعة والمكافحة" 1086.

شهد عام 1913 تحولات وتغيرات كثيرة كرست التغلغل الصهيوني الاقتصادي، وفي الوقت ذاته زادت من درجة الوعي العربي له؛ فمن الأساليب التي اتبعتها الصهيونية للسيطرة على الأسواق التجارية، تلك التي حدثت في كانون الثاني/يناير عام 1913، والتمثلة بإحداث فوضى تجارية في أسواق القدس استمرت أسبوعين، من خلال ضخ كميات كبيرة من النقود المعدنية (المتاليلك)، مما أدى إلى تناقص قيمتها، حيث وجد التجار وأرباب الأعمال المالية أن كل ما يدخل إلى أيديهم من المال من نوع (المتاليلك) وحده، في حين أنهم يطالبون عند الدفع إلى البنوك والتحويل النقدي للبلاد الأخرى بالذهب الخالص والليرات، وكان من تأثر بهذا

الأمر صغار التجار الذين اضطروا إلى الزيادة على أثمان أشيائهم وبضائعهم لتعويض الزيادة في صرف الليرة 1087.

كانت صحيفة المنادي من أوائل من تبّه إلى هذه القضية وخطورتها، فعرضت تفاصيلها وأبعادها وأساليبها وذلك من خلال افتتاحيتها، ثم في صفحة تالية وتحت عنوان "ذيل للافتتاحية"، أشارت إلى أن هذه الفوضى أدت إلى مهاجمة أحد التجار الفلسطينيين، "الذي نظن أنه السبب في هذا الحادث، وأن جماعة رؤساء الصهيونيين الذين يأتّرّ بأوامرهم، ويسير بإشاراتهم هم الذين دفعوه إلى إثيّان ما آتاه، وإلى إرسال أحد المنادين ينادي بهبوط أسعار المتاليلك" 1088.

في محاولة منه لمواجهة الضعف البنيوي الاقتصادي لدى الفلسطيني؛ سواء كان فلحاً أو تاجراً أو عملاً، اقترح نجيب نصار في أيلول/سبتمبر عام 1913- وعبر نداء إلى أبناء فلسطين الأحرار الشرفاء والغيورين- عقد مؤتمر لأجل تنظيم جامعة عربية فلسطينية، تهتم بإحياء التجارة وإنهاضها، وبالزراعة والتعليم 1089.

كان من الممكن لهذه الدعوات- لو تم تطبيقها ومتابعتها- أن تكون من أكثر الخطوات فاعلية من أجل مواجهة التهديد الصهيوني للاقتصاد الفلسطيني. ولكنها كانت دعوات ذات نفس قصير لم تتصمد، ولم تجد من يدعمها لتكون مجدها وفاعلاً.

هذا الضعف في الأداء من أجل التصدي للهيمنة الاقتصادية الصهيونية، لم يمنع من وجود قنوات متعددة للتعبير والتحذير من هذا الخطر؛ ففي البرقية بعث بها نخبة من أولي الفصل في سوريا إلى الصدر الأعظم في آذار/مارس عام 1913، أكدوا أن اليهود الصهاينة "يستعمرون الحياة الاقتصادية في كل بلد ينزلونه... هذا الاستعمار الذي يؤدي بالبلاد إلى الخراب العاجل" 1090.

خلال محادثات التقاهم التي جرت بين الإصلاحيين العرب والصهاينة عام 1913، شغل الجانب الاقتصادي حيزاً كبيراً فيها، ويتبّع ذلك من خلال اللقاء الذي أجراه مراسل صحيفة المقطم في الأستانة مع زعيم صهيوني، والتي جاءت تكراراً لما صرّح به الصهاينة سابقاً، وال المتعلقة بالنتائج المترتبة على الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وكانت حجة الصهاينة في تبريرها استمرارها أنها ستقتصر على الفقراء المضطهدين، وستعمل على ترقية الوطنيين وتنمية ثروتهم، وبأن الصهيونيين حرّضوّن على عدم إلحاق الضرر بالفلاح 1091.

رأى صحيفة الكرمل في المؤتمر العربي المنعقد في باريس في حزيران/يونيو عام 1913 وسيلة لنهضة البلاد، وتأليف جبهة واحدة من العرب للوقوف أمام الخطر، فهي ليس قضية احتجاج أو معارضة بل دعوة إلى النهوض، وتقدم صاحبها نجيب نصار باقتراح خاص إلى أعضاء المؤتمر لتأليف جمعية إصلاحية اجتماعية تكون أهم واجباتها إصلاح المدارس وتأليف نقابات زراعية صناعية واجتماعية، على أن يخرج المؤتمر بمادة حية وينسج فيه على منوال مؤتمر بال: "بقي الشعب اليهودي مشتتا 2000 سنة حتى قام هرتزل ودعا إلى عقد مؤتمر، وتولدت فكرة تأمين جمعية صهاينة بتقريعاتها، وتمكنت في 15 عاماً من نشر التعليم على قاعدة قومية، وشراء أراضي فلسطين، وجمع كلمة اليهود، وفتح مصارف لتأليف

المزارعين، فإن نسجنا على هذا المنوال نجحنا، وإلا فلا خير فينا ولا في مؤتمرنا"1092.

وبدلاً من تحقيق الأمال الكبيرة، كان هناك سكوت مطبق من قبل المؤتمرين، وتم تجاهل البرقيات من عشائر ومزارعي أراضي الغور، مع ما فيها من مشاعر التخوف على حياتهم الاقتصادية1093. وكانت وجهات نظر الإصلاحيين العرب متباينة في ما يتعلق بهذا الخطر؛ فالشيخ أحمد حسن طبارة صاحب جريدة الإصلاح رأى فيه خطرًا مزدوجاً سياسياً واقتصادياً، فالخطر ليس في عدد الصهيونيين، وإنما في ضعف الفلاح العربي إزاء مراحتهم مادياً وفنياً له1094.

أما رفيق العظم، رئيس حزب الامركزية فقد شك في جدية الظروف الصهيونية، وذلك لأن النازحين اليهود لا يقدمون دليلاً على سعيهم إلى الاتحاد مع إخوانهم العرب، وهم في عزلة تامة، وإذا ما أراد الصهاينة الاتفاق مع العرب، لا بد من المبادرة إلى التعاون معهم، ومراعاة حالة أهل البلاد الاقتصادية، وأن يكونوا عوناً لهم، وأن لا يعولوا في ضمان مستقبلهم في البلاد على غير أهلها الذين يريدون مشاركتهم في وطنهم1095.

في السياق ذاته، اشترط عبد الحميد الزهراوي لقبول الوجود الصهيوني- والذي كان يراه ضرورياً لرقي البلاد- قبولهم الجنسية العثمانية، وعدم طردتهم الفلاحين العرب من الأرض التي يشتريها الإسرائيليون1096.

وجه محمد رشيد رضا الاتهام إلى جمعية الاتحاد بأن لها دوراً كبيراً في هيمنة الصهاينة الاقتصادية، وذلك من خلال بيعهم الامتيازات الزراعية والصناعية والتجارية، وما فيها من السمسرة وغير السمسرة، وبأنها جعلت في وزارتها الجديدة ثلاثة وزراء من حزب اليهود الصهيوني1097، "وجعلت في أيديهم نظارة النافعة ونظارة الزراعة والتجارة أي ينابيع الثروة، وسيكون هذا مبدأ عداوة بين اليهود والعرب، ربما أدى إلى سفك دماء وتخريب كل ما يمكن اليهود بهذه الوسائل الاتحادية غير المشروعة"1098. ويستخلص من قول رضا أن ما سيؤدي إلى الصدام المسلح بين العرب والصهاينة هو الثروة.

عرضت مجلة الهلال في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1913 أهمية الجانب الاقتصادي في الفكر الصهيوني وفي تطبيقه، وذلك من خلال قولها: "إن دور المعتقد الديني- اليهودي في جمع الصهاينة لليهود لا يكفي، وبأن هذا العامل لا يكفي لاجماع الأمة إن لم يتوقع أصحابها نفعاً اقتصادياً أو سياسياً من ورائها، أو أن يدفعهم للعمل جوع أو اضطهاد أو ظلم"1099. كما أكدت صحيفة المقبس في 25 كانون الأول/ديسمبر عام 1913 على أن "الصهيونية ترمي إلى القضاء على اقتصادنا وسياساتنا"1100.

اشتدت خلال عام 1913 المقاطعة الاقتصادية الصهيونية للبضائع والأيدي العاملة العربية، وهو ما أدى إلى عدد من الاشتباكات في عدة مناطق، ويبدو أنها كانت من الشدة بحيث طالب الحاخام باشي في أيلول/سبتمبر عام 1913 الباب العالي بالتدخل لحماية المستوطنات1101. وكرر الزعيم الصهيوني ناحوم سوكولف (Nahum)1102.

(الطلب ذاته في مقابلة أجرها مراسل المقطم معه في نيسان/أبريل عام 1914) Sokolow 19141102.

بلغت الأوضاع الاقتصادية للشعب الفلسطيني أسوء حالاتها في عام 1914، نتيجة النشاط الصهيوني الاقتصادي والإنجازات الصهيونية المتزايدة؛ فأشارت مجلة المقطم في كانون الثاني/يناير عام 1914 إلى أحد هذه المنجزات وما حققه من نجاح، وهي دار البحث الزراعي التي أُسست عام 1909، ومديرها هارون أرنсон (بن هارون)، الذي استطاع أن يكتشف القمح البري أو جنين القمح 1103، وهو ما اعتبرته المجلة من الأعمال الزراعية المفيدة التي عملها الإسرائيليون، وبأن التقدم الزراعي والعلمي لليهود، "وصل درجة تصدير مزروعاتهم من يافا إلى الأستانة ولندن وأمستردام وليفربول" 1104.

على الرغم من تأزم الأوضاع الاقتصادية بالنسبة إلى الفلسطينيين، إلا أن ذلك لم يمنع صحفة لسان الحال من وصف روتشيلد خلال زيارته مصر وفلسطين في شباط/فبراير عام 1914، "بالمحسن الإسرائيلي الكبير"، ولا سيما أنه يتوقع أن ينشئ مستشفى للعيون في يافا، وأنه سيتفرد أحوال اليهود في القدس 1105، وأنه منح إثني عشر مليون فرنك للمزارعين الإسرائيليين في فلسطين، على أن يسدد على أربع وعشرين سنة من دون فائدة" 1106. ولم يفت الصحيفة الحديث عما و/he هذا المحسن من أموال المسلمين؛ إذ ذكرت بأنه سيدفع معونة إلى رؤساء المدارس الإسلامية، وذلك عبر بنك الأنجلو- فلسطين 1107.

تحدثت مجلة المنهل عن هذه الزيارة في مقال بعنوان "عمان القدس مال جديد دخل إليها"، مشيدة بما قدمه من تبرعات للجمعيات والمشروعات للأسر الفقيرة الإسرائيلية بلغ خمسة ملايين فرنك، وتبرعه بخمسين ليرة للحرم الشريف وخدمه، إذ علقت على هذه الزيارة بقولها: "لا ريب في أن هذه الأعمال داعية لانبساط حركة العمران في هذا البلد ودخوله في حرفية جديدة" 1108. هذا ما رأته المجلة في مثل هذه الزيارة، من دون أن يستوقفها كيف تصرف هذه الأموال، وأين.

أثارت المنجزات الصهيونية التنموية والاقتصادية صحفة لسان الحال، التي اعتبرت أن ما يقوم به الصهاينة من تنمية المستوطنات، هو من باب الاجتهاد الذي يجب أن تكون نتاجه ميراث الأرض، وبهذه الصيغة جاء مقالها تحت عنوان "الأرض ميراث المجتهدين" في 15 أيار/مايو 1914، وفيه أبدى كاتب المقال استغرابه "من تسابق الغرباء لتعمير بلادنا، ونهجها نحن طلباً للرزق، فالمستعمرات الإسرائيلية الآن نحو ستين مستعمرة، كانت بين أيدي المواطنين خرابةً، وكانت الأموال الأميرية المفروضة على بعضها بين سفح جبل الشيخ وغزة تدل كل واحدة على مقدرة الإنسان العظيمة في الثبات والاجتهاد، فمنذ نحو خمس عشرة سنة كانت خمسين ليرة، وأصبحت الآن ألفين، تلخص هذه المستعمرات قرى الوطنين المهملة الخربة، فيسير الفريقيان على القاعدة الطبيعية أي تقدم المجتهدين وتقهقر الكسالى الخاملين، وتكون النتيجة على مر الأيام بقاء الأنساب وانقراض غير المناسب، كما حدث في أستراليا وأمريكا" 1109.

دفع سوء الأوضاع الاقتصادية في فلسطين، وما يتهددهم من منافسة صهيونية، بعدد من الوجهاء وتجار القدس وبيافا وغزة إلى توجيهه نداء إلى المنتدى الأدبي في اسطنبول، ولصحيفة بيلام التركية لمساعدة شعب فلسطين، لمواجهة التهديد الذي يواجه الفلاح والناجر وموظفو الحكومة الفلسطيني بسبب المطامع الصهيونية، ومناشدته العمل ضد التيار الصهيوني الذي يحتاج موارد الفلاح الاقتصادية، وألفت الانتباه إلى نفوذ الحركة الصهيونية في دوائر الحكم في القدس 1110. وقد تعرض الموقعون على هذه البرقية للمقاطعة من قبل بنك أنجلو- فلسطين، مما اضطرهم إلى سحب توقيعهم، بل إنكارها، ليرفع البنك المقاطعة عنهم، وذلك باستثناء تاجر واحد رفض سحب توقيعه، ومن ثم بقي يعاني آثار مقاطعة البنك له 1111.

علقت صحيفة فلسطين على ذلك بقولها: "إن المقاطعة ليست سلاحاً جديداً، ولكنها أصبحت في المدة الأخيرة صارمة، فاليهود لا يشترون من المسلمين والمسيحيين، ويندر أن يعثر على أثر للعمال المحليين في المشروعات اليهودية" 1112.

أصبح موضوع التهديد الاقتصادي الصهيوني والوعي لخطورته في صلب البرامج الانتخابية لمرشحي مجلس المبعوثان؛ فسعید الحسيني تعهد في برنامجه الانتخابي في نيسان/أبريل عام 1914 بالاستمرار في نهجه المقاوم الصهيونية، معتقداً الحكومة لتأخرها عن محاربتها لأنها تشكل خطراً اقتصادياً وسياسياً على السواء، وقد عُرف عن الحسيني معارضته للصهيونية ومعداتاته لها، منذ بدايات القرن العشرين، وقد أتاحت له معرفته باللغة العبرية الاطلاع على الكتابات الصهيونية، وكان قد تولى رئاسة بلدية القدس عام 1905، ثم اختير نائباً عن المتصرفة في أيلول/سبتمبر عام 1908 1113.

خلال هذا العام، استمرت محاولة ترجمة الوعي العربي للخطر الصهيوني الاقتصادي إلى ردود عملية، فتأسست في أيار/مايو عام 1914 جمعية سرية (جمعية مكافحة الصهيونية)، أسسها الفلسطينيون في الأزهر الشريف، وكان في مقدم أهدافها تشطيط ومؤازرة المشروعات الاقتصادية والتجارية والزراعية، وتوسيعية المزارعين وال فلاحين بحيث يتمكنون من حماية أنفسهم من أخطار الصهيونية 1114.

ووجهت الكرمل نداء عاماً في 7 حزيران/يونيو عام 1914- في محاولة منها لمواجهة الهيمنة الصهيونية الاقتصادية- ناشدت فيه أهالي البلاد "العمل على تطوير الصناعات الوطنية، وعدم التعامل تجاريًا إلا مع مواطنكم كما يفعلوا هم، فهم لا يتعاملون مع المسلمين والمسيحيين، وعليكم أن تغرسوا في قلوب السكان، ولا سيما الشباب منهم، حب ممارسة الأعمال الزراعية والتجارية والصناعية" 1115.

عشية الحرب العالمية، كان هناك تغيير في الأوساط المالية والمصرفية بالنسبة إلى الصهيونية استمرت طوال سنوات الحرب، فأنشأت بنوك أوروبية، لأول مرة، فروعًا لها في فلسطين، منها البنك العثماني، والشركة الأنجلو- فلسطينية 1116. كما أدت الحرب، واشتراك الدولة العثمانية فيها، إلى القضاء على ما تبقى من قوى

ال فلاحين ، ومصادر المحاصيل بالقوة ، فقدت البلاد كل ما يمكن أن يساعدها على التأهب لمواجهة ما كانت تدبره الصهيونية العالمية 1117. على سبيل المثال ، أدت صعوبة الأوضاع الاقتصادية بعثارات حيفا العريقة إلى بيع أراضيها في المدينة والجبل بأسعار زهيدة جداً متأثرة بالكساد 1118.

قدم "صندوق استشكاف فلسطين" في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1914 تقريراً لأحد كتابه حول الأحوال التجارية في فلسطين ، وأشار فيه إلى أن أغلبية التجارة في صفد بيد اليهود ، وأن الجزء الأكبر من تجارة الصيد في الخليل الأعلى بيد يهود صفد ، وأن هناك نية تتجه إلى إنشاء طريق معبد بتكلفة خمسة وأربعين فرنكًا ، وأن الأموال قد تم توفيرها من خلال المنظمات والجمعيات اليهودية 1119.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



## خاتمة

من خلال ما سبق، خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

- كان لطبيعة الأوضاع الاقتصادية والثقافية والتعليمية والاجتماعية السيئة، التي عاشها العرب إبان المرحلة العثمانية الأخيرة، دور في درجة الوعي وردة الفعل العربية على الخطر الصهيوني، وكيفية تعامل العرب مع الخطر الصهيوني.
- برزت خلال المدة التي أعقبت الدستور - وهيمنة حزب الاتحاد والترقي على السلطة - أولويات بالنسبة إلى العرب فاقت في خطورتها وأهميتها التهديد الصهيوني، وفي مقدمها سياسة التترىك ومحاربة العنصر العربي وتهميشه، ويتجلّى هذا الأمر في أوضح صوره في مرحلة انعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس في حزيران/يونيو عام 1913، والدعوة إلى التقاهم مع الصهيونية، التي بناها ورحب بها صفوّة قادة الحركة العربية آنذاك.
- كان للصحافة العربية الصادرة داخل البلد العربية أو في المهجر أو في الأستانة، دور بارز ومهم في التبيّه إلى خطر الصهيونية، وكشف أبعادها وممارساتها لتنفيذ مشروعها، ولا سيما في فلسطين. لم تكن الأوساط العربية في نظرتها ووعيها الفكرة الصهيونية بالمستوى الذي يرقى إلى درجة خطورة المشروع الصهيوني على الوجود العربي والبلدان العربية؛ فإن رصد مذكرات رجال الحركة العربية ونشاطهم وتحركاتهم آنذاك، ولسنوات لاحقة، يدل على قصور واضح ليس في المعرفة بالصهيونية، بل بالوعي لخطورتها وسبل مواجهتها، أو التغافل عن هذا الخطر وإنكاره، وليس أدلة على ذلك مما ورد في مذكرات أسعد داغر الذي يدل على حجم الاهتمام من قبل قادة الحركة العربية بهذا الخطر آنذاك.
- غياب موضوع الخطر الصهيوني عن برامج الأحزاب والجمعيات العربية، باستثناء بعض منها.
- على الرغم من ضيق نطاق المعرفة والوعي العربي بأهداف الصهيونية وخطرها، إلا أن نوعية الأشخاص الذين اطلعوا على هذه الأهداف عبر قنوات مختلفة، ومستواهم الثقافي والسياسي والاجتماعي، كان يفرض عليهم أن يكونوا فاعلين أكثر في مقاومتها، وفي نشر وعي خطرها؛ إذ لم يكن يُنتظر من الفلاح أو التاجر أو المواطن العادي الذي يعني القهر والفقر والجهل أن يتصدّى لهذا الخطر، وذلك على الرغم من أن بعض هؤلاء - وخصوصاً في فلسطين - كانوا في حقيقة الأمر في مواجهة يومية مع هذا الخطر من خلال الاستيطان والهجرة والاستيلاء على الأراضي والعمل.
- لم يكن الوعي العربي للخطر الصهيوني مؤسسيّاً قائماً على منهجية محددة علمية وعملية، بل كان عشوائياً وفردياً وموسمياً، يرتبط بطبيعة كل مرحلة وظروفها. في حين أنّ الصهيونية كانت على العكس من ذلك تماماً، فكانت مؤسسيّة وبنائية في صياغة مشروعها وتطبيقه، وتعديل ما يحتاجه من تعديل، وذلك من خلال المؤتمرات الصهيونية المنعقدة من أجل هذه الغاية.

- شكلت الأعوام: 1909-1913 أعوام الفرص الضائعة بالنسبة إلى العرب، وكان أبرزها مؤتمر باريس أو المؤتمر العربي الأول.

- إن تعليل ضعف الوعي والرد العربيين، بجهل العرب حقيقة الصهيونية ومراميها منذ تأسيسها، أمر غير مقبول؛ فهم علموا بها ولم يعلموا على مواجهتها، فقصر الوعي حيناً، وقصر العمل أحياناً كثيرة. إذ ليس المهم من علم أو اطلع من العرب على الصهيونية وخطرها، بل الأهم من ذلك درجة وعي هذا الخطر، وردة الفعل المترتبة على هذا الوعي، فلو كانت الصهيونية أمراً طارئاً استغرق تحقيقه عدداً قليلاً من السنوات، لكن لعامل الوقت وعنصره أهمية كبرى، بل الأهم من ذلك هو إلى أي درجة كان الوعي العربي فاعلاً ومؤثراً في سير المشروع الصهيوني وإنجاحه، أو إعاقة تقدمه؟

- وإن كان لا يمكننا أن ننكر أهمية الوقت على الإطلاق، إذ أن الوعي المبكر كان سيؤثر في ردة الفعل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



# المراجع

## 1- العربية

### كتب

آباء الحركة الصهيونية. ترجمة عبد الكريم النقيب. عمان: دار الجليل للنشر، 1987. (شخصيات صهيونية؛ 5)

أبراش، إبراهيم. البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987. (سلسلة أطروحتات الدكتوراه؛ 10)

أبو بكر، أمين مسعود. ملكية الأراضي في متصرفية القدس، 1858-1918. عمان: مؤسسة شومان، 1996.

أبو عسل، إيلى ليفي. يقطنة العالم اليهودي. القاهرة: دار الفضيلة، 2003.

أحمد، ليلي عبد اللطيف. موقف الدولة العثمانية من مطامع اليهود في فلسطين. القاهرة: دار الكتاب الجامعي، 1987.

اسليم، علي محمد. تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين. عمان: مؤسسة الخدمات العربية، 1988.

الأعظمي، أحمد عزت. القضية العربية: أسبابها، مقدماتها، تطوراتها، نتائجها. بغداد: مطبعة الشعب، 1932.

أفنزي، أريه ل. دعوى نزع الملكية: الاستيطان اليهودي والعرب، 1878-1948. ترجمة بشير البرغوثي. عمان: دار الجليل للنشر، 1986.

أيوب، سمير. وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني. بيروت: صامد للطباعة والنشر، 1984. 2 ج.

ج 1: مرحلة الإرهاسات.

البارودي، فخرى. مذكرات فخرى البارودي: ستون سنة تتكلّم. دمشق: عاطف العجة، 1952. 2 ج.

براص، يوسف. قرية على ضفاف الأردن. ترجمة رسمي ببادسة. يافا: دار النشر العربي، 1967.

برو، توفيق علي. العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، 1908-1914. دمشق: دار طлас، 1991.

البستانى، سليمان. عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده. تحقيق خالد زيادة. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1978.

بيهم، محمد جميل. قوافل العروبة ومواكمتها خلال العصور. بيروت: مطبع الكشاف، 1950. 2 ج.

التميمي، محمد وفيق و محمد بهجت الكاتب. فلسطين في نهاية العصر العثماني: ولاية بيروت/لواء عكا. دراسة وتحقيق زهير غنaim و محمد محافظة. إربد: مؤسسة حمادة للنشر، 2001.

توبينبي، أرنولد. فلسطين: جريمة ودفاع. ترجمة عمر الديراوي. بيروت: دار العلم للملائين، 1981.

تبيت، شباتي. بن غوريون والعرب. ترجمة غازي السعدي. عمان: دار الجليل للنشر، 1987.

ثيودور هرتسل: عراب الحركة الصهيونية. عمان: دار الجليل للنشر، 1986. (شخصيات صهيونية)

الجندى، أنور. تاريخ الصحافة الإسلامية. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1986. 2 ج.

\_\_\_\_\_. يقظة الفكر العربي في مواجهة الاستعمار. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1971. 3 ج.

جوهرية، واصف. القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية، الكتاب الأول من مذكرات الموسيقي واصف جوهرية، 1904-1917، تحرير وتقديم سليم تماري وعصام نصار. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003. 2 ج.

حجازي، عرفات. الصهيونية: نشأتها وقياداتها ومنظماتها السرية. [د. م: د. ن.]. 1980.

حسين، غازي. إسرائيل الكبرى والهجرة اليهودية. دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر، 1992.

حسين، محمد محمد. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. بيروت: دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1970. 2 ج.

الحكيم، يوسف. بيروت ولبنان في عهد آل عثمان. بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1964.

\_\_\_\_\_. سوريا والعهد العثماني. بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1966.

حلاق، حسان علي. دور اللبنانيين في معركة النضال العربي، 1908-1942. بيروت: الدار الجامعية، 1987.

الحوت، بيان نويهض. فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917. بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، 1991.

حوراني، ألبرت. الفكر العربي في عصر النهضة، 1798-1939. ترجمة كريم عزقول. ط 4. بيروت: دار النهار للنشر، 1986.

حوراني، فيصل. جذور الرفض الفلسطيني، 1918-1948. رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية - مواطن، 2003.

الخالدي، وليد. الصهيونية في مئة عام: من البكاء إلى الهيمنة على المشرق العربي، 1897-1997. بيروت: دار النهار، 1998.

\_\_\_\_\_ (محرر). القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني. الرياض: اتحاد الجامعات العربية، 1983. 2 ج.

الخازن، يوسف. الدولة اليهودية في فلسطين: وجهة نظر أحد أبناء البلد. تقديم وتعليق غسان الخازن. بيروت: أصدقاء الأرض المقدسة، 1987.

داغر، أسعد. مذكراتي على هامش القضية العربية. القاهرة: دار القاهرة للطباعة والنشر، 1958.

الدجاني، برهان [وآخرون]. دراسات فلسطينية: مجموعة أبحاث وضعت تكريماً للدكتور قسطنطين زريق. تحرير هشام نشابة. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1988.

الدجاني، يعقوب ولينا يعقوب الدجاني. فلسطين واليهود وجريمة الصهيونية والعالم. تحرير مفلح الخوالدة. عمان: [د.ن.][د.ن.]. 1993.

دروزة، محمد عزة. نشأة الحركة العربية: انبعاثها ومظاهرها وسيرها في زمن الدولة العثمانية إلى أوائل الحرب العالمية الأولى (تاريخ وذكريات وتعليقات). بيروت: صيدا: المكتبة العصرية، 1971.

درويش، هدى. العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة 1648م إلى نهاية القرن العشرين. دمشق: دار القلم، 2002. 2 ج.

دومب، ريزا. صورة العربي في الأدب اليهودي. ترجمة عارف توفيق عارف. عمان: دار الجليل، 1990.

رزوق، أسعد، إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسيعى الصهيوني. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973.

الروسان، ممدوح. فلسطين والصهيونية، 1882-1948. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979.

رياض، محمود. الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة. بيروت: دار النهضة، 1989.

الزهراوي، عبد الحميد. الإرث الفكري للمصلح الاجتماعي عبد الحميد الزهراوي. جمعه وحققه جودت الركابي وجميل سلطان. دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، 1962.

سخيني، عصام. طبرية - تاريخ موسوعي من إنشائها سنة 20م إلى نهاية الاندماج البريطاني سنة 1948. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009.

السماكيني، خليل. كذا أنا يا دنيا: يوميات خليل السماكيني. القدس: المطبعة التجارية، 1955.

السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، 1891-1908. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986.

سليم، محمد عبد الرؤوف. تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة، 1897-1918. القاهرة: جامعة عين شمس، 1974.

السيد عاشور، مصطفى. نحن والصهيونية. القاهرة: مكتبة وهبة، 2002.

الشريف، ماهر. البحث عن كيان: دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني، 1908-1993. نيقوسيا: مركز الأبحاث والدراسات الاسترالية في العالم العربي، 1995.

الشريقي، إبراهيم. أورشليم وأرض كنعان: حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل. لندن: مؤسسة الدراسات الدولية، 1985.

الشلبي، سهيل سليمان. شكري العسلي (1868-1916): من أجل الاستقلال العربي ومقاومة الصهيونية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010.

الشناق، محمود نهار. العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م). حلول، فلسطين: مطبعة بابل الفنية، 2005.

الشهابي، مصطفى. القومية العربية: تاريخها وقوامها ومراميها. القاهرة: معهد الدراسات العربية، 1961.

شويفاني، الياس. الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى 1949). بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1998.

شولتس، ألكسندر. تحولات جذرية في فلسطين، 1856-1882. ترجمة كامل العسلي. عمان: منشورات الجامعة الأردنية، 1992.

الشيبات، محمود. الصهيونية في الميزان. عمان: منشورات وكالة الصحافة الأردنية، 1975.

الصايغ، أنيس. فلسطين وال القومية العربية. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1966.

\_\_\_\_\_. (معد). يوميات هرتلز. ترجمة هلدا شعبان صايغ. بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1968.

صبيح، حسن محمد. التآمر الصهيوني ضد الأمة العربية، 1882-1967. بيروت: دار النهضة، 1968.

صيقلي، مي. حifa العربية، 1918-1939: التطور الاجتماعي والاقتصادي. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997. (سلسلة المدن الفلسطينية؛ 1)

الطراؤنة، محمد. قضاء يافا في العهد العثماني: دراسة إدارية اقتصادية اجتماعية، 1281-1864هـ/1864-1914م. عمان: وزارة الثقافة، 2000.

الظاهر، أحمد ومحمد الزعبي. بين الفكرين العربي والصهيوني. عمان: دار ابن رشد للنشر والتوزيع، 1985.

العابدي، محمود. صند في التاريخ. عمان: جمعية عمال المطبع، 1977.

عاذوري، نجيب. يقظة الأمة العربية. ترجمة وتقديم أحمد ملحم. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998.

عبيادات، محمود. أحمد مرعيود، 1886-1926: قائد ثورة الجولان وجنوب لبنان وشرق الأردن. لندن: رياض الرئيس للكتب والنشر، 1997.

عمر، عمر عبد العزيز. تاريخ المشرق العربي، 1516-1922. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1994.

العويسى، عبد الفتاح. جذور القضية الفلسطينية، 1799-1922. الخليل، فلسطين: دار الحسن للطباعة والنشر، 1992.

غنايم، زهير. لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية، 1281-1337هـ/1864-1918م. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999. (سلسلة المدن الفلسطينية؛ 4)

فرسخ، عوني. الأقليات في التاريخ العربي منذ الجاهلية إلى اليوم. لندن: رياض الرئيس للنشر، 1994.

فرسون، سميح. فلسطين والفلسطينيون. ترجمة عطا عبد الوهاب. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003.

فيضي، سليمان. مذكرات سليمان فيضي: من رواد النهضة العربية في العراق 1885-1951. تحقيق باسل سليمان فيضي. بيروت: دار الساقى، 1998.

قاسمية، خيرية. النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1973.

فعور، ابتسام (محرر). قضية شراء الأراضي والاستيطان الصهيوني في الأردن وحوران والجولان، 1871-1947. عمان: دار الجليل للنشر، 2003.

كرد علي، محمد. خطط الشام. دمشق: مكتبة النوري، 1983. 6 ج.

كرمل، ألكس. تاريخ حifa في عهد الأتراك العثمانيين. حifa: جامعة حifa، 1979.

كوتلوف، ليف. الحركة العربية في المشرق، 1908-1914: دراسة سياسية تاريخية اقتصادية. ترجمة زياد الملا؛ تقديم عبد الله حنا. بيروت: دار الكنوز الأدبية، 2001.

كوثراني، وجيه. السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988. (سلسلة أطروحتات الدكتوراه، 13)

الكيالي، عبد الوهاب. تاريخ فلسطين الحديث. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990.

لمدنان، يوسف. العرب والصهيونية، 1882-1914. ترجمة الياس شوفاني. دمشق: دار الحصاد، 2009.

محافظة، علي. الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، 1918-1948. عمان: مركز الكتب الأردني، 1989.

مذكرات سليم علي سلام، 1868-1938: مع دراسة للعلاقات العثمانية العربية والعلاقات الفرنسية اللبنانيّة. تحقيق حسان حلاق. بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1981.

مكاريوس، شاهين. تاريخ الإسرائيليين: اليهود قديماً وحديثاً مع ترجمة مشاهيرهم شرقاً وغرباً. القاهرة: مطبعة المقتطف، 1904.

ملكي، علي. الجاسوسية الصهيونية في البلاد العربية: أخطر الواقع عن مغامرات الجواسيس اليهود في لبنان وسوريا وفلسطين. بيروت: صوت الشوف، 1970.

ملول، نسيم. أسرار اليهود. القاهرة: المؤلف، 1911.

مناع، عادل. أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918). بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1976.

\_\_\_\_\_. تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999.

المؤمن، مكي حبيب وعلي منهل. من طلائع يقظة الأمة العربية: عزيز علي المصري، نجيب عازوري، فرح أنطون، شibli الشمسي. بغداد: دار الرشيد، 1981.

نصار، سهام. الصحافة الإسرائيلية والدعائية الصهيونية في مصر. القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1991.

\_\_\_\_\_. موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام"، "المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة" والأهالي". القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.

النعمي، أحمد نوري. اليهود والدولة العثمانية. عمان: دار البشير؛ مؤسسة الرسالة، 1997.

نيوتن، فرنسيس إملي. خمسون عاماً في فلسطين: "مذكرات صديقة العرب". ترجمة وديع البستاني. عمان: جمعية عمال المطبع التعاونية، 1967.

هرتزل، ثيودور. الأرض القديمة الجديدة، ترجمة مئير حداد (يافا: دار النشر العربي، 1968).

\_\_\_\_\_ . الدولة اليهودية. ترجمة محمد يوسف عدس؛ مراجعة ودراسة عادل حسن غنيم. القاهرة: مركز الناصر، 2006.

هلسة، تهاني سلامة. دافيد بن غوريون. بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، منظمة التحرير الفلسطينية، 1968. (دراسات فلسطينية، 44)

وايزمان، حاييم. مذكرات حاييم وايزمان بقلمه 1952: أول رئيس لدولة إسرائيل. بيروت: دار الفنون للطباعة والنشر، 2006.

يزبك، محمود. النظم الإدارية والبني الاجتماعية في حيفا، 1870-1914. عمان: البنك الأهلي الأردني، 1999.

يسين، السيد وعلي الدين هلال. الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948. بغداد: معهد البحوث والدراسات، 1975. 2 ج.

#### دوريات

أبو بكر، أمين. "ملكية السلطان عبد الحميد الثاني في فلسطين، 1876-1937." مجلة جامعة النجاح للأبحاث (نابلس): السنة 17، العدد 1، حزيران/يونيو 2003.

أبو رجيلي، خليل. "الزراعة العربية في فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل." شؤون فلسطينية: العدد 11، تموز/يوليو 1972.

أبو نظارة: العدد 3، 24 ذي القعدة 1316هـ - 5 نيسان/أبريل 1899.

الاتحاد العثماني: العدد 15، 8/10/1908؛ العدد 139، 3/3/1909؛ العدد 249، 15/7/1909؛ العدد 397، 10/1/1910؛ العدد 401، 14/1/1910؛ العدد 414، 29/1/1910، 465؛ العدد 417، 4/9/1910؛ العدد 486، 6/9/1910؛ العدد 1297، 25/4/1910، 10/1/1910.

الأفكار: العدد 1065، 1916/9/20؛ العدد 1057، 1916/10/23؛ العدد 1194، 1918/2/1؛ العدد 1206، 1918/2/16.

الأمة: العدد 28، 1910/1/8؛ العدد 57، 1910/2/13.

برهان الدين، عصمت. "النواب العربي في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين." شؤون عربية: العدد 93، آذار/مارس 1998.

البشير: العدد 1345، 8/8/1898؛ العدد 1411، 20/11/1899؛ العدد 1426، 5/3/1900؛ العدد 1427، 12/3/1900؛ العدد 1438، 25/6/1900؛ العدد 1466، 10/12/1900؛ العدد 1524، 20/1/1920؛ العدد 2281، 18/7/1913.

البيان: العدد 38، 24/10/1911؛ العدد 54، 24/11/1911؛ العدد 85، 17/9/1912؛ العدد 136، 9/9/1913.

الجامعة: ج 6، كانون الثاني/يناير 1902.

جريس، صبري. "حول النزعات العنصرية في العقيدة والممارسة الصهيونية." شؤون فلسطينية: العدد 52، كانون الأول/ديسمبر 1975.

حداد، يوسف. "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني." شؤون فلسطينية: العددان 146-147، أيار/مايو-حزيران/يونيو 1985.

الحضار: العدد 38، 29/12/1910؛ العدد 59، 16/5/1911؛ العدد 65، 23/6/1911.

الحقائق: مج 2، ج 2، 27/6/1911.

حلاق، حسان. " موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيوني، 1897-1904." شؤون فلسطينية: الأعداد 74-77، كانون الثاني/يناير-أبريل 1978.

الخالدي، وليد. "بناء الدولة اليهودية، 1897-1948م: الأداة العسكرية." مجلة الدراسات الفلسطينية: العدد 39، صيف 1999.

الدجاج، مصطفى. "الاستيطان اليهودي في ريف فلسطين في العهدين العثماني والبريطاني، 1854-1948م." دراسات عربية: العدد 5، آذار/مارس 1975.

الدليل: العدد 373، 1/1/1911؛ العدد 497، 19/6/1913.

دمبر، مايكل. "الاستيطان اليهودي في القدس." مجلة الدراسات الفلسطينية: السنة 2، العدد 8، خريف 1991.

ذبيان، سامي. "الشخصية الفلسطينية: مداخلة تمهدية لتخليها وتحديد خصوصيتها." شؤون عربية: عدد خاص، أيلول/سبتمبر 1988.

رزوق، أسعد. "نجيب عازوري الوحدوي المجهول." المستقبل العربي: السنة 1، العدد 4، تشرين الثاني/نوفمبر 1978.

رشيد، حيدر. "مقدمات ظهور الحركة العمالية العربية في فلسطين قبل الانتداب." شؤون فلسطينية: العدد 109، كانون الأول/ديسمبر 1980.

الزهراوي: العدد 110، 9/7/1917.

زهر الدين، صالح. "الصهيونية: نشأتها، فكرها، ممارستها." شؤون فلسطينية: العددان 138-139، أيلول/سبتمبر - تشرين الأول/أكتوبر 1984.

عبد الدائم، عبد الله. " موقف الصهيونية: كفارة وحركة من القومية العربية." *شؤون عربية*: العدد 104، أيلول/سبتمبر 1988.

العصر الجديد: العدد 104، 4/12/1909، العدد 127، 5/1/1910. عوض، عبد العزيز. "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914." *شؤون فلسطينية*: العدد 36، آب/أغسطس 1974.

فلسطين: العدد 62، 10/8/1911؛ العدد 92، 11/12/1912؛ العدد 140، 29/5/1912؛ العدد 169، 3/9/1911؛ العدد 184، 2/11/1912؛ العدد 207، 25/1/1913؛ العدد 215، 2/2/1913؛ العدد 252، 9/7/1913؛ العدد 226، 2/4/1913؛ العدد 229، 12/4/1913؛ العدد 257، 26/7/1913؛ العدد 221، 9/8/1913؛ العدد 262، 13/8/1913؛ العدد 270، 28/8/1913؛ العدد 281، 18/10/1913؛ العدد 286، 23/10/1913؛ العدد 231، 19/4/1914؛ العدد 287، 26/10/1913؛ العدد 321، 14/2/1914؛ العدد 323، 4/4/1914؛ العدد 328، 11/4/1914؛ العدد 1417، 13/9/1913؛ العدد 1290، 25/7/1914.

قاسمية، خيرية. "من خفايا السياسة البريطانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى: المكتب العربي في القاهرة-قراءة في الوثائق البريطانية." *مجلة دراسات تاريخية* (دمشق): العددان 17-18، آب/أغسطس - تشرين الثاني/نوفمبر 1984.

\_\_\_\_\_. "مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية، 1913-1914." *شؤون فلسطينية*: العدد 31، آذار/مارس 1974.

\_\_\_\_\_. "نجيب نصار في جرينته "الكرمل"، 1909-1914." *شؤون فلسطينية*: العدد 23، تموز/يوليو 1973.

القبس: العدد 63، 26/8/1913؛ العدد 1301-1، 30/9/1913؛ العدد 23/10/1913، 17/11/1913؛ العدد 37-37، 1337، 1334.

القبلة: 8 شوال 1334هـ - 1 حزيران/يونيو 1916.

"قضية الحدود بين مصر وفلسطين قبل الحرب العالمية الأولى." *شؤون فلسطينية*: العدد 5، تشرين الثاني/نوفمبر 1971.

الكلية: العدد 20، كانون الأول/ديسمبر 1911؛ السنة 3، العدد 6، نيسان/أبريل 1912.

لسان الحال: العدد 7405، 27/11/1913؛ العدد 7450، 22/1/1914؛ العدد 7466، 10/2/1914؛ العدد 7469، 13/2/1914؛ العدد 7470، 4/2/1914؛ العدد 7484، 3/3/1914؛ العدد 7492، 11/3/1914؛ العدد 7521، 15/4/1914؛ العدد 7535، 1/5/1914؛ العدد 7547، 15/5/1914؛ العدد 7605، 28/7/1914؛ العدد 7610، 22/7/1914.

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 22 كانون الثاني/يناير 1910، فاقرأوه.“  
الكرمل: العدد 1434، 1/2/1930.

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 25 تموز/يوليو 1910، فاقرأوه.“ الكرمل:  
العدد 1482، 5/7/1930.

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، 19 آذار/مارس 1910، فاقرأوه.“ الكرمل:  
العدد 1448، 29/3/1930.

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، 16 نيسان/أبريل 1910، فاقرأوه.“ الكرمل:  
العدد 1457، 19/4/1930.

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 18/6/1910، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد  
4/7/1930، 1468

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 18 حزيران/يونيو 1910، فاقرأوه.“ الكرمل:  
العدد 1479، 28/6/1930

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 25 حزيران/يونيو 1910، فاقرأوه.“  
الكرمل: العدد 1485، 9/7/1930.

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 9 تموز/يوليو 1910 فاقرأوه.“ الكرمل:  
العدد 1490، 18/7/1930.

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 1 آب/أغسطس 1910، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد  
27/8/1930، 1506

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 16/8/1910، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد  
3/9/1930، 1508

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 23/8/1910، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 1510،  
1.9/1930

”ما قالته الكرمل في عشرين سنة في 23 آب/أغسطس 1910، فاقرأوه.“ الكرمل:  
العدد 1512، 17/9/1930.

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 26 آب/أغسطس 1910، فاقرأوه.“ الكرمل:  
العدد 1513، 1.10/1931

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 1910/8/26، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 1518،  
8/10/1930

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 16 أيلول/سبتمبر 1910، فاقرأوه.“ الكرمل:  
العدد 1522، 22/10/1930

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 18/11/1910، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد  
31/12/1930، 1542

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 25 تشرين الأول/أكتوبر 1910، فاقرأوه.“  
الكرمل: العدد 1543، 3/1/1931.

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 27 تشرين الأول/أكتوبر 1910، فاقرأوه.“  
الكرمل: العدد 1544، 7/1/1931.

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 11 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه.“  
الكرمل: العدد 1547، 17/1/1931.

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 15 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه.“  
الكرمل: العدد 1548، 21/1/1931.

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 29/11/1910، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 1549، 24/1/1931.

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 1910/11/29 فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 1550، 24/1/1930.

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، في 2 كانون الأول/ديسمبر 1910، فاقرأوه.“  
الكرمل: العدد 1551، 30/1/1930.

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 13/12/1910، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 1554، 11/2/1931.

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 10 تشرين الثاني/نوفمبر 1911، فاقرأوه.“  
الكرمل: العدد 1559، 28/2/1931.

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 17 كانون الثاني/يناير 1911، فاقرأوه.“  
الكرمل: العدد 1562، 11/3/1931.

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 20/1/1911، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 1563، 10/3/1931.

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 1911/1/20، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 1564، 14/3/1931.

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 7 شباط/فبراير 1911، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 1567، 28/3/1931.

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 14/2/1911، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 1570، 8/4/1931.

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 8 آذار/مارس 1911، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 1574، 22/4/1931.

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 1 تموز/يوليو 1910، فاقرأوه.“ الكرمل:  
العدد 1577، 6/5/1931.

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 6 أيار/مايو 1911، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 13/6/1931، 1587

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 20 أيار/مايو 1911، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 2/6/1931، 1590

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، في 24 أيار/مايو 1911، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 27/6/1931، 1592

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 27 أيار/مايو 1911، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 1/7/1931، 1593

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 10/6/1911، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 5/7/1931، 1594

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 24 حزيران/يونيو 1911، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 22/7/1931، 1599

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 1 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 03، 8/8/1931

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 1 تموز/يوليو 1910، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 1604، 16/8/1931

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، في 2 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 1605، 22/8/1931

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 22 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 1609، 11/9/1931

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 26 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 1611، 23/9/1931

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 31 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 1615، 16/9/1931

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، في 26 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 1616، 10/10/1931

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 21/7/1911، فاقرأوه.“ الكرمل: العدد 1621، 22/9/1931

مجموعة من الكتاب اليهود. ”إسرائيل الثانية: المشكلة السفاردية.“ مجلة الأزمنة الحديثة، العدد 394، أيلول/سبتمبر 1980.

المراقب: العدد 96، 4/11/1910

المشرق: السنة 2، 1899؛ العدد 2، شباط/فبراير 1912؛ مج 10، 1917؛

المفید: العدد 362، 12/4/1910؛ العدد 391، 16/5/1910؛ العدد 528، 15/11/1910؛ العدد 543، 27/10/1910

المقتبس: مج 1، ج 8، 19/9/1906؛ العدد 196، 5/8/1909؛ العدد 318، 15/3/1910؛ العدد 329، 28/3/1910؛ العدد 371، 15/5/1910؛ العدد 427، 11/8/1910؛ العدد 459، 28/8/1910؛ العدد 467، 6/9/1910؛ العدد 502، 19/10/1910؛ العدد 536، 1/1/1911؛ العدد 542، 5/11/1910؛ العدد 465، 1/11/1910؛ العدد 516، 4/9/1910؛ العدد 546، 5/12/1910؛ العدد 527، 17/11/1910؛ العدد 542، 19/12/1910؛ العدد 549، 10/12/1910؛ العدد 551، 17/12/1910؛ العدد 561، 1/1/1911؛ العدد 562، 3/1/1911؛ العدد 567، 7/1/1911؛ العدد 574، 15/1/1911؛ العدد 568، 8/11/1911؛ العدد 571، 11/1/1911؛ العدد 634، 19/11/1911؛ العدد 578، 24/2/1911؛ العدد 685، 30/3/1911؛ العدد 690، 6/6/1911؛ العدد 695، 1/6/1911؛ العدد 696، 30/5/1911؛ العدد 701، 18/6/1911؛ العدد 705، 12/6/1911؛ العدد 706، 16/7/1911؛ العدد 709، 21/6/1911؛ العدد 715، 28/6/1911؛ العدد 716، 29/6/1911؛ العدد 740، 29/7/1911؛ العدد 760، 31/8/1911؛ العدد 764، 26/8/1911؛ العدد 771، 3/9/1911؛ العدد 784، 18/9/1911؛ العدد 786، 20/9/1911؛ العدد 787، 11/9/1911؛ العدد 791، 1/10/1911؛ العدد 811، 26/8/1911؛ العدد 801، 11/10/1911؛ العدد 811، 13/11/1911؛ العدد 833، 19/11/1911؛ العدد 854، 18/12/1911؛ العدد 885، 23/1/1912؛ العدد 889، 28/1/1912؛ العدد 945، 2/4/1912؛ العدد 947، 1119، 19/8/1912؛ العدد 947، 4/4/1912؛ العدد 1137، 12/3/1913؛ العدد 1179، 19/7/1913؛ العدد 1237، 16/5/1915؛ العدد 1463، 14/4/1914؛ العدد 1594، 7/7/1913؛ العدد 1066، 19/12/1912؛ العدد 1247، 19/7/1913؛ العدد 1249، 21/7/1913؛ العدد 1256، 29/7/1913؛ العدد 1285، 18/7/1913؛ العدد 1298، 22/9/1913؛ العدد 1306، 30/9/1913؛ العدد 2328، 27/3/1910

المقطف: ج 22، نيسان/أبريل 1898؛ مج 33، ج 1، كانون الأول/ديسمبر 1908؛ مج 35، ج 4، تشرين الأول/أكتوبر 1909.

المؤید: العدد 2882، 15/10/1899؛ العدد 5822، 21/7/1909؛ العدد 5830، 31/7/1909؛ العدد 5831، 1/8/1909؛ العدد 5952، 1/1/1910؛ العدد 61427، 11/8/1910؛ العدد 6040، 17/4/1910؛ العدد 6142، 8/4/1911؛ العدد 6309، 8/3/1911؛ العدد 6334، 11/8/1910

المنادي: العدد 3، 26/3/1912؛ العدد 5، 5/3/1912؛ العدد 8، 20/4/1912؛ العدد 9، 4/4/1912؛ العدد 10، 10/4/1912؛ العدد 21، 25/6/1912؛ العدد 22، 2/7/1912؛ العدد 29، 20/8/1912؛ العدد 35، 8/10/1912؛ العدد 39، 24/1/1913؛ العدد 42، 10/12/1912؛ العدد 1-48، 15/10/1912؛ العدد 4-50، 6/2/1913؛ العدد 14-62، 24/4/1913؛ العدد 18-65، 27/7/1913؛ العدد 53-6، 5/6/1913؛ العدد 67-22، 22/5/1913؛ العدد 144، 12/6/1913؛ العدد 148، 24/1/1913؛ العدد 72-25، 8/7/1913؛ العدد 73-26، 17/7/1913.

المنار: مج 1، ج 6، 1898؛ مج 4، ج 21، 26/1/1902؛ مج 6، ج 5، 28/5/1903؛ مج 14، ج 1، 30/1/1911؛ مج 14، ج 2، 1/3/1911؛ مج 16، ج 2، 1331هـ-شباط/فبراير 1913؛ مج 17، ج 4، 27/3/1914؛ مج 17، ج 9، أيار/مايو 1914.

المنهل: مج 2، ج 2، شوال 1331هـ-أيلول/سبتمبر 1913م؛ مج 1، ج 6، 7 صفر وربيع الأول 1332هـ-كانون الثاني/يناير 1914م.

النبراس: مج 1، ج 9، 15/10/1909.

النعمة: ج 1، 1/11/1909.

النفائس: ج 8، آب/أغسطس 1911.

النفائس العصرية: ج 1، 10 تشرين الأول/أكتوبر 1911.

الهدى: العدد 5، 25/5/1901؛ العدد 29، 12/12/1900؛ العدد 43، 21/7/1901؛ العدد 76، 20/11/1901.

الهلال: مج 22، ج 2، تشرين الثاني/نوفمبر 1913؛ مج 7، العدد 22، نيسان/أبريل 1914؛ مج 24، ج 5، شباط/فبراير 1916؛ مج 26، تشرين الأول/أكتوبر 1917.

الوطن: العدد 455، 16/2/1911.

يعقوب، محمد حافظ. "ملاحظات تمهدية حول الحركة الصهيونية." دراسات عربية: العدد 5، آذار/مارس 1973.

رسائل جامعية، أطروحتات

البطوش، بسام. "رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية." (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1995).

ندوات، مؤتمرات

المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام: تاريخ فلسطين. عمان: مطابع الجمعية العلمية،  
.1983

-2- الأجنبية

Books

The Arab Bulletin: Bulletin of the Arab Bureau in Cairo, 1916-  
.London: Archive Editions, 1986 .1919

Arab Nationalism: An Anthology. Selected and edited with an  
introduction by Sylvia G. Haim. Berkeley, CA: University of  
.California Press, 1962

Burdett, Anita L. P. (ed.). Islamic Movement in the Arab World,  
.Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1998 .1913-1966

Destani, B. (ed.). Minorities in the Middle East: Jewish  
Communities in Arab Countries 1841-1974. Cambridge, UK:  
.Cambridge University Press, 2005

Divine, Donna Robinson. Politics and Society in Ottoman  
Palestine: The Arab Struggle for Survival and Power. London:  
.Lynne Rienner Publishers, 1993

Gorny, Yousef. Zionism and the Arabs, 1882-1948: A Study of  
Ideology. Translated by Chaya Galai. Oxford: Clarendon Press,  
.1987

John, Robert and Sami Hadawi. The Palestine Diary, 1914-  
With a foreword by Arnold J. Toynbee. New York: New .1945  
.World Press, 1970

Kushner, David (ed.) Palestine in the Late Ottoman Period:  
Political, Social and Economic Transformation. Leiden: Brill  
.Academic Pub., 1997

Laqueur, Walter. A History of Zionism: From the French  
Revolution to the Establishment of the State of Israel. New  
.York: MJF Books, 1972

Mandel, Neville J. The Arabs and Zionism before World War I.  
.Berkeley, CA; London: University of California Press, 1976

Priestland, Jane (ed.). Records of Jerusalem, 1917-1971.  
.Oxford: Archive Editions, 2002

Razzouk, Assa'd, 'Izz al-Dīn Fawdah and Elias W. Hanna. Zionism and Arab Resistance. Beirut: Palestine Research Center, 1969

Rosenzweig, Rafael N. The Economic Consequences of Zionism. Leiden: Brill Academic Pub., 1997

Sayegh, Faye A. The Zionist Diplomacy. Beirut: Palestine (Research Center, 1969. (Palestine Monographs; 13

Shapira, Anita. Land and Power: The Zionist Resort to Force, New York: Oxford University Press, 1992 .1881-1948

#### Periodicals

Notes Written Early in 1915, "Syria, The Raw Material." Arab Bulletin: vol. 11, 1917

Palestine Exploration Fund (London): April 1900; April 1907, and October 1917

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



## خلاصة الكتاب

كثيرة هي القضايا التي تستوقف المرء في موضوع الوعي العربي لخطر المشروع الصهيوني، وهو ما سعت هذه الدراسة إلى كشفه، وذلك بهدف معرفة مدى ارتقائنا، وإذا ما كنا بمستوى الحدث، ومعرفة مواضع الخلل في معركتنا، وماهية المقومات والظروف التي نجح من خلالها الصهاينة، في حين فشلنا كعرب.

لقد امتلك الصهاينة مفاتيح اللعبة من مال وثقافة وعلم وحلم وإخلاص في العمل، والاختلاف الصحي في ما بينهم، الذي كانت غايتها في الدرجة الأولى تحقيق الهدف، وهو ما لم تستطع النخبة العربية-على اختلاف أشكالها- أن تتحققه على الرغم من أنها كانت، وبحكم موقعها وثقافتها، على علم بما يجري، وكانت هي مفتاح النجاح من أجل المواجهة الحقيقة؛ فهي العنصر المؤثر والفاعل، وهو ما لم يتوافر للعامة ولشرائح الأمة الأخرى، التي كانت تعاني الجهل والفقر والتهميش، وكان يسهل بمواصفاتها هذه قيادتها من قبل النخبة، وتجنيدتها في معركتنا مع الصهيونية.

قد يكون من الظلم مقارنة الحركة العربية بالحركة الصهيونية، وإنجازات وظروف نهوض كل منهما؛ ففي حين أن الصهيونية كانت مع نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، قد اكتمل نضجها، واتضحت خططها، كانت الحركة العربية تبحث عن هويتها، تتنازعها الاتجاهات والأهواء، وعلاقة في علاقتها وانتمائتها إلى العثمانية، تكاد لا تقوى على النهوض لتعلن استقلاليتها، والصورة من حولها غائمة، فعلى الرغم من التدهور الشديد في العلاقة مع الاتحاديين، وانقلاب هؤلاء على العرب وغيرهم من القوميات الأخرى، إلا أن العرب استمروا على تمسكهم بعثمانيتهم، وإيقاع أنفسهم بأن سياسة الاضطهاد والتترىك هي سياسة آنية، وبأنه سرعان ما تعود السلطة العثمانية إلى رشدتها، ولم يتذدوا القرار الفصل في تحديد موقفهم- وإن لم يكن جميعهم- إلا بعد إعدام نخبة من رجال الحركة العربية، في عامي 1915 و1916، والذين لم يكن إعدامهم جزافاً، بل كان مقصوداً لخلخلة الحركة العربية وضربها، والقومية العربية في بداية نهوضها.

إن أهمية المرحلة الزمنية للدراسة تكمن في أنها حددت شكل صراعنا مع الصهيونية ونوعيته، و موقفنا منها ليس فقط لتلك المرحلة، بل ولسنوات طويلة مقبلة. وقد جاء اختيار نقطة البداية بعام 1897، لأنعقاد المؤتمر الصهيوني الأول فيه، وهذا يعني أن الصهيونية أصبحت أمراً لا يمكن تجاهله، ومعروفة بحيث اتخذت شكلها القانوني والسياسي والمؤسسي. وحددت نهاية الدراسة بعام 1917 وهو إصدار وعد بلفور، الذي كان بمثابة تتوبيخ وإقرار دوليين بنجاح الصهيونية في مسعاه، في حين كان نصيب العرب اتفاقية سايكس- بيكو التي مزقت بلادهم كمكافأة على تحالفهم مع بريطانيا.

أدت مجموعة من الظروف والأحداث الداخلية والخارجية دوراً مهماً في إثارة الوعي العربي لخطر المشروع الصهيوني، وإن اختلفت قوة تأثيرها وفقاً لطبيعة الحدث أو لاً، وللفترات الزمنية التي جرى فيها، والظروف المرافقة له، ونوعية التأثير سواء سلباً أم إيجاباً، منها المؤتمرات الصهيونية التي بدأت عام 1897 بالمؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بال، حيث شكل الشرارة الأولى لهذا الوعي، لتنبع أطروه في ما بعد بتوالي انعقاد المؤتمرات، والقرارات التي اتخذتها، وتتفيد هذه القرارات على أرض الواقع.

هناك موجات الهجرة اليهودية التي كان أكثرها تأثيراً تلك التي جاءت خلال 1904-1908، وهو ما أطلق عليه الهجرة اليهودية الثانية التي تعود أهميتها إلى برنامج العمل المتطرف الذي اتبعه أعضاؤها، والتنظيم عالي الدقة الذي كانوا عليه، إضافة إلى إيمانهم المطلق بصهيونيتهم. وقد أحدثت الموجة الثانية من الهجرة الثانية تغييراً جذرياً بطبع الوجود اليهودي في فلسطين، يتعلق بتطبيق سياسة العمل العربي، والاستغناء عن العامل العربي، وطرد الفلاحين من أراضيهم، والاستيلاء على أراضٍ واسعة وعدد من القرى، إضافة إلى البعد القومي، وكان هذا التغيير من الحجم بحيث انعكست أثاره على الوعي العربي لحقيقة الخطر الصهيوني، وأثره في الأمة العربية.

شكل الانقلاب الدستوري عام 1908، نقطة تحول بالنسبة إلى العرب؛ إضافة إلى اطلاعهم على الثقافة الغربية، وعلى تجارب الأمم الأخرى في ما يتعلق بنضالها القومي، كان هناك الانقلاب الدستوري الذي مثل حالاً من إطلاق الحرريات من خلال البرلمان والصحافة وقنوات التعبير الأخرى، ويعتبر ما أورده سليمان فيضي في مذكراته مثالاً على الأثر الذي تركه الدستور، فيصف ذلك بقوله: "على إثر إعلان الدستور وإطلاق الحرريات قويت الرغبة في العمل في خدمة الأمة العربية عن طريق الصحافة والتعليم وإثارة الوعي القومي بين الناس".

كانت الصحافة العربية الأشد تأثيراً وتأثيراً في هذه التطورات، فسعت الصحف في دمشق وبيروت والقاهرة، إلى التعريف بأهداف الحركة الصهيونية، ومنها مجلة المنار، وصحيفة الأهرام، والمؤيد والاتحاد العثماني والمقطف، وغيرها الكثير من الصحف التي صدرت بعد الانقلاب، كصحيفة المقتبس الدمشقية التي صدرت عام 1908، والكرمل، التي أصدرها نجيب نصار في حيفا أواخر عام 1908، وصحيفة فلسطين في يافا عام 1911، والمنادي المقدسية الصادرة في عام 1912.

من الأحداث التي شهدتها مرحلة الدراسة، الدعوة إلى تفاهم عربي - صهيوني، وكانت في بداية عام 1913، وأدت إلى تحول في النظرة لدى بعض قادة الحركة العربية تجاه الصهيونية ومقاصدها، وكيفية التعامل معها واحتواها، وتزعم هذه الدعوة حزب الامركزية العربي في القاهرة، والجمعية الإصلاحية في بيروت، و جاءت نتيجة تسامي التعاون الاتحادي - الصهيوني ضد العرب، وكان الهدف منها التوصل إلى تسوية بين الجانبين، بحيث يستعين العرب بالصهاينة للوقوف في وجه سياسة التترىك الاتحادية...

كان لهذه الخطوة دلالاتها المهمة التي تشير إلى اعتراف صريح من قبلأغلبية قادة الحركة العربية آنذاك، بأن الحركة الصهيونية أصبحت قوة إقليمية فاعلة في المنطقة، وعلى الرغم من أنها موجهة بصورة مباشرة ضد العرب وجودهم، إلا أنه يمكن التعاون معها، وهذا مؤشر يدل على قصور الوعي والفهم لدى هؤلاء من جهة، وبأنها شكلت أول خطوة عربية في الانحراف عن المسار الصحيح في معركتها مع الصهيونية من جهة أخرى، وذلك باستبدال الحلول العملية المقاومة للصهيونية، بحلول تفاوضية لا يمكن أن تجدي معها أو تثمر، لأنها تتعارض مع أساسيات الصهيونية التي لا يمكن أن تتنازل عنها، لأنها بالنسبة إليها قضية وجودية.

ترامت الدعوة إلى التفاهم مع الصهيونية، مع انعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس من 18-23 حزيران/يونيو 1913، وقد ألغت هذه الدعوة بظلالها على القضايا التي ناقشها المؤتمر، فاستبعد البحث في الصهيونية وخطرها، وذلك على الرغم من برقيات الاستغاثة التي بعث بها أهالي فلسطين إلى المؤتمرين، وأوضحاوا فيها حجم التهديد الذي يواجهونه، إلا أن ذلك كله، تم تجاهله، ورأى بعضهم أن للاستيطان والهجرة اليهودية فوائد جمة لفلسطين، شريطة ضبطها وتنظيمها.

بهذا، يكون توجه قادة الحركة العربية إلى التفاهم مع الصهيونية، قد أفشل الفرصة العربية الأولى التي كان من الممكن من خلالها اتخاذ خطوات تكاد تكون مفصلية في تاريخ العلاقات العربية- الصهيونية- المستقبلية؛ فهلامية طرح الموضوع وموقف هؤلاء، منح الصهاينة فرصة الاستفادة إلى أقصى حد ممكن من طبيعة الظروف المحلية والدولية التي كانت تعيشها المنطقة، وتجير ذلك لصالح مشروعهم.

انتهت محاولات التفاهم بالفشل، وكان في مقدم أسباب هذا الفشل، عدم توافر النية الصادقة لدى الصهاينة للاستمرار في هذا الاتجاه، وبأن هذه الدعوة بالنسبة إليهم تكتيكية، كان الهدف منها إعاقة أي محاولة تفاهم وتقرب بين الحركة العربية والاتحاديين، وكذلك كسب الوقت لإعداد العدة للمرحلة المقبلة، والتعرف عن كثب إلى ما لدى قادة الحركة العربية، ومدى جدية عدائهم للصهيونية، وقد اعتبر الصهاينة عدم طرح المؤتمر العربي أو تعرضه لأهداف حركتهم وأفكارها، نصراً كبيراً لهم.

أدى فشل الدعوة إلى التفاهم مع الصهيونية، إلى شطط الأخيرة في تطبيق مشروعها في فلسطين، وفي الترويج له وكسب المؤيدين كالاتحاديين والدول الغربية، في حين أن الأوساط العربية والجمعيات والأحزاب، كانت حتى ذلك الوقت قاصرة عن ترجمة وعيها وفهمها للصهيونية بصورة عملية تؤثر في سير المشروع الصهيوني وتسارعه باتجاه الهدف المنشود.

من النتائج التي أسف عنها هذا الفشل، هو عودة أصحاب هذه الدعوة من قادة الحركة العربية إلى مواقفهم السابقة منها، ولقناعتهم بأن القومية العربية والصهيونية خطان مستقيمان لا يمكن أن يلتقيا.

حدث آخر شهدته المنطقة، هو تولي الائتلافين السلطة في تموز/يوليو 1912 برئاسة كامل باشا، فعمدت إلى إعادة فتح الصحف المغلقة، ونشاط النادي السياسي المنحلة، والتي تحولت إلى مراكز للعمل الوطني للقوميين العرب، فانكشف تردي الأوضاع الوطنية الفلسطينية، وقد أنشئت سياسة الحكومة هذه الأمال في إعادةتها النظر في موضوع الهجرة اليهودية والاستيطان، ولكن اندلاع حرب البلقان في العام ذاته حال دون ذلك، إذ استغلت الصهيونية ظروف الحرب، وانشغال الحكومة بتداعياتها، وتغاضيها عن صفقات بيع الأراضي في مناطق متعددة لدفع مشاريعها خطوات واسعة إلى الأمام، وهو ما دفع نجيب نصار في رده على هذه الهجمة الصهيونية إلى التساؤل: هل أراد الصهيونيون الاستيلاء على فلسطين دفعة واحدة؟ أم يريد أهلها أن يبيعوها؟ أم هي فرصة يريد الصهيونيون اغتنامها في عهد الحكومة الحاضرة؟ أين حزب الائتلاف الذي كان يشكو من ترخيص الاتحاديين للصهيونيين بالتملك والتوطن في فلسطين؟ لماذا لا نسمع لهم صوتاً؟

جاء حدث آخر شهدته المنطقة كان له أثر كبير في البلد العربية وتالياً وعي أبنائها، ألا وهو اندلاع الحرب العالمية الأولى في 28 تموز/يوليو 1914، والتي أدت إلى إعادة ترتيب خريطتها الجغرافية والسياسية، وتحولت من تبعية دولة إلى تبعية عدد من الدول.

كما جرت تطورات مهمة في ما يتعلق بطرف في المعادلة، هما: العرب والصهيونية؛ وبالنسبة إلى الوعي العربي لخطر الصهيونية، فقد خبا - نوعاً ما - موضوع مناقشة مسألة الصهيونية بين الأوساط العربية، ولا سيما مع احتجاب الكثير من الصحف العربية عن الصدور، والتي كانت منبراً مهماً لإثارة هذه المسألة، أو انشغالها بقضايا أخرى. في حين استمرت بعض الصحف على موقفها الموالي للصهيونية كصحيفة المقطم التي كانت لسان حال اليهود، تنشر كل ما يعزز الوجود الصهيوني في فلسطين، ومنبراً للدفاع عن الصهيونية من خلال بعض الكتاب.

انشغل رجال الحركة العربية خلال الحرب بإعادة ترتيب أوراقهم، وتلزم علاقاتهم بالحكومة الاتحادية، وسياسة البطش والإعدامات التي قضى ضحيتها عدد من رجالها ونفذها جمال باشا، وما ترتب على ذلك من إعلان الثورة العربية المسلحة على الأتراك في عام 1916، بدعم من بريطانيا في الدرجة الأولى، وتذبذب مواقف العرب منها بين مؤيد ومشارك فيها، وبين معارض، لذا تراجعت أولوية ما يشكله الخطر الصهيوني على العرب والبلاد العربية لدى هؤلاء وأهميته، وإن كان شرط ضمان استقلال البلدان العربية، ولا سيما في آسيا، في مقدم المفاوضات التي جرت بين الأطراف المختلفة.

لكن ذلك كله، لم يمنع من وجود إشارات تدل على وجود اهتمام ووعي عربين بالصهيونية وخطرها، فاستمرت المصادمات بين العرب وسكان المستعمرات. وما تضمنته الأوراق والمستندات التي عثر عليها الأتراك عام 1915 في القصصية الفرنسية، وجود خطة عربية للتخلص من الصهيونية، تقضي بإضرام النار في المستعمرات اليهودية، وطرد السكان اليهود الصهاينة ألا أداء العرب.

عكست تقارير الدبلوماسيين البريطانيين تزايد الوعي العربي والمخاوف من سعي الصهيونية إلى إقامة دولة- أثناء الحرب العالمية الأولى- ففي مذكرة بتاريخ 12 كانون الثاني/يناير 1917، أشارت إلى أن "الأوضاع السياسية في فلسطين، وأسباب المعارضة العربية للصهيونية، تعود إلى أهداف الصهيونية السياسية الحديثة، والتي تهدف لإنشاء دولة يهودية مستقلة ذاتياً، وإقصاء السكان تدريجياً".

عقب الإعلان عن وعد بلفور في 2 تشرين الثاني/نوفمبر 1917، تحدثت التقارير البريطانية عن فلق المسلمين والمسيحيين من قيام حكومة يهودية في فلسطين، وتحديداً في القدس، وهو الأمر الذي كان له دور في إظهار المسلمين تعاطفاً كبيراً مع ملك الحجاز، واتخاذ خطوات لإبلاغه بذلك.

أما بالنسبة إلى الصهيونية، فقد استطاعت أن توظف حتى الظروف الاقتصادية السيئة التي شهدتها فلسطين لصالح مشروعها، خصوصاً في ما يتعلق بتوسيع رقعة الاستيطان، وعقد صفقات بيع الأراضي، ووضعت نفسها في خدمة الأهداف الاستعمارية البريطانية في الشرق العربي، وسعت إلى تكوين وحدات عسكرية يهودية لكي تشارك في احتلال فلسطين، وتكون نواة لجيش يهودي يرابط فيها بعد انتزاعها من يد العثمانيين، حيث توجت مساعيها بإصدار وعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني/نوفمبر 1917.

#### مظاهر الوعي العربي لخطر المشروع الصهيوني:

انعكس الوعي العربي لخطر المشروع الصهيوني خلال الفترة من 1897-1917، من خلال مجموعة من المظاهر توالت وتطورت مع تطور المشروع الصهيوني وخطوات تفديذه، وتمثلت بالوعي العربي لحقيقة الصهيونية وأهدافها، وعلى الرغم من أن الوعي لمثل هذه الأهداف، كان يختلف في حجمه وبداياته ووسائل التعبير عنه، والنظرية إليه من شخص إلى آخر، إلا أنه كان هناك شبه إجماع على حقيقة واحدة- وإن شذ عنها بعضهم- وهي أن الصهيونية بشكل أو بآخر، هي خطر على الدولة العثمانية عموماً، وعلى الأمة العربية خصوصاً، ومن أهم الأهداف الصهيونية التي كان العرب على وعي لها هو الاستيلاء على الأرض واستبعاد أو استبعاد أهلها، وكان محمد رشيد رضا الأسبق إلى فهم هذه الحقيقة، فعرف الصهيونية في عام 1898 " بأنها التي ت يريد احتلال بلادكم واستعمارها".

حمل البيان الذي بعث به عدد من الشخصيات الفلسطينية إلى مجلس المبعوثان ونواب فلسطين عام 1908، المعنى ذاته فحدروا من سعي اليهود الصهاينة إلى استعمار البلاد وإخراج أهلها منها، أو تحويلهم إلى عبيد وخدم لهم.

أما صاحب صحيفة الرأي العام طه المدور، فأكمل في تشرين الثاني/نوفمبر 1910 أن الصهيونيين أشد الأعداء خطراً على الأمة والوطن، بل المملكة بأسرها بعروشها وفروشها.

جاءت الإشارة إلى هذا الهدف الصهيوني واضحة في برنامج "الحزب الوطني العثماني" ، الذي أسسه الشيخ سليمان التاجي الفاروقى في صيف عام 1911 ،

فعرّف الصهيونية بأنها "الخطر الذي يحدق بوطننا، والموجة الرهيبة التي تضرب شواطئ بلادنا، وبأنها نذير بنفينا عن وطننا وطردنا من بيotta ومنتكاتنا".

كما وصفت صحيفة المنادي الصهيونية في 20 نيسان/أبريل 1912 "بالضيف التقيل الذي يحاول أن يطردنا من أراضينا ويسرق أموالنا".

حضرت صحيفة المؤيد في عام 1914 من أن غاية الصهيونية "جعل أصحاب تلك البلاد إجراء وهم أصحاب السيادة". نجد المعنى ذاته يتكرر لدى صحيفة فتى العرب التي أبدت تخوفها من أن "يتحول سكان فلسطين غداً إلى مماليك لا مالكين".

ثمة مظهر آخر من مظاهر الوعي لحقيقة الصهيونية، هو إدراك أسباب قوتها ونجاحها، وفي مقدم ذلك، التعليم والتنمية السليمة لأبنائها، وارتبط هذا الوعي بأمررين: الأول يتعلق بتأثيره على الصهاينة ودرجة الاهتمام به، والثاني بمحاولة اقتباس هذه الميزة، وتشجيع العرب على اتباعها ليتمكنوا من مواجهة خصمهم والدفاع عن أوطانهم، ومن أجل هذه الغاية دعا راغب الخالدي أهالي فلسطين إلى إنشاء كلية إسلامية في القدس.

من ذلك أيضاً، إدراك حقيقة أن الصهيونية قائمة على فكر مؤسسي لا يستند إلى بقاء الأشخاص أو رحيلهم، ويتبين ذلك من خلال ما أورده صحيفة الهدى تعليقاً على ما أشيع عن نتائج المؤتمر الصهيوني العاشر المنعقد في آب/أغسطس 1911 بأنه دفن مبادئ صهيونية هرتزل ، لخلاص إلى القول إن صهيونية هرتزل هي نفسها الصهيونية الحاضرة ، ومتى ماتت الأولى ، ماتت الثانية.

ادرك العرب أهمية مصدر آخر من مصادر قوة الصهيونية، هو دور أغنياء الصهاينة واليهود في توفير الدعم المادي للحركة على اختلاف أشكاله، وهو ما ذكره سعيد الحسيني في جلسة مجلس المبعوثان عام 1909، عند حديثه عن عدد من جاء إلى فلسطين من اليهود الذي يقدر بمنطقة ألف، وذلك بدعم من أغنياء اليهود كأوشكين الروسي وروتشيلد وهرش وأمثالهم. كما حرصت الصحف العربية على تقديم نماذج من هذا الدعم، فنعت صحيفة المقتبس في 28 كانون الأول/ديسمبر 1912 خبر تبرع ثري يهودي لإنشاء كلية إسرائيلية في القدس، وقد علقت الصحيفة في ختام الخبر، بالقول: "هل يوجد في الأمة العثمانية من يتبرع بربع هذا المبلغ لإنشاء مدرسة في القدس تضم بين جدرانها الوطنين، وتدربهم على المبادئ الصحيحة قبل أن يبتلع البقية الباقيتين الصهيوني؟".

ومن ذلك أيضاً، حال التقدم والازدهار التي كانت تشهدها المستعمرات الصهيونية القائمة على أسس علمية حديثة، وعلى النقيض من ذلك، الحال التي كان عليها أهالي فلسطين، ومن استوقفه هذا المنظر وكتب عنه عقب زيارته له إلى فلسطين في تشرين الأول/أكتوبر 1909، صاحب صحيفة النبراس خليل بيدس الذي دق ناقوس الخطر لتبّعات هذا الوضع ومخاطرها.

من مظاهر الوعي العربي هو الوعي لثلاث المشروع الصهيوني: الاستيطان والهجرة وشراء الأراضي؛ إذ بدأ الوعي بهذا الخصوص بشكل مبكر جداً، فمراسل

صحيفة الثمرات وصف في 10 كانون الأول/ديسمبر 1900 الأوضاع بعد زيارته فلسطين، بقوله: "وعسى أن تكون الحكومة عالمية بحقيقة أخبارهم، إذ علمت من أسرارهم في سياحتي هذه ما لو أبوج به لما جاز أن يُباع يهودي شبراً من الأرض في هذه البلاد".

جرت في عام 1900 حملة احتجاجات واسعة قادها الفلاحون في فلسطين، ورفعوا العرائض احتجاجاً على شراء اليهود للأراضي العربية الزراعية.

وبناءً على النشاط الصهيوني، توسيع دائرة الوعي العربي لمخاطر الهجرة والاستيطان الصهيوني ولعمليات بيع الأراضي لليهود الصهاينة؛ فصحيفة المؤيد أكدت أن ابتياع الأراضي والأملاك الواسعة، هي إحدى السبل التي يسعى الصهاينة إلى امتلاك فلسطين من خلالها، وقد شاركتها مجلة الهلال هذا الرأي من خلال مقال بعنوان "الصهيونية".

كانت جلسات مجلس المبعوثان ميداناً لمناقشتها؛ فخلال جلسات المجلس بين 1908-1909 طالب نائب القدس الحكومة باتخاذ التدابير الفاعلة لوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، كما طالب نائب يافا حافظ السعيد في إحدى جلسات المجلس عام 1909 بإغلاق ميناء يافا في وجه اليهود. ويبدو أن إصرار النواب العرب خلال العام 1909 على مطالبهم بعدم السماح للمهاجرين بالاستيطان، دفع الحكومة إلى إعادة العمل بالقيود التي كانت فرضتها في تشرين الثاني 1900.

كما كانت عملية متابعة للقرارات التي تتخذها المؤتمرات الصهيونية بهذا الخصوص؛ فأوردت صحيفة المؤيد أمر موافقة المؤتمر الصهيوني التاسع في كانون الأول/ديسمبر 1909، على رصد مئتي ألف فرنك لإنشاء مستعمرة تعاونية في فلسطين، في حين أكدت صحيفة الأمة على أن الغاية من عقده، هو بحث الهجرة الإسرائيلية وأحوال المهاجرين.

من جانبها، تصدى عدد من الصحف العربية لعمليات بيع الأراضي، التي كان أعداؤهم فيها الصهاينة من جهة، والسماسرة والسلطات التركية وبعض موظفيها من جهة أخرى؛ فصحيفة المقتبس في عددها الصادر في 15 آذار/مارس 1910، وصفت الهجمة الصهيونية على الأراضي بقولها: "ترأه اليوم لا يعرض للبيع عقار وأرض في حifa وما يليها إلا وينقضون عليه، ويشترونها بأثمان باهظة".

دفع هذا التواطؤ على بيع الأراضي بالكاتب مصطفى نمر إلى اتهام كل عثماني ببيع جمعيات الاستيطان رأساً أو بالوساطة أو بالقيام بتسهيل عمليات البيع ونيل الامتيازات والاستيلاء على التجارة بخيانة وطنه وحكومته.

أدى تزايد شكاوى أهالي فلسطين وخشيتهم من تدفق الهجرة اليهودية على بلادهم، وطلب النواب العرب، في منتصف أيار/مايو 1910، من وزير الداخلية أن يصدر تعليمات تقضي بمنع دخول المهاجرين اليهود، فأرسلت التعليمات إلى القدس وبيروت لتفعيل القيود على الهجرة.

في جلسة آذار/مارس 1911 أيد نائب القدس سعيد الحسيني ونائب دمشق عبد الرحمن بك، ونائب بيروت رضا الصلاح أقوال النائب إسماعيل حقي حول شراء الحركة الصهيونية أراضي فلسطين من بعض الإقطاعيين وتخصيصها للمهاجرين اليهود. وفي جلسة 16 أيار/مايو 1911، طالب نائب دمشق شكري العسلي بالتصويت على مشروع قانون يقضي بوقف الاستيطان اليهودي في فلسطين.

عندما وافقت الحكومة على منح امتياز أراضي الجولة وبيع أراضي غور بيسان في المزاد العلني في تموز/يوليو 1913، أثار ذلك ردود فعل غاضبة ومخاوف الأهالي؛ فبعث زعماء قراها وقبائلها وأعيانها وكبار المزارعين، برقين إلى كل من السلطان ووالى بيروت، أوضحوا فيها أن هذه الأراضي اغتصبت منهم، وبأنهم يؤثرون الموت دفاعاً عن شعبهم وممتلكاتهم، على أن يهجروا بلادهم.

من مظاهر الوعي العربي لخطر الصهيونية، ذلك المتعلق بعلاقة التقارب والمصالح التي ربطت الصهاينة بالاتحاديين، إذ اتّخذ الوعي العربي بعد ثورة الاتحاديين شكلاً جديداً مزدوجاً، تمثّل بكشف مخاطر المشروع الصهيوني من جهة، وكشف التعاون ما بينها وبين الاتحاديين من جهة أخرى، خصوصاً مع الدور البارز الذي لعبه اليهود - وتحديداً يهود الدونمة - في خلع السلطان عبد الحميد وبإدارة شؤون الدولة، فتباً رفيق العظم في ما كتبه في 13 آب/أغسطس 1909، بأنه سيكون لهم شأن كبير في عهد الدستور، غير الشأن الذي كان لهم في العهد السابق، وقد شاركه محمد رشيد رضا هذا الرأي، عندما ربط ذلك بآمالهم في القدس وفلسطين.

دفعت هذه العلاقة ببعضهم إلى التساؤل - كما فعل صاحب صحيفة الرأي العام طه المدور في تشرين الثاني/نوفمبر 1910 - قائلاً: لم نعد نعرف أهي عثمانية أم صهيونية؟

كما هاجمت صحفة حزب "الأحرار المعتدلين" - الذي تأسس في خريف عام 1911 - الاتحاديين، وأطلقت عليهم صفة الموالين للصهاينة.

ولدت هذه العلاقة المخاوف من الأثر السلبي الذي قد تتركه في علاقته العرب بجمعية تركيا الفتاة، وهو ما أشارت إليه مجلة المشرق في تشرين الثاني/نوفمبر 1911، في معرض حديثها عن مبالغة اليهود بإظهار فرجهم بالدستور الجديد، فقالت إن تظاهرهم بنياتهم اليهودية، لم يلبي أن أهاج سكان فلسطين ضد الدولة العثمانية الدستورية، وخصوصاً ضد جمعية تركيا الفتاة، التي أمست من جراء استسلامها للنفوذ اليهودي مكرهة في أكثر أنحاء المملكة العثمانية.

ثمة بُعد جديد أضافه عارف الشهابي في وعيه نتائج هذا التقارب في موضوع الهجرة، ألا وهو بعد القومي؛ فكتب في 23 كانون الأول/ديسمبر 1912 قائلاً: "إذا لم يكن ثمة داعٍ يدعونا إلى التألف من فكرة المهاجرة سوى الغاية التي يخيل لنا أن الحكومة ترمي إليها، وهي إضعاف القومية في نفوس أبناء جلدتنا، لكان بها مداعاة لنا على النفور والكرابية".

تجسدت المخاوف العربية إلى واقع، بخصوص أثر التواطؤ الاتحادي الصهيوني في صفقات بيع الأراضي، وتسهيل حصول الصهاينة على الأراضي الأميرية أو المدورة وأراضي الأوقاف؛ إذ قامت الحكومة بوضع هذه الأراضي في المزاد العلني، مما أثار ردود فعل عربية غاضبة، فوجهت "الجمعية الإصلاحية" في البصرة، في آب/أغسطس 1913 الاتهام للاتحاديين بأنهم "باعوا وطنهم، ووضعوا أراضي الدولة في المزاد، وبأنهم هم الذين شجعوا الحركة الصهيونية، واقترحوا عليها بيع فلسطين لليهود لإنشاء وطن مستقل لهم هناك".

كانت لجنة الامركزية الإدارية قد بعثت في 9تشرين الأول/أكتوبر 1913 برقة إلى الصدر الأعظم، طالبت فيها بمنع بيع أراضٍ أميرية إلا بقرار من مجلسها العمومي.

سعى الاتحاديون إلى تعزيز هيمنة الصهيونية الاقتصادية، وذلك من خلال بيعهم الامتيازات الزراعية والصناعية والتجارية ، فشنت مجلة المنار في شباط/فبراير 1913، هجوماً عليهم لهذا السبب، ولأنهم جعلوا في "وزارتهم الجديدة المشكلة في كانون الأول/ديسمبر 1912، ثلاثة وزراء من حزب اليهود الصهيوني، وجعلت في أيديهم نظارة النافعة ونظارة الزراعة والتجارة أي ينابيع الثروة". دفع هذا الوضع بسليم النجار إلى وصف الحكومة في 25 كانون الثاني/يناير 1913، بقوله: "الوزارة الحاضرة عصابة لصوص، يؤيدوها الصهيونيون".

من أشكال الوعي العربي لخطر الصهيونية هو الوعي سعيها إلى إقامة دولة مستقلة في فلسطين، وكانت هناك مؤشرات وعي مبكرة نوعاً ما لهذا الأمر، والصحافة العربية سباقه إلى إثارة المخاوف بهذا الشأن؛ ففي الرسالة التي بعث بها أمين أرسلان من باريس في 16 تشرين الأول/أكتوبر 1897 إلى صحيفة المقطم بعنوان "مملكة صهيونية"، أكد خلالها أن هدف مؤتمر بال هو "المفاوضة في مشترى أراضٍ فسيحة وقرى كثيرة في فلسطين وبجوار أورشليم في الدولة العلية، وجعلها مملكة إسرائيلية مستقلة تحت سيادة الحضرة الشاهانية، وعاصمتها القدس الشريف".

تحت عنوان "الحمام الإسرائيلي، ووطنه القديم"، ذكر فرح أنطون في مقال نشرته صحيفة الأهرام في 17 كانون الأول/ديسمبر 1898، أن القصد من سعي الصهيونية إلى شراء فلسطين، هو العودة إليها، وإعادة التمدن اليهودي فيها، بحجة أن الأرض أرضهم وأرض أجدادهم قبلهم.

كما أوردت مجلة المشرق عام 1899 " بأن غاية اليهود في مساعيهم لدى السلطان العثماني هو أن يمهدوا الطريق لبناء جلدتهم لإنشاء مملكة مستقلة في الأراضي المقدسة التي كانت قبل المسيح.

أما نجيب عازوري، فقد تحدث في كتابه "يقظة الأمة العربية"، الذي أصدره عام 1905، عن جهد اليهود الخفي لإعادة تكوين مملكة إسرائيل القديمة، معتمدين في مساعهم هذا على التفسير الحرفي والمادي للتوراة.

ووجه نجيب نصار الاتهام لليهود عام 1909 بتدبير الثورة على السلطان، لإحداث الفرقة بين الأتراك والعرب، من أجل هدم الإمبراطورية العثمانية، وإقامة مملكة يهودية على أنقاضها.

أما النواب العرب، فقد أيد كل من نائب القدس سعيد الحسيني، ونائب دمشق عبد الرحمن بك في جلسة الأول من آذار/مارس 1911، ما قاله مبعوث كوملجنة رئيس حزب الأهالي إسماعيل حقي حول سعي الصهيونية إلى تأليف مملكة يهودية. وهو أمر عاد وأكده كل من شكري العسلي وروحي الخالدي في جلسة 16 أيار/مايو 1911.

ثمّة جانب آخر اتسم به الوعي العربي خلال تلك المرحلة، هو الحرص على تمييز اليهود العثمانيين من الصهاينة، بل في كثير من الأحيان، كانوا يساوون في خطر هذه الحركة على العثمانيين اليهود وغير اليهود، وكان يدفعهم إلى ذلك، أمران: الأول قناعتهم بأن هؤلاء ليسوا من ضمن المخطط الصهيوني، فهم رافضون له، ويررون فيه تهديداً لوجودهم في الدولة، بأن الصهيونية من حيث الأصل لم تدخلهم في حساباتها. إن دل هذا على شيء، فإنما على قصور في الوعي لحقيقة ما كان يجري، ولتأكيد صحة هذا القول، تكفي الإجابة عن التساؤل: أين هم اليهود العرب الآن؟ وإلى من كان انتماً لهم الحقيقي؟ وما هو الدور الذي أداه هؤلاء في الترويج للمشروع الصهيوني في البلاد العربية؟ أما الثاني، فهو الخوف من اتهامهم بالسامية.

من أمثلة ذلك، ما قاله نائب بيروت رضا الصلح عند مناقشة المسألة الصهيونية في جلسة الأول من آذار/مارس 1911: "بالنسبة للموسويين العثمانيين فلا تدخل لهم، أما يهود الخارج فإنهم ي يريدون تشكيل دولة في فلسطين". وكان نائب القدس روحي الخالدي أكثر تحديداً في طرحة من خلال تأكيده أنه لا يتحدث عن مصالح المسلمين فقط، بل عن مصالح المسيحيين واليهود أيضاً، وأوضح أنه لا يقصد في حديثه اليهود من سكان فلسطين، إنما الصهيونية.

من المظاهر التي شغلت حيزاً مهماً في الوعي العربي لخطر المشروع الصهيوني، هو التهديد الاقتصادي الصهيوني، الذي شكل تهديداً مزدوجاً: أولاً لـلقوة الاقتصادية التي تمنت بها الصهيونية، وثانياً لأنّها في الاقتصاد العربي؛ فقد أدرك العرب في فلسطين وخارجها، أن الصهيونية تسعى إلى السيطرة على الوطن العربي سيطرة سياسية عسكرية شاملة، ولكنها في البداية على الأقل كانت تسعى إلى تكون هذه السيطرة اقتصادية، وقد كان الوعي للخطر الاقتصادي الذي تشكله الصهيونية لدى الفلسطينيين أسبق وأكير منه لدى بقية العرب. من هذا المنطلق، جاءت مقاومتهم للصهيونية بشكل مبكر جداً، بدليل أن هذه المقاومة لم تشتت إلا عندما بدأ تطبيق العمل العربي، في حين أن الوعي العربي خارج فلسطين كان ينصب بصورة أكبر على خطر الصهيونية السياسي، لذا انطلقت المعارضة لها على أساس قومي- باعتبار أن الصهيونية تهدّد كيان الأمة العربية ووحدتها- وذلك لبعد هؤلاء من تأثير الخطر الاقتصادي الصهيوني.

من هذا المنطلق، عرّف مراسل صحيفة الأهرام إبراهيم نجار الصهيونية، بأنها حركة سياسية اقتصادية لغوية تستحق اهتمام العثمانيين، وخصوصاً أهل فلسطين وسوريا. وقد شاركه رأيه هذا، نائب القدس سعيد الحسيني.

هناك من ربط بين إعلان الدستور والمهمة الاقتصادية الصهيونية، فكتب مراسل صحيفة المقتبس في حيفا عبدالله مخلص في 15 آذار/مارس 1910، يقول: "لم يكد يعلن الدستور حتى أخذت الأسرات الإسرائيلية المهاجرة تستأثر بالتجارة، وتحتكر الصناعة، وتزاحم الفقراء".

قدمت صحيفة الكرمل في 6 أيلول/سبتمبر 1910، وصفاً للآلية التي يعمل وفقها الصهاينة، فقالت: "وكلهم يعملون في جد ونشاط فلا تجد منهم أحداً بلا عمل، ولا يستخدمون أحداً من الوطنيين في مصانعهم وصناعاتهم العالية، إلا عند الحاجة، وذلك لا يكون إلا في الخدمات الرخيصة، ويسعون للقضاء على الصناعة الوطنية كصناعة الحجار، وذلك بایجاد بدائل أجمل وأرخص. يتعلمون اللغة الوطنية العربية بسرعة كي يعرفوا كيف يبيعون ويشترون من الوطنيين، ولا يدعون صنعة أو تجارة تمازجها الحيلة إلا ويضعون أيديهم عليها، وهم يستغلون بالزراعة على الأصول الأوروبيّة".

اتبعت الصهيونية في سبيل تحقيق أهدافها عدة أساليب، أدرك العرب بعضها، وغاب عنهم الكثير، فما أدركه العرب العلم ببعض أساليب الصهيونية، والتي كان أبرزها شراء الصهيونية عدداً من الصحف وإصدارها، لتتمكن من خلالها من الترويج لأهدافها، ومن الصحف التي اشتروها- وفقاً لما ذكره روحى الخالدي في كتابه السيونيّزّم- صحيفة إقدام، وأوزعوا إلى أصحابها بنشر المقالات الداعمة لهم، وكذلك صحيفة جون ترك وصاحبها جلال نوري الذي كان يستخدم كتاباً من غير اليهود لكي لا يسيء الناس الظن بالصحيفة عند دفاعها عن مصالح الصهاينة، واستخدم الأسلوب ذاته مع بعض الصحف السورية مثل النمير والنصير.

ثمة أسلوب آخر برع به الصهاينة هو الرشوة، الذي استخدمته أو حاولت استخدامه مع كل من تعاملت معهم لتحقيق أهدافها، وخير من قدم وصفاً لهذا الأسلوب، شكري العسلي في 5 كانون الأول/ديسمبر 1910، فيقول: "الحكومة كانت قبلًا منعت استعمارهم، ولكن بما بذلوه من الدنانير التي تسحر أباب الخائن من الحكم والمستخدمين استطاعوا أن يستولوا على ثلاثة أرباع قضاء طبرية، وبعض قضاءي صفد وبيافا والقدس والقسم المهم من نفس حيفا وبعض قراها، والليوم يسعون للدخول إلى قضاء الناصرة".

ومن أساليبها أيضاً التظاهر بالجنسية الأجنبية، حيث كان وسيلة استخدموها للتهرب من الخضوع لقوانين الدولة العثمانية، والحصول على الحماية الأجنبية والامتيازات التي كان يتمتع بها الأجانب، وقد أثارت التجاوزات التي كان يقدم عليها هؤلاء تحت مظلة جنسيتهم ، تحفظات العرب داخل فلسطين وخارجها، لذا اشترط أعيان القدس في العريضة التي رفعوها إلى الحكومة عام 1899، أن يصبح اليهود رعايا عثمانيين للسماح لهم بالاستقرار في فلسطين.

كشف الأمير مصطفى أرسلان في 25 حزيران / يونيو 1910 عن نقطة مهمة بهذا الصدد، وهي احتفاظ بعضهم بجنسين العثمانية والأجنبية، "فهم يتعثرون كذباً، ويقيدون أسماءهم في دفاتر الحكومة بأسماء غير أسمائهم، وعند الحاجة ييرزون البسابور طات بأسمائهم الحقيقة وبتابعياتهم الأجنبية، لذا طالب الدولة بتسجيل أسماء القادمين إليها على أنهم عثمانيون، وذلك بعد المصادقة على ذلك من دولهم وقناصلهم". وقد شاركه في هذا الرأي رفيق العظم.

ومن الامتيازات التي سعى الصهاينة إلى تحقيقها من وراء احتفاظهم بجنسياتهم، ما ذكره نائب بيروت رضا الصلح في جلسة مجلس النواب في آذار 1911، وهو عدم دفع الضرائب. وهناك أساليب التحايل في شراء الأراضي وتسجيلها، كالتلاعب بالمساحات التي يتم شراؤها، بحيث تظهر أقل مما هي عليه على أرض الواقع. وكذلك تسجيل القرى والمزارع الجاري بيعها لهم بأسماء مستعارة، واستغلال الأوضاع المالية والاقتصادية السيئة لمالك الأرضي وال فلاحين في فلسطين وخارجها، واغتنام الفرصة لإغرائهم بالمال لحل أزماتهم الاقتصادية، مقابل بيع أراضيهم.

وكذلك التلاعب بآعداد المهاجرين اليهود، وضربت صحفة الكرمل في 23 كانون الأول / ديسمبر 1910 على ذلك مثلاً، بقولها: "إن عدد نفوس الإسرائيليين في دفاتر حكومة حيفا لا يتجاوز الخمسينية حالة، ولكن عددهم الحقيقي يربو على العشرة آلاف، وكلهم لا تعرف الحكومة شيئاً عن تبعتهم وصفتهم".

من ذلك أيضاً، الوعي لمساعي الصهيونية نشر الفساد الخلقي في المجتمع العربي، كوسيلة للتمهيد لتحقيق مشروعها، ومثال ذلك ما أورده روحي الخالدي في كتابه السيونزم، من إقبال بعض قبائل العربان على المسكرات والغانيات من اليهود، حيث كانت هناك فرقة مكونة من ثلاثة ممثلات جميلات وثلاثة ممثلين، استمروا شهراً كاملاً يمثلون أمام العربان في بيوت الشعر عند عضو الإدارة في بئر السبع.

من مظاهر الوعي العربي لخطر المشروع الصهيوني تزايد القناعة بضرورة اقتراح القول بالفعل، لتكون المواجهة فاعلة، وترجمت ذلك إلى حلول عملية تمثلت بالدعوة إلى تقوية التجارة والصناعة الوطنية، وغرس حب العمل في الزراعة والتجارة والصناعة، وخصوصاً لدى الناشئة، وهو ما طالب به عدد من الشخصيات الفلسطينية في البيان الذي أرسلوه إلى نواب فلسطين عام 1908، والدعوة إلى إنشاء مشاريع ربحية، تدعم الاقتصاد الفلسطيني، فأسس نادي "الإخاء الوطني" في نابلس صندوقاً اقتصادياً من أجل هذه الغاية.

هناك خطوة مهمة اتبعها شكري العسلي مع أهالي قرية الفولة، وهي توعيتهم إلى حقوقهم القانونية لتمكينهم من مواجهة الهجمة الصهيونية، وخصوصاً على الأراضي، وذلك باستخدام حق الشفعة في الشراء والتملك.

كذلك تشكيل الأحزاب والجمعيات التي اقتصر هدفها على إيجاد السبل لمواجهة الخطر الصهيوني، وكان من أقدمها الهيئة المحلية التي ترأسها مفتى القدس محمد طاهر الحسيني عام 1897، وهي هيئة ذات صلاحيات حكومية تهدف إلى محاربة

الاستيطان الزراعي اليهودي، ومهمتها التدقيق في طلبات نقل الملكية في متصرفية القدس، وكانت من الفاعلية، بحيث حالت دون استقرار المهاجرين، ودون توظيفهم. وتكمّن أهميتها في أنها أول عمل جمعي مؤسسي منظم ومبكر للرد على تنامي الهجرة والاستيطان.

كما تألفت في كانون الأول/ديسمبر 1910 في الأستانة جمعية "المقاومة مشروع الأصفر"، من أجل مقاومة مشروع الأصفر، و"الحزب الوطني العثماني"، الذي أسسه في آب/أغسطس 1911 الشيخ سليمان التاجي الفاروقى، وسعى إلى منع بيع الأراضي، وإجراء إحصائية جديدة للنفوس وأملاك المستعمرات وأراضيها، واستيقاء الأموال الأميرية منهم لصالح الخزينة. وتأسس في القدس في حزيران/يونيو 1914 أربع مؤسسات وطنية، وهي: "الجمعية الخيرية الإسلامية"، و"جمعية الإخاء"، و"شركة التجارة الوطنية الاقتصادية". وتأسس "المنتدى الأدبي"، في حيفا، وكان برعاية نجيب نصار الذي أسس في بيروت جمعية "الشبيبة النابلسية"، وضمت مئة شاب من نابلس.

رداً على تطبيق الصهيونية سياسة العمل العربي، ورفض اليهود الصهاينة التعامل مع العرب، وخصوصاً بعد قيام الموجة الثانية من الهجرة الثانية عامي 1907/1908، ظهرت الدعوة إلى مقاطعة كل ما هو منتج صهيوني في الأوساط العربية، وإنجاح مثل هذه الخطوة طالبت صحيفة الأصماعي عام 1908 بشراء البضائع المحلية عوضاً من الأجنبية، وناشدت الممولين العرب تطوير التجارة والصناعة الوطنية.

كما طالب نصار بالمقاطعة التامة لليهود، وذلك بعدم الشراء منهم، أو البيع لهم، وعدم تأجيرهم للبيوت، وقد نجحت دعوته في إثارة الفلاحين ضد اليهود.

خلال عام 1910، بدأت حملة منظمة لمقاطعة البضائع المصنعة في المعامل والمنشآت اليهودية، وتشكلت المنظمات التي حاولت تزعم حركة الاحتجاج، وذلك رداً على مقاطعة اليهود للبضائع والأيدي العربية.

من سبل المواجهة التي تمت الدعوة إليها، نبذ الكسل والتقاعس، والاقتداء بالعدو؛ إذ أثار التنظيم الذي اتسم به الصهاينة والإخلاص والعمل الدؤوب إعجاب بعضهم، وارتاؤا أن أفضل طريقة لمواجهةهم هي بتقليلهم، وكان في مقدم من نادى بذلك نجيب نصار، فطالب في 18 حزيران/يونيو 1910 بمحاربتهم بسلاحهم، وذلك كما فعلوا هم بتآليف الشركات المالية لحفظ على الوطن، وحماية التجارة من خطر مزاحمته، والتعاون في ما بينهم.

رأى رفيق العظم في كانون الأول/ديسمبر 1910 أن أفضل وسيلة هي مجاراة الأهالي اليهود في اتخاذ وسائل الترقى الطبيعي.

أما شibli الشميمى، فكانت له وجهة نظر أخرى بهذا الشأن، فرأى في أيار/مايو 1914، أن الصهاينة ليسوا دخلاء غرباء يعملون على سلب الأرض، بل هم مجتهدون، والأرض هي ميراث المجتهد الذي يتمكن من استغلالها خير استغلال.

رأى حسين سليم الحسيني أن الصهاينة جماعة متعلمين وذوي ثقافة، ولا مطامع لديهم، وليس من العدل والإنسانية أن نكره وننادي هذا الشعب، بل يجب محاكماتهم، وفي الوقت ذاته مراقبتهم بعيون مفتوحة.

في نظره ختامية للوعي العربي لخطر المشروع الصهيوني 1897-1917م ، فإن أبرز ما يمكن أن يوصف به أنه لم يكن استباقياً في مواجهته هذا الخطر، فكانت ردود الفعل مبنية على ما يصدر عن العدو ، إضافة إلى عدم التمتع بالنفس الطويل في المواجهة ، والفشل في القراءة الصحيحة للعدو ، وفي توظيف الفرصة لصالحه ، إضافة إلى ضعف أداء النخبة العربية على اختلاف أشكالها ومستوياتها ، فقد عجزت عن الإتيان بحلول علمية وعملية تساعدها على المواجهة ، فاكتفى بعضهم بالأقوال ، وكان بعضهم خير عون للصهيونية في تنفيذ مخططها ، وانشغل بعضهم الآخر بمصالحه ، وتركوا المعنى الأول بالصراع والهدف الأول بالنسبة للصهيونية ، وهو الفلاح والعامل وصاحب الأرض والتاجر وغيرهم ، ليواجهوا معركة محسومة خسارتها قبل البدء بها ، مع عدو أعد العدة ، وتسلح بأفضل الأسلحة ، فكانت النتيجة التي لا تزال أمتنا حتى وقتنا الحاضر تدفع ثمنها.

## الهو امش..

[1←]

صالح زهر الدين، "الصهيونية: نشأتها، فكرها، ممارستها، "شؤون فلسطينية (بيروت)، العددان 138-139 (أيلول/سبتمبر - تشرين الأول/أكتوبر 1984)، ص 124.

[2←]

وليد الخالدي، *الصهيونية في مئة عام: من البكاء إلى الهيمنة على المشرق العربي*، 1897-1997 (بيروت: دار النهار، 1998)، ص 11.

[3←]

فرنسيس إملي نيوتن، *خمسون عاماً في فلسطين: مذكرات صديقة العرب*، ترجمة وديع البستاني (عمّان: جمعية عمال المطبع التعاونية، 1967)، ص 116، محمود نهار الشناق، *العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين 1293-1876هـ/1876-1914م* (حلحول، فلسطين: مطبعة بابل الفنية، 2005)، ص 534.

[4←]

الخالدي، *المصدر نفسه*، ص 11، وحسن محمد صبحي، *التآمر الصهيوني ضد الأمة العربية*، 1882-1967 (بيروت: دار النهضة، 1968)، ص 18-19.

[5←]

أنيس صايغ، *معد، يوميات هرتزل*، ترجمة هلدا شعبان صايغ (بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1968)، ص 75.

[6←]

فيصل حوراني، *جذور الرفض الفلسطيني 1918-1948* (رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية - مواطن، 2003)، ص 12.

[7←]

محمد محمد حسين، *الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر*، 2 ج (بيروت: دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1970)، ج 1، ص 65، وألبرت حوراني، *الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939*، ترجمة كريم عزقول، ط 4 (بيروت: دار النهار للنشر، 1986)، ص 321.

[8←]

سهام نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام" و "المقطم" و "المؤيد" و "اللواء" و "الجريدة" و "الأهالي" (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993)، ص 153.

[9←]

المقطف، الجزء 22 (نisan/أبريل 1898)، ص 310.

[10←]

المنار، مجل 1، ج 6 (1898)، ص 105-108.

[11←]

عبد العزيز عوض، "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914،" شؤون فلسطينية، العدد 36 (آب/أغسطس 1974)، ص 75.

[12←]

عادل مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1976م)، ص 150، وعلى محمد اسليم، تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين (عمان: مؤسسة الخدمات العربية، 1988)، ص 112.

[13←]

سامي ذبيان، "الشخصية الفلسطينية: مداخلة تمهدية لتخليها وتحديد خصوصيتها،" مجلة شؤون عربية (تونس)، عدد خاص (أيلول/سبتمبر 1988)، ص 162.

[14←]

صايغ، معد، يوميات هرتزل، ص 28، 32، 35، 64، 101 و 146.

[15←]

من الأمثلة التي يوردها هرتزل على ذلك أنه في 4 حزيران/يونيو 1903 - وعندما أعاد الاتصال بعمرت باشا بعد انقطاع عدة أشهر - كتب له على ورقة منفصلة غير الرسالة الرئيسة، قال فيها: "كم تريده لنفسك إذا نجح المشروع، أطلب ما تريده واذكر على ورقة غير موقعة الطريقة التي تريدها أن ندفع بها، وابعث بذلك إلي في مظروف مختوم عليه اسمي فقط، لن يعرف حامل الرسالة ما فيها، تستطيع أن تعطيه طلباً هذا، ويبقى كل شيء سراً بيني وبينك". انظر: المصدر نفسه، ص 397.

[16←]

المصدر نفسه، ص 37.

[17←]

المصدر نفسه، ص 35-36.

[18←]

المصدر نفسه، ص 214.

[19←]

نصار ، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام" و"المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة" والأهالي" ، ص 160.

[20←]

المصدر نفسه، ص 161.

[21←]

مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918)، ص 127.

[22←]

المصدر نفسه، ص 161.

[23←]

البشير، العدد 1524 (20/1/1920)، ص 3.

[24←]

المنار، مج 4، ج 21 (26/1/1902)، ص 805.

[25←]

المنار، مج 4، ج 21 (26/1/1902)، ص 802 و 803.

[26←]

نصار ، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام" ، "المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة" والأهالي" ، ص 161.

[27←]

المصدر نفسه، ص 162.

[28←]

عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999)، ص 25.

[29←]

محمد كرد علي، خطط الشام، 6 ج (دمشق: مكتبة النوري، 1983)، ج 3، ص 204.

[30←]

عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990)، ص 52.

[31←]

نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام"، "المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة" والأهالي" ، ص 124.

[32←]

حددت هذه الرابطة هدفها بتحرير الشام والعراق من سيطرة الترك، وذلك من خلال إصدار نداءات تدعوا فيها العرب إلى الثورة؛ لمزيد من التفاصيل، انظر: مصطفى الشهابي، القومية العربية: تاريخها وقوامها ومراميها (القاهرة: معهد الدراسات العربية، 1961)، ص 58.

[33←]

أسعد رزوق، "نجيب عازوري الوحدوي المجهول،" المستقبل العربي، السنة 1، العدد 4 (تشرين الثاني/نوفمبر 1978)، ص 92؛ محمود عبيدات، أحمد مرعيد، 1886-1926: قائد ثورة الجولان وجنوب لبنان وشرق الأردن (الندن: رياض الرئيس للكتب والنشر، 1997)، ص 69، و

, selected and edited with an Arab Nationalism: An Anthology Haim (Berkeley, CA: University of introduction by Sylvia G. California Press, 1962), p. 30

[34←]

ألفريد دريفوس: هو ضابط فرنسي يهودي اتهم بالتجسس لحساب ألمانيا عام 1894، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة، ثم تم العفو عنه عام 1906 وإعادته إلى منصبه، بعد سنوات تحولت قضية دريفوس من قضية فردية عادمة إلى قضية سياسية، حيث وجد الصهيونيون فيها فرصة لإثارة قضية معاداة السامية، وإقناع الأقليات اليهودية بتحميم الحل الصهيوني للمسألة اليهودية، ويقال إن هذه القضية كانت نقطة التحول في موقف كثير من مفكري الصهيونية الذين كانوا يدعون إلى اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون في كنفها، وفي مقدمهم هرتزل؛ لمزيد من التفاصيل، انظر: ثيودور هرتزل، الدولة اليهودية، ترجمة محمد يوسف عدس؛ مراجعة ودراسة عادل حسن غنيم (القاهرة: مركز الناصر، 2006)، ص 40.

[35←]

رزوق، المصدر نفسه، ص 92، وحوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، 1798-1939، ص 331.

[36←]

صايغ، معد، يوميات هرتزل، ص 358.

[37←]

بيان نويهض الحوت، فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917 (بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، 1991)، ص 435، ويوفس حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني"، "شؤون فلسطينية"، العددان 146-147 (أيار/مايو-حزيران/يونيو 1985)، ص 92.

[38←]

يشير مترجم كتاب عازوري في ترجمته لحياته ومؤلفاته، أن له عدداً من المؤلفات لم يصلنا منها سوى كتاب واحد هو يقظة الأمة العربية، أما الكتب الأخرى التي ذكرها صديقه آجن جنك في الثورة العربية، فلم يعثر عليها حتى في المكتبة الوطنية في باريس، ويرجح أن الصهيونية العالمية قد قامت بسحب هذه الكتب وإتلافها، ومنها: كتاب الوطن العربي: دراسة معمقة للوضع الراهن، ودراسة مستقبل الأقطار العربية الآسيوية، وكتاب الخطر اليهودي العالمي: تصريحات ودراسات سياسية، وكتاب الدول الأجنبية ومسألة المقدسات المسيحية في الأرض المقدسة (خلاصة تاريخية وعرض للوضع الراهن)؛ لمزيد من التفاصيل انظر: نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ترجمة وتقديم أحمد ملحم (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998)، ص 22.

[39←]

المصدر نفسه، ص 39 و 43.

[40←]

المصدر نفسه، ص 43.

[41←]

المصدر نفسه، ص 74-75.

[42←]

شباتي تبيت، بن غوريون والعرب، ترجمة غازي السعدي (عمان: دار الجليل للنشر، 1987)، ص 32.

[43←]

من هؤلاء حافظ بك السعيد الذي اعتقل عام 1905 والذى اتهم بالترويج لأفكار عازوري ومنتشراته، وتم تفتيش بيته وأوراقه، ثم أطلق سراحه بعد مدة قصيرة؛ لمزيد من التفاصيل، انظر: مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918)، ص 207.

[44←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 52.

[45←]

محمد جميل بيهم، قوافل العروبة ومواكمها خلال العصور، 2 ج (بيروت: مطبع الكشاف، 1950)، ج 1، ص 19، ص 20، ووجيه كوثاني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، سلسلة أطروحتات الدكتوراه؛ 13 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988)، ص 161.

[46←]

الشهابي، القومية العربية: تاريخها وقوامها ومراميها، ص 59.

[47←]

رزوق، "نجيب عازوري الوحدوي المجهول، " ص 93، وعيادات، أحمد مرعيد، 1886-1926: قائد ثورة الجولان وجنوب لبنان وشرق الأردن، ص 70.

[48←]

نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام" و "المقطم" و "المؤيد" و "اللواء" و "الجريدة" والأهالي، ص 163.

[49←]

مجلة المقتبس، مح 1، ج 8 (19/9/1906)، ص 281.

[50←]

أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسيعى الصهيونى (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973م)، ص 191، وليد الخالدي، محرر، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، 2 ج (الرياض: اتحاد الجامعات العربية، 1983)، ج 1، ص 207.

[51←]

خليل السكاكيني، كذا أنا يا دنيا: يوميات خليل السكاكيني (القدس: المطبعة التجارية، 1955)، ص 33- 34.

[52←]

سلیمان فیضی، مذکرات سلیمان فیضی: من رواد النهضة العربية في العراق 1885-1951، تحقيق باسل سلیمان فیضی (بیروت: دار الساقی، 1998)، ص 79.

[53←]

سلیمان البستانی، عبرة وذکری أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، تحقيق خالد زیاده (بیروت: دار الطیعة للطباعة والنشر، 1978)، ص 247.

[54←]

Yousef Gorny, Zionism and the Arabs, 1882-1948: A Study of Ideology, translated by Chaya Galai (Oxford: Clarendon Press, 1987), p. 21

[55←]

یوسف الخازن، الدولة اليهودية في فلسطين: وجهة نظر أحد أبناء البلاد، تقديم وتعليق غسان الخازن (بیروت: أصدقاء الأرض المقدسة، 1987)، ص 16-15.

[56←]

ابراهیم ابراش، البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية، سلسلة أطروحتات الدكتوراه، 10 (بیروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987)، ص 24.

[57←]

أحمد الظاهر ومحمود الزعبي، بين الفكرین العربي والصهیوني (عمان: دار ابن رشد للنشر والتوزیع، 1985)، ص 75.

[58←]

می صیقلی، حیفا العربية، 1918-1939: التطور الاجتماعي والاقتصادي، سلسلة المدن الفلسطينية، 1 (بیروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997)، ص 55.

[59←]

خیریة قاسمية، "نجيب نصار في جرينته "الكرمل" 1909-1914م، "شؤون فلسطینیة، العدد 23 (تموز/یولیو 1973)، ص 101-103.

[60←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 546.

[61←]

المقتبس، العدد 467 (6/9/1910)، ص 1 و 27.

[62←]

قاسمية، ”نجيب نصار في جرينته ”الكرمل“، 1909-1914م، ”ص 103.

[63←]

المؤيد، العدد 5830 (31/7/1909)، ص 7، والمقتبس، العدد 196 (5/8/1909)، ص 3.

[64←]

الاتحاد العثماني، العدد 249 (15/7/1909)، ص 1-2.

[65←]

النعمة، ج 1 (1/11/1909)، ص 172.

[66←]

النبراس، مج 1، ج 9 (15/10/1909)، ص 348.

[67←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 535.

[68←]

صيفي، حifa العربية، 1918-1939: التطور الاجتماعي والاقتصادي، ص 55.

[69←]

عصمت برهان الدين، ”النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين“، ”شؤون عربية“، العدد 93 (آذار/مارس 1998)، ص 155.

[70←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 528.

[71←]

فخري البارودي، مذكرات فخري البارودي: ستون سنة تتكلم، 2 ج (دمشق: عاطف العجة، 1952)، ج 2، ص 112؛ السكاكيني، كذا أنا يا دنيا: يوميات خليل السكاكيني، ص 46؛ أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية (القاهرة: دار القاهرة للطباعة والنشر، 1958)، ص 35-36؛ الشهابي، القومية العربية: تاريχها وقوامها ومراميها، ص 87-80، وأحمد عزت الأعظمي، القضية العربية:

أسبابها، مقدماتها، تطور اتها، نتائجها (بغداد: مطبعة الشعب، 1932)، ص 53-54

[72←]

خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918 (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1973م)، ص 46، وبسام البطوش، ”رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية، ” (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1995)، ص 144.

[73←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 29/11/1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1549 (24/1/1931)، ص 6.

[74←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 60.

[75←]

يوسف الحكيم، سوريا والعهد العثماني (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1966)، ص 211.

[76←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 11 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1547 (17/1/1931)، ص 6.

[77←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 7 شباط/فبراير 1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1567 (28/3/1931)، ص 8.

[78←]

المقتبس، العدد 318 (15/3/1910)، ص 2.

[79←]

المقتبس، العدد 459 (28/8/1910)، ص 2.

[80←]

المقتبس، العدد 371 (15/5/1910)، ص 2.

[81←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 1 آب/أغسطس 1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1506 (27/8/1930)، ص 8.

[82←]

المصدر نفسه.

[83←]

المصدر نفسه.

[84←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 16 أيلول/سبتمبر 1910، فاقر أوه، ” الكرمل، العدد 1522 (22/10/1930)، ص 6.

[85←]

المصدر نفسه.

[86←]

المصدر نفسه.

[87←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 29/11/1910 فاقر أوه، ” الكرمل، العدد 1550 (24/1/1930)، ص 6.

[88←]

المقتبس، العدد 542 (5/12/1910)، ص 1، وكرد علي، خطط الشام، ج 3، ص 129.

[89←]

البطوش، ”رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية، ” ص 146.

[90←]

الخالدي، محرر، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، ج 1، ص 208.

[91←]

وليد الخالدي، ”بناء الدولة اليهودية، 1897-1948م: الأداة العسكرية، ” مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 39 (صيف 1999)، ص 68.

[92←]

الحضارة، العدد 65 (23/6/1911)، ص 1.

[93←]

النفائس، ج 8 (آب/أغسطس 1911)، ص 376.

[94←]

الكلية، العدد 20 (كانون الأول/ديسمبر 1911)، ص 61.

[95←]

نسيم ملول، *أسرار اليهود* (القاهرة: المؤلف، 1911)، ص 61.

[96←]

الحضارة، العدد 59 (16/5/1911)، ص 5.

[97←]

المؤيد، العدد 6309 (8/3/1911)، ص 4، و توفيق علي برو، *العرب والترك في العهد الدستوري العثماني*، 1908-1914 (دمشق: دار طлас، 1991)، ص 282.

[98←]

برهان الدين، "النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين،" ص 156.

[99←]

الحضارة، العدد 59 (16/5/1911)، ص 6.

[100←]

المنهل، مج 2، ج 2 (شوال 1331هـ-أيلول/سبتمبر 1913م)، ص 49.

[101←]

المنار، مج 14، ج 2 (1/3/1911)، ص 159.

[102←]

وليد الخالدي، "كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روحى الخالدى المتوفى سنة 1913، " في: برهان الدجاني [وآخرون]، دراسات فلسطينية: مجموعة أبحاث وضعت تكريماً للدكتور قسطنطين زريق، تحرير هشام نشابة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1988)، ص 73.

[103←]

المصدر نفسه، ص 73-74.

[104←]

"ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 27 أيار / مايو 1911، فاقرأواه، " الكرمل، العدد 1593 (1/7/1931)، ص 8.

[105←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 24 حزيران/يونيو 1911، فاقرأوه“، ”الكرمل، العدد 1599 (22/7/1931)، ص 8.

[106←]

المقتبس، العدد 589 (1/2/1911)، ص 1.

[107←]

المنار، مج 14، ج 1 (30/1/1911)، ص 80، وأنور الجندي، تاريخ الصحافة الإسلامية، 2 ج (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1986)، ص 223.

[108←]

المنار، مج 14، ج 2 (1/3/1911)، ص 159.

[109←]

المشرق، العدد 2 (شباط/فبراير 1912)، ص 7-8.

[110←]

أنور الجندي، يقظة الفكر العربي في مواجهة الاستعمار، 3 ج (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1971)، ص 118.

[111←]

ليف كوتلوف، الحركة العربية في المشرق، 1908-1914: دراسة سياسية تاريخية اقتصادية، ترجمة زياد الملا؛ تقديم عبد الله حنا (بيروت: دار الكنوز الأدبية، 2001)، ص 188.

[112←]

سهيل سليمان الشلبي، شكري العсли (1868-1916): من أجل الاستقلال العربي ومقاومة الصهيونية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010)، ص 72، وعبد الحميد الزهراوي، الإرث الفكري للمصلح الاجتماعي عبد الحميد الزهراوي، جمعه وحقق جودت الركابي وجميل سلطان (دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، 1962)، ص 380.

[113←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 31 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه“، ”الكرمل، العدد 1615 (16/9/1931)، ص 8.

[114←]

المصدر نفسه.

[115←]

المقتبس، العدد 764 (26/8/1911)، ص 2.

[116←]

المقتبس، العدد 833 (19/11/1911)، ص 1-2.

[117←]

المقتبس، العدد 828 (13/11/1911)، ص 2.

[118←]

في عددها الصادر في 4 كانون الأول/ديسمبر 1911، أشارت الصحيفة إلى مسألة الإسرائيليين الأمريكان، وحرية سفرهم وتجارتهم مع روسيا، ثم تحدثت في عددها بتاريخ 1 شباط/فبراير 1913 عن الإسرائيليين في تركيا وتقدير الحكومة، وتحدثت في 11 آب/أغسطس 1914 عن اليهود في تركيا، حيث استعرضت تاريخ هجرتهم إلى الدولة العثمانية، وفي 9 أيلول/سبتمبر 1913 تناولت بإسهاب المؤتمر الصهيوني الحادي عشر الذي انعقد في فيينا.

[119←]

البيان، العدد 54 (24/11/1911)، ص 3.

[120←]

الوطن، العدد 455 (16/2/1911)، ص 2.

[121←]

قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 84، والホت، فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917، ص 441.

[122←]

محمد الطراونة، قضاء يافا في العهد العثماني: دراسة إدارية اقتصادية اجتماعية، 1281-1864هـ/1333-1914م (عمان: وزارة الثقافة، 2000)، ص 471.

[123←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 62، وعوض، "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914،" ص 78.

[124←]

علي محافظة، الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، 1918-1948 (عمان: مركز الكتب الأردني، 1989)، ص 21.

[125←]

من هذه المطالب اعتراف الباب العالى بالعرب كقومية مميزة، وباللغة العربية كلغة رسمية، والمبدأ الإقليمي للخدمة العسكرية، والحق الانتخابي للعشائر والقبائل العربية، وتوسيع صلاحيات المجالس العربية المحلية، وبيؤكد أحمد الأعظمي أن حقي العظم هو من وضع النداء، وأصدره باسم "الجمعية الثورية"، التي أسسها هو والشيخ فؤاد الخطيب، وبيؤيده في هذا الرأي عزت دروزة، الذي ينفي أن تكون هذه المنشير صادرة من حزب الامركزية، وذلك لأن الصرخة الأولى والثانية عليهما ختم يحمل تاريخ 1909، وهو على الأرجح تاريخ تأسيس الجمعية الثورية، إضافة إلى تناقض المحتوى الثوري للصرخات مع حزب الامركزية، وبأن سبب الربط بين هذه الصريحات والحزب يعود إلى العثور على نسخة من الصيحة الثالثة بين أوراق الحزب التي وصلت إلى الاتحاديين، فعزّتها للحزب من أجل تجريمه، وكإثبات على خيانته. كما ينفي دروزة ما ذهب إليه محب الدين الخطيب بأن هذه الصريحات تعود إلى الجمعية العربية الفتاة، وذلك لاختلاف الكبير في الأختام، ليرجح في النهاية أن هذه الأختام تعود إلى جمعية عربية سرية قامت في العهد الدستوري؛ لمزيد من التفاصيل، انظر: محمد عزت دروزة، نشأة الحركة العربية: انبعاثها ومظاهرها وسيرها في زمن الدولة العثمانية إلى أوائل الحرب العالمية الأولى (تاريخ وذكريات وتعليقات) (بيروت؛ صيدا: المكتبة العصرية، 1971)، ص 388، والأعظمي، القضية العربية: أسبابها، مقدماتها، تطوراتها، نتائجها، ج 4، ص 110-117.

[126←]

الأعظمي، المصدر نفسه، ج 4، ص 110-117.

[127←]

المنادي، العدد 3 (20/4/1912)، ص 2.

[128←]

المنادي، العدد: 35 (8/10/1912)، ص 1.

[129←]

المقتبس، العدد 889 (28/1/1912)، ص 2.

[130←]

الحرب البلقانية: هي الحرب التي أعلنتها دول البلقان (صربيا، بلغاريا، اليونان) ضد الدولة العثمانية، والتي انتهت بخسارة الدولة العثمانية الكثير من أراضيها في أوروبا، كما دُمر جزء كبير من جيشهما.

[131←]

خيرية قاسمية، "مواقف عربية من التقاهم مع الصهيونية، 1913-1914"، "شؤون فلسطينية، العدد 31 (آذار/مارس 1974)، ص 129.

[132←]

Neville J. Mandel,

(Berkeley, CA;The Arabs and Zionism before World War I London: University of California Press, 1976), p. 125.

[133←]

قاسمية، "نجيب نصار في جرينته "الكرمل" ، 1909-1914م، " ص 111.

[134←]

الخالدي، "كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روحى الخالدي المتوفى سنة 1913 ، " ص 80.

[135←]

المصدر نفسه، ص 80

[136←]

عرفات حجازي، الصهيونية: نشأتها وقياداتها ومنظوماتها السرية ([د. م: د. ن.]. 24)، ص 24 (1980

[137←]

واصف جوهرية، القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية، الكتاب الأول من مذكرات الموسيقي واصف جوهرية، 1904-1917، تحرير وتقديم سليم تماري وعصام نصار ، 2 ج (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003)، ج 1، ص 36 و 200.

[138←]

السيد يسین وعلی الدین هلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948، 2 ج (بغداد: معهد البحوث والدراسات، 1975)، ص 135.

[139←]

فيضي، مذكرات سليمان فيضي: من رواد النهضة العربية في العراق 1885-1951، ص 166-167.

[140←]

قاسمية، "مواقف عربية من التقاهم مع الصهيونية، 1913-1914، " ص 130.

[141←]

البطوش، "رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية،" ص 148.

[142←]

الزهراوي، الإرث الفكري للمصلح الاجتماعي عبد الحميد الزهراوي، ص 235.

[143←]

قاسمية، "مواقف عربية من التقاهم مع الصهيونية، 1913-1914،" ص 132.

[144←]

السماكي، كذا أنا يا دنيا: يوميات خليل السماكي، ص 71.

[145←]

قاسمية، المصدر نفسه، ص 136.

[146←]

حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني،" ص 110.

[147←]

اسخريوطى: هو لقب يهودا الذي سلم المسيح.

[148←]

قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 219.

[149←]

قاسمية، "مواقف عربية من التقاهم مع الصهيونية، 1913-1914،" ص 142.

[150←]

المصدر نفسه، ص 142.

[151←]

برر عبد الحميد الزهراوي اختيار باريس كمكان لانعقاد المؤتمر "بالاضطهاد الذي لقيته الجمعية الإصلاحية في بيروت، وسجن بعض أعضائها، ونُسمع أوروبا مطالبنا، ونعلن رأينا في ما يمكن أن تطمح إليه بلادنا، وفضلنا باريس لأن الجالية العربية فيها أكثر عدداً منها فيسائر العاصمة"، لمزيد من التفاصيل، انظر: داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية، ص 59.

[152←]

المصدر نفسه، ص 58.

[153←]

أبراش، **البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية**، ص 23-24.

[154←]

صيفي، **حifa العربية، 1918-1939: التطور الاجتماعي والاقتصادي**، ص 57.

[155←]

محافظة، **الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني**، 1918-1948، ص 22.

[156←]

المصدر نفسه، ص 22-23.

[157←]

يسين وهلال، **الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948**، ص 134-135.

[158←]

البيان، العدد 136 (9/9/1913)، ص 2.

[159←]

قاسمية، "مواقف عربية من التقاهم مع الصهيونية، 1913-1914،" ص 136.

[160←]

داعر، **مذكراتي على هامش القضية العربية**، ص 40.

[161←]

المصدر نفسه، ص 42 و 44.

[162←]

المصدر نفسه، ص 43.

[163←]

المنار، مج 17، ج 4 (27/3/1914)، ص 309-310.

[164←]

قاسمية، **النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداته 1908-1918**، ص 231.

[165←]

داعر، **مذكراتي على هامش القضية العربية**، ص 44.

[166←]

البطوش، ”رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية“، ص 150.

[167←]

محب الدين الخطيب، أوراق محب الدين الخطيب: جوانب من سيرة حياته (مخطوط) (مركز الوثائق، الجامعة الأردنية، عمان).

[168←]

البطوش، المصدر نفسه، ص 152.

[169←]

المصدر نفسه، ص 157.

[170←]

الدليل، العدد 497 (19/6/1913)، ص 4.

[171←]

الهلال، مج 22، ج 2 (تشرين الثاني/نوفمبر 1913)، ص 92-98.

[172←]

قاسمية، ”مواقف عربية من التقاهم مع الصهيونية، 1913-1914“، ص 138.

[173←]

المنهل، مج 1، ج 6 (7 صفر وربيع الأول 1332هـ -كانون الثاني/يناير 1914)، ص 277.

[174←]

السكاكيني، كذا أنا يا دنيا: يوميات خليل السكاكيني، ص 63.

[175←]

المصدر نفسه، ص 67-68.

[176←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 73.

[177←]

المصدر نفسه، ص 73.

[178←]

كوتلوف، الحركة العربية في المشرق، 1908-1914: دراسة سياسية تاريخية اقتصادية، ص 249.

[179←]

فلسطين، العدد 328 (25/7/1914)، ص 2.

[180←]

ذبيان، "الشخصية الفلسطينية: مداخلة تمهدية لتحليلها وتحديد خصوصيتها، " ص 161.

[181←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 71.

[182←]

المصدر نفسه، ص 74.

[183←]

يعقوب الدجاني ولينا يعقوب الدجاني، فلسطين واليهود وجريمة الصهيونية والعالم، تحرير مفلح الخوادلة (عمان: [د.ن.][1993])، ص 250.

[184←]

يوسف لمدان، العرب والصهيونية، 1882-1914، ترجمة الياس شوفاني (دمشق: دار الحصاد، 2009)، ص 81.

[185←]

لسان الحال، العدد 7470 (4/2/1914)، ص 2.

[186←]

نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام"، "المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة" والأهالي" ، ص 81-82.

[187←]

المصدر نفسه، ص 82.

[188←]

قاسمية، "مواقف عربية من التقاهم مع الصهيونية، 1913-1914، " ص 146.

[189←]

قاسمية، "نجيب نصار في جريدة الكرمل" ، 1909-1914م، " ص 139.

[190←]

المصدر نفسه، ص 139.

[191←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 554.

[192←]

الحوت، فلسطين: القضية، الشعوب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917 ص 440.

[193←]

المنار، مج 17، ج 9 (أيار/مايو 1914)، ص 708.

[194←]

لдан، العرب والصهيونية، 1882-1914، ص 81.

[195←]

الخالدي، محرر، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، ج 1، ص 209.

[196←]

مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918)، ص 129.

[197←]

الكيلي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 78.

[198←]

لдан، العرب والصهيونية، 1882-1914، ص 82.

[199←]

المصدر نفسه، ص 80.

[200←]

المصدر نفسه، ص 79.

[201←]

حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، " ص 110.

[202←]

الأعظمي، القضية العربية: أسبابها، مقدماتها، تطور اتها، نتائجها، ج 4، ص 4-5.

[203←]

المصدر نفسه، ص 6-7.

[204←]

يسين وهلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948، ص 135

[205←]

الهلال، مج 24، ج 5 (1916)، ص 401

[206←]

المصدر نفسه، ص 401

[207←]

The Arab Bulletin: Bulletin of the Arab Bureau in Cairo, 1916-  
.London: Archive Editions, 1986), vol. 1, p. 213) 1919

[208←]

Anita L. P. Burdett, ed.,

(Cambridge, Islamic Movement in the Arab World, 1913-1966  
UK: Cambridge University Press, 1998), vol. 1, p. 117.

[209←]

الأفكار، العدد 1065 (20/9/1916)، ص 4

[210←]

المصدر نفسه، ص 4

[211←]

الزهراوي، العدد 110 (9/7/1917)، ص 1-2.

[212←]

الياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى 1949)  
(بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1998م)، ص 297.

[213←]

سهام نصار، الصحافة الإسرائيلية والدعائية الصهيونية في مصر (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1991)، ص 188

[214←]

الخالدي، "كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية" لمحمد روحى الخالدي المتوفى سنة 1913، "ص 71.

[215←]

آباء الحركة الصهيونية، ترجمة عبد الكريم النقib، شخصيات صهيونية؛ 5 (عمان: دار الجليل للنشر، 1987)، ص 94.

[216←]

ريزا دومب، صورة العربي في الأدب اليهودي، ترجمة عارف توفيق عارف (عمان: دار الجليل، 1990)، ص 32.

[217←]

الخالدي، "كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية" لمحمد روحى الخالدي المتوفى سنة 1913، "ص 71.

[218←]

فلسطين العربية واليهود، (دمشق: مكتبة الأسد، [د.ت]), ص 156.

[219←]

B. Destani, ed.,

Minorities in the Middle East: Jewish Communities in Arab Countries 1841-1974 (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2005), vol. 3, p. 23.

[220←]

آباء الحركة الصهيونية، ص 96.

[221←]

حاييم وايزمان، مذكرات حاييم وايزمان بقلمه 1952: أول رئيس لدولة إسرائيل (بيروت: دار الفنون للطباعة والنشر، 2006)، ص 25 و 29.

[222←]

المصدر نفسه، ص 46.

[223←]

علي محافظة، الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، 1918-1948 (عمان: مركز الكتب الأردني، 1989)، ص 13.

[224←]

مصطفى الدباغ، "الاستيطان اليهودي في ريف فلسطين في العهدين العثماني والبريطاني، 1854-1948م، " دراسات عربية، العدد 5 (آذار/مارس 1975)، ص 30 و34، ومحمد رياض، الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة (بيروت: دار النهضة، 1989)، ص 83.

[225←]

واصف جوهري، القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية، الكتاب الأول من مذكرات الموسيقي واصف جوهري، 1904-1917، تحرير وتقديم سليم تماري وعصام نصار، 2 ج (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003)، ص 52.

[226←]

عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999)، ص 230.

[227←]

ثيودور هرتسل: عراب الحركة الصهيونية، شخصيات صهيونية (عمان: دار الجليل للنشر، 1986)، ص 280، وسمير أيوب، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، 2 ج (بيروت: صامد للطباعة والنشر، 1984)، ج 1: مرحلة الإرهاصات، ص 77.

[228←]

أنيس صايغ، معد، يوميات هرتزل، ترجمة هلدا شعبان صايغ (بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1968)، ص 66، وحسان حلاق، " موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيوني، 1897-1904، " شؤون فلسطينية، الأعداد 74-77 (كانون الثاني/يناير 1978)، ص 162.

[229←]

ثيودور هرتزل، الدولة اليهودية، ترجمة محمد يوسف عدس؛ مراجعة ودراسة عادل حسن غنيم (القاهرة: مركز الناصر، 2006)، ص 83.

[230←]

أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية (عمان: دار البشير؛ مؤسسة الرسالة، 1997)، ص 78 و88.

[231←]

محمد كرد علي، خطط الشام، 6 ج (دمشق: مكتبة النوري، 1983)، ج 3، ص 129.

[232←]

(London) (April 1900), p. 128. Palestine Exploration Fund

[233←]

Donna Robinson Divine, Politics and Society in Ottoman Palestine: The Arab Struggle for Survival and Power (London: Lynne Rienner Publishers, 1993), p. 135.

[234←]

جوهرية، القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية، الكتاب الأول من مذكرات الموسيقي واصف جوهرية، 1904-1917، ص 52.

[235←]

الدجاج، "الاستيطان اليهودي في ريف فلسطين في العهدين العثماني والبريطاني، 1854-1948م، " ص 31.

[236←]

البشير ، العدد 1426 (5/3/1900)، ص 3

[237←]

المصدر نفسه، ص 3.

[238←]

فلسطين العربية (دمشق: مكتبة الأسد، [دب]) ص 147-148.

[239←]

محمود نهار الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م) (حلحول، فلسطين: مطبعة بابل الفنية، 2005)، ص 306

[240←]

صايغ، معد، يوميات هرتزل، ص 173 و200، ومصطفى السيد عاشور، نحن والصهيونية (القاهرة: مكتبة وهبة، 2002)، ص 205.

[241←]

عرفات حجازي، الصهيونية: نشأتها وقياداتها ومنظماتها السرية ([د. م: د. ن.][1980)، ص 56]

[242←]

النعميمي، اليهود والدولة العثمانية، ص 89-91.

[243←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 115.

[244←]

عبد الفتاح العويسى، جذور القضية الفلسطينية، 1799-1922 (الخليل، فلسطين: دار الحسن للطباعة والنشر، 1992)، ص 77.

[245←]

محمد عزة دروزة، نشأة الحركة العربية: انبعاثها ومظاهرها وسيرها في زمن الدولة العثمانية إلى أوائل الحرب العالمية الأولى (تاريخ وذكريات وتعليقات) (بيروت: صيدا: المكتبة العصرية، 1971)، ص 185، وعمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، 1516-1922 (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1994)، ص 487.

[246←]

ليلي عبد اللطيف أحمد، موقف الدولة العثمانية من مطامع اليهود في فلسطين (القاهرة: دار الكتاب الجامعي، 1987)، ص 32-33.

[247←]

السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، 1891-1908 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986)، ص 34.

[248←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 1 تموز/يوليو 1910، فاقرأواه، ” الكرمل، العدد 1577 (1931/5/6)، ص 8.

[249←]

وليد الخالدي، ”كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روحى الخالدى المتوفى سنة 1913، ” في: برهان الدجاني [وآخرون]، دراسات فلسطينية: مجموعة أبحاث وضعت تكريماً لدكتور فلسطين زريق، تحرير هشام نشابة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1988)، ص 72.

[250←]

حيدر رشيد، ”مقدمات ظهور الحركة العمالية العربية في فلسطين قبل الانتداب، ” شؤون فلسطينية، العدد 109 (كانون الأول/ديسمبر 1980)، ص 104.

[251←]

مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة، ص 231-232.

[252←]

حسن محمد صبحي، التامر الصهيوني ضد الأمة العربية، 1882-1967 (بيروت: دار النهضة، 1968)، ص 28.

[253←]

مايكل دمبر، "الاستيطان اليهودي في القدس،" مجلة الدراسات الفلسطينية، السنة 2، العدد 8 (خريف 1991)، ص 35.

[254←]

صالح زهر الدين، "الصهيونية: نشأتها، فكرها، ممارستها،" شؤون فلسطينية (بيروت)، العددان 138-139 (أيلول/سبتمبر - تشرين الأول/أكتوبر 1984)، ص 138.

[255←]

يوسف براص، قرية على ضفاف الأردن، ترجمة رسمي بيادسة (يافا: دار النشر العربي، 1967)، ص 22.

[256←]

Walter Laqueur, *A History of Zionism: From the French Revolution to the Establishment of the State of Israel* (New York: MJF Books, 1972), p. 211

[257←]

براص، المصدر نفسه، ص 21.

[258←]

الكسندر شولتس، تحولات جذرية في فلسطين، 1856-1882، ترجمة كامل العسلي (عمان: منشورات الجامعة الأردنية، 1992)، ص 142.

[259←]

Robert John and Sami Hadawi, *The Palestine Diary, 1914-1945*, with a foreword by Arnold J. Toynbee (New York: New World Press, 1970), vol. 1, p. 7.

[260←]

عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990)، ص 48.

[261←]

المصدر نفسه، ص 7.

[262←]

وليد الخالدي، محرر، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، 2 ج (الرياض: اتحاد الجامعات العربية، 1983)، ج 1، ج 1، ص 203.

[263←]

السيد يسین وعلی الدین هلال، الاستعمار الاستیطانی الصهیونی فی فلسطین، 1948-1882، 2 ج (بغداد: معهد البحوث والدراسات، 1975)، ج 1، ص 58.

[264←]

علی محمد اسلیم، تاریخ الاستیطان الصهیونی فی فلسطین (عمان: مؤسسة الخدمات العربية، 1988)، ص 112.

[265←]

شولتس، تحولات جذرية فی فلسطین، 1882-1856، ص 138.

[266←]

أبو نظارة، العدد 3 (24 ذی القعدة 1316ھ - 5 نیسان/أبریل 1899م)، ص 13.

[267←]

المقطف، ج 22 (نیسان/أبریل 1898)، ص 310.

[268←]

المشرق، السنة 2 (1899)، ص 1094-1088، وأیوب، وثائق أساسیة فی الصراع العربي الصهیونی، ص 370-372.

[269←]

مدوح الروسان، فلسطین والصهیونیة، 1948-1882 (بیروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979)، ص 138.

[270←]

Neville J. Mandel,

(Berkeley, CA;The Arabs and Zionism before World War I London: University of California Press, 1976), p. 56 and 225.

[271←]

الشناق، العلاقات بین العرب واليهود فی فلسطین (1293-1333ھ/1876-1914م)، ص 151.

[272←]

جاء ذلك من خلال مقال بعنوان: "اليهود في سوريا ومستعمراتهم"، بتوقيع نزيل سوريا بالإسكندرية، المؤيد، العدد 2882 (15/10/1899).

[273←]

المؤيد، العدد 2882 (15/10/1899)، ص 2.

[274←]

المصدر نفسه.

[275←]

الهوى، العدد 29 (12/12/1900)، ص 3.

[276←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 134.

[277←]

الهوى، العدد 43 (21/7/1901)، ص 1-2.

[278←]

الهوى، العدد 76 (20/11/1901)، ص 1.

[279←]

Mandel,

, p. 40 and 224. The Arabs and Zionism before World War I

[280←]

الجامعة، ج 6 (كانون الثاني/يناير 1902)، ص 404-407.

[281←]

ثيودور هرتزل، الأرض القديمة الجديدة، ترجمة مثير حداد (يافا: دار النشر العربي، 1968م)، ص 66.

[282←]

المصدر نفسه، ص 65 و 103.

[283←]

المصدر نفسه، ص 100-101.

[284←]

بيان نويهض الحوت، فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917 (بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، 1991)، ص 434.

[285←]

غازي حسين، إسرائيل الكبرى والهجرة اليهودية (دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر، 1992)، ص 68.

[286←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1876-1914م)، ص 508.

[287←]

النعميمي، اليهود والدولة العثمانية، ص 89-91.

[288←]

المصدر نفسه، ص 136.

[289←]

نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ترجمة وتقديم أحمد ملحم (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998)، ص 75.

[290←]

رياض، الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة، ص 49.

[291←]

كيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 57.

[292←]

يوسف حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، "شئون فلسطينية، العددان 146-147 (أيار/مايو-حزيران/يونيو 1985)، ص 94.

[293←]

محمود الشبيات، الصهيونية في الميزان (عمّان: منشورات وكالة الصحافة الأردنية، 1975)، ص 44.

[294←]

براص، قرية على ضفاف الأردن، ص 45.

[295←]

حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، " ص 92.

[296←]

فيصل حوراني، جذور الرفض الفلسطيني، 1918-1948 (رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية - مواطن، 2003)، ص 21.

[297←]

عادل مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1976)، ص 129.

[298←]

Divine, Politics and Society in Ottoman Palestine: The Arab Struggle for Survival and Power, p. 11

[299←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 1.

[300←]

المشرق، مج 10 (1917)، ص 997، ومحمد العابدي، صفحات في التاريخ (عمّان: جمعية عمال المطبع، 1977)، ص 114.

[301←]

سهام نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام"، "المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة" والأهالي" (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993)، ص 198.

[302←]

الجامعة، ج 6 (كانون الثاني/يناير 1902)، ص 404-407.

[303←]

مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918)، ص 197.

[304←]

Mandel, , pp. 49 and 51. The Arabs and Zionism before World War I

[305←]

هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة 1648م إلى نهاية القرن العشرين، 2 ج (دمشق: دار القلم، 2002)، ص 20.

[306←]

تعكس مذكرات أفراد هذه الهجرة حجم إيمانهم بفكرتهم وهدفهم، فمن غوريون كتب إلى والده بعد هروبه من الخدمة في الجيش الروسي، يقول: "إن خلق قرية جديدة في فلسطين أفضل من كل الاسترادات المالية، وأجدى نفعاً من كل الاجتماعات والمؤتمرات، إن السكن في فلسطين هو الصهيونية الحقيقة فقط، وكان بن غوريون ينطلق في موقفه هذا من قوله "الوطن لا يشتري بالسياسة بل بعرق الجبين" ، لمزيد من التفاصيل، انظر: تهاني سلامه هلسة، دافيد بن غوريون، دراسات فلسطينية، 44 (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، منظمة التحرير الفلسطينية، 1968)، ص 27 و 30.

[307←]

Anita Shapira, Land and Power: The Zionist Resort to Force, New York: Oxford University Press, 1992), pp. 68-) 1881-1948 .69

[308←]

الصهاينة العمليين: مجموعة من الصهاينة كانوا يرون في النشاط الدبلوماسي الالاّث وراء الوعود والضمادات الدولية التي كان يقوم بها هرتزل - وهو ما عرف بالصهيونية السياسية - هي مضيعة للوقت، ورأوا ضرورة حصر الجهود في تنمية المستعمرات داخل فلسطين، وزيادة الهجرة إليها، لفرض سياسة الأمر الواقع، لمزيد من التفاصيل، انظر: حاييم وايزمان، مذكرات حاييم وايزمان بقلمه 1952: أول رئيس لدولة إسرائيل (بيروت: دار الفنون للطباعة والنشر، 2006)، ص 24.

[309←]

حوراني، جذور الرفض الفلسطيني، 1918-1948، ص 23.

[310←]

مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة، ص 222

[311←]

الشيبات، الصهيونية في الميزان، ص 44.

[312←]

ومن أهمها إلغاء الفرمان الذي أصدره السلطان عبد الحميد الثاني عام 1882، الذي يقضي بمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين والقدس الشريف، لمزيد من التفاصيل، انظر: إبراهيم الشرقي، أورشليم وأرض كنعان: حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل (لندن: مؤسسة الدراسات الدولية، 1985)، ص 238.

[313←]

Mandel,

, p. 55 The Arabs and Zionism before World War I

[314←]

حسين، إسرائيل الكبير والهجرة اليهودية، ص 66.

[315←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1876هـ/1333-1293 م)، ص 523.

[316←]

أمين مسعود أبو بكر، ملكية الأراضي في متصرفية القدس، 1858-1918 (عمان: مؤسسة شومان، 1996)، ص 617.

[317←]

الياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى 1949) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1998)، ص 399، و

Shapira, Land and Power: The Zionist Resort to Force, 1881-  
.p. 68, 1948

[318←]

براص، قرية على ضفاف الأردن، ص 27.

[319←]

الدجاج، "الاستيطان اليهودي في ريف فلسطين في العهدين العثماني والبريطاني، 1854-1948م، " ص 32.

[320←]

المصدر نفسه، ص 28.

[321←]

أبو بكر، ملكية الأراضي في متصرفية القدس، 1858-1918، ص 602.

[322←]

صحي، التامر الصهيوني ضد الأمة العربية، 1882-1967، ص 32.

[323←]

وليد الخالدي، الصهيونية في مئة عام: من البكاء إلى الهيمنة على المشرق العربي، 1897-1997 (بيروت: دار النهار، 1998)، ص 23.

[324←]

أريه ل. أفنزي، دعوى نزع الملكية: الاستيطان اليهودي والعرب، 1878-1948، ترجمة بشير البرغوثي (عمان: دار الجليل للنشر، 1986)، ص 103.

[325←]

الحوت، فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917، ص 434.

[326←]

الكiali، تاريخ فلسطين الحديث، ص 53 و 57، وأكس كرمل، تاريخ حيفا في عهد الأتراك العثمانيين (حيفا: جامعة حيفا، 1979)، ص 159.

[327←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 149.

[328←]

ويلاحظ أن هذه المطالب أصبحت كدستور لمطالب الحركة الوطنية الفلسطينية على اختلاف أشكالها كالحزب الوطني عام 1911، والنشرات العامة التي كانت توزع في فلسطين، لمزيد من التفاصيل، انظر: يسين وهلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948، ص 13.

[329←]

المصدر نفسه، ص 61.

[330←]

الشريقي، أورشليم وأرض كنعان: حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل، ص 216.

[331←]

كiali، تاريخ فلسطين الحديث، ص 57.

[332←]

Mandel,

, p. 167. The Arabs and Zionism before World War I

[333←]

شباتي تبيت، بن غوريون والعرب، ترجمة غازي السعدي (عمان: دار الجليل للنشر، 1987)، ص 31-32؛ أفنزي، دعوى نزع الملكية: الاستيطان اليهودي والعرب، 1878-1948، ص 104، وآباء الحركة الصهيونية، ترجمة عبد الكريم النقيب، شخصيات صهيونية، 5 (عمان: دار الجليل للنشر، 1987)، ص 92.

[334←]

الخالدي، الصهيونية في مئة عام: من البكاء إلى الهيمنة على المشرق العربي، 1897-1997، ص 23، و

Shapira, Land and Power: The Zionist Resort to Force, 1881-pp. 68-69, 1948

[335←]

Rafael N. Rosenzweig,

Brill (Leiden: The Economic Consequences of Zionism Academic Pub., 1997), p. 10.

[336←]

الشيبات، الصهيونية في الميزان، ص 44.

[337←]

خليل أبو رجيلي، "الزراعة العربية في فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل، "شؤون فلسطينية، العدد 11 (تموز/يوليو 1972)، ص 135، وصحي، التامر الصهيوني ضد الأمة العربية، 1882-1967، ص 37.

[338←]

.Rosenzweig, The Economic Consequences of Zionism, p. 10

[339←]

الشيبات، الصهيونية في الميزان، ص 44.

[340←]

براص، قرية على ضفاف الأردن، ص 47.

[341←]

المصدر نفسه، ص 51.

[342←]

شويفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى 1949)، ص 339-340؛ ريزا دومب، صورة العربي في الأدب اليهودي، ترجمة عارف توفيق عارف (عمان: دار الجليل، 1990)، ص 32، و

.Rosenzweig, The Economic Consequences of Zionism, p. 10

[343←]

Yousef Gorny, Zionism and the Arabs, 1882-1948: A Study of Ideology, translated by Chaya Galai (Oxford: Clarendon Press, 1987), p. 17

[344←]

Shapira, Land and Power: The Zionist Resort to Force, 1881- .p. 60 ,1948

[345←]

الخالدي، ”كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية“ لمحمد روحى الخالدي المتوفى سنة 1913، ”ص 71.

[346←]

عبد العزيز عوض، ”الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي“، 1870-1914، ”شؤون فلسطينية،“ العدد 36 (آب/أغسطس 1974)، ص 76.

[347←]

مناع، ”أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني“ (1800-1918)، ص 207.

[348←]

المصدر نفسه، ص 207

[349←]

حلاق، ”موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيوني“، 1897-1904، ”ص 247،“ وعاصمت برهان الدين، ”النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين“، ”شؤون عربية“، العدد 93 (آذار/مارس 1998)، ص 93.

[350←]

الخالدي، ”كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية“ لمحمد روحى الخالدي المتوفى سنة 1913، ”ص 72.

[351←]

الكيالى، ”تاريخ فلسطين الحديث“، ص 59.

[352←]

بسام البطوش، ”رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية،“ (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1995)، ص 144.

[353←]

المقطف، مج 35، ج 4 (تشرين الأول/أكتوبر 1909)، ص 957.

[354←]

المؤيد، العدد 5831 (1/8/1909)، ص 5

[355←]

يعقوب الدجاني ولينا يعقوب الدجاني، فلسطين واليهود وجريمة الصهيونية والعالم، تحرير مفلح الخوالة (عمّان: [د.ن.][1993]), ص 247.

[356←]

النعمة، ج 1 (1/11/1909)، ص 172

[357←]

Mandel,

, p. 167. The Arabs and Zionism before World War I

[358←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 59.

[359←]

العصر الجديد، العدد 104 (4/12/1909)، ص 2

[360←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 527.

[361←]

الاتحاد العثماني، العدد 397 (10/1/1910)، ص 1-2.

[362←]

المؤيد، العدد 5952 (1/1/1910)، ص 6، والعصر الجديد، العدد 127 (5/1/1910)

[363←]

الأمة، العدد 28 (8/1/1910)، ص 2.

[364←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، 19 آذار/مارس 1910، فاقرأوه“، ”الكرمل“، العدد 1448 (29/3/1930)، ص 8.

[365←]

خيرية قاسمية، ”نجيب نصار في جرينته ”الكرمل“، 1914-1909، ”شؤون فلسطينية“، العدد 23 (تموز/يوليو 1973)، ص 104.

[366←]

حداد، ”مواقف جريدة ”الكرمل“ من الصهيونية في العهد العثماني“، ص 98.

[367←]

المصدر نفسه، ص 98.

[368←]

خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداته 1918-1908 (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1973)، ص 75-76.

[369←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، 16 نيسان/أبريل 1910، فاقرأوه“، ”الكرمل“، العدد 1457 (19/4/1930)، ص 8.

[370←]

يوسف الحكيم، سوريا والعهد العثماني (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1966)، ص 214.

[371←]

الاتحاد العثماني، العدد 401 (14/1/1910)، ص 1.

[372←]

الأمة، العدد 57 (13/2/1910)، ص 2.

[373←]

المقتبس، العدد 318 (15/3/1910)، ص 2.

[374←]

اسليم، تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين، ص 177، والدجاني والدجاني، فلسطين واليهود وجريمة الصهيونية والعالم، ص 247.

[375←]

يشكك ماندل في هذا الرقم، ويشير إلى أن متوسط دخول اليهود السنوي خلال الفترة من 1882-1914، من ألفين إلى ثلاثة الآلاف مهاجر. لمزيد من التفاصيل، انظر:

Mandel,

, p. 229. *The Arabs and Zionism before World War I*

[376←]

المصدر نفسه، ص 105.

[377←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 25 حزيران/يونيو 1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1485 (9/7/1930)، ص 4.

[378←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 9 تموز/يوليو 1910 فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1490 (18/7/1930)، ص 4.

[379←]

المصدر نفسه، ص 4.

[380←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 25 تشرين الأول/أكتوبر 1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1543 (3/1/1931)، ص 4.

[381←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 15 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1548 (21/1/1931)، ص 6.

[382←]

المقتبس، العدد 542 (5/12/1910)، ص 1.

[383←]

المقتبس، العدد 571 (11/1/1911)، ص 3.

[384←]

البطوش، ”رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية، ” ص 145.

[385←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، في 2 كانون الأول/ديسمبر 1910، فاقر أوه“  
الكرمل، العدد 1551 (30/1/1930)، ص 6.

[386←]

المفید، العدد 362 (12/4/1910)، ص 2.

[387←]

المفید، العدد 391 (16/5/1910)، ص 2.

[388←]

النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، ص 88 و 95.

[389←]

إيلي ليفي أبو عسل، يقظة العالم اليهودي (القاهرة: دار الفضيلة، 2003)، ص 258-257.

[390←]

براص، قرية على ضفاف الأردن، ص 10.

[391←]

أرنولد توينبي، فلسطين: جريمة ودفاع، ترجمة عمر الديراوي (بيروت: دار العلم للملائين، 1981)، ص 24-25.

[392←]

رياض، الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة، ص 49.

[393←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 537.

[394←]

الدليل، العدد 373 (1/1/1911)، ص 5.

[395←]

المقتبس، العدد 685 (24/2/1911)، ص 2.

[396←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 17 كانون الثاني/يناير 1911، فاقر أوه“  
الكرمل، العدد 1562 (11/3/1931)، ص 8.

[397←]

قاسمية، ”نجيب نصار في جريدة الكرمل“، 1909-1914م، ”ص 106.

[398←]

توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، 1908-1914 (دمشق: دار طлас، 1991)، ص 241.

[399←]

المؤيد، العدد 6309 (8/3/1911)، ص 2.

[400←]

سهيل سليمان الشلبي، شكري العسلي (1868-1916): من أجل الاستقلال العربي ومقاومة الصهيونية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010)، ص 147، و

Divine,

Politics and Society in Ottoman Palestine: The Arab Struggle for , p. 155. Survival and Power

[401←]

برهان الدين، ”النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين“، ”ص 156.

[402←]

المؤيد، العدد 6309 (8/3/1911)، ص 1.

[403←]

الحضارة، العدد 59 (25/5/1911-12)، ص 6.

[404←]

المصدر نفسه، ص 6.

[405←]

المصدر نفسه، ص 6.

[406←]

برهان الدين، ”النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين“، ”ص 156-157.

[407←]

Mandel,

, pp. 112 and 115. The Arabs and Zionism before World War I

[408←]

أدت هذه الزيادة إلى تبه رجال العهد الجديد إلى خطورة الوضع، والخشية من إقامة اليهود لحكم ذاتي، وظهور حركة انفصالية في فلسطين، فعادوا إلى وضع القوانين لمنع الهجرة، ويبدو أن الصهاينة فهموا مغزى هذه الرسالة والمخاوف الاتحادية، فقامت طمائتهم من خلال قرارات مؤتمرهم المنعقد في بال في تشرين الثاني/نوفمبر 1911، بعدم إنشاء مكتب للمهاجرة الصهيونية- بالرغم من ضرورته- لتنظيم قوانين هذه المهاجرة.

[409←]

المقتبس، العدد 567 (7/1/1911)، ص 3.

[410←]

المصدر نفسه، ص 3.

[411←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 10 تشرين الثاني/نوفمبر 1911، فاقرأوه“، الكرمل، العدد 1559 (28/2/1931)، ص 8.

[412←]

المقتبس، العدد 638 (30/3/1911)، ص 4.

[413←]

المقتبس، العدد 709 (21/6/1911)، ص 2.

[414←]

المصدر نفسه.

[415←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 1 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه“، الكرمل، العدد 1603 (8/8/1931)، ص 8.

[416←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 1 تموز/يوليو 1910، فاقرأوه“، الكرمل، العدد 1604 (16/8/1931)، ص 13.

[417←]

وكانَتُ الحكومة قد بدأَتْ في أواخر تشرين الثاني/نوفمبر 1910 بجمع كافَة أنواع الأسلحة في فلسطين تزامنًا مع الحملة العسكرية على الكرك، لمزيد من التفاصيل،

انظر : المقتبس، العدد 549 (17/12/1910)، ص 2.

[418←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، في 24 أيار/مايو 1911، فاقرأوه“، ”الكرمل“، العدد 1592 (27/6/1931)، ص 8.

[419←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، في 27 أيار/مايو 1911، فاقرأوه“، ”الكرمل“، العدد 1593 (1/7/1931)، ص 8.

[420←]

المصدر نفسه، ص 2.

[421←]

حداد، ”مواقف جريدة“ الكرمل ”من الصهيونية في العهد العثماني“، ”ص 200“.

[422←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، في 2 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه“، ”الكرمل“، العدد 1605 (22/8/1931)، ص 8.

[423←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة، في 26 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه“، ”الكرمل“، العدد 1616 (10/10/1931)، ص 8.

[424←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 65، وليف كوتلوف، الحركة العربية في المشرق، 1908-1914: دراسة سياسية تاريخية اقتصادية، ترجمة زياد الملا؛ تقديم عبد الله حنا (بيروت: دار الكنوز الأدبية، 2001)، ص 159.

[425←]

عوض، ”الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي“، 1870-1914، ”ص 78“.

[426←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 26 تموز/يوليو 1911، فاقرأوه“، ”الكرمل“، العدد 1611 (23/9/1931)، ص 8.

[427←]

المصدر نفسه، ص 8.

[428←]

البيان، العدد 38 (24/10/1911)، ص 2.

[429←]

سهيلة الريماوي، "الرواد العرب والقضية الفلسطينية، 1900-1918"، "ورقة قدمت إلى: المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام: تاريخ فلسطين (عمان: مطبع الجمعية العلمية، 1983)، مج 3، ص 236.

[430←]

حسين، إسرائيل الكبرى والهجرة اليهودية، ص 67.

[431←]

المقتبس، العدد 784 (18/9/1911)، ص 2.

[432←]

المصدر نفسه، ص 2.

[433←]

المقتبس، العدد 465 (4/9/1910)، ص 1.

[434←]

النفاس العصرية، ج 1 (10 تشرين الأول/أكتوبر 1911)، ص 453.

[435←]

سليمان البستاني، عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، تحقيق خالد زيادة (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1978)، ص 235-236.

[436←]

المصدر نفسه، ص 231.

[437←]

المقتبس، العدد 885 (23/1/1912)، ص 1.

[438←]

حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، " ص 104.

[439←]

المصدر نفسه، ص 104.

[440←]

المنادي، العدد 8 (26/3/1912)، ص 1.

[441←]

الكلية، السنة 3، العدد 6 (نيسان/أبريل 1912).

[442←]

المقتبس، مج 7 (1912)، ص 469

[443←]

المصدر نفسه، ص 33

[444←]

فاسمية، "نجيب نصار في جريدة "الكرمل" ، 1909-1914م، " ص 108.

[445←]

كونتوف، الحركة العربية في المشرق، 1908-1914: دراسة سياسية تاريخية اقتصادية، ص 224.

[446←]

الريماوي، "الرواد العرب والقضية الفلسطينية، 1900-1918، " ص 240.

[447←]

المصدر نفسه، ص 228.

[448←]

خيرية فاسمية، "مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية، 1913-1914، "شئون فلسطينية، العدد 31 (آذار/مارس 1974)، ص 129.

[449←]

هlsa، دافيد بن غوريون، ص 28.

[450←]

المنادي، العدد 22 (2/7/1914)، ص 2.

[451←]

المقتبس، العدد 578 (19/11/1911)، ص 3.

[452←]

فلسطين، العدد 184 (2/11/1912)، ص 1، وعوض، "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914، " ص 78.

[453←]

الريماوي، "الرواد العرب والقضية الفلسطينية، 1900-1918"، "ص 238.

[454←]

البستانى، عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، ص 166-167.

[455←]

فلسطين، العدد 54-257 (26/7/1913)، ص 1.

[456←]

فلسطين، العدد 1628-233 (14/2/1914)، ص 1.

[457←]

الشريقي، أورشليم وأرض كنعان: حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل، ص 224.

[458←]

المنادي، العدد 29 (20/8/1912)، ص 3.

[459←]

المصدر نفسه.

[460←]

المقتبس، العدد 968 (19/8/1912)، ص 2.

[461←]

قاسمية، "نجيب نصار في جرينته "الكرمل" ، 1909-1914م، "ص 110.

[462←]

الريماوي، "الرواد العرب والقضية الفلسطينية، 1900-1918"، "ص 237.

[463←]

أبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، 1798-1939، ترجمة كريم عزقول، ط 4 (بيروت: دار النهار للنشر، 1986)، ص 362.

[464←]

البطوش، "رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية، "ص 147.

[465←]

قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 168، و

Mandel,

, p. 155. The Arabs and Zionism before World War I

[466←]

Mandel, Ibid., p. 156.

[467←]

Gorny, Zionism and the Arabs, 1882-1948: A Study of  
. Ideology, pp. 67-68

[468←]

البطوش، ”رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة  
. الإصلاحية، ” ص 140.

[469←]

قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 160.

[470←]

Anita L. P. Burdett, ed.,

(Cambridge, Islamic Movement in the Arab World, 1913-1966  
UK: Cambridge University Press, 1998), vol. 1, p. 52,  
. 14/5/1915

[471←]

عوض، ”الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914، ” ص 84.

[472←]

قاسمية، ”نجيب نصار في جرينته ”الكرمل“، 1909-1914م، ” ص 136.

[473←]

Mandel,

, pp. 161-163, and The Arabs and Zionism before World War I  
Burdett, ed.,

, pp. 72-73. Islamic Movement in the Arab World, 1913-1966

[474←]

إبراهيم أبراش، البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية  
والوطنية الفلسطينية، سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ 10 (بيروت: مركز دراسات  
الوحدة العربية، 1987)، ص 23.

[475←]

قاسمية، "مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية، 1913-1914"، ص 134.

[476←]

فلسطين: العدد 49-252 (9/7/1913)، والعدد 59-262 (13/8/1913).

[477←]

فلسطين، العدد 270 (28/8/1913)، ص 3، ومحمد الطراونة، قضاء يافا في العهد العثماني: دراسة إدارية اقتصادية اجتماعية، 1281-1333هـ/1864-1914م (عمان: وزارة الثقافة، 2000)، ص 472.

[478←]

عوض، "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914"، ص 82.

[479←]

المصدر نفسه، ص 82.

[480←]

حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني"، ص 107.

[481←]

عوض، المصدر نفسه، ص 82.

[482←]

فلسطين، العدد 78-281 (18/10/1913).

[483←]

القبس، العدد 1337-37 (17/11/1913)، ص 1.

[484←]

القبس، العدد 63 (26/8/1913)، ص 3.

[485←]

فلسطين العربية واليهود، ص 148.

[486←]

المنادي، العدد 4-50 (6/2/1913)، ص 3، وفلسطين، العدد 286 (23/10/1913)، ص 3.

[487←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 557.

[488←]

القبس، 23/10/1913، ص 2.

[489←]

مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة، ص 258.

[490←]

لسان الحال، العدد 7469 (13/2/1914)، ص 4.

[491←]

مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918)، ص 124.

[492←]

فلسطين، العدد 321 (4/4/1914)، ص 1.

[493←]

المقتبس، العدد 1463 (14/4/1914)، ص 2.

[494←]

فلسطين: العدد 226 (2/4/1913)، ص 1، والعدد 231 (19/4/1913)، ص 1.

[495←]

لسان الحال، العدد 7521 (15/4/1914)، ص 2.

[496←]

المنادي، العدد 14-62 (24/4/1913)، ص 4.

[497←]

قاسمية، "نجيب نصار في جريدة الكرمل" 1909-1914م، "ص 139.

[498←]

الكيلي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 74.

[499←]

لسان الحال، العدد 7535 (1/5/1914)، ص 3.

[500←]

لسان الحال، العدد 7547 (15/5/1914)، ص 1.

[501←]

ماهر الشريف، البحث عن كيان: دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني، 1908-1993 (نيقوسيا: مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، 1995)، ص 224-225.

[502←]

الدجاج، "الاستيطان اليهودي في ريف فلسطين في العهدين العثماني والبريطاني، 1854-1948م"، "ص 32.

[503←]

الشريقي، أورشليم وأرض كنعان: حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل، ص 216.

[504←]

لسان الحال، العدد 7605 (22/7/1914)، ص 2.

[505←]

لسان الحال، العدد 7610 (28/7/1914)، ص 3.

[506←]

محمد وفيق التميمي ومحمد بهجت الكاتب، فلسطين في نهاية العصر العثماني: ولاية بيروت/لواء عكا، دراسة وتحقيق زهير غنائم ومحمد محافظه (إربد: مؤسسة حمادة للنشر، 2001)، ص 240-242 و 251-252، وكرمل، تاريخ حيفا في عهد الأتراك العثمانيين، ص 219.

[507←]

Divine, Politics and Society in Ottoman Palestine: The Arab Struggle for Survival and Power, p. 148

[508←]

آباء الحركة الصهيونية، ص 94.

[509←]

محمد حافظ يعقوب، "ملاحظات تمهيدية حول الحركة الصهيونية، " دراسات عربية، العدد 5 (آذار/مارس 1973)، ص 15.

[510←]

لسان الحال، العدد 7405 (27/11/1913)، ص 2.

[511←]

محمود يزبك، النظم الإدارية والبني الاجتماعية في حيفا، 1870-1914 (عمّان: البنك الأهلي الأردني، 1999)، ص 328.

[512←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 82.

[513←]

الهلال، مج 24، ج 5 (شباط/فبراير 1916)، ص 401.

[514←]

الهلال، مج 26 (تشرين الأول/أكتوبر 1917)، ص 292.

[515←]

قضية الحدود بين مصر وفلسطين قبل الحرب العالمية الأولى، ”شؤون فلسطينية“، العدد 5 (تشرين الثاني/نوفمبر 1971)، ص 163.

[516←]

John and Hadawi,  
, p. 62. *The Palestine Diary, 1914-1945*

[517←]

وايزمان، مذكرات حاييم وايزمان بقلمه 1952: أول رئيس لدولة إسرائيل، ص 30.

[518←]

المقتبس، العدد 1594 (16/5/1915)، ص 2.

[519←]

الدجاج، ”الاستيطان اليهودي في ريف فلسطين في العهدين العثماني والبريطاني، 1854-1948“، ص 33.

[520←]

”Notes Written Early in 1915, “Syria, The Raw Material,”  
, vol. 11 (1917), pp. 107-108. *Arab Bulletin*

[521←]

Jane Priestland, ed.,  
(Oxford: Archive Editions, *Records of Jerusalem, 1917-1971*  
vol. 1, p. 69. , (2002

[522←]

الأفكار، العدد 1206 (16/2/1918)، ص 7.

[523←]

وایzman، مذکرات حاییم وایzman بقلمه 1952: أول رئيس لدولة إسرائيل، ص 46.

[524←]

B. Destani, ed.,

Minorities in the Middle East: Jewish Communities in Arab Countries 1841-1974 (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2005), vol. 3, p. 17.

[525←]

Fayez A. Sayegh,

, Palestine Monographs; 13 (Beirut: The Zionist Diplomacy Palestine Research Center, 1969) p. 14.

[526←]

يسين وهلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948، ص 372.

[527←]

أوضح محمد رشيد رضا- كاتب المقال- أن الهدف من هذا القول هو تشطيط الفقراء اليهود والمتوسطين على البذل بقدر الإمكان، ثم يكون الأغنياء هم الذين يتمنون العمل، مذكراً بما قدمه البارون هرش، الذي لا يمكن لأحد أن ينكر كرمه.

[528←]

المنار، مج 4، ج 21 (26/1/1902)، ص 1.

[529←]

يوسف حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، "شؤون فلسطينية، العددان 146-147 (أيار/مايو-حزيران/يونيو 1985)، ص 112.

[530←]

الحركة الصهيونية والاستعمار، ص 43.

[531←]

أنيس صايغ، معد، يوميات هرتزل، ترجمة هلدا شعبان صايغ (بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1968)، ص 76.

[532←]

المصدر نفسه، ص 23.

[533←]

الحركة الصهيونية والاستعمار، ص 43.

[534←]

سامي ذبيان، "الشخصية الفلسطينية: مداخلة تمهدية لتخليها وتحديد خصوصيتها، "مجلة شؤون عربية (تونس)، عدد خاص (أيلول/سبتمبر 1988)، ص 162.

[535←]

وليد الخالدي، محرر، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، 2 ج (الرياض: اتحاد الجامعات العربية، 1983)، ج 1، ص 203

[536←]

المقتبس، العدد 696 (6/6/1911)، ص 1.

[537←]

صايغ، معد، يوميات هرتزل، ص 75.

[538←]

القومية ومواجهة الاستعمار (طرابلس، ليبيا: [ د.ن.، د.ت. ])، ص 7.

[539←]

سهام نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام" و "المقطم" و "المؤيد" و "اللواء" و "الجريدة" والأهالي" (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993)، ص 153-154، وفيصل حوراني، جذور الرفض الفلسطيني، 1918-1948 (رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية - مواطن، 2003)، ص 19.

[540←]

عادل مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1976)، ص 122، علي محمد اسليم، تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين (عمان: مؤسسة الخدمات العربية، 1988)، ص 112.

[541←]

البشير ، العدد 1345 (8/8/1898)، ص 1.

[542←]

المصدر نفسه، ص 1.

[543←]

البشير ، العدد 1411 (20/11/1899)، ص 1.

[544←]

المصدر نفسه، ص 1.

[545←]

أحمد نوري النعيمي ، اليهود والدولة العثمانية (عمّان: دار البشير ؛ مؤسسة الرسالة، 1997)، ص 90.

[546←]

بيان نويهض الحوت، فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917 (بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، 1991)، ص 434، واسليم، تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين، ص 112.

[547←]

عصام سخنني، طبرية - تاريخ موسوعي من إنشائها سنة 20 م إلى نهاية الانتداب البريطاني سنة 1948 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009)، ص 348.

[548←]

البشير ، العدد 1426 (5/3/1900)، ص 3.

[549←]

البشير ، العدد 1427 (12/3/1900)، ص 3.

[550←]

البشير ، العدد 1466 (10/12/1900)، ص 3.

[551←]

المصدر نفسه، ص 3.

[552←]

سميح فرسون، فلسطين والفلسطينيون، ترجمة عطا عبد الوهاب (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003)، ص 108.

[553←]

البشير، العدد 1438 (25/6/1900)، ص 3.

[554←]

Neville J. Mandel,

(Berkeley, CA;The Arabs and Zionism before World War I London: University of California Press, 1976), p. 41.

[555←]

المصدر نفسه، ص 42.

[556←]

محمد عبد الرؤوف سليم، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة، 1897-1918 (القاهرة: جامعة عين شمس، 1974)، ص 176.

[557←]

المصدر نفسه، ص 42.

[558←]

الجامعة، ج 6 (كانون الثاني/يناير 1902)، ص 405-406.

[559←]

مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918)، ص 129.

[560←]

السيد يسین وعلی الدین هلال، الاستعمار الاستیطانی الصهیونی فی فلسطین، 1882-1948، ج 2 (بغداد: معهد البحوث والدراسات، 1975)، ص 134.

[561←]

فلسطين، العدد 229 (12/4/1913)، ص 2.

[562←]

أمين أبو بكر، "ملکية السلطان عبد الحميد الثاني فی فلسطین، 1876-1937،" مجلة جامعة النجاح للأبحاث (نابلس)، السنة 17، العدد 1 (حزيران/يونيو 2003)، ص 248.

[563←]

شباتي تبيت، بن غوريون والعرب، ترجمة غازي السعدي (عمان: دار الجليل للنشر، 1987)، ص 30.

[564←]

عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999)، ص 244.

[565←]

المصدر نفسه، ص 305.

[566←]

الاتحاد العثماني، العدد 15 (8/10/1908)، ص 2-3.

[567←]

فرسون، فلسطين والفلسطينيون، ص 18.

[568←]

محمود نهار الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م) (حلحول، فلسطين: مطبعة بابل الفنية، 2005)، ص 431.

[569←]

حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، " ص 95.

[570←]

المصدر نفسه، ص 95 و 97.

[571←]

مي صيقلی، حifa العربية، 1918-1939: التطور الاجتماعي والاقتصادي، سلسلة المدن الفلسطينية؛ 1 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997)، ص 55.

[572←]

المصدر نفسه، ص 55.

[573←]

عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990)، ص 61.

[574←]

المصدر نفسه، ص 55.

[575←]

ليف كوتلوف، الحركة العربية في المشرق، 1908-1914: دراسة سياسية تاريخية اقتصادية، ترجمة زياد الملا؛ تقديم عبد الله حنا (بيروت: دار الكنوز الأدبية، 2001)، ص 159.

[576←]

صيقلي، حifa العربية، 1918-1939: التطور الاجتماعي والاقتصادي، ص 56.

[577←]

المقتبس، العدد 318 (15/3/1910)، ص 1-2.

[578←]

المصدر نفسه، ص 2.

[579←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 13/12/1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1554 (11/2/1931)، ص 8.

[580←]

المقتبس، العدد 536 (1/1/1911)، ص 2.

[581←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 26/8/1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1518 (8/10/1930)، ص 6.

[582←]

سهيل سليمان الشلبي، شكري العسلي (1868-1916): من أجل الاستقلال العربي ومقاومة الصهيونية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010)، ص 152-162.

[583←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 14/2/1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1570 (8/4/1931)، ص 6.

[584←]

المقتبس، العدد 568، 1911/11/8، ص 3، والشلبي، شكري العسلي (1868-1916): من أجل الاستقلال العربي ومقاومة الصهيونية، ص 154.

[585←]

المقتبس، العدد 567 (7/1/1911)، ص 3.

[586←]

المصدر نفسه، ص 3.

[587←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 18/11/1910، فاقرأوه، ”الكرمل، العدد 1542 (31/12/1930)، ص 6.

[588←]

افرائيم: اسم مستعار للدلاله على اليهود الأجانب. لمزيد من التفاصيل، انظر: المقتبس، العدد 568 (8/1/1911)، ص 2.

[589←]

الشلبي، شكري العسلي (1868-1916): من أجل الاستقلال العربي ومقاومة الصهيونية، ص 156.

[590←]

المقتبس، العدد 562 (1/1/1911)، ص 1.

[591←]

المقتبس، العدد 695 (1/6/1911).

[592←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 14 شباط/فبراير 1911، فاقرأوه، ”الكرمل، العدد 1569 (4/4/1931)، ص 8.

[593←]

المقتبس، العدد 562 (1/1/1911)، ص 1.

[594←]

المقتبس، العدد 551 (19/12/1910)، ص 1.

[595←]

المقتبس، العدد 562 (1/1/1911)، ص 1.

[596←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 18/6/1910، فاقرأوه، ”الكرمل، العدد 148 (4/7/1930)، ص 4.

[597←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 16/8/1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 6. (3/9/1930) 1508

[598←]

المفید، العدد 543 (15/11/1910)، ص 1-2، والمقتبس، العدد 502 (19/10/1910).

[599←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 23/8/1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1510 (1/9/1930)، ص 8.

[600←]

المصدر نفسه، ص 8.

[601←]

المصدر نفسه، ص 8.

[602←]

المرأقب، العدد 96 (4/11/1910)، ص 710

[603←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 26/8/1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1518 (8/10/1930)، ص 6.

[604←]

المقتبس، العدد 791 (1/10/1911)، ص 3.

[605←]

المصدر نفسه، ص 1.

[606←]

المقتبس، العدد 502 (19/10/1910)، ص 1.

[607←]

المصدر نفسه، ص 1.

[608←]

المصدر نفسه، ص 1.

[609←]

المقتبس، العدد 811 (31/10/1910).

[610←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 18/11/1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1542 (31/12/1930)، ص 6.

[611←]

المصدر نفسه، ص 6.

[612←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 11 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1547 (17/1/1931)، ص 6.

[613←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1550 (24/1/1930)، ص 6.

[614←]

المقتبس، العدد 513 (1/11/1910)، ص 1.

[615←]

المصدر نفسه، ص 1.

[616←]

المقتبس، العدد 516 (5/11/1910)، ص 3.

[617←]

المصدر نفسه، ص 3.

[618←]

المقتبس، العدد 546 (10/12/1910)، ص 1.

[619←]

المصدر نفسه، ص 2.

[620←]

المقتبس، العدد 527 (17/11/1910)، ص 1.

[621←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه“،  
الكرمل، العدد 1549 (24/1/1931)، ص 6.

[622←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 13/12/1910، فاقرأوه“، الكرمل، العدد  
1554 (11/2/1931)، ص 8.

[623←]

المقتبس، العدد 562 (1/1/1911)، ص 1.

[624←]

المقتبس، العدد 564 (3/1/1911)، ص 3.

[625←]

المقتبس، العدد 567 (7/1/1911)، ص 3.

[626←]

المقتبس، العدد 589 (1/2/1911)، ص 1.

[627←]

المقتبس، العدد 567 (7/1/1911)، ص 2.

[628←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 20/1/1911، فاقرأوه“، الكرمل، العدد  
1564 (14/3/1931)، ص 8.

[629←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 7 شباط/فبراير 1911، فاقرأوه“، الكرمل، العدد  
1567 (28/3/1931)، ص 8.

[630←]

المصدر نفسه، ص 8.

[631←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 8 آذار/مارس 1911، فاقرأوه“، الكرمل، العدد  
1574 (22/4/1931)، ص 8.

[632←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 6 أيار/مايو 1911، فاقرأوه“، الكرمل، العدد  
1587 (13/6/1931)، ص 8.

[633←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 22 تموز/يوليو 1911، فاقرأواه، ” الكرمل، العدد 1609 (11/9/1931)، ص 8.

[634←]

المقتبس، العدد 787 (11/9/1911)، ص 3.

[635←]

المقتبس، العدد 801 (11/10/1911).

[636←]

محمد كرد علي، خطط الشام، 6 ج (دمشق: مكتبة النوري، 1983)، ج 3، ص 126.

[637←]

الحقائق، مج 2، ج 2 (27/6/1911)، ص 79.

[638←]

المقتبس، العدد 794 (26/8/1911)، ص 1.

[639←]

عصمت برهان الدين، ”النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين، ”شؤون عربية، العدد 93 (آذار/مارس 1998)، ص 156، و Assa'd Razzouk, 'Izz al-Dīn Fawdah and Elias W. Hanna, Zionism and Arab Resistance (Beirut: Palestine Research Center, 1969), p. 69.

[640←]

برهان الدين، المصدر نفسه، ص 156.

[641←]

المقتبس، العدد 634 (26/3/1911)، ص 2، وحسان علي حلاق، دور اللبنانيين في معركة النضال العربي، 1908-1942 (بيروت: الدار الجامعية، 1987)، ص 7.

[642←]

الحضارة، العدد 59 (12/5/1911)، ص 5-6.

[643←]

برهان الدين، ”النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين، ”  
ص 157.

[644←]

أنيس الصايغ، فلسطين والقومية العربية (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية،  
32)، ص 1966.

[645←]

المؤيد، العدد 6334 (8/4/1911)، ص 6.

[646←]

المقتبس، العدد 740 (29/7/1911)، ص 3.

[647←]

المقتبس، العدد 760 (31/8/1911)، ص 1.

[648←]

النعميمي، اليهود والدولة العثمانية، ص 23-24.

[649←]

المقتبس، العدد 786 (20/9/1911)، ص 2.

[650←]

المقتبس، العدد 828 (13/11/1911)، ص 2.

[651←]

المقتبس، العدد 854 (18/12/1911)، ص 3.

[652←]

B. Destani, ed., *Minorities in the Middle East: Jewish Communities in Arab Countries 1841-1974* (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2005), vol. 2: 1861-1913, p. 587  
(27/8/1911)

[653←]

المقتبس، العدد 823 (7/11/1911)، ص 2.

[654←]

حداد، ”مواقف جريدة ”الكرمل“ من الصهيونية في العهد العثماني، ” ص 103.

[655←]

أبو بكر ، "ملکية السلطان عبد الحميد الثاني في فلسطين، 1876-1937" ، "ص .612-611

[656←]

المقتبس ، العدد 947 (4/4/1912) ، ص 1.

[657←]

Robert John and Sami Hadawi,  
, with a foreword by Arnold J. The Palestine Dairy, 1914-1945  
Toynbee (New York: New World Press, 1970), p. 18.

[658←]

المنادي ، العدد 3 (20/2/1912) ، ص 1-2.

[659←]

المقتبس ، العدد 1066 (19/12/1912) ، ص 2.

[660←]

المصدر نفسه ، ص 2.

[661←]

أبو بكر ، "ملکية السلطان عبد الحميد الثاني في فلسطين، 1876-1937" ، "ص .26

[662←]

فلسطين العدد 207 (25/1/1913) ، ص 1.

[663←]

محمد عزة دروزة ، نشأة الحركة العربية: انبعاثها ومظاهرها وسيرها في زمن الدولة العثمانية إلى أوائل الحرب العالمية الأولى (تاريخ وذكريات وتعليقات) (بيروت؛ صيدا: المكتبة العصرية، 1971) ، ص 447.

[664←]

المنار ، مج 16 ، ج 2 (1331هـ-شباط/فبراير 1913) ، ص 147.

[665←]

أبو بكر ، "ملکية السلطان عبد الحميد الثاني في فلسطين، 1876-1937" ، "ص .612-611

[666←]

المنادي، العدد 6-53 (27/7/1913)، ص 4.

[667←]

المنادي، العدد 148 (24/1/1913)، ص 1.

[668←]

المنادي، العدد 53-6 (27/7/1913)، ص 3.

[669←]

فلسطين، العدد 229 (12/4/1913)، ص 2.

[670←]

المقتبس، العدد 1247 (19/7/1913)، ص 2.

[671←]

تزامن ذلك مع عودة الاتحاديين إلى الحكم في كانون الثاني/يناير 1913.

[672←]

المنادي، العدد 14-62 (24/4/1913)، ص 4.

[673←]

المقتبس، العدد 1179 (30/4/1913)، ص 2.

[674←]

الحوت، فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917، ص 451.

[675←]

“ما قالته الكرمل في عشرين سنة في 23 آب/أغسطس 1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1512 (17/9/1930)، ص 8.

[676←]

المنادي، العدد 14-62 (24/4/1913)، ص 4.

[677←]

المصدر نفسه، ص 4.

[678←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 435.

[679←]

المنادي، العدد 67 - 22 (5/6/1913)، ص 1.

[680←]

إبراهيم أبراش، *البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية*، سلسلة أطروحتات الدكتوراه، 10 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987)، ص 23-24.

[681←]

المقتبس، العدد 1298 (22/9/1913)، ص 1-2.

[682←]

المقتبس، العدد 1237 (7/7/1913)، ص 1، والمنادي، العدد 72 - 25 (8/7/1913)، ص 3.

[683←]

المنادي، العدد 25-72 (8/7/1913)، ص 3.

[684←]

المنادي، العدد 26-73 (17/7/1913)، ص 2.

[685←]

الكيالي، *تاريخ فلسطين الحديث*، ص 69.

[686←]

فرسون، *فلسطين والفلسطينيون*، ص 248.

[687←]

سمير أبيوب، *وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني*، 2 ج (بيروت: صامد للطباعة والنشر ، 1984)، ص 273.

[688←]

إبراهيم الشريفي، *أورشليم وأرض كنعان: حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل* (لندن: مؤسسة الدراسات الدولية، 1985)، ص 222-223.

[689←]

بسام البطوش، *”رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية، ”* (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1995)، ص 155.

[690←]

المقتبس، العدد 1247 (19/7/1913)، ص 1.

[691←]

المصدر نفسه، ص 1.

[692←]

المصدر نفسه، ص 1.

[693←]

المصدر نفسه، ص 3.

[694←]

المقتبس، العدد 1256 (29/7/1913)، ص 1.

[695←]

جاء تشكيل هذا الوفد- بعد اتفاق الاتحاديين والإصلاحيين العرب في مؤتمر باريس-، لتقديم الشكر للحكومة على وعودها، ومطالبتها بالتعجيل في البر بها. لمزيد من التفاصيل، انظر: أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية (القاهرة: دار القاهرة للطباعة والنشر، 1958)، ص 62.

[696←]

المصدر نفسه، ص 62.

[697←]

سليمان فيضي، مذكرات سليمان فيضي: من رواد النهضة العربية في العراق 1885-1951، تحقيق باسل سليمان فيضي (بيروت: دار الساقى، 1998)، ص 166-167.

[698←]

أحمد عزت الأعظمي، القضية العربية: أسبابها، مقدماتها، تطوراتها، نتائجها (بغداد: مطبعة الشعب، 1932)، ج 4، ص 52.

[699←]

المقتبس، العدد 1247 (19/7/1913)، ص 1.

[700←]

الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 75.

[701←]

المقتبس، العدد 1247 (19/7/1913).

[702←]

المقتبس، العدد 1249 (21/7/1913)، ص 1-2.

[703←]

فلسطين، العدد 261 (9/8/1913)، ص 3.

[704←]

فلسطين، العدد 1290 (13/9/1913)، ص 2.

[705←]

المصدر نفسه، ص 2.

[706←]

القبس، العدد 1-1301 (30/9/1913)، ص 1.

[707←]

أيوب، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، ص 273.

[708←]

علي محافظة، الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، 1918-1948 (عمان: مركز الكتب الأردني، 1989)، ص

.22

[709←]

الكيلي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 71.

[710←]

البشير، العدد 2281 (18/7/1913)، ص 1.

[711←]

المقتبس، العدد 1285 (18/7/1913)، ص 1.

[712←]

المؤيد، العدد 7100 (5/10/1913)، ص 4.

[713←]

الهلال، مج 22، ج 2 (تشرين الثاني/نوفمبر 1913)، ص 94.

[714←]

فلسطين، العدد 287 (26/10/1913)، ص 2، ومحمد الطراونة، قضاء يافا في العهد العثماني: دراسة إدارية اقتصادية اجتماعية، 1281-1333هـ/1864-1914م (عمان: وزارة الثقافة، 2000)، ص 472.

[715←]

البشير ، العدد 2281 (18/7/1913)، ص 1.

[716←]

المقتبس ، العدد 1306 (30/9/1913)، ص 1.

[717←]

يوسف الحكيم، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1964)، ص 119-120، ومذكريات سليم علي سلام، 1868-1938: مع دراسة للعلاقات العثمانية العربية والعلاقات الفرنسية اللبنانيّة، تحقيق حسان حلاق (بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1981)، ص 41.

[718←]

Mandel,

, p. 177.The Arabs and Zionism before World War I

[719←]

سخنني، طبرية - تاريخ موسوعي من إنشائها سنة 20 م إلى نهاية الانتداب البريطاني سنة 1948، ص 347.

[720←]

أبو بكر، "ملكية السلطان عبد الحميد الثاني في فلسطين، 1876-1937، " ص 251

[721←]

الحكيم، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، ص 119-120.

[722←]

لسان الحال، العدد 7450 (22/1/1914)، ص 1.

[723←]

المصدر نفسه، ص 1.

[724←]

خيرية قاسمية، "مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية، 1913-1914، " شؤون فلسطينية، العدد 31 (آذار/مارس 1974)، ص 139.

[725←]

الهلال، مج 7، العدد 22 (نisan/أبريل 1914)، ص 519.

[726←]

المصدر نفسه، ص 554.

[727←]

خيرية قاسمية، "من خفايا السياسة البريطانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى: المكتب العربي في القاهرة-قراءة في الوثائق البريطانية، " مجلة دراسات تاريخية (دمشق)، العددان 17-18 (آب/أغسطس - تشرين الثاني/نوفمبر 1984)، ص 160.

[728←]

لسان الحال، العدد 7435 (1/5/1914)، ص 3.

[729←]

عبد العزيز عوض، "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914، " شؤون فلسطينية، العدد 36 (آب/أغسطس 1974)، ص 84.

[730←]

خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918 (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1973)، ص 206، وكتلوف، الحركة العربية في المشرق، 1908-1914: دراسة سياسية تاريخية اقتصادية، ص 249.

[731←]

دروزة، نشأة الحركة العربية: انبعاثها ومظاهرها وسيرها في زمن الدولة العثمانية إلى أوائل الحرب العالمية الأولى (تاريخ وذكريات وتعليقات)، ص 288-383.

[732←]

Anita L. P. Burdett, ed.,

(Cambridge, Islamic Movement in the Arab World, 1913-1966 UK: Cambridge University Press, 1998), vol. 1, p. 72, 25/8/1914

[733←]

يعقوب الدجاني ولينا يعقوب الدجاني، فلسطين واليهود وجريمة الصهيونية والعالم، تحرير مفلح الخوادة (عمّان: [د.ن.][1993]), ص 218.

[734←]

فاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 181.

[735←]

أفكار، العدد 1057 (23/10/1916)، والقبلة (8 شوال 1334هـ - 1 حزيران/ يونيو 1916م)، ص 1.

[736←]

الكيلي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 12.

[737←]

فاسمية، "من خفايا السياسة البريطانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى: المكتب العربي في القاهرة-قراءة في الوثائق البريطانية، " ص 164.

[738←]

حابيم وايزمان، مذكرات حابيم وايزمان بقلمه 1952: أول رئيس لدولة إسرائيل (بيروت: دار الفنون للطباعة والنشر، 2006)، ص 47.

[739←]

فاسمية، المصدر نفسه، ص 166-167.

[740←]

نجيب عازوري، يقطة الأمة العربية، ترجمة وتقديم أحمد ملحم (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998)، ص 65.

[741←]

النعمي، اليهود والدولة العثمانية، ص 91.

[742←]

المصدر نفسه، ص 91.

[743←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 92.

[744←]

المصدر نفسه، ص 92.

[745←]

المقتبس، العدد 891 (29/1/1912)، ص 3.

[746←]

المقتبس، العدد 823 (7/11/1911)، ص 2.

[747←]

المصدر نفسه، ص 2.

[748←]

المصدر نفسه، ص 2.

[749←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 18 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه،“  
الكرمل، العدد 1542 (31/12/1930)، ص 6.

[750←]

المنادي، العدد 10 (10/4/1912)، ص 2.

[751←]

وليد الخالدي، ”كتاب السبيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روحى الخالدي  
المتوفى سنة 1913،“ في: برهان الدجاني [وآخرون]، دراسات فلسطينية:  
مجموعة أبحاث وضعت تكريماً للدكتور قسطنطين زريق، تحرير هشام نشابة  
(بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1988)، ص 79.

[752←]

المصدر نفسه، ص 81.

[753←]

المنادي، العدد 29 (20/8/1912)، ص 3.

[754←]

الكيالى، تاريخ فلسطين الحديث، ص 67، و Mandel, , p. 138. The Arabs and Zionism before World War I

[755←]

المنادي، العدد 42 (10/12/1912)، ص 2.

[756←]

المصدر نفسه، ص 2.

[757←]

المنادي، العدد 1-48 (24/1/1913)، ص 1.

[758←]

فلسطين، العدد 207 (25/1/1913)، ص 3.

[759←]

الخالدي، "كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روحى الخالدي المتوفى سنة 1913، " ص 81.

[760←]

قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 135.

[761←]

فلسطين، العدد 92 (11/12/1912)، ص 1.

[762←]

المنادي، العدد 42 (10/12/1912)، ص 2.

[763←]

حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، " ص 101.

[764←]

قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 139.

[765←]

أبو بكر، "ملكية السلطان عبد الحميد الثاني في فلسطين، 1876-1937، " ص 606.

[766←]

فلسطين، العدد 215 (2/2/1913)، ص 2.

[767←]

المقتبس، العدد 1249 (21/7/1913)، ص 2.

[768←]

"ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 27 تشرين الأول/أكتوبر 1910، فاقرأواه، " الكرمل، العدد 1544 (7/1/1931)، ص 4.

[769←]

المقتبس، العدد 823 (7/11/1911)، ص 2.

[770←]

المنادي، العدد 42 (10/12/1912)، ص 2.

[771←]

المنادي، العدد 14-62 (24/4/1913)، ص 3.

[772←]

المنادي، العدد 1-48 (24/1/1913)، ص 1.

[773←]

فاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 135.

[774←]

المقتبس، العدد 549 (17/12/1910)، ص 3.

[775←]

نجم عن بيع الدولة القسم الشمالي من أراضي سهل مرج بن عامر، أن أصبحت عشرون قرية من ضمن أملاك آل سرسك والتوبيني وفرح من تجار بيروت، لمزيد من التفاصيل، انظر: الاتحاد العثماني، العدد 139 (3/3/1909)، ص 2.

[776←]

الشريقي، أورشليم وأرض كنعان: حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل، ص 217.

[777←]

يسين وهلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948، ص 90.

[778←]

تقول نيوتن في مذكراتها: "كنت قد عرفت قرية معلول العربية-الإسلامية-المسيحية قبل الاحتلال البريطاني بعدد من السنوات، وإذا ذاك كانت أراضي هذه القرية الجليلة قد نقلت إلى اسم مشتريها اللبناني العثماني من السراسقة المقيمين في بيروت، أما أهاليها فظلوا هم مزارعوها". لمزيد من التفاصيل، انظر: فرنسيس إملي نيوتن، خمسون عاماً في فلسطين: "مذكرات صديقة العرب"، ترجمة وديع البستانى (عمّان: جمعية عمال المطبع التعاونية، 1967)، ص 204.

[779←]

الياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى 1949) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1998)، ص 305.

[780←]

الخالدي، محرر، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، ص 203، والصايغ، فلسطين والقومية العربية، ص 11.

[781←]

المقتبس، العدد 574 (15/1/1911)، ص 1.

[782←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 16 نيسان/أبريل 1910، فاقرأوه“، الكرمل، العدد 1457 (16/4/1930)، ص 8.

[783←]

المقتبس، العدد 701 (12/6/1911)، ص 3.

[784←]

المقتبس، العدد 715 (28/6/1911)، ص 3.

[785←]

حداد، ”مواقف جريدة“ الكرمل ”من الصهيونية في العهد العثماني“، ”ص 103، وخيرية قاسمية، ”نجيب نصار في جريدة“ الكرمل ”، 1909-1914م، ”شؤون فلسطينية، العدد 23 (تموز/يوليو 1973)، ص 111.

[786←]

محمود يزبك، النظم الإدارية والبني الاجتماعية في حيفا، 1870-1914 (عمان: البنك الأهلي الأردني، 1999)، ص 327.

[787←]

المصدر نفسه، ص 327.

[788←]

قاسمية، ”نجيب نصار في جريدة“ الكرمل ”، 1909-1914م، ”ص 109-110.

[789←]

المقتبس، العدد 705 (16/7/1911)، ص 2.

[790←]

المنادي، العدد 3 (20/2/1912)، ص 1.

[791←]

المنادي، العدد 6-53 (27/7/1913)، ص 3.

[792←]

المنادي، العدد 18-65 (22/5/1913)، ص 3.

[793←]

الخالدي، "كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روحى الخالدي المتوفى سنة 1913، " ص 81.

[794←]

المقتبس، العدد 318 (15/3/1910)، ص 1.

[795←]

المؤيد، العدد 61427 (11/8/1910)، ص 1.

[796←]

المنادي، العدد 9 (4/4/1912)، ص 1.

[797←]

الهلال، ج 7، العدد 22 (نisan/أبريل 1914)، ص 519.

[798←]

مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918)، ص 281.

[799←]

صايغ، معد، يوميات هرتزل، ص 290.

[800←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 93.

[801←]

المنادي، العدد 4 (12/10/1912)، ص 4.

[802←]

المغيد، العدد 528 (27/10/1910)، ص 3.

[803←]

"ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 27 أيار/مايو 1911، فاقرأواه، " الكرمل، العدد 1593 (1/7/1931)، ص 8.

[804←]

فلسطين، العدد 62 (10/8/1911)، ص 3.

[805←]

المقتبس، العدد 427 (11/8/1910)، ص 1.

[806←]

المنادي، العدد 1-48 (24/1/1913)، ص 2.

[807←]

المنادي، من هذه الأعداد 13-60 (17/4/1913)، ص 2؛ العدد 68-21 (27/7/1913)، ص 2، والعدد 26-73 (13/6/1913).

[808←]

المنادي، العدد 1-48 (24/1/1913)، ص 2.

[809←]

المنادي، العدد: 53 - 6 (27/4/1913)، ص 4.

[810←]

المصدر نفسه، ص 4.

[811←]

المصدر نفسه، ص 4.

[812←]

المصدر نفسه، ص 3.

[813←]

قاسمية، “نجيب نصار في جرينته “الكرمل”， 1909-1914م، ”ص 118.

[814←]

أيوب، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، ص 274.

[815←]

البشير، العدد 1466 (10/12/1900)، ص 3.

[816←]

الخالدي، ”كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية“ لمحمد روحى الخالدي المتوفى سنة 1913، ”ص 79.

[817←]

المصدر نفسه، ص 81.

[818←]

المصدر نفسه، ص 81

[819←]

المقتبس، العدد 823 (7/11/1911)، ص 2

[820←]

المقتبس، العدد 740 (29/7/1911)، ص 3

[821←]

فاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918، ص 137.

[822←]

المنادي، العدد 40 (12/10/1912)، ص 4

[823←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 20 أيار/مايو 1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1590 (2/6/1931)، ص 8.

[824←]

المنادي، العدد 40 (12/10/1912)، ص 4

[825←]

المقتبس، العدد 542 (5/12/1910)، ص 1، وكرد علي، خطط الشام، ج 4، ص 130-129.

[826←]

Donna Robinson Divine, Politics and Society in Ottoman Palestine: The Arab Struggle for Survival and Power (London: Lynne Rienner Publishers, 1993), p. 148

[827←]

زهير غنائم، لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية، 1281-1337هـ/1864-1918م، سلسلة المدن الفلسطينية؛ 4 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999)، ص 359.

[828←]

خليل أبو رجيلي، ”الزراعة العربية في فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل، ” شؤون فلسطينية، العدد 11 (تموز/يوليو 1972)، ص 129.

[829←]

الطراونة، قضاء يافا في العهد العثماني: دراسة إدارية اقتصادية اجتماعية، 1281-1864هـ/1333-1914م، ص 281.

[830←]

غنايم، لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية، 1281-1337هـ/1864-1918م، ص 763.

[831←]

المؤيد، العدد 61427 (11/8/1910)، ص 1.

[832←]

المقتبس، العدد 1119 (19/2/1913)، ص 1.

[833←]

المقتبس: العدد 318 (15/3/1910)، ص 1، والعدد 542 (5/12/1910)، ص 1.

[834←]

غنايم، لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية، 1281-1337هـ/1864-1918م، ص 183.

[835←]

المصدر نفسه، ص 256.

[836←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 10/6/1911، فاقرأواه، ” الكرمل، العدد 8. (5/7/1931) 1594

[837←]

المقتبس: العدد 706 (18/6/1911)، ص 2، والعدد 709 (21/6/1911)، ص 1.

[838←]

المقتبس، العدد 709 (21/6/1911)، ص 2.

[839←]

المقتبس، العدد 542 (5/12/1910)، ص 1.

[840←]

المقتبس، العدد 945 (2/4/1912)، ص 2-3.

[841←]

المقتبس، العدد 947 (4/4/1912)، ص 1.

[842←]

المقتبس، العدد 318 (15/3/1910)، ص 1.

[843←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 26 آب/أغسطس 1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1616 (1/10/1931)، ص 4.

[844←]

”ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 25 تموز/يوليو 1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1482 (5/7/1930)، ص 4.

[845←]

أنيس الصايغ، فلسطين والقومية العربية (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1966)، ص 32.

[846←]

أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية (عمّان: دار البشير؛ مؤسسة الرسالة، 1997)، ص 76.

[847←]

أنيس صايغ، معد، يوميات هرتزل، ترجمة هلا شعبان صايغ (بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1968)، ص 23.

[848←]

المصدر نفسه، ص 23.

[849←]

المصدر نفسه، ص 344.

[850←]

المصدر نفسه، ص 45.

[851←]

أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسيعى الصهيونى (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973)، ص 87.

[852←]

المصدر نفسه، ص 89.

[853←]

المصدر نفسه، ص 89.

[854←]

عونی فرsex، الأقلیات فی التاریخ العربی منذ الجاھلیة و إلی الیوم (لندن: ریاض الریس للنشر، 1994).

[855←]

سهام نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام"، "المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة" والأهالی" (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993)، ص 153-154، وفيصل حوراني، جذور الرفض الفلسطيني، 1918-1948 (رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية - مواطن، 2003)، ص 19.

[856←]

نصار، المصدر نفسه، ص 155.

[857←]

المصدر نفسه، ص 155.

[858←]

المشرق، السنة 2 (1899)، ص 1088.

[859←]

محمود نهار الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م) (حلحول، فلسطين: مطبعة بابل الفنية، 2005)، ص 440.

[860←]

نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام"، "المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة" والأهالی"، ص 160.

[861←]

Neville J. Mandel, The Arabs and Zionism before World War I (Berkeley, CA; London: University of California Press, 1976), p.)

[862←]

الهدى، العدد 5 (25/5/1901)، ص 2.

[863←]

المصدر نفسه، ص 2.

[864←]

المنار، مج 4، ج 21 (26/1/1902)، ص 1.

[865←]

المنار، مج 6، ج 5 (28/5/1903)، ص 196-200.

[866←]

شاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين: اليهود قديماً وحديثاً مع ترجم مشاهيرهم شرقاً وغرباً (القاهرة: مطبعة المقطف، 1904)، ص 261.

[867←]

المصدر نفسه، ص 261.

[868←]

عبد العزيز عوض، "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914،" شؤون فلسطينية، العدد 36 (آب/أغسطس 1974)، ص 76.

[869←]

نجيب عازوري، يقطة الأمة العربية، ترجمة وتقديم أحمد ملحم (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998)، ص 41-42، ومكي حبيب المؤمن وعلى منهل، من طلائع يقطة الأمة العربية: عزيز علي المصري، نجيب عازوري، فرح أنطون، شibli الشميم (بغداد: دار الرشيد، 1981)، ص 50.

[870←]

لم يستبعد رزوق أن يكون نوردو اطلع على كتاب نجيب عازوري وأفكاره، التي انطلقت من شعار بلاد العرب للعرب، فلم يقتصر على إظهار المنفعة للأتراء بل وللأوروبيين أيضاً. لمزيد من التفاصيل، انظر: رزوق، إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسيعى الصهيونى، ص 144-145.

[871←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 141.

[872←]

صالح زهر الدين، "الصهيونية: نشأتها، فكرها، ممارستها، "شئون فلسطينية (بيروت)، العددان 138-139 (أيلول/سبتمبر - تشرين الأول/أكتوبر 1984)، ص 118.

[873←]

الصايغ، فلسطين والقومية العربية، ص 32.

[874←]

المقطف، مج 33، ج 1 (كانون الأول/ديسمبر 1908)، ص 81.

[875←]

عوض، "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914"، ص 76.

[876←]

(34) السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، 1891-1908 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986)، ص 36-37.

[877←]

الاتحاد العثماني، العدد 249 (15/7/1909)، ص 1.

[878←]

نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام" و"المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة" والأهالي"، ص 166.

[879←]

المؤيد، العدد 5822 (21/7/1909)، ص 1.

[880←]

المصدر نفسه.

[881←]

Maher Al-Sharif, "Research on Kibbutz: A Study of the Palestinian Political Thought, 1908-1993" (Nicosia: Center for Research and Studies in International Studies, 1995), 23.

[882←]

سامي ذبيان، "الشخصية الفلسطينية: مداخلة تمهيدية لتحليلها وتحديد خصوصيتها، "مجلة شئون عربية (تونس)، عدد خاص (أيلول/سبتمبر 1988)، ص 162.

[883←]

النعمة، ج 10 (1/11/1909)، ص 112.

[884←]

علي محمد اسليم، تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين (عمان: مؤسسة الخدمات العربية، 1988)، ص 176.

[885←]

يوسف حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، "شئون فلسطينية، العددان 146-147 (أيار/مايو-حزيران/يونيو 1985)، ص 97.

[886←]

أمين أبو بكر، "ملکية السلطان عبد الحميد الثاني في فلسطين، 1876-1937، "مجلة جامعة النجاح للأبحاث (نابلس)، السنة 17، العدد 1 (حزيران/يونيو 2003)، ص 601.

[887←]

الاتحاد العثماني، العدد 1297 (10/1/1910)، ص 2.

[888←]

"ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 22 كانون الثاني/يناير 1910، فاقرأواه، "الكرمل، العدد 1434 (1/2/1930)، ص 8.

[889←]

المقتبس، العدد 318 (15/3/1910)، ص 1-2.

[890←]

المقتبس، العدد 465 (4/9/1910)، ص 1.

[891←]

المؤيد، العدد 6040 (17/4/1910)، ص 2.

[892←]

المنار، مج 13، ج 10 (2/11/1910)، ص 725.

[893←]

الحضارة، العدد 38 (29/12/1910)، ص 1، والمقتبس، العدد 571 (11/1/1911)، ص 3.

[894←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 20/1/1911، فاقرأ أوه، ” الكرمل، العدد 1563 (10/3/1931)، ص 8.

[895←]

المقتبس، العدد 574 (15/1/1911)، ص 1.

[896←]

المقتبس، العدد 589 (1/2/1911)، ص 1.

[897←]

المقتبس، العدد 740 (29/7/1911).

[898←]

حوراني، جذور الرفض الفلسطيني، 1918-1948، ص 19.

[899←]

المؤيد، العدد 6309 (8/3/1911)، ص 1.

[900←]

عصمت برهان الدين، ”النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين، ”شؤون عربية، العدد 93 (آذار/مارس 1998)، ص 156.

[901←]

الحضارة، العدد 59 (12/5/1911)، ص 5-6.

[902←]

المؤيد، العدد 6309 (8/3/1911)، ص 1.

[903←]

المصدر نفسه، ص 9.

[904←]

البيان، العدد 38 (24/10/1911)، ص 1-2.

[905←]

خيرية قاسمية، ”نجيب نصار في جريدة الكرمل“، 1909-1914م، ”شؤون فلسطينية، العدد 23 (تموز/يوليو 1973)، ص 107.

[906←]

نصار ، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام" ، "المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة" والأهالي" ، ص 166.

[907←]

المصدر نفسه، ص 170.

[908←]

الكوثر ، 1911/8/5 ، ص 119-120.

[909←]

"ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 21/7/1911 ، فاقرأوه" ، "الكرمل" ، العدد 1621 (22/9/1931) ، ص 8.

[910←]

المقتبس ، العدد 771 (3/9/1911) ، ص 2.

[911←]

المصدر نفسه.

[912←]

نسيم ملول ، أسرار اليهود (القاهرة: المؤلف، 1911) ، ص 5.

[913←]

المقتبس ، العدد 786 (20/9/1911) ، ص 2.

[914←]

المقتبس ، العدد 828 (13/11/1911) ، ص 2.

[915←]

المقتبس ، العدد 716 (29/6/1911) ، ص 2

[916←]

البيان ، العدد 85 (17/9/1912) ، ص 2.

[917←]

الكرمل ، العدد 849 (12/12/1911) ، ص 2.

[918←]

المقتبس ، مج 7 (1912) ، ص 33.

[919←]

المنار، مج 16، ج 2 (1331هـ-شباط/فبراير 1913)، ص 147.

[920←]

قاسمية، “نجيب نصار في جرينته “الكرمل”， 1909-1914م، ”ص 111.

[921←]

المؤيد، العدد 7100 (5/10/1913)، ص 4.

[922←]

وليد الخالدي، ”كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية“ لمحمد روحي الخالدي المتوفى سنة 1913، ”في: برهان الدجاني [وآخرون]، دراسات فلسطينية: مجموعة أبحاث وضعها تكريماً للدكتور قسطنطين زريق، تحرير هشام نشابة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1988)، ص 43.

[923←]

الهلال، مج 22، ج 2 (تشرين الثاني/نوفمبر 1913)، ص 92-98.

[924←]

المنار، مج 17، ج 1 (28 كانون الأول/ديسمبر 1913)، ص 320.

[925←]

المنار، مج 17، ج 4 (27/3/1914)، ص 319.

[926←]

Robert John and Sami Hadawi, *The Palestine Dairy, 1914-with a foreword by Arnold J. Toynbee* (New York: New ,1945 .World Press, 1970), vol. 1, p. 20

[927←]

إبراهيم أبراش، *البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية، سلسلة أطروحات الدكتوراه*، 10 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987)، ص 26.

[928←]

حداد، ”مواقف جريدة “الكرمل” من الصهيونية في العهد العثماني، ”ص 111.

[929←]

فلسطين، العدد 323 (11/4/1914)، ص 84.

[930←]

نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة من 1897-1917: دراسة تحليلية لصحف "الأهرام"، "المقطم" و"المؤيد" و"اللواء" و"الجريدة" والأهالي"، ص 169.

[931←]

المصدر نفسه، ص 171.

[932←]

المصدر نفسه، ص 171.

[933←]

خيرية قاسمية، "من خفايا السياسة البريطانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى: المكتب العربي في القاهرة- قراءة في الوثائق البريطانية، "مجلة دراسات تاريخية (دمشق)، العددان 17-18 (آب/أغسطس - تشرين الثاني/نوفمبر 1984)، ص 166.

[934←]

Jane Priestland, ed., *Records of Jerusalem, 1917-1971* (Oxford: Archive Editions, 2002), vol. 1, p. 32)

[935←]

أفكار، العدد 1194 (2/1/1918)، ص 2.

[936←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 33.

[937←]

قاسمية، "نجيب نصار في جرينته "الكرمل" ، 1909-1914م، " ص 101.

[938←]

السيد يسین وعلی الدین هلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948، 2 ج (بغداد: معهد البحوث والدراسات، 1975)، ص 86.

[939←]

مصطفى الدباغ، "الاستيطان اليهودي في ريف فلسطين في العهدين العثماني والبريطاني، 1854-1948م، " دراسات عربية، العدد 5 (آذار/مارس 1975)، ص 36.

[940←]

عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999)، ص 226.

[941←]

محمد الطراونة، قضاء يافا في العهد العثماني: دراسة إدارية اقتصادية اجتماعية، 1281-1864هـ/1333-1914م (عمان: وزارة الثقافة، 2000)، ص 495.

[942←]

.Palestine Exploration Fund (London) (January 1907), p. 82

[943←]

النبراس، مج 1، ج 9 (15/10/1909)، ص 348.

[944←]

المقتبس، العدد 2328 (27/3/1910)، ص 2.

[945←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة، في 26 آب/أغسطس 1910، فاقرأوه“، ”الكرمل“، العدد 1513 (1/10/1931)، ص 4.

[946←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 23 آب/أغسطس 1911، فاقرأوه“، ”الكرمل“، العدد 1512 (17/9/1931)، ص 8.

[947←]

المقتبس، مج 7 (1912)، ص 33.

[948←]

المنادي، العدد 21 (25/6/1913)، ص 1-2.

[949←]

فلسطين، العدد 1417 (29/2/1914)، ص 2.

[950←]

حاييم وايزمان، مذكرات حاييم وايزمان بقلمه 1952: أول رئيس لدولة إسرائيل (بيروت: دار الفنون للطباعة والنشر، 2006)، ص 18 و 26.

[951←]

لسان الحال، العدد 7484 (3/3/1914).

[952←]

المؤيد، العدد 7244 (29/3/1914)، ص 4.

[953←]

المصدر نفسه، ص 4.

[954←]

بسام البطوش، ”رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية،“ (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1995)، ص 150.

[955←]

فلسطين، 29/2/1914.

[956←]

الاتحاد العثماني، العدد 486 (25/4/1910)، ص 3.

[957←]

يوسف الحكيم، سوريا والعهد العثماني (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1966)، ص 212.

[958←]

محمود الشيبات، الصهيونية في الميزان (عمّان: منشورات وكالة الصحافة الأردنية، 1975)، ص 43.

[959←]

المؤيد، العدد 5925 (24/11/1909)، ص 4.

[960←]

العصر الجديد، العدد 127 (5/1/1910)، ص 3.

[961←]

خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصدّاه 1908-1918 (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1973)، ص 254.

[962←]

المصدر نفسه، ص 254.

[963←]

المؤيد، العدد 6142 (11/8/1910)، ص 1-2.

[964←]

المقتبس، العدد 542 (5/12/1910)، ص 1.

[965←]

المقتبس، العدد 581 (23/1/1911)، ص 2.

[966←]

برهان الدين، ”النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين، ” ص 156.

[967←]

البيان، العدد 38 (24/10/1911)، ص 1-2.

[968←]

برهان الدين، المصدر نفسه، ص 156، وحسان علي حلاق، دور اللبنانيين في معركة النضال العربي، 1908-1942 (بيروت: الدار الجامعية، 1987)، ص 7.

[969←]

الحضارة، العدد 61 (26/5/1911)، ص 5.

[970←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 11 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1547 (17/1/1930)، ص 6.

[971←]

الخالدي، ”كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية لمحمد روحى الخالدي المتوفى سنة 1913، ” ص 75.

[972←]

المقتبس، العدد 740 (29/7/1911)، ص 3.

[973←]

المصدر نفسه، ص 3.

[974←]

المقتبس، العدد 690 (30/5/1911)، ص 1.

[975←]

المصدر نفسه، ص 1.

[976←]

المنادي، العدد 62-14 (24/4/1913)، ص 4.

[977←]

المقطف، مج 44، ج 1 (كانون الثاني/يناير 1914)، ص 50

[978←]

لسان الحال، العدد 7466 (10/2/1914)، ص 2.

[979←]

المؤيد، العدد 7251 (6/4/1914)، ص 1.

[980←]

المؤيد، العدد 7521 (15/4/1914)، ص 2.

[981←]

فلسطين، 29/4/1914، ويعقوب الدجاني ولينا يعقوب الدجاني، فلسطين واليهود وجريمة الصهيونية والعالم، تحرير ملح الخوالدة (عمّان: [د. ن.][1993)، ص 251.

[982←]

الأمة، العدد 66 (21/2/1910)، ص 2.

[983←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 11 تشرين الثاني/نوفمبر 1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1547 (17/1/1930)، ص 6.

[984←]

أنيس الصايغ، فلسطين والقومية العربية (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1966)، ص 26.

[985←]

عبد الله عبد الدائم، ”موقف الصهيونية: فكرة وحركة من القومية العربية، ” شؤون عربية، العدد 104 (أيلول/سبتمبر 1988)، ص 10.

[986←]

أنيس صايغ، معد، يوميات هرتزل، ترجمة هلدا شعبان صايغ (بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1968)، ص 75.

[987←]

المصدر نفسه، ص 75

[988←]

مايكل دمبر، "الاستيطان اليهودي في القدس، "مجلة الدراسات الفلسطينية، السنة 2، العدد 8 (خريف 1991)، ص 35.

[989←]

محمود نهار الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م) (حلحول، فلسطين: مطبعة بابل الفنية، 2005)، ص 451-450

[990←]

حيدر رشيد، "مقدمات ظهور الحركة العمالية العربية في فلسطين قبل الانتداب، "شؤون فلسطينية، العدد 109 (كانون الأول/ديسمبر 1980)، ص 101، ويعقوب الدجاني ولينا يعقوب الدجاني، فلسطين واليهود وجريمة الصهيونية والعالم، تحرير مفلح الخوالة (عمّان: [د.ن.][د.ن.]، 1993)، ص 243.

[991←]

محمود نهار الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م) (حلحول، فلسطين: مطبعة بابل الفنية، 2005)، ص 451-450

[992←]

Yousef Gorny, Zionism and the Arabs, 1882-1948: A Study of Ideology, translated by Chaya Galai (Oxford: Clarendon Press, 1987), p. 19.

[993←]

خليل أبو رجيلي، "الزراعة العربية في فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل، "شؤون فلسطينية، العدد 11 (تموز/يوليو 1972)، ص 133-134.

[994←]

رشيد، "مقدمات ظهور الحركة العمالية العربية في فلسطين قبل الانتداب، " ص 102.

[995←]

محمود الشيبات، الصهيونية في الميزان (عمّان: منشورات وكالة الصحافة الأردنية، 1975)، ص 42.

[996←]

وليد الخالدي، محرر، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، 2 ج (الرياض: اتحاد الجامعات العربية، 1983)، ج 1، ص 203.

[997←]

David Kushner, ed., Palestine in the Late Ottoman Period: Political, Social and Economic Transformation (Leiden: Brill Academic Pub., 1997), p. 188

[998←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 451-450

[999←]

Gorny, Zionism and the Arabs, 1882-1948: A Study of Ideology, p. 13

[1000←]

المقطف، مج 22 (نisan/April 1898)، ص 310

[1001←]

صايغ، معد، يوميات هرتزل، ص 78

[1002←]

Anita Shapira, Land and Power: The Zionist Resort to Force, (New York: Oxford University Press, 1992), p. 58) 1881-1948

[1003←]

Neville J. Mandel, The Arabs and Zionism before World War I (Berkeley, CA; London: University of California Press, 1976), p.) .223

[1004←]

عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999)، ص 22.

[1005←]

محمود يزبك، النظم الإدارية والبني الاجتماعية في حيفا، 1870-1914 (عمّان: البنك الأهلي الأردني، 1999)، ص 295

[1006←]

الخالدي، محرر ، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني ، ج 1، ص 207.

[1007←]

الجامعة، ج 6 (كانون الثاني/يناير 1902)، ص 404 و407.

[1008←]

الياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى 1949) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1998)، ص 299.

[1009←]

المصدر نفسه، ص 299.

[1010←]

Gorny, Zionism and the Arabs, 1882-1948: A Study of Ideology, p. 12

[1011←]

عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990)، ص 52.

[1012←]

صبرى جريس، " حول النزاعات العنصرية في العقيدة والممارسة الصهيونية، " شؤون فلسطينية، العدد 52 (كانون الأول/ديسمبر 1975)، ص 28، و مجموعه من الكتاب اليهود، " إسرائيل الثانية: المشكلة السفاردية، " مجلة الأزمنة الحديثة، العدد 394 (أيلول/سبتمبر 1980)، ص 165.

[1013←]

Shapira, Land and Power: The Zionist Resort to Force, 1881- .p. 55 ,1948

[1014←]

يوسف براص، قرية على ضفاف الأردن، ترجمة رسمي بيادسة (يافا: دار النشر العربي، 1967)، ص 18.

[1015←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 509.

[1016←]

.Palestine Exploration Fund (London) (April 1907), p. 93

[1017←]

براص، قرية على ضفاف الأردن، ص 29.

[1018←]

المصدر نفسه، ص 19.

[1019←]

أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسيعى الصهيونى (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973)، ص 305.

[1020←]

ريزا دومب، صورة العربي في الأدب اليهودي، ترجمة عارف توفيق عارف (عمان: دار الجليل، 1990)، ص 49.

[1021←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 489.

[1022←]

Gorny, Zionism and the Arabs, 1882-1948: A Study of Ideology, p. 68

[1023←]

رشيد، "مقدمة ظهور الحركة العمالية العربية في فلسطين قبل الانتداب، " ص 106.

[1024←]

شباتي تبيت، بن غوريون والعرب، ترجمة غازي السعدي (عمان: دار الجليل للنشر، 1987)، ص 24-25.

[1025←]

الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، ص 113.

[1026←]

عبد العزيز عوض، "الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914، " شؤون فلسطينية، العدد 36 (آب/أغسطس 1974)، ص 76.

[1027←]

المصدر نفسه، ص 513.

[1028←]

المصدر نفسه، ص 76.

[1029←]

Shapira, Land and Power: The Zionist Resort to Force, 1881-  
.p. 58 ,1948

[1030←]

المصدر نفسه، ص 58

[1031←]

ابتسام قعور، محرر، قضية شراء الأراضي والاستيطان الصهيوني في الأردن  
وحران والجولان، 1871-1947 (عمان: دار الجليل للنشر، 2003)، ص 149.

[1032←]

أبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، 1798-1939، ترجمة كريم  
عزقول، ط 4 (بيروت: دار النهار للنشر، 1986)، ص 333.

[1033←]

.Mandel, The Arabs and Zionism before World War I, p. 31

[1034←]

قعور، محرر، قضية شراء الأراضي والاستيطان الصهيوني في الأردن وحران  
والجولان، 1871-1947، ص 150.

[1035←]

السيد يسین وعلی الدین هلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين،  
1882-1948، ج 2 (بغداد: معهد البحث والدراسات، 1975)، ص 13.

[1036←]

الكيلي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 53.

[1037←]

الاتحاد العثماني، العدد 15 (8/10/1908)، ص 3.

[1038←]

النعمة، ج 1 (1/11/1909)، ص 172.

[1039←]

النبراس، مج 1، ج 9 (15/10/1909)، ص 346.

[1040←]

مي صيقي، حifa العربية، 1918-1939: التطور الاجتماعي والاقتصادي، سلسلة المدن الفلسطينية؛ 1 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997)، ص 55.

[1041←]

مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1700-1918: قراءة جديدة، ص 256.

[1042←]

المصدر نفسه، ص 256.

[1043←]

الاتحاد العثماني، العدد 379 (16/12/1909)، ص 3.

[1044←]

الكيلي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 53.

[1045←]

الكس كرمل، تاريخ حifa في عهد الأتراك العثمانيين (حifa: جامعة حifa، 1979)، ص 273.

[1046←]

النبراس، مج 1، ج 10 (13/12/1909)، ص 382.

[1047←]

المقتبس، العدد 318 (15/3/1910)، ص 1.

[1048←]

خيرية قاسمية، "نجيب نصار في جريدة "الكرمل" 1909-1914م، "شؤون فلسطينية، العدد 23 (تموز/يوليو 1973)، ص 103.

[1049←]

يوسف الحكيم، سوريا والعهد العثماني (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1966)، ص 199.

[1050←]

"ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 1 آب/أغسطس 1910، فاقرأوه، " الكرمل، العدد 1506 (27/8/1930)، ص 8.

[1051←]

المصدر نفسه، ص 8.

[1052←]

ليف كوتلوف، الحركة العربية في المشرق، 1908-1914: دراسة سياسية تاريخية اقتصادية، ترجمة زياد الملا؛ تقديم عبد الله حنا (بيروت: دار الكنوز الأدبية، 2001)، ص 159.

[1053←]

علي محمد اسليم، تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين (عمان: مؤسسة الخدمات العربية، 1988)، ص 176.

[1054←]

المؤيد، العدد 5952 (1/1/1910)، ص 6، والعصر الجديد، العدد 127 (5/1/1910)، ص 4.

[1055←]

المقتبس، العدد 319 (16/3/1910)، ص 1.

[1056←]

الاتحاد العثماني، العدد 414 (29/1/1910)، ص 3.

[1057←]

الاتحاد العثماني، العدد 465 (4/9/1910)، ص 1.

[1058←]

الاتحاد العثماني، العدد 467 (6/9/1910)، ص 2.

[1059←]

المؤيد، العدد 60147 (17/3/1910)، ص 2-3.

[1060←]

“ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 18 حزيران/يونيو 1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1479 (28/6/1930)، ص 4.

[1061←]

“ما قالته الكرمل قبل عشرين سنة في 18/11/1910، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1548 (21/1/1930)، ص 6.

[1062←]

”ما قالته الكرمل قبل 20 سنة في 17 كانون الثاني/يناير 1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1562 (11/3/1931)، ص 8.

[1063←]

المقتبس، العدد 329 (28/3/1910)، ص 2.

[1064←]

”ما قالته الكرمل في عشرين سنة في 1/7/1911، فاقرأوه، ” الكرمل، العدد 1603 (8/8/1931)، ص 6.

[1065←]

عصمت برهان الدين، ”النواب العرب في العهد العثماني والخطر الصهيوني في فلسطين، ”شؤون عربية، العدد 93 (آذار/مارس 1998)، ص 156.

[1066←]

الحضارة، العدد 59 (16/5/1911)، ص 6.

[1067←]

فلسطين، العدد 140 (29/5/1912)، ص 1.

[1068←]

.Mandel, *The Arabs and Zionism before World War I*, p. 122

[1069←]

فلسطين، العدد 169 (3/9/1911)، ص 21.

[1070←]

سهيلة الريماوي، ”الرواد العرب والقضية الفلسطينية 1900-1918، ” ورقة قدمت إلى: المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام: تاريخ فلسطين (عمان: مطبع الجمعية العلمية، 1983)، ص 235.

[1071←]

عوض، ”الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي، 1870-1914، ” ص 77.

[1072←]

المقتبس، العدد 828 (13/11/1911)، ص 2.

[1073←]

يوسف حداد، ”مواقف جريدة ”الكرمل“ من الصهيونية في العهد العثماني، ”شؤون فلسطينية، العددان 146-147 (أيار/مايو-حزيران/يونيو 1985)، ص 98.

[1074←]

المصدر نفسه، ص 102.

[1075←]

المقتبس، العدد 571 (11/1/1911)، ص 3.

[1076←]

المصدر نفسه، ص 3.

[1077←]

حداد، المصدر نفسه، ص 99.

[1078←]

Maher Al-Sharif, "Research on Kibar: A Study of the Palestinian Political Thought," 1908-1993 (Nicosia: Center for Research and Studies in International Relations, 1995), 22.

[1079←]

المنادي، العدد 9 (2/4/1912)، ص 1.

[1080←]

فلسطين، العدد 144 (12/6/1912)، ص 3.

[1081←]

فلسطين، العدد 28 (13/7/1912)، ص 2.

[1082←]

المنادي، العدد 39 (15/10/1912)، ص 1.

[1083←]

المنادي، العدد 5 (5/3/1912)، ص 1.

[1084←]

المصدر نفسه، ص 1.

[1085←]

المنادي، العدد 21 (25/6/1912)، ص 2.

[1086←]

المقتبس، مجلد 9، ج 1 (1912)، ص 60.

[1087←]

المقتبس، العدد 1-48 (24/1/1913)، ص 1.

[1088←]

المصدر نفسه، ص 2.

[1089←]

الشريف، البحث عن كيان: دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني، 1908-1993، ص 20.

[1090←]

المقتبس، العدد 1137 (12/3/1913)، ص 1.

[1091←]

خيرية قاسمية، "مواقف عربية من التقاهم مع الصهيونية، 1913-1914"، "شؤون فلسطينية"، العدد 31 (آذار/مارس 1974)، ص 138.

[1092←]

قاسمية، "نجيب نصار في جرينته "الكرمل" ، 1909-1914م، " ص 114.

[1093←]

المصدر نفسه، ص 114.

[1094←]

قاسمية، "مواقف عربية من التقاهم مع الصهيونية، 1913-1914"، " ص 138.

[1095←]

خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداء 1908-1918 (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1973)، ص 224، وبسام البطوش، "رفيق العظم، 1865-1925م: دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية، " (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1995)، ص 150.

[1096←]

قاسمية، "مواقف عربية من التقاهم مع الصهيونية، 1913-1914"، " ص 135.

[1097←]

وهم: نسيم مزلياح، بساريا أفندي، وجاويد بك.

[1098←]

المنار ، مج 16 ، ج 2 (شباط/فبراير 1913)، ص 147، 157 و 160.

[1099←]

الهلال، مج 2، ج 2 (تشرين الثاني/نوفمبر 1913)، ص 93.

[1100←]

المقتبس، العدد 1375 (25/12/1913)، ص 1.

[1101←]

حداد، "مواقف جريدة "الكرمل" من الصهيونية في العهد العثماني، " ص 107.

[1102←]

المصدر نفسه، ص 138.

[1103←]

علي ملكي، **الجاسوسية الصهيونية في البلاد العربية: أخطر الوقائع عن مغامرات الجواسيس اليهود في لبنان وسوريا وفلسطين** (بيروت: صوت الشوف، 1970)، ص 10، وفرنسيس إملي نيوتن، خمسون عاماً في فلسطين: "مذكرات صديقة العرب"، ترجمة وديع البستاني (عمّان: جمعية عمال المطبع التعاونية، 1967)، ص 101.

[1104←]

المقطف، مج 44، ج 1 (كانون الثاني/يناير 1914)، ص 49.

[1105←]

لسان الحال، العدد 7466 (10/2/1914)، ص 2.

[1106←]

لسان الحال، العدد 7470 (14/2/1914)، ص 1.

[1107←]

لسان الحال، العدد 7492 (11/3/1914)، ص 2.

[1108←]

المنهل، مج 1، ج 6 (7 صفر وربيع الأول 1332هـ - كانون الثاني/يناير 1914)، ص 277.

[1109←]

لسان الحال، العدد 7547 (15/5/1914)، ص 1.

[1110←]

فلسطين: العدد 307 (29/3/1914)، والعدد 311 (11/4/1914).

[1111←]

المصدر نفسه.

[1112←]

ممدوح الروسان، فلسطين والصهيونية، 1882-1948 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979)، ص 62.

[1113←]

عادل مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1976)، ص 129.

[1114←]

Gorny, Zionism and the Arabs, 1882-1948: A Study of Ideology, pp. 24-25

[1115←]

سمير أبوب، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، 2 ج (بيروت: صامد للطباعة والنشر، 1984)، ص 274.

[1116←]

[1117←]

يسين والدين هلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 1882-1948، ص 96-97.

[1118←]

صيفي، حيفا العربية، 1918-1939: التطور الاجتماعي والاقتصادي، ص 53.

[1119←]

. Palestine Exploration Fund (London) (October 1917), p. 170

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

**(تم الكتاب بحمد الله و توفيقه)**

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



# مُمِيزٌ للكتب الالكترونية



**لينك الانضمام إلى الجروب - Group Link**

**لينك القناعة - Link**

# الفهرس..

عن الكتاب..

مقدمة

الفصل الأول

بدايات الوعي العربي لخطر الفكر الصهيونية،

1897 - 1917

الفصل الثاني

بدايات الوعي العربي لخطر المиграة والاستيطان اليهودي الصهيوني، 1897-1917

الفصل الثالث

بدايات الوعي العربي لخطر بيع الأراضي للصهيونية، 1897- 1917

الفصل الرابع

بدايات الوعي العربي لإقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين

الفصل الخامس

الوعي العربي للخطر الاقتصادي للمشروع الصهيوني، 1897- 1917

خاتمة

المراجع

خلاصة الكتاب

الهوامش..